إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام

يوم الحسين عليه السلام

الجزء الخامس

الأئمة من ولد الحسين تكملة ليوم الحسين الموعود
"الرضا، الجواد، الهادي، العسكري عليهم السلام"

لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل

الدكتور علاء السالم

إصدارات أنصار الإمام المهدي / العدد ٢٣٣

يَوْمُ الحُسَيْن

الجزء الخامس

الأئمة من ولد الحسين تكملة ليوم الحسين الموعود

"الرضا، الجواد، الهادي، العسكري عليهم السلام"

علاء السالم

الفهرست الإجمالي

كلمة البدء.. ..... ٥

(١) الإمام الرضا رضيّ حسيني تام بمراد الله ٩

إمامة الرضا وألقابه وبعض خصاله: ١٠

محنة الإمام الرضا بعد شهادة أبيه: ٢٠

رسالة الإمام الرضا (ع): ٥٨

الإمام الرضا وبنو العباس وثورات العلويين: ١٠٣

الإمام الرضا (ع) وولاية العهد: ١٢٢

موقف العباسيين ومخطط اغتيال الإمام الرضا: ١٧٦

بيت الحكمة: ٢٠٠

(٢) الإمام الجواد سخاء حسيني خاطف في دنيا الظلام ٢٢١

النص على إمامة الجواد (ع) وما قيل فيه: ٢٢٣

الإمام الجواد (ع) ومحنة صغر السن: ٢٢٧

رسالة الإمام الجواد (ع): ٢٣٩

الإمام الجواد (ع) وعهد المأمون: ٢٤٨

(٣) الإمام الهادي علم وحزم وصبر حسيني ٢٨٣

النص على إمامة الهادي (ع) وما قيل فيه: ٢٨٤

رسالة الإمام الهادي (ع): ٢٩٣

الإمام الهادي (ع) وبنو العباس وثورات العلويين: ٣١٢

(٤) الإمام العسكري؛ إعداد إلهي ليوم الغيبة ٣٣٩

النص على إمامته وحياته في ظل أبيه وما قيل فيه: ٣٣٩

رسالة الإمام العسكري (ع): ٣٥٦

الإمام العسكري (ع) والعباسيين: ٣٧٨

الإمام المهدي وجده الحسين: ٣٩١

الخاتمة: ٣٩٣

المصادر ٣٩٥

الفهرست التفصيلي ٤٠٣

كلمة البدء..

لم ينتهِ يوم الحسين بغروب شمس العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ، و إنما شاء الله سبحانه له أن يمتد بعده:

يقول السيد أحمد الحسن: (يوم الحسين امتد بزينب بنت علي صلوات الله عليها ثم بالأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، أي أنه ليس ثورة تمت و انتهت في ساعات، بل هو ثورة أُريد لها أن تستمر وتبقى إلى قيام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم، لهذا مثلاً تجد الأئمة أكدوا على إحياء يوم الحسين بصورة كبيرة جداً لا مثيل لها في دين الله، ولعل أهم ما تهدف له هذه العبادة هو جمع المؤمنين وربطهم ببعضهم وتهيئتهم ليوم القائم الذي هو امتداد ليوم الحسين صلوات الله عليه.

يوم الحسين لا ولم ينحصر في العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ في كربلاء بل ممتد على طول الزمان والمكان بورثة هذا اليوم والقائمين به صلوات الله عليهم وصولاً إلى القائم، بهم فقط وليس بغيرهم من المتبرعين المتخرصين) انتهى [١].

كلام السيد أحمد الحسن فيه رد واضح على من يستهينون أو يحاولون الاستخفاف بإحياء ثورة الحسين ويعتبرونها مجرد أعمال طقسية (ربما سيئة عند بعضهم) ولا علاقة لها بغرض الدين الأخلاقي وأهدافه السامية! كثير من الأصوات نسمعها تتردد ليل نهار بهذا الخصوص؛ سواء كان أصحابها يخصّون "عاشوراء" بالاسم أو لا؛ لكنهم يقصدونه بالتأكيد!

"يوم الحسين" بجزئه الخامس طرح استمرار الإمامة الإلهية بعد الحسين صلوات الله عليه بالأئمة من ولده، وعرض رسالات أربعة من الأئمة المعصومين مع بيان أبرز مهامهم الإلهية التي قاموا بها وكلّفتهم بالنهاية حياتهم صلوات الله عليهم، والأئمة هم:

١- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.
٣- الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام.
٤- الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام.

بالتأكيد، إنّ الإحاطة الشاملة بسيرة ومنجزات كل إمام منهم تحتاج إلى دراسة (أو أكثر) مستقلة بذاتها، لكننا حاولنا الاختصار قدر الإمكان والاكتفاء بالإجمال والعموميات وما له صلة وثيقة بموضوعنا.

ما يميّز هذا الجزء من "يوم الحسين" أيضاً (كما سبق من أجزاء) تضمّنه لحوارات خاصة ومباشرة مع السيد أحمد الحسن؛ لم تقتصر على إجابة الأسئلة والتعليقات وحسب ولكنها تعدت إلى الإسهام والمشاركة بخطة سير البحث وفتح ما يعترض مسيره من غوامض الأحداث والنصوص دينية كانت أو تاريخية؛ لا سيما أنّ كتابة التاريخ كما نعلم خضعت لأمور كثيرة منها التأثر بسياسة الحكام الظلمة أو الخوف منهم، إضافة إلى السبب المعروف وهو تأثر كتابة الكاتب بعقيدته وميوله و أفكاره الشخصية.

بدوري سعيت إلى تدوين وكتابة بعض أجوبة السيد أحمد الحسن وتعليقاته أثناء الحوار. علماً، أني لم أشر إلى أسئلتي أو تعليقاتي في كثير من الأحيان؛ رعاية للاختصار واعتماداً على بيانه وحجّته وطرحه الذي يتسم دائماً بالوضوح، أقول هذا لأن القارئ لكلامه ربما ينتبه إلى مسألة أنه قد يتناول الأمر الواحد أكثر من مرة ومن عدة جهات، والسبب كما قلت أنّ الحوارات كانت مباشرة وليست كتابية، لذا اقتضى التنويه.

أسأل الله أن يرحمنا بالحسين ويوفقنا للسير على نهجه دائماً و أبداً حتى يختم لنا بخير بفضله ومنّه، والحمد لله وحده.

علاء السالم
٢٣/٨/ ٢٠٢٥ م
النجف الأشرف

يقول السيد أحمد الحسن في وصف رسالة الإمام الرضا صلوات الله عليه.

(قضية الإمام الرضا صلوات الله عليه مهمة في تعريف الناس بالحق، وفيها تفاصيل كثيرة جداً، بعضها عقائدي، وبعضها فقهي، وبعضها في تعريف الناس بأحوال الأئمة عليهم السلام وظروفهم، وبعضها في تعريف الناس بأحوال الفقهاء واحتمال انحرافهم وبالتالي عدم الانجرار معهم ... إلخ.

كان الأئمة بعد الإمام الرضا يسمّون عند الناس بـ"ابن الرضا"! أصبح "ابن الرضا" مساوقاً لـ"ابن رسول الله" في إطلاقه عليهم؛ لعظمة شأن الإمام الرضا عند الناس وحتى العباسيين.

العباسيون لم يتمكّنوا من سجن الإمام الرضا أو اعتقاله، فالمأمون رفض التدخل المباشر من قبله في مسألة قتله، وكل ما أعطاهم – أي العباسيون – هو أنه أخلى بينهم وبين قتله صلوات الله عليه، مع أنهم سجنوا موسى بن جعفر واغتالوه في السجن، لكنهم لم يتمكّنوا من تكرار الأمر مع الرضا.

وحتى الأئمة من بعده عليهم السلام أصبح من الصعب سجنهم أو احتجازهم بسبب شأن الرضا صلوات الله عليه) انتهى [1].

ما أجمله السيد أحمد الحسن في وصف رسالة الإمام الرضا صلوات الله عليه وما يتصل بها من عطاء وأحداث كبرى سيكون هدفنا تفصيله بوضوح تام خلال رحلة دراسة وبحث رسالته المباركة.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

(١)

الإمام الرضا رضىً حسيني تام بمراد اللّه

المكان: المدينة المنورة، خراسان
العمر: ٥٥ عاماً (١٤٨ – ٢٠٣ هـ)
مدة الإمامة: ٢٠ عاماً

خامس الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام علي بن موسى الملقب بـ "الرضا"، وهو أشهر ألقابه.

ولد الإمام علي بن موسى الرضا في ١١ ذو القعدة سنة ١٤٨ هـ؛ السنة التي استشهد فيها جده الإمام الصادق عليه السلام [١]، وتوجد أقوال أخرى في يوم وسنة ولادته [٢].

هنّأ الإمام الكاظم عليه السلام أمه السيدة "نجمة" بولادته، وقال: (هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك، فناولته إياه في خرقه بيضاء فأذّن في أذنه الأيمن و أقام في الأيسرودعا بماء الفرات فحنّكه به ثم رده إلي فقال: خذيه فإنه بقية الله تعالى في أرضه) [٣].

كنيته: أبو الحسن، بها كنّاه أبوه:

- (عن علي بن يقطين، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كتب إليّ من الحبس أنّ فلاناً ابني، سيد ولدي، وقد نحلته كنيتي) [٤].

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٤٨٦، الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٨.

٢- انظر: كشف الغمة، الأربلي: ٣ / ٨٧؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي: ٢ / ١٢.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٢٩ – ٣٠.

٤- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣.

- (عن سليمان بن حفص المروزي، قال: كان موسى بن جعفر عليهما السلام سمّى ولده علياً: الرضا، وكان يقول: ادعو إليّ ولدي الرضا، وقلت لولدي الرضا، وقال لي ولدي الرضا، وإذا خاطبه قال: يا أبا الحسن ...) [١].

إمامة الرضا وألقابه وبعض خصاله:

النص على إمامته:

يمكننا ملاحظة النص على إمامة الإمام علي بن موسى الرضا بطريقين:

١- النص عليه من قبل جده الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وهذا واضح في وصيته المقدسة ليلة وفاته؛ إذ ورد فيها: "... فإذا حضرته (الإمام الكاظم) الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا" [٢].
٢- النص عليه من قبل أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، وهي نصوص كثيرة، هذه نماذج منها:

(باب: الإشارة والنص على أبي الحسن الرضا عليه السلام

١- ... عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: كنت و أنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد، فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالساً فدخل عليه ابنه علي فقال لي: يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي، أما إني قد نحلته كنيتي، فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته، ثم قال: ويحك كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت، فقال هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده. ...

١- خاتمة المستدرك، الميرزا النوري: ٤ / ٣٢٥ – ٣٢٦.

٢- الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

٢- ... عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: إنّ ابني علياً أكبر ولدي و أبرّهم عندي وأحبهم إلي وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي.

٣- ... عن داود الرقي قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: جعلت فداك إني قد كبر سني، فخذ بيدي من النار، قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن عليه السلام، فقال: هذا صاحبكم من بعدي.

٤- ... عن محمد بن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: ألا تدلني إلى من آخذ عنه ديني؟ فقال: هذا ابني علي إنّ أبي أخذ بيدي فأدخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بني! إن الله عز وجل قال: "إني جاعل في الأرض خليفة" وإنّ الله عز وجل إذا قال قولاً وفى به.

٥- ... عن داود الرقي قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام: إني قد كبرت سني ودق عظمي و إني سألت أباك عليه السلام فأخبرني بك فأخبرني [من بعدك] فقال: هذا أبو الحسن الرضا.

٦- ... عن زياد بن مروان القندي وكان من الو اقفة قال: دخلت على أبي إبراهيم وعنده ابنه أبو الحسن عليه السلام، فقال لي: يا زياد هذا ابني فلان، كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله.

٧- ... عن محمد بن الفضيل قال: حدثني المخزومي وكانت أمه من ولد جعفر بن أبي طالب عليه السلام قال: بعث إلينا أبو الحسن موسى عليه السلام فجمعنا ثم قال لنا: أتدرون لم دعوتكم؟ فقلنا: لا فقال: اشهدوا أن ابني هذا وصيي والقيم بأمري وخليفتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كانت له عندي عدة فلينجزها منه ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه.

٨- ... عن الحسين بن المختار قال: خرجت إلينا ألواح من أبي الحسن عليه السلام - وهو في الحبس -: عهدي إلى أكبر ولدي أن يفعل كذا وأن يفعل كذا، وفلان لا تنله شيئاً حتى ألقاك أو يقضي الله علي الموت.

٩- ... عن الحسين بن المختار قال: خرج إلينا من أبي الحسن عليه السلام بالبصرة ألواح مكتوب فيها بالعرض: عهدي إلى أكبر ولدي، يعطى فلان كذا، وفلان كذا، وفلان كذا، وفلان لا يعطى حتى أجيئ أو يقضي الله عزوجل عليّ الموت، إنّ الله يفعل ما يشاء.

١٠- ... عن علي بن يقطين، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كتب إليّ من الحبس أنّ فلاناً ابني، سيد ولدي، وقد نحلته كنيتي.

١١- ... عن داود بن سليمان قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إني أخاف أن يحدث حدث ولا ألقاك، فأخبرني من الامام بعدك؟ فقال: ابني فلان - يعني أبا الحسن عليه السلام -.

١٢- ... عن النصر بن قابوس قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: إني سألت أباك عليه السلام من الذي يكون من بعدك؟ فأخبرني أنك أنت هو، فلما توفي أبو عبد الله عليه السلام ذهب الناس يميناً وشمالاً وقلت: فيك أنا وأصحابي فأخبرني من الذي يكون من بعدك من ولدك؟ فقال: ابني فلان.

١٣- ... عن داود بن زربي قال: جئت إلى أبي إبراهيم عليه السلام بمال، فأخذ بعضه وترك بعضه، فقلت: أصلحك الله لأي شئ تركته عندي؟ قال: إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك، فلما جاءنا نعيه بعث إلي أبو الحسن عليه السلام ابنه، فسألني ذلك المال، فدفعته إليه) [١].

الملفت في نصوص الإمام الكاظم عليه السلام على ولده الرضا صلوات الله عليه أنها – إضافة إلى كثرتها – كانت قبل وقت طويل من شهادته، و أيضاً: لم ينقطع نصّه عليه في وقت إمامته عموماً بما في ذلك الفترات التي قضاها في سجن هارون العباسي؛ سواء في سجن البصرة كما روى الحسين بن المختار، أو في سجن بغداد كما روى علي بن يقطين.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١١ – ٣١٣.

الأمر الآخر: لم يقتصر نص الإمام الكاظم على ولده الرضا على خواص شيعته الثقات والمقربين منه، وإنما كان هناك تأكيد منه أيضاً في وصيته التي كانت قُبيل إشخاص الظالمين له إلى العراق، وكانت الوصية بمحضر جميع أولاده وأشهد عليها بعض الطالبيين؛ منهم أخوه إسحاق المؤتمن ابن الإمام الصادق [١]، وسيتضح ذلك لاحقاً.

بالتأكيد، الأيام كانت كفيلة بكشف سرّ ما فعله الإمام الكاظم صلوات الله عليه من تأكيد وصاياه ونصوصه على ابنه الرضا وتنوع المخاطبين بها بين شيعة وخواص ثقات من بلدان مختلفة وبين أقربين من آل أبي طالب، بل تأكيده الواضح والشديد على بقية أبنائه بمحضر الشهود، أقول: الأيام كشفت أنّ ما لاقاه الإمام الرضا عليه السلام بعد شهادة أبيه من فتن ومحن واجهه بها أهل بيته (إخوته وعمومته و أبنائهم) وواجهه بها شيعة أبيه أمر لا يكاد تحتمل ألمه الجبال الراسيات؛ هذا فضلاً عن ألم ومصائب العباسيين!

ألقابه:

للإمام الرضا عليه السلام عدة ألقاب، منها: الصابر، الزكي، الوفي، الصديق، الفاضل وغيرها [٢]، لكن أشهرها هو: "الرضا"، وهو لقب خصّه الله سبحانه به كما لاحظنا في وصية الرسول صلى الله عليه وآله ليلة وفاته.

و أيضاً: (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي موسى عليهم السلام: إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمون أباك إنما سمّاه المأمون الرضا لما رضيه لولاية عهده، فقال: كذبوا والله وفجروا بل الله تبارك وتعالى سمّاه الرضا؛ لأنه كان رضى الله عز وجل في سمائه ورضى لرسوله والأئمة من بعده صلوات الله عليهم في أرضه. قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين عليهم السلام رضى لله تعالى ولرسوله والأئمة عليه السلام؟ فقال: بلى فقلت: فلم سمي أبوك بينهم الرضا؟ قال: لأنه

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٦ – ٣١٩.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ – ٢١٣- ٢١٤، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي: ٣٥١.

رضى به المخالفون من أعدائه كما رضى به المو افقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه عليهم السلام فلذلك سمّي من بينهم الرضا عليه السلام) [١].

كلام الإمام الجواد عليه السلام واضح في أنّ الله سبحانه هو من أنحل أباه اسم "الرضا". وبعض المؤرخين ذكر أنّ المأمون العباسي هو من أنحل الإمام هذا الاسم بسبب قبوله ولاية العهد [٢] وقد حكاه البزنطي عن المخالفين كما لاحظنا؛ الأمر الذي رفضه بعض الباحثين!

لكن لا مانع من الجمع، يقول السيد أحمد الحسن:

(فيما يخص لقب الإمام الرضا أعتقد الجمع أولى بمعنى أنّ الله سمّاه الرضا والرسول ذكره بهذا اللقب أيضاً وكذا الأئمة، ولكن لا مانع من أنّ المأمون أيضاً لقّبه بهذا اللقب؛ باعتبار أنّ الثورة العباسية والدولة العباسية قامت تحت شعار الرضا من آل محمد) انتهى [٣].

شهادة المسلمين ببعض خصاله:

قبل عرض بعض شهادات علماء المسلمين بحق الإمام الرضا، أبدأ بما وصفه به أبوه الكاظم وجده الصادق صلوات الله عليهم:

- الإمام الصادق عليه السلام، قال في وصفه: "غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفضلها وحكمتها، خير مولد وخير ناشئ، يحقن الله عز وجل به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلم به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن به الخائف، وينزل الله به القطر، ويرحم به العباد، خير

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٢٢.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٢ / ٢٤؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٥ / ١٨٣.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

كهل وخير ناشئ قوله حكم وصمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه" [١].

- الإمام الكاظم عليه السلام، قال في وصفه: "علي بن موسى عالم آل محمد ... فإنه سمي أمير المؤمنين علي" [٢].

وهذه بعض الشهادات بحقه، وقد تضمّنت الإشارة إلى بعض خصاله ومزاياه. علماً، أني آثرت أن تكون جامعة لحكّام وقادة وأُدباء ورواة وحفّاظ ومؤرخين وعلماء دين، وأغلبهم لا يعتقد بإمامته بالمعنى الذي نعتقده فيه (أعني: أنه إمام معصوم مفترض الطاعة):

١- المأمون العباسي لوزيره الفضل بن سهل: (ما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل (أي: الرضا) على وجه الأرض) [٣].

٢- القائد العسكري رجاء بن الضحاك: (فوالله ما رأيت رجلاً كان أتقى لله تعالى منه ولا أكثر ذكراً لله في جميع أوقاته ولا أشد خوفاً لله عزوجل منه) [٤].

٣- إبراهيم بن العباس الصولي [٥]: (ما رأيت ولا سمعت بأحد أفضل من أبي الحسن الرضا عليه السلام ما جفا أحداً، ولا قطع على أحد كلامه، ولا رد أحداً عن حاجة، وما مد رجليه بين يدي جليس، ولا اتكى قبله، ولا شتم مواليه ومماليكه، ولا قهقه في ضحكه، وكان يجلس على مائدة مماليكه ومواليه، قليل النوم بالليل، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٤.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ / ١٠٠.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٦١؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٧٥.

٤- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٩٤.

٥- شاعر وأديب مشهور في عصر الإمام الرضا عليه السلام، وكان أحد أصحابه.

آخرها، كثير الصوم، كثير المعروف والصدقة في السر وأكثر ذلك في الليالي المظلمة) [١]. وفي رواية أضاف: (فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقه) [٢].

وقال أيضاً: (ما رأيت الرضا عليه السلام يسأل عن شئ قط إلا علم، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره والمأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شئ فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن وكان يختمه في كل ثلاثة ويقول: لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت ولكني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفي أي شئ أنزلت وفي أي وقت؟ فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة أيام) [٣].

٤- أبو الصلت، عبد السلام الهروي: (ما رأيت أعلم من علي ابن موسى الرضا عليهما السلام، ولا رآه عالم إلا شهد له بمثل شهادتي، ولقد جمع المأمون في مجالس له ذوات عدد علماء الأديان وفقهاء الشريعة والمتكلمين فغلبهم عن آخرهم حتى ما بقي أحد منهم إلا أقرَّ له بالفضل وأقرَّ على نفسه بالقصور، ولقد سمعت علي بن موسى الرضا عليهما السلام يقول: "كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون، فإذا أعيا الواحد منهم عن مسألة أشاروا إليّ بأجمعهم وبعثوا إليّ بالمسائل فأجيب عنها) [٤].

٥- المؤرخ الواقدي: (علي بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة) [٥].

٦- ابن ماجة القزويني: (كان سيد بني هاشم وكان المأمون يعظّمه ويجلّه وعهد له بالخلافة وأخذ له العهد) [٦].

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٦٩ – ٤٧٠.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١ / ٩٠.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٩٣.

٤- إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ٢ / ٦٤.

٥- عنه: تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٣٥١ – ٣٥٢.

٦- عنه: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ١ / ١٠١.

٧- محمد بن طلحة الشافعي: (الإمام علي الرضا عليه السلام . . . قد تقدم القول في أمير المؤمنين علي، وفي زين العابدين علي، وجاء هذا علي الرضا ثالثهما، ومن أمعن النظر والفكرة وجده في الحقيقة وارثهما، فيحكم كونه ثالث العليين، نمى إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، و اتسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أحلّه الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته سنيّة، ومكارمه حاتمية، وشنشنته أخزمية، وأخلاقه عربية، ونفسه الشريفة هاشمية، وأرومته (نشأته) الكريمة نبوية، فمهما عد من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فصل من مناقبه كان أعلى رتبة منه) [١].

٨- ابن الجوزي: (١١١٤- علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - عليهم السلام - أبو الحسن الرضي. سمع أباه، وعمومته، وغيرهم، وكان يفتي في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وهو ابن نيف وعشرين سنة، وكان المأمون قد أمر بإشخاصه من المدينة، فلما قدم نيسابور [خرج] وهو في عمارية على بغلة شهباء فخرج علماء البلد في طلبه [مثل] يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، وأحمد بن حرب، وغيرهم. فأقام بها مدة، ...) [٢].

٩- سبط ابن الجوزي: (كان علي بن موسى - كما سمي - رضاً جواداً عدلاً، عابداً، معرضاً عن الدنيا، ولولا خوفه من المأمون لما أجاب إلى ولاية العهد) [٣].

١٠- الحافظ ابن النجار البغدادي: (٩٦٩- علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن، الملقب بالرضا: ... وكان من العلم والدين بمكان، كان يفتي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة) [٤].

١- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٥٥.

٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٠ / ١٢٠.

٣- عنه، حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٦٤.

٤- ذيل تاريخ بغداد: ٤ / ١٣٤ – ١٣٥.

١١- الذهبي: (هو الإمام أبو الحسن بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي الحسيني. ... وكان سيد بني هاشم في زمانه، وأجلّهم و أنبلهم. وكان المأمون يعظمه ويخضع له، ويتغالى فيه، حتى أنه جعله ولي عهده من بعده. وكتب بذلك إلى الآفاق. فثار لذلك بنو العباس وتألموا لإخراج الأمر عنهم، كما هو مذكور في الحوادث) [١].

١٢- المؤرخ اليافعي: (وفيها (أي: سنة ٢٠٣ هـ): توفي الإمام الجليل المعظم سلالة السادة الأكارم أبو الحسن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، أولي المناقب الذين انتسبت الإمامية إليهم، وقصروا بناء مذهبهم عليه. وكان المأمون قد زوجه ابنته أم حبيبة، وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم) [٢].

١٣- صلاح الدين الصفدي: (علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبو طالب أبو الحسن الرضا بن الكاظم بن الصادق بن الباقر بن زين العابدين أمه أم ولد نوبية أمها سكينة تكنى أم البنين ولد بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثمان وأربعين ومائة وتوفي بطوس في سناباذ ... وهو أحد الأئمة الاثني عشر كان سيد بني هاشم في زمانه وكان المأمون يخضع له ويتغالى فيه حتى إنه جعله ولي عهده من بعده وكتب إلى الآفاق بذلك) [٣].

١٤- ابن حجر العسقلاني: (كان الرضا من أهل العلم والفضل مع شرف النسب) [٤].

١٥- عبد الله الشبراوي: (الثّامن من الأئمة عليّ الرّضا: كان رضى اللّه عنه، كريماً، جليلاً، مهاباً، موقراً، وكان أبوه موسى الكاظم يحبّه حبّاً شديداً، ووهب له ضيعة اليسيرية الّتي اشتراها بثلاثين ألف دينار. ويقال: إنّ عليّا الرّضا أعتق ألف مملوك، وكان صاحب

١- تاريخ الإسلام: ١٤ / ٢٦٩ – ٢٧٠.

٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢ / ١٠.

٣- الوافي بالوفيات: ٢٢ / ١٥٤ – ١٥٥.

٤- تهذيب التهذيب: ٧ / ٣٤٠.

وضوء، وصلاة ليله كلّه، يتوضّأ، ويصلّي، ويرقد، ثمّ يقوم فيتوضّأ، ويصلّي، ويرقد، وهكذا إلى الصّباح. قال بعض جماعته: ما رأيته قط إلّا ذكرت قوله تعالى: "كانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ") [١].

١٦- خير الدين الزركلي: (علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، الملقب بالرضى: ثامن الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم. ولد في المدينة. وكان أسود اللون، أمه حبشية. وأحبّه المأمون العباسي، فعهد إليه بالخلافة من بعده، وزوّجه ابنته، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغيّر من أجله الزي العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر، وكان هذا شعار أهل البيت) [٢].

لا شك، أنّ فضائل الإمام الرضا صلوات الله عليه وصفاته أجلُّ من أن تحيط بها هذه العجالة أو أن تحصيها كلمات، وصدق أبو نؤاس (الحسن بن هانئ الأهوازي) لما قال له المأمون: (يا أبا نواس أنت مع تشيّعك وميلك إلى أهل هذا البيت تركت مدح علي بن موسى الرضا مع اجتماع خصال الخير فيه، فأنشأ يقول:

قيل لي أنت أشعر الناس طرّاً ... إذ تفوهت بالكلام البديهِ
لك من جوهر القريضِ مديحٌ ... يثمر الدرَّ في يدي مجتنيهِ
فلماذا تركت مدحَ ابن موسى ... والخصال التي تجمّعنَ فيهِ
قلتُ لا أستطيع مدحَ إمامٍ ... كان جبريلُ خادماً لأبيهِ
قصرت ألسنُ المدايح عنه ... ولهذا القريض لا يحتويهِ

قال: فدعا بحقة لؤلؤ فحشا فاه لؤلؤاً ...) [٣].

١- الإتحاف بحب الأشراف: ١ / ٣١٢.

٢- الأعلام: ٥ / ٢٦.

٣- بشارة المصطفى، عماد الدين الطبري: ١٣٣ – ١٣٤.

محنة الإمام الرضا بعد شهادة أبيه:

تقدم بيان بعض النصوص التي دلّت على إمامة الإمام الرضا بعد أبيه ووصايته له، وقد أجهد الإمام الكاظم عليه السلام نفسه في تبليغ خواص شيعته (وهم كثر) بذلك، وكذلك أهل بيته وأبنائه بالخصوص بحدود معينة. لكن، للأسف، كان النكران والتشكيك هو موقف الغالبية كما سيتضح الآن.

فتنة الواقفة:

الواقفة: هم الذين وقفوا على إمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقالوا إنه لم يمت، وهو القائم الذي يملأها قسطاً وعدلاً ولا إمام بعده، أما من مات في سجن السندي بن شاهك بالسم فهو شخص آخر شبّه للناس أنه موسى بن جعفر! وبالتالي فقد أنكروا إمامة الرضا صلوات الله عليه.

انتشار عقيدة الواقفة بين الشيعة بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام مباشرة آذى الإمام الرضا عليه السلام بشكل كبير جداً؛ باعتبار أنها عقيدة تهدد بنسف جهود الأئمة السابقين في هداية الأمة المؤمنة. فتنة الواقفة إذا ما انتشرت (وقد انتشرت بالفعل) تحتم على الإمام الرضا أن يعيد مشروع هداية الأمة وبناء مقوّمات صمودها من جديد؛ إذ لم يتبقَ له أساس يبني عليه، وهذا يعني أنّ المعاناة والآلام التي سيلاقيها تكون مضاعفة وكبيرة جداً.

الإمام الكاظم(ع) يحذر من فتنة الواقفة:

حذّر الإمام الكاظم عليه السلام من فتنة الواقفة وبيّن أنّ المنكر والجاحد لإمامة ولده الرضا عليه السلام كالمنكر لإمامة أبيه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه:

- (عن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة وعلي ابنه جالس بين يديه، فنظر إلي فقال: يا محمد أما إنه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك فقد أقلقني ما ذكرت،

فقال: أصير إلى الطاغية، أما إنه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ قال: يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قال: قلت: وما ذاك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه وجحده إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قلت: والله لئن مد الله لي في العمر لأسلمن له حقه ولأقرن له بإمامته، قال: صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم له حقه وتقر له بإمامته من يكون من بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال محمد ابنه، قال: قلت له: الرضا والتسليم) [١].

و أيضاً: أخبر أنّ هناك من يقول عنه أنه القائم بعد موته، وهو قول الواقفة بالتأكيد:

- (عن علي بن جعفر عليهما السلام، قال: جاء رجل إلى أخي عليه السلام فقال له: جعلت فداك من صاحب هذا الأمر؟ فقال: أما أنهم يُفتنون بعد موتي فيقولون هو القائم، وما القائم إلا بعدي بسنين) [٢].

و أيضاً: وصف عليه السلام البطائني (كبير الواقفة) وأصحابه بأشباه الحمير:

- (عن أبي داود قال: كنت أنا وعيينة بياع القصب عند علي بن أبي حمزة البطائني - وكان رئيس الواقفة - فسمعته يقول: قال لي أبو إبراهيم عليه السلام: إنما أنت وأصحابك يا علي أشباه الحمير) [٣].

وحذّر زياد القندي و ابن مسكان (من كبار الواقفة) من خيانة ولده الرضا:

- (عن محمد بن عمر بن يزيد وعلي بن أسباط جميعاً، قالا: قال لنا عثمان بن عيسى الرواسي: حدثني زياد القندي و ابن مسكان، قالا: كنا عند أبي إبراهيم عليه السلام إذ قال: يدخل عليكم الساعة خير أهل الأرض. فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام وهو

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٩.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٠.

٣- الغيبة، الطوسي: ٦٧.

صبي. فقلنا: خير أهل الأرض! ثم دنا فضمه إليه فقبله وقال: يا بني تدري ما قال ذان؟ قال: نعم يا سيدي هذان يشكان فيَّ.

قال علي بن أسباط: فحدثت بهذا الحديث الحسن بن محبوب فقال: بتر الحديث لا ولكن حدثني علي بن رئاب أن أبا إبراهيم عليه السلام قال لهما: إن جحدتماه حقه أو خنتماه فعليكما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، يا زياد لا تنجب أنت وأصحابك أبدا.

قال علي بن رئاب: فلقيت زياد القندي فقلت له: بلغني أن أبا إبراهيم عليه السلام قال لك: كذا وكذا، فقال: أحسبك قد خولطت. فمروتركني فلم أكلمه ولا مررت به.

قال الحسن بن محبوب: فلم نزل نتوقع لزياد دعوة أبي إبراهيم عليه السلام حتى ظهر منه أيام الرضا عليه السلام ما ظهر، ومات زنديقاً) [١].

من هم الواقفة، ولماذا انحرفوا؟

المصيبة أنّ من قال بهذه العقيدة الباطلة هم بعض كبار شيعة الإمام الكاظم عليه السلام ممّن أقامهم وكلاء عنه في أداء بعض المهام في أيام سجنه وقبل ذلك، ومن بين هؤلاء: علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي ثم انضم لهم آخرون كابن المكاري و ابن السراج والحسين من مهران وغيرهم، وتابعهم غالبية الشيعة.

كان هؤلاء يستلمون الأموال من الشيعة في أيام تغييب الإمام الكاظم في سجون العباسيين، وبمرور الوقت تكدست الأموال عندهم، ولما استشهد الإمام اشتروا بتلك الأموال الضياع والدوروالجواري، ولما طالبهم الإمام الرضا بها أنكروا موت أبيه ورفضوا تسليمها له [٢].

١- الغيبة، الطوسي: ٦٨.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٢٥٣.

ذكرت المصادر الروائية والتاريخية روايات ووثائق كثيرة تؤكد هذه الحقيقة [١].

علماً، أنّ كبار الواقفة كانوا يعلمون بوصية الإمام الكاظم بابنه الرضا، وقد مرّ تحذيره لهم من مخالفة ولده الرضا. و أيضاً: بعض أتباعهم كانوا يعلمون بذلك، وكمثال:

- (عن زياد بن مروان القندي وكان من الواقفة قال: دخلت على أبي إبراهيم وعنده ابنه أبو الحسن عليه السلام، فقال لي: يا زياد هذا ابني فلان، كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله) [٢].

- (الحسن بن موسى، قال: حدثني محمد بن أصبغ، عن إبراهيم، عن عثمان بن القاسم، قال: قال لي منصور بزرج قال لي أبو الحسن عليه السلام ودخلت عليه يوماً: يا

١- وهذه بعض الروايات التي توضح سبب ضلال الواقفة:

- (عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن بعض أصحابه قال: مضى أبو إبراهيم عليه السلام وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار، ومسكنه بمصر. فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام أن احملوا ما قبلكم من المال وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار، فإني وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه قبلكم وكلام يشبه هذا. فأما ابن أبي حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بما عنده وكذلك زياد القندي. وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه إن أباك صلوات الله عليه لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل، وأعمل على أنه قد مضى كما تقول فلم يأمرني بدفع شئ إليك، وأما الجواري فقد أعتقتهن وتزوجت بهن) الغيبة، الطوسي: ٦٥.

- (عن الحسين بن أحمد بن الحسن بن علي بن فضال قال: كنت أرى عند عمي علي بن الحسن بن فضال شيخاً من أهل بغداد ... قال: أنا زوج بنت أحمد بن أبي بشر السراج قال لي لما حضرته الوفاة: إنه كان عندي عشرة آلاف دينار وديعة لموسى بن جعفر عليه السلام، فدفعت ابنه عنها بعد موته، وشهدت أنه لم يمت فالله الله خلصوني من النار وسلموها إلى الرضا عليه السلام. فوالله ما أخرجنا حبة، ولقد تركناه يصلى [بها] في نار جهنم) الغيبة، الطوسي: ٦٦ – ٦٧.

- (أبو القاسم الحسين بن محمد بن عمر بن يزيد، عن عمه، قال: كان بدء الواقفة أنه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعثة زكاة أموالهم وما كان يجب عليهم فيها، فحملوا إلى وكيلين لموسى عليه السلام بالكوفة أحدهما حيان السراج، والآخر كان معه، وكان موسى عليه السلام في الحبس، فاتخذا بذلك دورا وعقدا العقود واشتريا الغلات. فلما مات موسى عليه السلام وانتهى الخبر إليهما أنكرا موته، وأذاعا في الشيعة أنه لا يموت لأنه هو القائم فاعتمدت عليه طائفة من الشيعة وانتشر قولهما في الناس، حتى كان عند موتهما أوصيا بدفع ذلك المال إلى ورثة موسى عليه السلام، واستبان للشيعة أنهما قالا ذلك حرصاً على المال) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٠.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٢.

منصور أما علمت ما أحدثتُ في يومي هذا؟ قلت: لا، قال: قد صيّرت علياً ابني وصيي والخلف من بعدي، فادخل عليه فهنّئه بذلك وأعلمه أني أمرتك بهذا قال: فدخلت عليه فهنأته بذلك وأعلمته أن أباه أمرني بذلك. قال الحسن بن موسى: ثم جحد منصور هذا بعد ذلك لأموال كانت في يده فكسرها وكان منصور أدرك أبا عبد الله عليه السلام) [١].

بذل كبار الواقفة المال لشيعة بارزين ومؤثرين في الساحة لكسبهم إلى صفهم، ونجحت محاولتهم مع البعض فانضمّوا إليهم:

(أول من أظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القندي وعثمان بن عيسى الرواسي طمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال، نحو حمزة بن بزيع وابن المكاري وكرام الخثعمي وأمثالهم) [٢].

لكن محاولاتهم لم تنجح في استمالة شيعة آخرين (وهم قلة نادرة جداً) أمثال: يونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى بياع السابري [٣].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٨.

٢- الغيبة، الطوسي: ٦٣ – ٦٤.

٣- أما محاولتهم مع يونس: (عن يونس بن عبد الرحمن قال: مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، كان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعاً في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار. فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إلي وقالا ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا [لي]: كف. فأبيت، وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: "إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الايمان" وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة) الغيبة، الطوسي: ٦٤.

وأما محاولتهم مع صفوان، فقد أشار لها النجاشي في رجاله عند ترجمة صفوان، قال: (أبو محمد البجلي بياع السابري، كوفي، ثقة ثقة، عين. روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام، وروى هو عن الرضا عليه السلام، وكانت له عنده منزلة شريفة. ذكره الكشي في رجال أبي الحسن موسى عليه السلام، وقد توكل للرضا وأبي جعفر عليهما السلام، وسلم مذهبه من الوقف، وكانت له منزلة من الزهد والعبادة، وكان جماعة الواقفة بذلوا له مالا كثيرا، وكان شريكاً لعبد الله بن جندب وعلي بن النعمان) رجال النجاشي: ١٩٧.

مواجهة الإمام الرضا(ع) للواقفة:

واجه الإمام الرضا معتقد الو اقفة الفاسد بعدة خطوات، ابتدأها – **أولاً** – بمحاورة كبار الو اقفة و إقامة الحجة عليهم.

وكمثال: حواره مع علي بن أبي حمزة البطائني (رئيس الو اقفة) الذي انتهى بتحذير الإمام له من أن يكون من الصادّين عن دين الله [١]!

و أيضاً: أجاب مسائل بعض كبارهم كالحسين بن مهران كتابياً، وأمر بنشر الجواب لأصحابه؛ لأن ابن مهران كان يستر بعض الأجوبة عن أصحابه [٢].

١- (عن أبي مسروق قال: دخل على الرضا جماعة من الو اقفة فيهم علي بن أبي حمزة البطائني ومحمد بن إسحاق بن عمار والحسين بن مهران والحسن أبي سعيد المكاري فقال له علي بن أبي حمزة: جعلت فداك أخبرنا عن أبيك ما حاله؟ فقال له: إنه قد مضى، فقال له: فإلى من عهد؟ فقال: إلي، فقال له: إنك لتقول قولا ما قاله أحد من آبائك علي بن أبي طالب عليه السلام فمن دونه! قال: لكن قد قاله خير آبائي و أفضلهم رسول الله ص، فقال له: أما تخاف هؤلاء (يقصد هارون الرشيد) على نفسك؟ فقال: لو خفت عليها كنت عليها معينا أن رسول الله ص أتاه أبو لهب فتهدده فقال له رسول الله ص إن خدشت من قِبَلك خدشة فانا كذاب فكانت أول آية نزع بها رسول الله ص وهي أول آية أنزع لكم إن خدشت خدشة قِبَل هارون فأنا كذاب! فقال له الحسن بن مهران: قد أتانا ما نطلب إن أظهرت هذا القول، قال: فتريدها ذا! أتريد أن أذهب إلى هارون فأقول له: أني إمام و أنت لست في شئ ليس هكذا صنع رسول الله ص في أول أمره إنما قال ذلك لأهله ومواليه ومن يثق به فقد خصهم به دون الناس و أنتم تعتقدون الإمامة لمن كان قبلي من آبائي ولا تقولون إنه إنما يمنع علي بن موسى أن يخبر أباه حي تقية فإني لا أتقيكم في أن أقول: إني إمام فكيف أتقيكم في أن أدعي أنه حي لو كان حياً؟!) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٠ – ٢٣١.

٢- (عن أحمد بن محمد، قال: كتب الحسين بن مهران إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام، كتابا، قال: فكان يمشي شاكا في وقوفه، قال: فكتب إلى أبي الحسن عليه السلام يأمره وينهاه، فأجابه أبو الحسن عليه السلام بجواب، وبعث به إلى أصحابه فنسخوه ورد إليه لئلا يستره حسين بن مهران، وكذلك كان يفعل إذا سأل عن شئ فأحب ستر الكتاب. .....)، والكتاب طويل، ختمه الإمام بقوله: (فقد أجبتك في مسائل كثيرة، فانظر أنت ومن أراد المسائل منها وتدبرها، فإن لم يكن في المسائل شفاء فقد مضى إليكم مني ما فيه حجة ومعتبر، وكثرة المسائل معيبة عندنا مكروهة، انما يريد أصحاب المسائل المحنة ليجدوا سبيلا إلى الشبهة والضلالة ومن أراد لبساً لبس الله عليه ووكله إلى نفسه، ولا ترى أنت وأصحابك اني أجبت بذلك، وان شئت صمتُ، فذاك إلي لا ما تقوله أنت وأصحابك، لا تدرون كذا وكذا، بل لا بد من ذلك، إذ نحن منه على يقين و أنتم منه في شك) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٦١ - ٨٦٣.

بعض كبار الواقفة كان يعترض على الإمام الرضا عليه السلام بسبب فتح مجلسه لإفتاء الناس وإجابة مسائلهم في زمن هارون العباسي، ومع هذا كان يجيب أسئلته [١]! هم يقولون هذا ويعترضون مع أنهم السبب فيه كما سيتضح!

حاور الإمام عليه السلام بعض أتباعهم أيضاً [٢].

وثانياً: بيّن الإمام الرضا عليه السلام بطلان عقيدة الواقفة وأنهم شكّاك حيارى زنادقة نواصب مشركون معاندون للحق [٣].

١- (عن ابن أبي سعيد المكاري، قال، دخل (أي: ابن المكاري) على الرضا عليه السلام فقال له: فتحت بابك وقعدت للناس تفتيهم ولم يكن أبوك يفعل هذا، قال، فقال: ليس عليّ من هارون بأس، وقال له: أطفأ الله نورقلبك وأدخل الفقر بيتك، ويلك أما علمت أن الله تعالى أوحى إلى مريم أن في بطنك نبياً فولدت مريم عيسى عليه السلام فمريم من عيسى وعيسى من مريم، و أنا من أبي و أبي مني.

قال، فقال له: أسألك عن مسألة؟ فقال له: ما أخالك تسمع مني ولست من غنمي، سل، قال: فقال له رجل حضرته الوفاة فقال: ما ملكته قديما فهو حر وما لم يملكه بقديم فليس بحر. فقال: ويلك أما تقرأ هذا الآية "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم" فما ملك الرجل قبل الستة الأشهر فهو قديم، وما ملك بعد الستة الأشهر فليس بقديم. قال: فقام فخرج من عنده فنزل به من الفقر والبلاء ما الله به عليم) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٥ – ٧٦٦.

٢- كمثال لمحاورته بعض أتباع الواقفة: (عن ابن قياما الواسطي - وكان من الواقفة - قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقلت له: يكون إمامان؟ قال: لا إلا وأحدهما صامت، فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت - ولم يكن ولد له أبو جعفر بعد - فقال لي: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق الباطل وأهله، فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام - فقيل لابن قياما: ألا تقنعك هذه الآية؟ فقال: أما والله إنها لآية عظيمة ولكن كيف أصنع بما قال أبو عبد الله عليه السلام في ابنه؟) الكافي، الكليني: ١ / ٣٥٤.

٣- هذه بعض أقوال الإمام الرضا صلوات الله عليه بحق الواقفة:

- (سُئل عن الواقفة، فقال: يعيشون حيارى ويموتون زنادقة) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٥٦.

- (عن الصادق علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام: أن الزيدية والواقفة والنصاب بمنزلة عنده سواء) المصدر السابق: ٢ / ٧٥٦. "عنده": أي عند الرضا عليه السلام.

- (يونس بن يعقوب، قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أعطي هؤلاء الذين يزعمون أنّ أباك حي من الزكاة شيئاً؟ قال: لا تعطهم فإنهم كفار مشركون زنادقة. قال: حدثني عدة من أصحابنا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعناه يقول: يعيشون شكّاكاً ويموتون زنادقة) المصدر السابق: ٢ / ٧٥٦.

كان صلوات الله عليه يرى أنّ مقولة الو اقفة مصداق لمقولة اليهود: "يد الله مغلولة" المذكورة في القرآن الكريم، كما أنهم مصداق لقوله تعالى: "مذبذبين بين ذلك" [١]!

كما أنه عليه السلام أذن لبعض أصحابه بالدعاء عليهم في قنوت صلاته [٢].

وأخبر عليه السلام عن مصير كبير الو اقفة:

(عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: مات علي بن أبي حمزة؟ قلت: نعم، قال: قد دخل النار، قال: ففزعت من ذلك، قال: أما أنه سئل

- (عن علي بن عبد الله الزبيري، قال، كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الو اقفة. فكتب: الو اقف عاند عن الحق، ومقيم على سيئة إن مات بها كانت جهنم مأواه وبئس المصير) المصدر السابق: ٢ / ٧٥٥ – ٧٥٦.

- (عن صفوان بن يحيى، عن إبراهيم بن يحيى بن أبي البلاد قال: قال الرضا عليه السلام: ما فعل الشقي حمزة بن بزيع؟ قلت: هو ذا هو قد قدم. فقال: يزعم أن أبي حي، هم اليوم شكاك، ولا يموتون غداً إلا على الزندقة. قال صفوان: فقلت فيما بيني وبين نفسي: شكّاك قد عرفتهم، فكيف يموتون على الزندقة؟! فما لبثنا إلا قليلا حتى بلغنا عن رجل منهم أنه قال عند موته هو كافر برب أماته. قال صفوان: فقلت هذا تصديق الحديث) الغيبة، الطوسي: ٦٨ – ٦٩.

١- قال تعالى: "وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ" المائدة: ٦٤. وقال تعالى: "مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا" النساء: ١٤٣:

- (عن بكر ابن صالح، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: ما يقول الناس في هذه الآية؟ قلت: جعلت فداك وأي آية؟ قال: قول الله عز وجل "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" قلت: اختلفوا فيها. قال أبو الحسن عليه السلام: ولكني أقول نزلت في الو اقفة أنهم قالوا: لا إمام بعد موسى عليه السلام فرد الله عليهم بل يداه مبسوطتان، واليد هو الامام في باطن الكتاب و انما عني بقولهم لا امام بعد موسى عليه السلام) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٥٧.

- (عن يحيى بن المبارك، قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام بمسائل فأجابني وكنت ذكرت في آخر الكتاب قول الله عز وجل "مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" فقال: نزلت في الو اقفة. ووجدت الجواب كله بخطه: ليس هم من المؤمنين ولا من المسلمين هم من كذب بآيات الله، ونحن أشهر معلومات فلا جدال فينا ولا رفث ولا فسوق فينا، أنصب لهم من العداوة يا يحيى ما استطعت) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٢.

٢- (عن إبراهيم بن عقبة قال: كتبت إليه يعني أبا الحسن عليه السلام جعلت فداك قد عرفت بغض هذه الممطورة أفأقنت عليهم في صلاتي؟ قال: نعم أقنت عليهم في صلاتك) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٢. الممطورة: أي الكلاب الممطورة وهو وصف للو اقفة لعنهم الله.

عن الامام بعد موسى أبي فقال: لا أعرف إماماً بعده، فقيل: لا فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً) [١].

وثالثاً: فضح الإمام الرضا عليه السلام كذب كبار الواقفة وكشف غرضهم الخبيث المتمثل بإطفاء نور الله [٢].

ورابعاً: سعى الإمام الرضا عليه السلام لهداية الكثير منهم؛ سواء أيام توجده بالمدينة أو بعد ذهابه إلى خراسان:

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٤٢.

٢- هذه بعض الروايات التي أوضحت ذلك:

- (عن محمد بن سنان قال: ذكر علي بن أبي حمزة عند الرضا عليه السلام فلعنه، ثم قال: إنّ علي بن أبي حمزة أراد أن لا يعبد الله في سمائه وأرضه، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، ولو كره اللعين المشرك. قلت: المشرك؟ قال: نعم والله وإن رغم أنفه كذلك [و] هو في كتاب الله "يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم"، وقد جرت فيه وفي أمثاله أنه أراد أن يطفئ نور الله) الغيبة، الطوسي: ٧٠.

- (عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال، قلت: جعلت فداك إني خلفت ابن أبي حمزة و ابن مهران و ابن أبي سعيد أشد أهل الدنيا عداوة لله تعالى. قال، فقال: ما ضرك من ضل إذا اهتديت، انهم كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وكذبوا أمير المؤمنين وكذبوا فلانا وفلانا وكذبوا جعفرا وموسى، ولي بآبائي عليهم السلام أسوة. قلت: جعلت فداك انا نروي أنك قلت لابن مهران أذهب الله نور قلبك وأدخل الفقر بيتك. فقال: كيف حاله وحال بزه؟ قلت: يا سيدي أشد حال هم مكروبون وببغداد لم يقدر الحسين أن يخرج إلى العمرة، فسكت) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٠٦ – ٧٠٧.

- (عن محمد بن الفضيل، قال قلت للرضا عليه السلام: جعلت فداك ما حال قوم قد وقفوا على أبيك موسى عليه السلام؟ فقال: لعنهم الله ما أشد كذبهم أما أنهم يزعمون أني عقيم وينكرون من يلي هذا الامر من ولدي) المصدر السابق: ٢ / ٧٥٩.

- (عن سليمان الجعفري، قال كنت عند أبي الحسن عليه السلام بالمدينة، إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فسأله عن الواقفة؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا، والله أن الله لا يبدلها حتى يقتلوا عن آخرهم) المصدر السابق: ٢ / ٧٥٨.

- فبعضهم اهتدى له [١].
- وبعضهم لم ينتهوا عن ضلالهم [٢].

١- كمثال لهؤلاء:

- (عن الحسين ابن عمر بن يزيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام و أنا يومئذ و اقف وقد كان أبي سأل أباه عن سبع مسائل فأجابه في ست وأمسك عن السابعة، فقلت: والله لأسألنه عما سأل أبي أباه، فإن أجاب بمثل جواب أبيه كانت دلالة، فسألته فأجاب بمثل جواب أبيه أبي في المسائل الست، فلم يزد في الجواب واوا ولا ياء وأمسك عن السابعة وقد كان أبي قال لأبيه: إني أحتج عليك عند الله يوم القيامة أنك زعمت أن عبد الله لم يكن إماما، فوضع يده على عنقه، ثم قال له: نعم احتج علي بذلك عند الله عز وجل فما كان فيه من إثم فهو في رقبتي، فلما ودعته قال: إنه ليس أحد من شيعتنا يبتلي ببلية أو يشتكي فيصبر على ذلك إلا كتب الله له أجر ألف شهيد، فقلت في نفسي: والله ما كان لهذا ذكر، فلما مضيت وكنت في بعض الطريق، خرج بي عرق المديني فلقيت منه شدة، ...) الكافي: ١ / ٣٥٣ – ٣٥٤، "عرق المديني": خيط يخرج من الرجل تدريجاً ويشتد وجعه.

- (الحسن بن علي الوشاء وكان يقول بالوقف فرجع وكان سببه أنه قال: خرجت إلى خراسان في تجارة (لي) فلما وردته بعث إلي أبو الحسن الرضا عليه السلام يطلب مني حبرة - وكانت بين ثيابي قد خفي علي أمرها - فقلت: ما معي منها شئ، فرد الرسول وذكر علامتها وأنها في سفط كذا، فطلبتها فكان كما قال: فبعثت بها إليه. ثم كتبت مسائل أسأله عنها، فلما وردت بابه خرج إليّ جواب تلك المسائل التي أردت أن أسأله عنها من غير أن أظهرتها، فرجع عن القول بالوقف إلى القطع على إمامته) الغيبة، الطوسي: ٧٢.

- (الحسين بن بشار، قال: لما مات موسى بن جعفر عليهما السلام خرجت إلى علي بن موسى عليهما السلام غير مؤمن بموت موسى عليه السلام ولا مقر بإمامة علي عليه السلام إلا أن في نفسي أن أسأله وأصدقه، فلما صرت إلى المدينة انتهيت إليه وهو بالصراء، فاستأذنت عليه ودخلت، فأدناني وألطفني، وأردت أن أسأله عن أبيه عليه السلام فبادرني. فقال: يا حسين ان أردت أن ينظر الله إليك من غير حجاب وتنظر إلى الله من غير حجاب فوال آل محمد عليهم السلام ووال ولي الأمر منهم، قال، قلت: أنظر إلى الله عز وجل؟ قال: أي والله، قال حسين: فعزمت على موت أبيه وامامته. ثم قال لي: ما أردت أن آذن لك لشدة الامر وضيقه، ولكني علمت الامر الذي أنت عليه، ثم سكت قليلا ثم قال: خبرت بأمرك؟ قلت له: أجل) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٤٦ – ٧٤٧.

- (عن الحسن بن الحسين بن صالح الخثعمي، قال: ذكر بين يدي أبي الحسن الرضا عليه السلام حمزة بن بزيع، فترحم عليه فقيل له: انه كان يقول بموسى ويقف عليه، فترحم عليه ساعة ثم قال: من جحد حقي كمن جحد حق آبائي) المصدر السابق: ٢ / ٨٧٢.

٢- كمثال لهؤلاء: (الحسن بن قياما الصيرفي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام فقلت: جعلت فداك ما فعل أبوك؟ قال: مضى كما مضى آباؤه عليهم السلام. قلت: فكيف أصنع بحديث حدثني به زرعة بن محمد الحضرمي، عن سماعة ابن مهران، ان أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: إن ابني هذا فيه شبه من خمسة أنبياء يحسد كما حسد يوسف عليه السلام ويغيب كما غاب يونس وذكر ثلاثة أخر. قال: كذب زرعة ليس هكذا حديث سماعة، انما قال: صاحب هذا الامر يعني القائم عليه السلام فيه شبه من خمسة أنبياء، ولم يقل ابني) المصدر السابق: ٢ / ٧٧٤.

- وبعضهم بقي حيراناً متردداً [١].

١- كمثال لهؤلاء:

- (الحسن بن موسى، قال: حدثني أحمد بن محمد البرار، قال: لقيني مرة إبراهيم بن أبي سمال قال: فقال لي: يا أبا حفص ما قولك؟ قال، قلت: قولي الذي تعرف، قال، فقال: يا أبا جعفر أنه ليأتي عليّ تارة ما أشك في حياة أبي الحسن عليه السلام وتارة عليّ وقت ما أشك في مضيه ولئن كان قد مضى فما لهذا الأمر أحد إلا صاحبكم. قال الحسن: فمات على شكّه) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٧٠.

(علي ابن خطاب، وكان و اقفياً، قال: كنت في الموقف يوم عرفه فجاء أبو الحسن الرضا عليه السلام ومعه بعض بني عمه، فوقف أمامي وكنت محموما شديد الحمى وقد أصابني عطش شديد. قال: فقال الرضا عليه السلام لغلام له شيئا لم أعرفه، فنزل الغلام فجاء بماء في مشربة فتناوله فشرب وصب الفضلة على رأسه من الحر، ثم قال: املاء فملأ المشربة. ثم قال: اذهب فاسق ذلك الشيخ قال: فجائني بالماء، فقال لي: أنت موعوك قلت: نعم، قال: اشرب فشربت قال: فذهبت والله الحمى، فقال لي يزيد بن إسحاق: ويحك يا علي فما تريد بعد هذا ما تنتظر؟ قال: يا أخي دعنا) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦٩.

- (محمد بن عيسى، قال: حدثنا صفوان، عن أبي الحسن عليه السلام (الرضا) قال صفوان: أدخلت عليه إبراهيم وإسماعيل ابنا أبي سمال، فسلما عليه فأخبراه بحالهما وحال أهل بيتهما في هذا الامر وسألاه عن أبي الحسن (الكاظم)؟ فخبرهما بأنه قد توفى، قالا: فأوصى؟ قال: نعم، قالا: إليك؟ قال: نعم، قالا: وصية مفردة؟ قال: نعم. قالا: فان الناس قد اختلفوا علينا، فنحن ندين الله بطاعة أبي الحسن إن كان حيا فإنه امامنا، وإن كان مات فوصيه الذي أوصي إليه امامنا، فما حال من كان هذا مؤمن هو؟ قال: قد جاءكم أنه من مات ولا يعرف امامه مات ميتة جاهلية، قالا: وهو كافر؟ قال: فلم يكفره، قالا: فما حاله؟ قال: أتريدون أن أضلكم. قالا: فبأي شئ تستدل على أهل الأرض؟ قال: كان جعفر عليه السلام يقول: تأتي إلى المدينة فتقول إلى من أوصى فلان؟ فيقولون: إلى فلان، والسلاح عندنا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل حيثما دار دار الامر، قالا: والسلاح من يعرفه! ثم قالا: جعلنا الله فداك فأخبرنا بشئ نستدل به، فقد كان الرجل يأتي أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام يريد أن يسأله عن شئ فيبتدئ به. ويأتي أبا عبد الله عليه السلام فيبتدئ قبل أن يسأله، قال: فهكذا كنتم تطلبون من جعفر عليه السلام و أبي الحسن عليه السلام؟!

قال له إبراهيم: جعفر لم ندركه وقد مات والشيعة مجمعون عليه وعلى أبي الحسن عليهما السلام، وهم اليوم مختلفون! قال (الرضا): ما كانوا مجتمعين عليه، كيف يكونون مجتمعين عليه وكان مشيختكم وكبراؤكم يقولون في إسماعيل وهم يرونه يشرب كذا وكذا، فيقولون هذا أجود. قالوا: إسماعيل لم يكن أدخله في الوصية؟ فقال (الرضا): قد كان أدخله في كتاب الصدقة وكان إماماً.

فقال له إسماعيل بن أبي سمال: وهو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة الكذا والكذا، واستقصى يمينه، ما يسرني أني زعمت أنك لست هكذا ولي ما طلعت عليه الشمس، أو قال الدنيا بما فيها، وقد أخبرناك بحالنا، فقال له إبراهيم: قد أخبرناك بحالنا، فما حال من كان هكذا؟ مسلم هو؟ قال: أمسك، فسكت) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٧١ – ٧٧٢.

وخامساً: كوسيلة ردع للضالين، و أيضاً لتحصين المهتدين، وجّه الإمام الرضا عليه السلام بمقاطعة الو اقفة ونهى عن مجالستهم [١].

الإمام الرضا (ع) يبدأ بهداية الأمة وبنائها من جديد:

خطورة فتنة الو اقفة تكمن في أنها ضربت مشروع الأئمة عليهم السلام بالصميم، فنحن إذا لاحظنا مسيرة الأئمة الماضين من آباء الرضا عليهم السلام مع الأمة المؤمنة نجد أنّ الإمام الباقر عليه السلام استلم من أبيه أمة مؤمنة فعلاً (أيّاً كان عدد أفرادها)، ثم قام هو – بحكم رسالته وما مناط به إلهياً – بتوفير العلم اللازم لها، فزاد عددها وازداد وعيها ومعارفها كما عرفنا، ثم بلغت الأمة المؤمنة القمة والأوج في عهد الإمام الصادق عليه السلام كما لاحظنا سابقاً. وفي عصر الإمام الكاظم عليه السلام، فهو وإن قضى فترة طويلة من حياته في السجون لكن لم يحصل أن واجهت الأمة المؤمنة في عصره فتنة خطيرة، إذ استمر سير الأمة بعقيدة صحيحة بوجوده المتقطع بين الأمة و أيضاً بوجود خيرة أصحاب أبيه مثل: هشام بن الحكم والمفضل بن عمر وأمثالهم الذين أعانوه على إنجاز رسالته.

والأمر الآخر: إنّ الفتن التي كانت تحصل في زمن الإمام الصادق عليه السلام مثلاً يتم القضاء عليها أو مواجهتها مباشرة من قبل الإمام كما حصل مع الناووسية والخطابية وغيرهم الذين واجههم الإمام الصادق وتبرأ منهم ولعن كبارهم، كما سبق وأشرنا إلى ذلك عند استعراض سيرته ورسالته. أما في عهد الإمام الرضا عليه السلام فالقضية تختلف تماماً، فأبوه الإمام الكاظم قضى شهيداً في سجن هارون العباسي، والإمام الرضا عليه السلام غير مأذون بالتصدي لإنجاز مهام الإمامة بالنحو الذي كان يقوم به أبوه خلال فترة سجنه؛ لأن تصديه واشتهار أمره يعني القضاء عليه مع أبيه في نفس الوقت، وبالتالي لا سبيل غير أن يعيّن الإمام الكاظم وكلاء عنه لتأدية بعض المهام وإرجاع الشيعة لهم في

١- (عن محمد بن عاصم، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: يا محمد بن عاصم، بلغني أنك تجالس الو اقفة؟ قلت: نعم جعلت فداك أجالسهم و أنا مخالف لهم، قال: لا تجالسهم فان الله عز وجل يقول "وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم" يعني بالآيات الأوصياء الذين كفروا بها الو اقفة) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٥٧ – ٧٥٨.

مسائل بيان الحق (عقيدة وشريعة) وقبض الحقوق ونحو ذلك، وأغلب هؤلاء الوكلاء الذين أقامهم الإمام على شيعته ارتدوا بعد شهادته ودانوا بالوقف طمعاً بالدنيا كما عرفنا، وكانت الشيعة عموماً في مختلف البلدان ترجع إلى واحد منهم، وهم اتفقت كلمتهم على نكران إمامة الإمام الرضا عليه السلام، وبالتالي فالقسم الأكبر من الشيعة دان بالوقف، ومن لم يدن به امتلأ صدره بالشك، وربما يوجد قسم ثالث اعتزل كل شيء، ومن ثمَّ لم يجد الإمام الرضا أمامه غير أمة منهارة تماماً وساحة تكاد تكون خالية تقريباً من الأنصار المؤمنين به سوى بضع أنفار لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة أمثال عمّه إسحاق المؤتمن وزوجته السيدة نفيسة، فاحتاج أن يبدأ في هداية الأمة من الصفر تقريباً!

وما يزيد الوضع إيلاماً: أنّ بعض من كان عليهم المعوَّل من شيعة أبيه كانوا قد توفوا أمثال: هشام بن الحكم وعلي بن يقطين رضوان الله عليهما [1]، ومن كانوا موجودين من وجوه وأعيان الشيعة وخاصة أبيه فهم يتأرجحون: بين قائل بالوقف، وبين من أخذ الشك منه مأخذه، أما من سلم منهم من الضلال والشك (وهم أفراد قلائل جداً) فلم يكن موقفهم مع الإمام الرضا بالمستوى المطلوب وفيه من التقصير الشيء الكثير!

وللوقوف أكثر على ما واجهه الإمام الرضا عليه السلام من نكبة وخذلان بعد شهادة أبيه، دعونا نستعرض معاً بعض أسماء كبار الشيعة وخواصهم الذي كانوا موجودين بعد شهادة الإمام الكاظم صلوات الله عليه، وسأحصر الكلام بفئتين، هما:

- رواة النص على إمامة الرضا من أبيه قبل شهادته.
- أصحاب الإجماع.

- **"رواة النص"**: أعني الرواة الذي رووا نص الإمام الكاظم عليه السلام على ولده علي الرضا عليه السلام، وسبب تخصيصهم بالذكر أنّهم من خواص الإمام الكاظم وممّن أطلعهم على مصداق الإمامة في ظروف كانت في غاية الصعوبة، ومن بين هؤلاء:

١- توفي هشام بن الحكم سنة ١٧٨ أو ١٧٩ هـ، بينما توفي علي بن يقطين في سنة ١٨٢ هـ.

١- يزيد بن سليط الزيدي [١].
٢- داود بن كثير الرقي [٢].
٣- محمد بن سنان [٣].
٤- نعيم القابوسي [٤].
٥- داود بن سليمان [٥].
٦- داود بن زربي [٦].
٧- عبد الله بن الحارث المخزومي [٧].
٨- الحسن بن الحسن [٨].
٩- نصر بن قابوس [٩].
١٠- محمد بن إسحاق بن عمار [١٠].
١١- موسى بن بكر [١١].
١٢- حيدر بن أيوب [١٢].
١٣- الحسين بن المختار [١٣].

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣ – ٣١٦.
٢- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣.
٣- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٩.
٤- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١١ – ٣١٢.
٥- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣.
٦- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣.
٧- انظر: الغيبة، الطوسي: ٣٧ – ٣٨.
٨- انظر: الغيبة، الطوسي: ٤١.
٩- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣.
١٠- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٢.
١١- انظر: الغيبة، الطوسي: ٤١.
١٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٧.
١٣- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٢ – ٣١٣.

١٤- زياد بن مروان القندي [١].

و أيضاً: ممّن روى نص الإمام الكاظم عليه السلام على ولده الرضا عليه السلام، هو أخوه علي بن جعفر:

(عن الحسن بن علي بن فضال قال: سمعت علي بن جعفر يقول: كنت عند أخي موسى بن جعفر عليه السلام - كان والله حجة [الله في الأرض] بعد أبي صلوات الله عليه - إذ طلع ابنه علي فقال لي: يا علي هذا صاحبك وهو مني بمنزلتي من أبي فثبّتك الله على دينه، فبكيت، وقلت في نفسي نعى والله إليّ نفسه فقال: يا علي لابد من أن تمضي مقادير الله فيّ ولي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة، وبأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وكان هذا قبل أن يحمله هارون الرشيد في المرة الثانية بثلاثة أيام تمام الخبر) [٢].

وعموماً، كل هؤلاء أعلمهم الإمام الكاظم بإمامة ابنه الرضا بعده ورووا عنه النص عليه، وهذا حالهم عند شهادة الإمام الكاظم عليه السلام:

- زياد بن مروان القندي: أحد كبار الواقفة لعنه الله، كما تقدم.
- الحسين بن المختار: واقفي [٣].
- موسى بن بكر: واقفي [٤].
- حيدر بن أيوب: واقفي [٥].
- محمد بن إسحاق بن عمار: ذكر ابن بابويه أنه واقفي [٦]، وحتى لو نفينا عنه القول بالوقف (تماشياً مع الأكثر) فإنّ التقصير عن نصرة الحق لا ينفى عنه.

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٢.

٢- الغيبة، الطوسي: ٤٢.

٣- انظر: رجال ابن داود: ٢٤١؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٣ / ١٩٩.

٤- انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٨ / ٦.

٥- انظر: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٦ / ٢٦٥.

٦- انظر: معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٦ / ٧٦.

- نصر بن قابوس: يظهر من بعض الرواة أنه أصابه الشك عند وفاة الإمام الكاظم ثم عاد للحق [١].

أما البقية: فقد ذكرت المصادر أنّهم (أو معظمهم بحسب تتبعي) كانوا أحياء بعد سنة ١٨٣ هـ (سنة شهادة الإمام الكاظم)، لكن لم تذكر لهم موقفاً نصروا فيه الإمام الرضا عند ابتداء فتنة الواقفة. علماً، أننا لا نشكك بإيمانهم بالإمام الرضا، فكلّهم أو أغلبهم مؤمنون به وماتوا على ولايته، لكننا الآن نتحدث عن نصرة الإمام في بدء إمامته و أيام محنته بفتنة الواقفة لعنهم الله، فعدم الوقوف معه منذ لحظة إمامته الأولى هو تقصير واضح بدون أدنى شك!

- **"أصحاب الإجماع"**: المقصود بهم مجموعة من أصحاب الأئمة ورواة حديثهم وخواصّهم؛ أجمع علماء الطائفة على وثاقتهم وفقههم ووجاهتهم وتصحيح ما يصح عنهم، وصنّفوهم على ثلاث طبقات:

- الأولى: ستة من أصحاب الإمام الباقر [٢].
- الثانية: ستة من أصحاب الإمام الصادق [٣].

١- (عن نصر بن قابوس قال: كنت عند أبي الحسن في منزله فأخذ بيدي فوقفني على بيت من الدار فدفع الباب فإذا علي ابنه عليه السلام وفي يده كتاب ينظر فيه، فقال لي: يا نصر تعرف هذا؟ قلت: نعم هذا علي ابنك قال: يا نصر أتدري ما هذا الكتاب الذي في يده ينظر فيه؟ فقلت: لا قال: هذا الجفر الذي لا ينظر فيه إلا نبي أوصي نبي. قال الحسن بن موسى: فلعمري ما شك نصر ولا ارتاب حتى أتاه وفاة أبي الحسن عليه السلام) بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ / ٢٧. أبو الحسن: أي الكاظم عليه السلام،

قال النمازي تعقيباً على قول الحسن بن موسى: (ويحتمل أن وقع الشك في قلبه (نصر بن قابوس)، ثم تذكّر وتبصّر إلى الحق) مستدركات علم رجال الحديث: ٨ / ٧١.

٢- هم: زرارة بن أعين، بريد العجلي، محمد بن مسلم، أبو بصير الأسدي (وقيل: أبو بصير المرادي: ليث بن البحتري)، الفضيل بن يسار، معروف بن خربوذ.

٣- هم: جميل بن دراج، أبان بن عثمان، عبد الله بن مسكان، عبد الله بن بكير، حماد بن عيسى، حماد بن عثمان.

- الثالثة: ستة من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا [١].

بالتأكيد، لم يكن أصحاب الإمام الباقر عليه السلام موجودين عند شهادة الإمام الكاظم صلوات الله عليه، وبالتالي فالمتبقي من أصحاب الإجماع هو: ١٢ شخصاً، وبإضافة الثلاثة البدلاء الذين ذكرهم البعض كبديل للحسن بن محبوب يكون المجموع ١٥ شخصاً.

فلو استثنينا عبد الله بن مسكان؛ لأنه توفي قبل عام ١٨٣ هـ، وعبد الله بن بكير؛ لأنه كان فطحي المذهب، وبالتالي فهو منحرف العقيدة قبل حدوث فتنة الواقفة أصلاً، فيتبقى من الجمع ١٣ شخصاً، وهذا حالهم:

- عثمان بن عيسى: قال بالوقف وثبت عليه، بل كان من أركان الواقفة [٢].
- جميل بن دراج، حماد بن عيسى، عبد الله بن المغيرة، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي: قالوا بالوقف ثم رجعوا للحق [٣].
- صفوان بن يحيى: شك ثم قطع [٤].
- يونس بن عبد الرحمن: له كلام يذكر فيه مواجهته لكبار الواقفة وبيان بطلان عقيدتهم، لكنه واجههم بعد أن تبين له الحق وقطع عليه بحسب قوله، فيظهر (بحسب قوله) أنه لم يكن قاطعاً على الإمام الرضا ثم قطع [٥].

١- هم: يونس بن عبد الرحمن، صفوان بن يحيى، محمد بن أبي عمير، أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عبد الله بن المغيرة، الحسن بن محبوب (وقيل: الحسن بن علي بن فضال، أو فضالة بن أيوب، أو عثمان بن عيسى).

٢- انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٢٢١.

٣- انظر: الغيبة، الطوسي: ٧١.

٤- (وروى علي بن معاذ قال: قلت لصفوان بن يحيى: بأي شيء قطعت على علي؟ قال: صليت ودعوت الله واستخرت عليه وقطعت عليه) الغيبة، الطوسي: ٦١.

٥- (عن يونس بن عبد الرحمن قال: مات أبو إبراهيم عليه السلام وليس من قوامه أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته، طمعا في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار. فلما رأيت ذلك وتبينت الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمت، تكلمت ودعوت الناس إليه، فبعثا إلي وقالا ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالا [لي]: كف. فأبيت، وقلت لهما: إنا روينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا:

أما البقية، وهم: (أبان بن عثمان، حماد بن عثمان، محمد بن أبي عمير، الحسن بن محبوب، الحسن بن علي بن فضال، فضالة بن أيوب)، فلم تذكر المصادر حالهم عند شهادة الإمام الكاظم عليه السلام وبداية إمامة الإمام الرضا عليه السلام، واكتفت بعدّهم ضمن أصحابه وأصحاب أبيه، لكن المصادر – بحسب تتبعي – خلت من ذكر أي موقف نصرة واضح صدر من واحد منهم للإمام الرضا عند شهادة أبيه وبداية حدوث فتنة الواقفة.

لا شك أنّنا نتحدث (بالعموم) عن خيرة رجالات الشيعة ثقة وعلماً وفقهاً وصلاحاً وعبادة، وفيهم من أرجع الإمام الرضا شيعته إليه لاحقاً [١]! لكن يبدو أنّ التقصير مع آل محمد صفة تلازم الجميع!

والأمر لا يقتصر على أصحاب الإجماع فحسب، ولكنه يسري أيضاً على أعيان ووجوه الشيعة الآخرين من أصحاب الإمام الكاظم، أمثال: عبد الرحمن بن الحجاج، رفاعة بن موسى، يونس بن يعقوب، الحسن بن علي الوشاء، سماعة بن مهران، وغيرهم [٢].

وهؤلاء ليسوا شيعة عاديين، فمثلاً: عبد الرحمن بن الحجاج شهد له الإمام الكاظم عليه السلام بالجنة، وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول له: "يا عبد الرحمن كلّم أهل المدينة فإني أحب أن يرى في رجال الشيعة مثلك"، لكنه قال بالوقف ثم رجع عنه [٣]!

"إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الايمان" وما كنت لأدع الجهاد وأمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة) الغيبة، الطوسي: ٦٤.

١- (الفضل بن شاذان قال: حدثني عبد العزيز بن المهتدي، وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت فعن من آخذ معالم ديني؟ قال: خذ من يونس بن عبد الرحمن) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٩٩.

٢- انظر: الغيبة، الطوسي: ٧١. وبخصوص قول سماعة بن مهران بالوقف. انظر: مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي: ٢٧٦.

٣- انظر: معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٠ / ٣٤٣.

وإذا كان هذا هو حال أعيان الشيعة وأصحاب الإجماع فيهم، وكان هو حال رواة النص على إمامة الرضا عليه السلام، فما بالك ببقية عموم الشيعة المنتشرين في مختلف البلدان!

الحقيقة الواضحة إنّ أول ما واجهه الإمام الرضا صلوات الله عليه عند بدء إمامته هو نكبة الأمة المؤمنة و انتكاستها بكل ما تعنيه الكلمة من معنى! فتنة الو اقفة ضربت الأمة المؤمنة بالصميم؛ لأنها استهدفت عمود خيمة الحق من خلال الطعن بإمامة الإمام المعصوم (الرضا عليه السلام)، خيمة الحق انهارت أو كادت، لكن الله وعد بدوام الحق بالأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، وهيهات أن يزول الحق ويتمكن طلاب الدنيا والمال (كلاب الو اقفة) من إطفاء نورالله والإمام من ولد الحسين (علي الرضا) موجود! فهووإن كان وحيداً لكنه أمة! كيف، وهو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب!

بحسب ما بأيدينا من مصادر، لم أعثر على أسماء لمؤمنين وقفوا مع الإمام الرضا ليعينوه على مهمته في بدء حركته ودعوته! بحثت كثيراً فلم أجد غير عمّه إسحاق المؤتمن عليه السلام، ولأن بحوث "يوم الحسين" بُنيت على الإنصاف قدر المستطاع أقول: ربما يوجد اسم أو أكثرلم أعثرعليه أولم تأتِ النصوص التاريخية والرو ائية على ذكرهم، لكن المؤكد – على فرض وجودهم – أنهم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة! بينما الو اقع التاريخي القطعي الذي بأيدينا يقول: إنّ الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه نهض وحيداً بأعباء نصرة الحق ودين الله وتقويم اعوجاج الأمة!

هارون العباسي كان في أوج جبروته وطغيانه بعد قتله الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، والو اقع يفرض على الإمام الرضا – بحسب المعطيات المتوفرة – الانتظار إلى ما بعد موت هارون ثم يبدأ تدريجياً بتحرّكه وطرح رسالته، لكن هياج الو اقفة ارتفع ككلاب ممطورة وأمواج فتنتهم اكتسحت عموم الشيعة، والصمت في مثل هكذا وضع يعني ضلال الأمة ونسف جهود وتضحيات الأئمة وأصحابهم الماضين تماماً، فأبى ابن رسول الله (الرضا) إلا أن يباشر دعوته ورسالته بالرغم من عدم وجود الناصر. طبعاً، بالحدود المتاحة له التي تحفظ حياته؛ لأننا نتحدث عن فترة طاغية مجرم، ففتح الإمام الرضا أبواب داره وملأ مسجد الرسول بوجوده الشريف ما استطاع لذلك سبيلاً، وصاريجيب الأسئلة الواردة عليه حتى بلغت (بمرور الوقت) الألوف على حد قول بعض الرواة:

(عن محمد بن عيسى اليقطيني قال: لما اختلف الناس في أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام جمعت من مسائله مما سُئل عنه وأجاب عنه خمس عشرة ألف مسألة) [١].

بدأ الإمام الرضا عليه السلام بالتحرك للقضاء على الفتنة بالخطوات التي أشرنا لها سابقاً، ابتداءً بمحاورة كبارهم و إقامة الحجة عليهم مروراً بمحاورة أتباعهم وبيان الحق لهم، واستنقاذ بعض كبار الشيعة المؤثرين أمثال: يونس بن عبد الرحمن ومحمد بن أبي عمير وصفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي وغيرهم؛ خصوصاً وأنّ الضلال والتيه لم يأخذ من هؤلاء ما أخذ من غيرهم، فاهتدى إليه منهم من اهتدى ونفض غبار التقصير في نصرة دين الله من نفض، فتحركت سفينة هداية الأمة نحو الله بقوة بفضل همة ربّانها وحكمته وغزارة علومه وشدة صبره وتضحيته لله!

وهذه صور اهتداء بعض أصحابه إليه:

البزنطي مثلاً (الذي أصبح لاحقاً من خيرة أصحاب الرضا وحظي بالمنزلة الرفيعة عنده ونشر إمامته وعلومه) اهتدى للرضا عليه السلام بعد فتنة الواقفة من خلال العلم وإجابة الإمام على أسئلته:

(عن أحمد بن محمد بن أبي نصر- وهو من آل مهران - وكانوا يقولون بالوقف، وكان على رأيهم فكاتب أبا الحسن الرضا عليه السلام وتعنت في المسائل فقال: كتبت إليه كتاباً وأضمرت في نفسي أني متى دخلت عليه أسأله عن ثلاث مسائل من القرآن وهي قوله تعالى: "أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي". وقوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام". وقوله: "إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء". قال أحمد: فأجابني عن كتابي وكتب في آخره الآيات التي أضمرتها في نفسي أن أسأله عنها ولم أذكرها في كتابي إليه، فلما وصل الجواب أنسيت ما كنت أضمرته، فقلت: أي شئ هذا من جوابي؟ ثم ذكرت أنه ما أضمرته) [٢].

١- الغيبة، الطوسي: ٧٣.

٢- الغيبة، الطوسي: ٧١ – ٧٢.

عبد الله بن المغيرة: دعا الله في الحج أن يهديه ويرشده، فاهتدى للإمام الرضا:

(عن عبد الله بن المغيرة قال: كنت و اقفا وحججت على تلك الحال، فلما صرت بمكة خلج في صدري شئ، فتعلقت بالملتزم [١] ثم قلت: اللهم قد علمت طلبتي وإرادتي فأرشدني إلى خير الأديان، فوقع في نفسي أن آتي الرضا عليه السلام، فأتيت المدينة فوقفت ببابه وقلت: للغلام قل لمولاك: رجل من أهل العراق بالباب، قال: فسمعت نداءه وهو يقول: ادخل يا عبد الله بن المغيرة، ادخل يا عبد الله بن المغيرة، فدخلت، فلما نظر إلي قال لي: قد أجاب الله دعاءك وهداك لدينه، فقلت: أشهد أنك حجة الله وأمينه على خلقه) [٢].

بعض الشيعة عرفوا براهين الإمام وبيّناته التي تمثلت بالنصوص وعلمه المعجز و أيضاً ما شاء الله أن يجريه على يديه من معجزات أيد بها النص، فاهتدوا:

(ولأجلها رجع جماعة من القول بالوقف مثل: عبد الرحمن بن الحجاج، ورفاعة بن موسى، ويونس بن يعقوب، وجميل بن دراج، وحماد بن عيسى وغيرهم، وهؤلاء من أصحاب أبيه الذين شكّوا فيه ثم رجعوا. وكذلك من كان في عصره، مثل: أحمد بن محمد بن أبي نصر، والحسن بن علي الوشاء وغيرهم ممن كان قال بالوقف، فالتزموا الحجة وقالوا بإمامته وإمامة من بعده من ولده) [٣].

(عن حسين بن عمر بن يزيد قال: دخلت على الرضا عليه السلام و أنا شاك في إمامته، وكان زميلي في طريقي رجل يقال له: مقاتل بن مقاتل، وكان قد مضى على إمامته بالكوفة، فقلت له: عجلت؟ فقال: عندي في ذلك برهان وعلم. قال الحسين، فقلت للرضا عليه السلام: قد مضى أبوك؟ فقال: أي والله، و اني لفي الدرجة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله، ومن كان أسعد ببقاء أبي مني، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: "السابقون السابقون أولئك المقربون" العارف للإمامة حين يظهر الامام. ثم قال: ما فعل صاحبك؟ فقلت: من؟ قال: مقاتل بن مقاتل المسنون الوجه

١- جزء من جدار الكعبة يقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٥٥.

٣- الغيبة، الطوسي: ٧١.

الطويل اللحية الأقنى الانف، وقال: أما أني ما رأيته ولا دخل علي، ولكنه آمن وصدق فاستوص به قال: فانصرفت من عنده إلى رحلي فإذا مقاتل راقد، فحركته ثم قلت لك بشارة عندي لا أخبرك بها حتى تحمد الله مائة مرة ففعل، ثم أخبرته بما كان. قال: فانصرفت من عنده إلى رحلي، فإذا مقاتل راقد فحرّكته، ثمّ قلت: لك بشارة عندي لا أُخبرك بها حتّى تحمد الله مائة مرّة، ففعل، ثمّ أخبرته بما كان) [١].

وبعضهم اهتدى بدعائه عليه السلام:

(يزيد بن إسحاق شعروكان من أدفع الناس لهذا الامر، قال: خاصمني مرة أخي محمد وكان مستوياً فقلت له لما طال الكلام بيني وبينه: إن كان صاحبك بالمنزلة التي تقول فاسأله أن يدعو الله لي حتى أرجع إلى قولكم. قال، قال لي محمد: فدخلت على الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك ان لي أخاً وهو أسن مني، وهو يقول بحياة أبيك و أنا كثيراً ما أناظره، فقال لي يوماً من الأيام: سل صاحبك إن كان بالمنزل الذي ذكرت أن يدعو الله لي حتى أصير إلى قولكم! فاني أحب أن تدعو الله له. قال: فالتفت أبو الحسن عليه السلام نحو القبلة فذكر ما شاء الله أن يذكر، ثم قال: اللهم خذ بسمعه وبصره ومجامع قلبه حتى ترده إلى الحق، قال: وكان يقول هذا وهو رافع يده اليمنى، قال: فلما قدم أخبرني بما كان، فوالله ما لثبت الا يسيراً حتى قلت بالحق) [٢].

وهكذا شيئاً فشيئاً زال شك من شك منهم، ورجع إلى الحق من رجع، وبمرور الوقت اهتدى الكثيرين بعد أن أعانه بعض أصحابه المهتدين في ردع بدع الواقفة وبيان باطلهم وضلالهم، فأُعيد بناء هيكل الحق وشُيّد قيام الأمة المؤمنة من جديد ببركة عطاء وجهود الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه.

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٧١.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٦٤ – ٨٦٥.

رضا آل محمد ويوسف آل يعقوب؛ يشربان من نفس الألم:

قصّ القرآن الكريم الأذى الذي ألحقه إخوة يوسف بيوسف الصديق عليه السلام، والأمر لم يقف عليهم فحسب، و إنما تعداهم حتى صار سنّة في آل محمد عليهم السلام؛ لم يسلم منهم إمام! كل إمام منهم شرب كأس الألم الذي ألحقه به بعض أقربائه؛ حسداً وأذىً بالقول والفعل، وقد مرَّ بنا ما لاقاه آباء الإمام الرضا من أقربائهم، وجاء الآن دوره ليكون له النصيب الأكبر ربما!

هذا نص يوضح بعض ما جرى على الإمام الرضا بعد شهادة أبيه:

(عن يزيد بن سليط قال: لمّا أوصى أبو إبراهيم عليه السلام أشهد إبراهيم بن محمّد الجعفري وإسحاق بن محمّد الجعفري وإسحاق بن جعفر بن محمّد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفري ويحيى بن الحسين بن زيد بن علي وسعد بن عمران الأنصاري ومحمّد بن الحارث الأنصاري ويزيد بن سليط الأنصاري ومحمّد بن جعفر بن سعد الأسلمي - وهو كاتب الوصية الأُولى [1] - أُشهدهم أنّه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور وأنّ البعث بعد الموت حقّ وأنّ الوعد حقّ وأنّ الحساب حقّ والقضاء حقّ، وأنّ الوقوف بين يدي الله حقٌّ وأنّ ما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله حقٌّ وما نزل به الرّوح الأمين حقٌّ، على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله.

وأُشهدهم أنّ هذه وصيّتي بخطّي وقد نسخت وصيّة جدّي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووصيّة محمّد بن عليّ قبل ذلك نسختها حرفاً بحرف ووصيّة جعفر بن محمّد على مثل ذلك و إنّي قد أوصيت إلى عليّ وبنيَّ بعد معه إن شاء و آنس منهم رشداً وأحبّ أن يقرَّهم فذاك له، وإن كرههم وأحبَّ أن يخرجهم فذاك له ولا أمر لهم معه

١- يظهر أنّ الإمام الكاظم كانت لديه وصية أخرى غير هذه، وهي أسبق من هذه، ولذا وصفت بالأولى، وكانت بخط الأسلمي، أما هذه الوصية فهي بخط الإمام الكاظم: "وأشهدهم أن هذه وصيتي بخطي". وعموماً، من خلال رو ايات أخرى يمكننا أن نعرف أنّ الوصية الأولى كانت خاصة بالإمام الرضا عليه السلام، وهذا ما ذكره الإمام الكاظم ليزيد بن سليط: "... أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن، فأفردته وحده" الكافي، الكليني: ١ / ٣١٤.

وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي ومواليَّ، وصبياني الّذين خلّفت وولدي إلى إبراهيم والعبّاس وقاسم وإسماعيل وأحمد وأُمِّ أحمد، وإلى عليّ أمر نسائي دونهم وثلث صدقة أبي وثلثي، يضعه حيث يرى ويجعل ما فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فإن أحبَّ أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدّق بها على من سمّيتُ له وعلى غير من سمّيتُ فذاك له، وهو أنا في وصيّتي في مالي وفي أهلي وولدي، وإن يرى أن يقرَّ إخوته الذين سمّيتهم في كتابي هذا أقرَّهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مُثْرِب عليه ولا مردود [1]، فإن آنس منهم غير الّذي فارقتهم عليه فأحبَّ أن يردَّهم في ولايته فذاك له وإن أراد رجلٌ منهم أن يزوّج أُخته، فليس له يزوّجها إلاّ بإذنه وأمره فإنّه أعرف بمناكح قومه وأيُّ سلطان أو أحد من الناس كفّه عن شيء أو حال بينه وبين شيء ممّا ذكرت في كتابي هذا أو أحد ممّن ذكرت، فهو من الله ومن رسوله بريء والله ورسوله منه برآء وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاّعنين والملائكة المقرّبين والنبيّين والمرسلين وجماعة المؤمنين وليس لأحد من السلاطين أن يكفّه عن شيء وليس لي عنده تبعة ولا تباعة [2]، ولا لأحد من ولدي له قبلي مالٌ فهو مصدَّق فيما ذكر، فإن أقلَّ فهو أعلم وإن أكثر فهو الصّادق كذلك، و إنّما أردت بإدخال الّذين أدخلتهم معه من ولدي التنويه بأسمائهم والتشريف لهم وأُمّهات أولادي من أقامت منهنَّ في منزلها وحجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن رأى ذلك، ومن خرجت منهنّ إلى زوج فليس لها أن ترجع إلى محواي إلاّ أن يرى عليٌّ غير ذلك، وبناتي بمثل ذلك، ولا يزوّج بناتي أحدٌ من إخوتهنّ من أُمّهاتهنَّ ولا سلطانٌ ولا عمٌّ إلاّ بر أيه ومشورته، فإن فعلوا غير ذلك فقد خالفوا الله ورسوله وجاهدوه في ملكه وهو أعرف بمناكح قومه، فإن أراد أن يزوّج زوّج وإن أراد أن يترك ترك، وقد أوصيتهنَّ بمثل ما ذكرت في كتابي هذا وجعلت الله عزّوجلّ عليهنَّ شهيداً وهو وأُمّ أحمد[3] [شاهدان] وليس لأحد أن يكشف وصيّتي ولا ينشرها وهو منها على غير ما ذكرتُ وسمّيتُ، فمن أساء فعليه ومن أحسن فلنفسه وما ربّك بظلاّم للعبيد وصلّى الله على محمّد وعلى آله، وليس لأحد من سلطان ولا غيره أن يفضَّ كتابي هذا الذي ختمتُ عليه الأسفل ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاّعنين والملائكة المقرّبين

١- التثريب: التعيير، والمعنى: ليس لأحد أن يعيّر الرضا أو يلومه أو يرد أي تصرف يختاره.

٢- تبعة وتباعة: حق يُطالب به.

٣- أم أحمد: إحدى نساء بيت الإمام.

وجماعة المرسلين والمؤمنين من المسلمين وعلى من فضَّ كتابي هذا. وكتب وختم أبو إبراهيم والشهود وصلّى الله على محمّد وعلى آله.

قال أبو الحكم [١]: فحدّثني عبد الله بن آدم الجعفري عن يزيد بن سليط قال: كان أبو عمران الطلحي قاضي المدينة فلمّا مضى موسى قدَّمه إخوته إلى الطلحي القاضي فقال العباس بن موسى: أصلحك الله وأمتع بك، إنّ في أسفل هذا الكتاب كنزاً وجوهراً ويريد أن يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع أبونا رحمه الله شيئاً إلا ألجأه إليه وتركنا عالة ولولا إنّي أكفُّ نفسي لأخبرتك بشيء على رؤوس الملأ، فوثب إليه إبراهيم بن محمّد فقال: إذاً والله تخبر بما لا نقبله منك ولا نصدّقك عليه، ثمّ تكون عندنا ملوماً مدحوراً نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً وكان أبوك أعرف بك لو كان فيك خيراً وإن كان أبوك لعارفاً بك في الظاهر والباطن وما كان ليأمنك على تمرتين. ثمَّ وثب إليه إسحاق بن جعفر عمّه فأخذ بتلبيبه فقال له: إنّك لسفيه ضعيف أحمق أجمع هذا مع ما كان بالأمس منك، وأعانه القوم أجمعون. فقال أبو عمران القاضي لعليّ: قم يا أبا الحسن حسبي ما لعنني أبوك اليوم وقد وسّع لك أبوك ولا والله ما أحدٌ أعرف بالولد من والده لا والله ما كان أبوك عندنا بمستخفّ في عقله ولا ضعيف في رأيه، فقال العبّاس للقاضي: أصلحك الله فضّ الخاتم و اقرأ ما تحته فقال أبو عمران: لا أفضّه حسبي ما لعنني أبوك اليوم، فقال العبّاس: فأنا أفضّه، فقال: ذاك إليك، ففضَّ العبّاس الخاتم فإذا فيه إخراجهم و إقرار عليّ لها وحده وإدخاله إيّاهم في ولاية عليّ إن أحبّوا أو كرهوا وإخراجهم من حدّ الصّدقة وغيرها وكان فتحه عليهم بلاءً وفضيحة وذلّة ولعليّ عليه السلام خيرة.

وكان في الوصيّة التي فضَّ العبّاس تحت الخاتم هؤلاء الشهود: إبراهيم بن محمّد وإسحاق بن جعفر وجعفر بن صالح وسعيد بن عمران و أبرزوا وجه أُمِّ أحمد في مجلس القاضي وادّعوا أنّها ليست إيّاها حتّى كشفوا عنها وعرفوها، فقالت عند ذلك: قد والله قال سيّدي هذا: إنّك ستؤخذين جبراً وتخرجين إلى المجالس، فزجرها إسحاق بن جعفر وقال: اسكتي فإنّ النساء إلى الضعف [٢] ما أظنّه قال من هذا شيئاً، ثمّ إنّ عليّاً عليه

١- هو إما هشام بن سالم، أو عمار بن اليسع الكوفي؛ وكلاهما من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم صلوات الله عليهما.

٢- يقصد مائلات إلى الضعف بحسب طبيعتهن وبنيتهن الجسدية.

السلام التفت إلى العبّاس فقال: يا أخي إنّي أعلم أنّه إنّما حملكم على هذا الغرائم والدُّيون التي عليكم، فانطلق يا سعيد فتعيّن لي ما عليهم [١]، ثمَّ اقض عنهم ولا والله لا أدع مواساتكم وبرّكم ما مشيت على الأرض فقولوا ما شئتم، فقال العبّاس: ما تعطينا إلا من فضول أموالنا، وما لنا عندك أكثر، فقال: قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم فإن تحسنوا فذاك لكم عند الله وإن تسيئوا فإنَّ الله غفورٌ رحيم، والله إنّكم لتعرفون أنّه مالي يومي هذا ولد ولا وارث غيركم [٢] ولئن حبست شيئاً ممّا تظنّون أو ادَّخرته فإنّما هو لكم ومرجعه إليكم والله ما ملكت منذ مضى أبوكم رضي الله عنه شيئاً إلا وقد سيّبته [٣] حيث رأيتم، فوثب العبّاس فقال: والله ما هو كذلك وما جعل الله من رأي علينا ولكن حسد أبينا لنا وإرادته ما أراد ممّا لا يسوِّغه الله إيّاه ولا إيّاك وإنّك لتعرف وأنّي أعرف صفوان ابن يحيى بيّاع السّابري بالكوفة ولئن سلمت لأُغصّصنّه بريقه وأنت معه [٤]، فقال عليّ عليه السلام: لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، أما إنّي يا إخوتي فحريص على مسرّتكم، الله يعلم، اللهم إن كنت تعلم أنّي أُحبُّ صلاحهم وإنّي بارٌّبهم واصل لهم رفيق عليهم أُعنى بأُمورهم ليلاً ونهاراً فاجزني به خيراً، وإن كنت على غير ذلك فأنت علاّم الغيوب فاجزني به ما أنا أهله إن كان شرّاً فشرّاً وإن كان خيراً فخيراً، اللّهمّ أصلحهم وأصلح لهم واخسأ عنّا وعنهم الشيطان وأعنهم على طاعتك ووفّقهم لرشدك أمّا أنا يا أخي فحريص على مسرّتكم،

١- أي: طلب الإمام الرضا عليه السلام من سعيد أو سعد (أحد الشهود على وصية أبيه) أن يعرف مقدار الديون التي على إخوته ليقضيها ويسددها عنهم.

٢- الحادثة حصلت بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام في عام ١٨٣ هـ ولم يكن قد ولد للإمام الرضا حينها ولد؛ إذ كانت ولادة الإمام الجواد في عام ١٩٥ هـ، ولهذا أجاب الإمام الرضا أخاه العباس بأنكم ورثتي وليس عندي ولد، وبالتالي فالمال الذي تظنون أني أخذته منكم أو ادّخرته دونكم سيعود لكم بالنتيجة!

٣- أي: أعطيته وأنفقته.

٤- صفوان بن يحيى: من خواص الشيعة وأحد وكلاء الإمام الكاظم عليه السلام، وقد بذل له جماعة من الوقفة مالاً كثيراً ليكون إلى صفهم فلم يقبل منهم، وأيضاً أصبح وكيلاً للإمام الرضا وابنه الجواد عليهما السلام، وكانت له عندهما منزلة شريفة، انظر: شرح أصول الكافي، المازندراني: ٦ / ٢٠٢. وقوله: "لأغصصنه بريقه وأنت معه": كناية عن شدة إدخال الأذى على صفوان وعلى الإمام الرضا عليه السلام.

جاهد على صلاحكم، والله على ما نقول وكيل، فقال العبّاس: ما أعرفني بلسانك وليس لمسحاتك عندي طين [١]، فافترق القوم على هذا وصلّى الله على محمّد وآله) [٢].

وهذه بعض الملاحظات التي تخص الرواية المذكورة:

١- الإمام الكاظم – ولا شك – قضى شهيداً في سجن السندي بن شاهك ببغداد، وكان قد تعرّض للسجن أكثر من مرة في عهد العباسيين، ولا أقل فإنه تعرض للسجن مرتين في زمن هارون؛ أُفرج عنه في سجنه الأول وعاد لأهل بيته بالمدينة، لكن سجنه الثاني لم يعد بعده إلى المدينة ولم يرى أهله وأولاده ومضى إلى ربه شهيداً مظلوماً. وواضح أنّ هذه الوصية كانت قبل سجنه الثاني وإشخاصه إلى العراق.

٢- الإمام الكاظم عليه السلام – كما بيّنت – لم يترك فرصة إلا وأوضح فيها خلافة ابنه الرضا له في أمر الإمامة الإلهية للخواص والثقات من شيعته، وكذلك أهل بيته بحدود معيّنة، وكمثال لوصاياه لأولاده وبعض أقربائه:

- (قال أبو الصلت: ولقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر، عن أبيه أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام كان يقول لبنيه: هذا أخوكم علي بن موسى عالم آل محمد فاسألوه عن أديانكم، واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفر بن محمد عليهما السلام غير مرة يقول لي: إنّ عالم آل محمد لفي صلبك، وليتني أدركته، فإنه سمي أمير المؤمنين علي) [٣].

- (عن علي بن عبد الله الهاشمي قال: كنا عند القبر نحو ستين رجلاً منا ومن موالينا إذ أقبل أبو إبراهيم موسى جعفر عليه السلام ويد علي ابنه عليه السلام في يده فقال: تدرون من أنا؟ قلنا: أنت سيدنا وكبيرنا فقال: سمّوني و انسبوني فقلنا: أنت موسى

١- مسحاة: آلة من حديد تستعمل لحرث الأرض وتجريفها، وقوله: "ليس لمسحاتك عندي طين": هو مَثَل يُقال لمن لا يؤثر كلامه في قلب السامع.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٦ – ٣١٩.

٣- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ / ١٠٠.

بن جعفر بن محمد فقال: من هذا معي؟ قلنا: هو علي بن موسى بن جعفر قال: فاشهدوا أنه وكيلي في حياتي ووصيي بعد موتي) [١].

الملاحظ في وصايا الإمام الكاظم عليه السلام لولده وعموم أقربائه الطالبيين يجد أنها تختلف عن وصاياه لخواص شيعته كهشام بن الحكم وعلي بن يقطين وداود الرقي والحسين بن المختار ويزيد بن سليط وأمثالهم، فهؤلاء كان يعرّفهم بأنّ ولده "علي الرضا" هو الإمام المفترض الطاعة بعده وكان يقول لهم: "هو صاحبكم بعدي"؛ باعتبار أنّ سؤالهم من الأساس كان عن معرفة الإمام بعده. أما ولده وبعض أقربائه فكلامه معهم يختلف؛ إذ بيّن لأبنائه في (النص الأول) أنّ أخاهم الرضا عالم وحثّهم على الرجوع إليه وسؤاله بأمور دينهم وأن يستمعوا قوله، وفي (النص الآخر) بيّن لجمع من الطالبيين أنّ ولده الرضا وكيله في حياته وهو وصيه الذي يقوم مقامه في إدارة شؤونه بعد موته، فكما هم الآن يقرّون للإمام الكاظم بأنه سيدهم وكبيرهم طلب منهم أن ينظروا لولده الرضا كذلك بعده!

ربما السبب في ذلك يعود إلى أنّ الكثير من أقرباء الأئمة (سواء بعض إخوتهم أو عمومتهم وأبنائهم) لا يطيقوا أو يدركوا أمر إمامتهم بالمعنى الذي يريده الله ويعتقد به خواص شيعتهم، لذلك فهم (الأئمة) يتركون من كان هذا حاله من أقربائهم إما مرجواً لأمر الله، أو يعطوه من الحق شيئاً يناسب حاله ويمكنه تقبّله واستيعابه كما فعل الإمام الكاظم عليه السلام مع أبنائه وجمع من الطالبيين.

الواقع أكد أنّ كثيراً من أقرباء الأئمة ابتلوا بمرض الحسد الذي كان يدعو بعضهم أحياناً إلى الوشاية بهم إلى الطغاة والتسبّب لهم بأذى كبير، أو منافستهم بادعاء الإمامة، أو التعرض لهم بقول أو فعل غير مهذب، أو سلب حقوقهم المالية، أو جرّهم إلى منازعات وحكومات يفصل فيها قضاة الجور بغرض إيذائهم وإحراجهم، ونحو ذلك من قضايا رأينا بعضاً منها في بحوث "يوم الحسين" التي تقدمت، لذلك تجنّب الأئمة التصريح لأقربائهم بنفس الطريقة التي صرّحوا بها لخواص شيعتهم، فإنّ الدين والعقل السوي – بلا شك – يقضيان بإعطاء كل مستحق بقدر استحقاقه والفيض على الإناء بقدر استيعابه، فهذا

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٩.

هو مقتضى الحكمة والعدل بكل تأكيد، خصوصاً وأنّ الوضع الأمني الذي أحاط بالأئمة عليهم السلام يقضي بضرورة الاقتصار (في مسألة التعريف بشخص الإمام) على موضع الحاجة الذي تقام به الحجة ويتحصل به الغرض لا أكثر، لذلك رأينا الإمام (كل إمام منهم) يسعى إلى بيان الحق وتحديد وصيّه والإمام الذي يليه بطريقة لا يعرّض فيها حياته للخطر ويمنح الطغاة فرصة تصفيته قبل إنجاز رسالته الإلهية.

نعم، من عرف منه الأئمة عليهم السلام (من أقربائهم) وسع الإناء وصار يعد من خواص شيعتهم – إضافة إلى قربه لهم نسباً – فقد خصّوه بالتعليم والتهذيب وحمّلوه أمانة حفظ وصاياهم الخاصة، كما حصل مع إسحاق ابن الإمام الصادق عليه السلام الذي لقّبه أبوه بـ"المؤتمن"، ويا له من لقب رفيع من إمام عظيم!

قال السيد أحمد الحسن: (لقب إسحاق بن جعفر "المؤتمن" لقّبه به الإمام الصادق، ثم عُرف به بين الناس. وعلة تسمية الإمام له بالمؤتمن؛ لأنه مؤتمن على وصية الإمام الصادق للإمام الكاظم، ثم إنه مؤتمن على وصية الامام الكاظم للإمام الرضا، وقد نصر أخاه و ابن أخيه وكان خير معين لهم) [١].

ولهذا وجدناه في روايتنا "محل البحث" أحد الشهود المدافعين بقوة عن ابن أخيه الرضا صلوات الله عليه.

٣- قول الإمام الكاظم عليه السلام: "وإني قد أوصيت إلى علي وبني بعد معه إن شاء ... ولا أمر لهم معه": واضح أنّ إدخال الإمام الكاظم بقية ولده في الوصية سببه يعود إلى حفظ حياة ولده علي الرضا من خلال التمويه على الطاغية العباسي الذي كان يتربّص لمعرفة خليفة الإمام الكاظم، تماماً كما فعل أبوه الإمام الصادق معه لما أوصى إلى خمسة جعله أحدهم [٢]، على أنّه ترك لولده الرضا الخيار في إبقائهم معه في الوصية أو إخراجهم عنها.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- روى الكليني بسنده: (عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلما سلمت عليه رمى بالكتاب إلي وهو يبكي، فقال لي:

ما ذكرناه أوضحه الإمام الكاظم عليه السلام لأبي عمارة "يزيد بن سليط"؛ أحد خواص شيعته:

(..... ثم قال: أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن، فأفردته وحده ...) والرواية طويلة سيأتي بحثها بالتفصيل.

- "ابني فلان": أي علي الرضا كما هو مصرّح به في نفس الرواية.
- "في الظاهر": أي الظاهر للناس من أجل إبعاد النظر عن ولده علي الرضا.

ثم حذّره الإمام من إذاعة ذلك أي التصريح بأنّ علياً الرضا هو الإمام بعد أبيه:

(قال يزيد: ثم قال أبو إبراهيم عليه السلام: يا يزيد إنها وديعة عندك فلا تخبر بها إلا عاقلاً أو عبداً تعرفه صادقاً، وإن سُئلت عن الشهادة فاشهد بها، وهو قول الله عزوجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" وقال لنا أيضاً: "ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله") [1].

"سُئلت عن الشهادة": أي الشهادة لولدي علي الرضا بأنه الوصي والإمام بعدي و أنك سمعت هذا مني!

تحذير الإمام الكاظم عليه السلام ليزيد بن سليط سببه الخشية على حياة الإمام الرضا عليه السلام كما هو واضح. كما أنّ المقطع المذكور من الرواية يكفي لتأكيد

هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثا - و أين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة واحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميدة.

... عن النضر بن سويد بنحو من هذا إلا أنه ذكر أنه أوصى إلى أبي جعفر المنصور وعبد الله وموسى ومحمد بن جعفر مولى لأبي عبد الله عليه السلام قال: فقال أبو جعفر: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل) الكافي: ١ / ٣١٠ – ٣١١.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣ – ٣١٦.

الحقيقة التي أشرنا لها من أنّ كلام الإمام الكاظم مع خواص شيعته ليس بنفس المستوى الذي كان يتكلم به مع أبنائه وعموم الطالبيين؛ للسبب المتقدم.

وإذا عرفنا هذا، نعرف أنّ وصية الإمام الكاظم لابنه الرضا بمحضر إخوته ليس بالضرورة أنهم فهموا منها أنّ أخاهم إمام معصوم مفترض الطاعة ... إلخ مما كان يعرفه خواص شيعته ويسألونه عنه، بل لعل من الخطأ توقع حصول هكذا اعتقاد لديهم، فضلاً عن توقع انسجام أفعالهم مع هذا الاعتقاد. نعم، يُنتظر منهم كحد أدنى أن يدركوا أنّ أخاهم الرضا هو ولي أمر عائلة أبيهم الإمام الكاظم، و أنه الكبير شأناً الذي يسد مسد أبيه، و أنه المقدم الذي يفترض أن يطاع ومن ينبغي استشارته وأن يكون حسم الأمور بيده فيما يتصل بأسرة الإمام بنحو عام بما في ذلك زوجاته وبناته ونحو ذلك من أمور كان بعض الآباء يسندوها لأحد أبنائهم عند وفاتهم ليكون قوله مقدماً على بقية أبنائهم.

ثم إنّ الإمام الكاظم عليه السلام لو كان يعلم بأنّ أبناءه عموماً يتعاملون مع أخيهم الرضا عليه السلام على أساس أنه إمام معصوم مفترض الطاعة لما احتاج إلى التفصيل فيما يخص التصرّف بصدقاته وسائر أمواله وبناته وزوجاته ... إلخ، ولاختصر وصيته لهم بالقول مثلاً: "هذا إمامكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا" و انتهى الأمر، ثم يكتفي بذكر وصاياه وكل ما يعنيه لولده الرضا وحسب!

٤- الرواية فيها تفاصيل دقيقة تخص صدقات الإمام وأمواله وبناته وزوجاته، وفيها منح ولده "الرضا" حقوقاً مالية وصلاحيات معينة محصورة به، ثم أكد أنّ أي أحد (سواء من ولده أو سلطان) لا يمكنه أن يمنع أو يحول بينه وبين ما خصّه به، وأنّ من يفعل ذلك فهو ملعون بلعن غليظ ومصحوب ببراءة من الله ورسوله وملائكته ... إلخ، فالأمر – بنظر الإمام الكاظم – مهم جداً كما هو واضح من كلامه، وكأنه عليه السلام يستشرف حدثاً مستقبلياً سيحصل فأراد قطع العذر والإنذار بهذه الشدة!

قال عليه السلام: "وأي سلطان أو أحد من الناس كفّه عن شئ أو حال بينه وبين شئ مما ذكرت في كتابي هذا أو أحد ممّن ذكرت، فهو من الله ومن رسوله برئ والله ورسوله منه براء وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والنبيين والمرسلين وجماعة المؤمنين وليس لأحد من السلاطين أن يكفه عن شيء ..."!

الحق، إنّ الإمام الكاظم لم يكن لديه مجرد استشراف للمستقبل بل كان يعلم بما سيحصل مع ابنه علي الرضا بعده، وأنه بمجرد موته سيشكوه إخوته إلى قضاة الجور ويجرّوه لمحاكمة يفصل فيها القاضي العباسي بالمدينة! لكن "اللعن" الموجود في الوصية كان سبباً في عدم إقدام القاضي على تنفيذ مراد إخوة الرضا والحكم لهم!

٥- لاحظنا أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان يختم فقرات وصيته بترك الخيار لولده الرضا عليه السلام بقوله: "إن شاء"، "فذاك له"، "إن رأى ذلك"، " إلا أن يرى علي غير ذلك" ونحو ذلك في أكثر من موضع، وواضح أنه جعل رأي ولده علي الرضا مقدماً!

ولعل السبب في ذلك أنّ الإمام الكاظم كان يعلم – بتعليم الله له – منزلة ومقام ولده الرضا عند الله، كيف! وهو الذي وصفه بعالم آل محمد وسمع كلمات أبيه الصادق عليه السلام لما وصفه بـ "غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفضلها وحكمتها" في الرواية التي رواها يزيد بن سليط عن الإمام الكاظم، وفيها أيضاً قصَّ الإمام عليه رؤياه برسول الله وأمير المؤمنين حيث عرّفاه بمنزلة ولده الرضا ووصفاه له بوصف عظيم [١].

٦- قول العباس ابن الإمام الكاظم للقاضي: "ولولا أني أكف نفسي لأخبرتك بشئ على رؤوس الملاء، ...":

يبدو أنّ العباس أراد أن يفشي للقاضي أمراً خطيراً استوجب تدخّل شخصين من أهل بيت الإمام الكاظم على الفور لاعتراضه وإسكاته، هما: إبراهيم بن محمد، وإسحاق المؤتمن ابن الإمام الصادق!

بعض الشرّاح أوضح أنّ المراد بـ "الشيء" الذي أراد البوح به هو: إما المال الكثير أو خلافة الرضا لأبيه؛ وهو الأمر الأشد خطورة كما لا يخفى [٢].

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣ – ٣١٦.

٢- قال المازندراني: (مراده بذلك الشيء إما المال الكثير أو خلافته وإمامته عليه السلام وغرضه من ذلك تخويفه عليه السلام وإغراء الأعداء به) شرح أصول الكافي: ٦ / ٢٠٠.

أقول: ربما الأمر الثاني أقرب؛ بسبب قوة تدخل عمّه إسحاق المؤتمن، إذ من الواضح أنه إنما سمي "المؤتمن" بسبب ائتمانه على وصية أبيه الصادق بأخيه الكاظم، وكذا ائتمنه الكاظم على وصيته بابنه الرضا؛ لهذا رأينا قوة تدخله الفوري لمنع ابن أخيه من الاسترسال في كلامه، وكان يهدف بذلك حفظ حياة ابن أخيه الرضا من أن يشتهر أمره بين الأعداء؛ لا سيما وقد قتلوا أباه قبل أيام!

و أيضاً: كان لإسحاق المؤتمن تدخل فوري وقوي كذلك في مسألة كلام أم أحمد (إحدى نساء بيت الإمام الكاظم)؛ إذ تم استدعائها للمحكمة لورود اسمها في وصية الإمام، واحتاج التحقيق في الشكوى إلى كشف وجهها، وقد آلمها ذلك، وفي لحظة انهيار منها تكلمت – بلا قصد طبعاً، وبدون حساب للعواقب – بأنّ سيدها الكاظم قد أخبرها بما يجري عليها وأنها ستحظر هذا المحضر! وهنا سارع إسحاق المؤتمن للتدخل المباشر والفوري أيضاً فزجرها وأسكتها و أنكر أن يكون قد صدر من أخيه الكاظم مثل هذا:

"فقالت عند ذلك: قد والله قال سيّدي هذا: إنّك ستؤخذين جبراً وتخرجين إلى المجالس، فزجرها إسحاق بن جعفر وقال: اسكتي فإنّ النساء إلى الضعف ما أظنّه قال من هذا شيئاً"!

قد يبدو تصرف إسحاق غريباً لمن لم يحط خبراً بأجواء وطبيعة مجلس المحكمة والحضور والحادثة عموماً، فالحادثة كانت بعد شهادة الكاظم عليه السلام وعيون هارون العباسي تترقب معرفة خليفته الذي يقصده الشيعة بعده! بطبيعة الحال، الطغاة وقضاتهم وعيونهم كانوا بصدد الاستفادة من أي معلومة توصلهم إلى خليفة الكاظم المنصوص عليه، وما ذكرته "أم أحمد" يمكن أن يفتح باب سواء للقاضي أو عيون السلطة عموماً بوجود شيء ما أخبر به الإمام الكاظم يتعلق بما يجري بعده، وقد يتسبب ذلك بأذى لولده المظلوم (الإمام الرضا عليه السلام) بطريقة أو بأخرى، لذلك تدخّل إسحاق المؤتمن فوراً وأسكتها، وكان هدفه بلا شك صرف انتباه القاضي وسائر الظلمة عن وجود وصية خاصة للإمام الكاظم تتعلق بوصيه وخليفته!

٧- واحدة من الأمور التي ساهمت ببقاء قلوب بعض إخوة الرضا موجورة عليه، هي: حصول أمر بخلاف توقعهم، فمعلوم أنّ ولادة ابنه محمد الجواد تأخرت إلى سنة ١٩٥ هـ

أي قبل شهادة أبيه بسبع سنين وكان عمر الإمام الرضا ٤٨ سنة، وهم (إخوة الإمام) كانوا يتوقعون أنّ الإمام الرضا يموت بلا عقب وبالتالي يتسنى لهم أن يرثوه، فلما ولد ابنه الجواد ضاقت صدورهم، حتى إنّ بعضهم طعن في بنوّته له وألزم الإمام بالاحتكام إلى القافة كما سيتضح!

وعموماً، هذا نص يوضح حواراً جرى بين الإمام الكاظم وصاحبه يزيد بن سليط في موضع بين مكة والمدينة؛ سلّط فيه الإمام الضوء على ولده الرضا ومنزلته وطلب منه أن يشهد لإمامته إن دعي للشهادة، ثم ذكر له أنه سيلقاه من بعده في نفس هذا الموضع وطلب منه أن يبشّره بأنه سيولد له غلام:

يقول يزيد بن سليط: (ثم قال لي: يا يزيد وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام، أمين، مأمون، مبارك وسيعلمك أنك قد لقيتني فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أم إبراهيم، فان قدرت أن تبلغها مني السلام فافعل، قال يزيد: فلقيت بعد مضي أبي إبراهيم عليه السلام علياً عليه السلام فبدأني، فقال لي: يا يزيد ما تقول في العمرة؟ فقلت: بأبي أنت وأمي ذلك إليك وما عندي نفقة، فقال: سبحان الله ما كنا نكلفك ولا نكفيك، فخرجنا حتى انتهينا إلى ذلك الموضع فابدأني فقال: يا يزيد إنّ هذا الموضع كثيراً ما لقيت فيه جيرتك وعمومتك، قلت: نعم ثم قصصت عليه الخبر، فقال لي: أما الجارية فلم تجئ بعد، فإذا جاءت بلغتها منه السلام، فانطلقنا إلى مكة فاشتراها في تلك السنة، فلم تلبث إلا قليلاً حتى حملت فولدت ذلك الغلام، قال يزيد: وكان إخوة علي يرجون أن يرثوه فعادوني إخوته من غير ذنب، فقال لهم إسحاق بن جعفر: والله لقد رأيته وإنه ليقعد من أبي إبراهيم بالمجلس الذي لا أجلس فيه أنا) [1].

"وكان إخوة علي يرجون أن يرثوه فعادوني": واضح أنّ سبب عدائهم ليزيد بن سليط هو تدخله بشراء الجارية التي تزوجها الإمام الرضا عليه السلام وأنجب منها ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣ – ٣١٦.

"و أنه ليقعد من أبي إبراهيم ...": يشير إسحاق المؤتمن بذلك إلى قرب يزيد بن سليط من أخيه الإمام الكاظم عليه السلام وشدة اختصاصه به.

ومهما يكن، فما لاقاه الإمام الرضا عليه السلام من بعض إخوته لم يقتصر على الحادثة التي أشارت لها الرواية المتقدمة وحسب، و إنما استمر بعضهم يؤذيه بطرق شتّى؛ منها: اشتراكهم بثورات وقيامهم بأفعال لم يأذن بها الإمام وقد تسبّبت له بأذى كبير. علماً، أنّ أذى بعض أقرباء الإمام له لم يقتصر على إخوته بل طاله من أذى بعض عمومته و أبنائهم نصيب و افر أيضاً، وسيتضح في البحوث القادمة.

نعود الآن إلى مصيبة الاحتكام إلى القافة.

الاحتكام إلى القافة لإلحاق ابنه محمد الجواد به!

يقال: إنّ مصائب الدنيا لا تأتي فرادى!

هذا هو نصيب ولي الله وحبيبه علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه في هذا الدنيا الدنيّة، وإلا بماذا يمكننا أن نصف حاله وهو يسمع الكثير من أقربائه (إخوته، أخواته، عمومته ... إلخ) وهم يشكّكون ببنوّة ولده محمد الجواد له بحجة لون بشرته؛ إذ كان أشد سمرة من أبيه ومن آبائه السابقين عليهم السلام!

فيسمع الإمام الرضا بكلامهم وتشكيكهم، ويخبرهم بأنه ولده! لكنهم لم يقتنعوا بكلامه، ثم أخيراً أصرّوا على الاحتكام إلى "القافة" [1]!

إلحاق النسب بقول القافة طريق ظني وغير معتمد شرعاً، لذلك لم يقبل به الإمام الرضا عليه السلام، إلا أنه لم يكن بيده حيلة لمنعهم عن الإقدام على هذا الفعل غير أنه

١- القافة: هم مجموعة من العرّافين الذي يلحقون الأشياء بأصولها ومنها الأنساب عن طريق بعض الآثار والعلامات.

طلب منهم أنهم إن كان ولابد من أن يأتوا بالقافة فلا يعلموهم ويخبروهم بالسبب الذي دعوهم لأجله!

والحمد لله الذي أخزى إبليس وأخمد نائرته بعد أن حكم القافة ببنوّة الجواد لأبيه الرضا عن طريق القدمين، فالتقط الإمام الرضا أنفاسه وبكى ممّا رآه وحلّ به، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(عن زكريا بن يحيى بن النعمان الصيرفي قال: سمعت علي بن جعفر يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين فقال: والله لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام، فقال له الحسن: إي والله جعلت فداك لقد بغى عليه إخوته، فقال علي بن جعفر: إي والله ونحن عمومته بغينا عليه، فقال له الحسن: جعلت فداك كيف صنعتم فإني لم أحضركم؟ قال: قال له إخوته ونحن أيضاً: ما كان فينا إمام قط حائل اللون [١]! فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني، قالوا: فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة فبيننا وبينك القافة، قال: ابعثوا أنتم إليهم فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاؤوا (أي القافة) أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبّة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة [٢] وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاؤوا [٣] بأبي جعفر عليه السلام فقالوا (للقافة): ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا (القافة): ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه، وهذا عم أبيه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإنّ قدميه وقدميه واحدة فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه.

١- قال المازندراني: (قوله "حائل اللون": كل حائل متغيّر سمّي به لأنه يحوّل من حال إلى حال والمقصود أن لونه ليس مثل لونك ولون آبائك الطاهرين، لأن لونه عليه السلام كان أسمر، وكان غرضهم من ذلك سلب نسبه عليه السلام لسلب إمامته طمعاً فيها نعوذ بالله من ذلك) شرح أصول الكافي: ٦ / ٢١١.

٢- آلة من الحديد تستعمل لحرث الأرض.

٣- أي: عمومة الإمام الرضا وإخوته.

قال علي بن جعفر: فقمت فمصصت ريق أبي جعفر عليه السلام ثم قلت له: أشهد أنك إمامي عند الله، فبكى الرضا عليه السلام، ثم قال: يا عم! ألم تسمع أبي وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بأبي ابن خيرة الإماء ابن النوبية الطيبة الفم، المنتجبة الرحم، ويلهم لعن الله الأعيبس وذريته، صاحب الفتنة، ويقتلهم سنين وشهوراً و أياماً يسومهم خسفاً ويسقيهم كأساً مصبرة، وهو الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة، يقال: مات أو هلك، أي واد سلك؟! أفيكون هذا يا عم إلا مني، فقلت: صدقت جعلت فداك) [١].

"ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم":

ربما يكون المعنى: أنّ الإمام الرضا عليه السلام لما كان يرجو هداية أهل بيته، فإنه اختار لهم طريقة تكون أيسر لهم في القبول، فطلب منهم أن لا يعلموا القافة بسبب استدعائهم ليكون كلامهم أبعد عن التهمة بالانحياز للرضا مثلاً إذا ما كانوا يعلمون بسبب استدعائهم. و أيضاً: طلب منهم أن يأتوا بالقافة إلى بيوتهم ثم يخرجوا معهم إلى موضع التحكيم وهو البستان بدون أن يلتقوا بأحد من أهل المدينة ويعلموا منه بأنّ والد محمد الجواد هو علي الرضا، وبالتالي لا مجال لبقاء أي شبهة في نفس واحد منهم بعد حكم القافة الحيادي والموضوعي بحسب الفرض.

"قالوا: هذا أبوه": لعل القافة اطمأنوا أكثر من خلال رؤيتهم أثر قدمي الإمام الرضا التي تركها أثناء سيره في البستان.

حادثة القافة كانت في أواخر حياة الإمام الرضا عليه السلام؛ باعتبار أنّ ولادة ولده الجواد عليه السلام كانت في عام ١٩٥ هـ، أي قبل شهادة أبيه بسبع سنين فقط، وحادثة القافة هذه حصلت والإمام الجواد غلام، وهي بلا شك قبل سفر الإمام الرضا إلى خراسان في سنة ٢٠٠ هـ، وهذا يعني أنّ الإمام الرضا لم يتبقَ من عمره الشريف غير ثلاث سنين فقط قضاهما بخراسان كولي عهد للمأمون العباسي بين عامي: (٢٠١ – ٢٠٣ هـ).

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٢ – ٣٢٣.

فتحصل مما تقدم:

أننا عرضنا فتنة الواقفة الأليمة وما رافقها من أحداث وجهود مضنية بذلها الإمام الرضا لاستنقاذ دين الله وبناء الأمة المؤمنة من جديد، رافق ذلك أذى بعض أقربائه له من خلال محاكمتين واجهوه بها، واحدة عند القاضي العباسي في مطلع إمامته في سنة ١٨٣ هـ، وأخرى عند القافة قبل عام ٢٠٠ هـ بقليل، وما بين المحاكمتين غصص ومرار وألم، وما بعدهما أيضاً غصص ومرار وألم حيث إنّ فترة ولاية العهد شهدت عدة ثورات للعلويين ومن أيّدهم كثورة أبي السرايا وقد اشترك فيها بعض إخوة الإمام وأبناء عمومته، وبعض الثورات قادها بعض عمومته، ولم تكن ثوراتهم ولا مشاركتهم بإذن الإمام ولا بموافقته مما تسبّب له بأذى وإحراج كبير كما سيتضح لاحقاً.

رسالة الإمام الرضا (ع):

إمامة الإمام الرضا عليه السلام دامت ٢٠ عاماً تقريباً (١٨٣ – ٢٠٣ هـ)، وكانت إجمالاً مقطعين:

- الفترة بين عامي: (١٨٣ – ٢٠٠ هـ)، قضاها في المدينة.
- الفترة بين عامي: (٢٠٠ – ٢٠٣ هـ)، قضاها في خراسان.

والأعمال التي قام بها ضمن مسعاه لإنجاز رسالته الإلهية؛ بعضها كان أيام تواجده بالمدينة كمواجهته لفتنة الواقفة، وبعض الأعمال قام بها أيام تواجده بخراسان، كبعض المناظرات التي خاضها مع كبار أهل الأديان، وبعض الأعمال شملت المقطعين كبيان الحق ودين الله عموماً (عقيدة، شريعة، أخلاق ... إلخ).

وأيّاً يكن الأمر، فنحن الآن نستهدف بيان أهم ما ميز رسالة الإمام الرضا وبعض منجزاته بشكل عام بصرف النظر عن الفترة الزمنية ومحل إقامته صلوات الله عليه، ونفتتح رسالته بذكر حزنه على جده الحسين صلوات الله عليه.

حزن الرضا (ع) العميق على جده الحسين (ع):

"يوم الحسين": أقرح جفن الإمام الرضا وأسبل دمعه، هكذا كان يقول:

(عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام.

ثم قال عليه السلام: كان أبي صلوات الله عليه إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك

اليـوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه) [١].

ما جرى على الإمام الحسين صلوات الله عليه في كربلاء آلم قلب الإمام الرضا عليه السلام كثيراً، وقد بثَّ للريان بن شبيب (أحد أصحابه) بعض ذلك الألم:

(عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا بن شبيب، أصائم أنت؟ فقلت: لا. فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربه عزوجل، فقال: "رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء" فاستجاب به، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب: "أن الله يبشرك بيحيى" فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عزوجل استجاب الله له، كما استجاب لزكريا عليه السلام.

ثم قال: يا بن شبيب، إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، و انتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشئ، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلا ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم: يا لثارات الحسين.

يا بن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده عليه السلام: أنه لما قتل جدي الحسين صلوات الله عليه، مطرت السماء دماً وترا باً أحمر.

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٠ – ١٩١.

يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين عليه السلام حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب، إن سرَّك أن تلقى الله عزوجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب، إن سرَّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي وآله صلوات الله عليهم، فالعن قتلة الحسين.

يا بن شبيب، إن سرَّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا بن شبيب، إن سرَّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا و افرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة) [١].

بنظر الإمام الرضا عليه السلام، فإنّ أحياء ذكر الحسين صلوات الله عليه أمر مهم في دين الله، وسبب لأحياء القلوب:

(عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام: من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى و أبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) [٢].

أيضاً: حثّ على ترك السعي لأداء الحو ائج يوم عاشوراء؛ لأنه يوم مصيبة وحزن على الحسين صلوات الله عليه:

(عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: من ترك السعي في حو ائجه يوم عاشورا قضى الله له حو ائج

١- الأمالي، الصدوق: ١٩٢ – ١٩٣.

٢- الأمالي، الصدوق: ١٣١.

الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشورا يوم مصيبة وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرت بنا في الجنان عينه، ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار) [١].

في أيام المحرم، يبدو أثر الحزن والكآبة على الإمام الرضا صلوات الله عليه، وفي إحدى السنين وفد عليه دعبل الخزاعي فطلب منه أن ينشده شعراً في جده الحسين وعمد إلى أهل بيته فضرب لهم ستراً ليستمعوا رثاء دعبل للحسين صلوات الله عليه ويبكوا على مصيبته:

يقول دعبل الخزاعي: (دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليهما السلام، في مثل هذه الأيام فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله، فلما رآني مقبلاً قال: مرحباً بك يا دعبل، مرحبا بناصرنا بيده ولسانه. ثم إنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً، فإنّ هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، و أيام سرور كانت على أعدائنا خصوصا بني أمية، يا دعبل من بكى أو أبكى على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البتة.

ثم إنه عليه السلام نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، واجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام، ثم التفت وقال: يا دعبل إرثِ الحسين عليه السلام، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً، فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت. قال دعبل: فاستعبرت وسالت عبرتي، و أنشأت أقول ... الأبيات) [٢].

١- الأمالي، الصدوق: ١٩١.

٢- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٠ / ٣٨٦.

ومما أنشده [١]:

أفاطم لو خلتِ الحسين مجدّلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فراتِ
إذاً للطمت الخدَّ فاطم عنده ... وأجريتِ دمعَ العين في الوجناتِ
أفاطم قومي يا ابنة الخير و اندبي ... نجومَ سماوات بأرض فلاةِ
قبورٌ بكوفان وأخرى بطيبةٍ ... وأخرى بفخٍّ نالها صلواتي
قبور ببطن النهر من جنب كربلا ... معرَّسهم [٤] فيها بشط فراتِ
تو افوا عطاشا بالعراء فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي
إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم ... سقتني بكأس الثكل والفضعاتِ
إذا فخروا يوماً أتوا بمحمد ... وجبريل والقرآن والسوراتِ
وعدّوا علياً ذا المناقب والعلا ... وفاطمة الزهراء خير بناتِ
وحمزة والعباس ذا الدين والتقى ... وجعفرها الطيار في الحجباتِ
أولئك مشؤومون هنداً وحربها ... سمية من نوكى [٥] ومن قذراتِ
همُ منعوا الآباء من أخذ حقهم ... وهم تركوا الأبناء رهن شتاتِ
سأبكيهمُ ما حجَّ لله راكبٌ ... وما ناح قمريٌّ على الشجراتِ
فيا عين أبكيهم وجُودي بعبرةٍ ... فقد آن للتسكاب والهملاتِ
بناتُ زيادٍ في القصور مصونةٌ ... وآلُ رسول الله منهتكاتِ
وآلُ زيادٍ في الحصون منيعةٌ ... وآلُ رسول الله في الفلواتِ
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً [٢] ... وآلُ زيادٍ تسكن الحجراتِ
وآلُ رسولِ الله نحفٌ جسومهم ... وآلُ زيادٍ غلّظ القصراتِ [٦]
وآلُ رسولِ الله تُدمى نحورهم ... وآلُ زيادٍ ربّة الحجلات
وآلُ رسولِ الله تُسبى حريمهم ... وآلُ زيادٍ آمنوا السرباتِ

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٥ / ٢٥٧ – ٢٥٨.

٢- البلقع: الخالي من كل شيء.

٤- المعرّس: الماكن الذي ينزله المسافر آخر الليل.

٥- النوك: الحمق.

٦- القصرة: أسفل العنق.

إذا وتروا [١] مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً من الأوتار منقبضاتِ
سأبكيهمُ ما ذرَّ في الأرض شارقٌ ونادى منادي الخير للصلواتِ
وما طلعت شمس وحان غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ

طبيعة رسالة الإمام الرضا (ع):

من طالع سيرة الإمام الرضا صلوات الله عليه يلاحظ أنّ القوة والوفرة العلمية أمر تتسم به رسالته وشخصيته الفذة. لكن قبل بيانها نجيب السؤال التالي:

متى شرع الإمام الرضا برسالته؟

تقدم أنّ المعطيات المتوفرة على أرض الواقع تفرض أن ينتظر الإمام الرضا موت هارون العباسي ثم يشرع في تبليغ رسالته، وهذا ما ذكره الإمام الكاظم عليه السلام لأحد أصحابه (يزيد بن سليط):

(عن يزيد بن سليط قال: لقيت أبا إبراهيم عليه السلام - ونحن نريد العمرة - في بعض الطريق، فقلت: جعلت فداك هل تثبت هذا الموضع الذي نحن فيه؟ قال: نعم فهل تثبته أنت؟ قلت: نعم إني أنا وأبي لقيناك ههنا وأنت مع أبي عبد الله عليه السلام ومعه إخوتك، فقال له أبي: بأبي أنت وأمي أنتم كلكم أئمة مطهرون، والموت لا يعرى منه أحد، فأحدث إليّ شيئاً أحدث به من يخلفني من بعدي فلا يضل، قال: نعم يا أبا عبد الله هؤلاء ولدي وهذا سيدهم - وأشار إليك - وقد علم الحكم والفهم والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس، وما اختلفوا فيه من أمر دينهم ودنياهم وفيه حسن الخلق وحسن الجواب وهو باب من أبواب الله عزوجل وفيه أخرى خير من هذا كله. فقال له أبي: وما هي؟ - بأبي أنت وأمي - قال عليه السلام: يخرج الله عزوجل منه غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفضلها وحكمتها، خير مولد وخير ناشئ، يحقن الله عزوجل به الدماء، ويصلح به ذات البين، ويلم به الشعث، ويشعب به الصدع، ويكسو به العاري، ويشبع به الجائع، ويؤمن

١- وتروا: أي ظُلموا وأُذوا.

به الخائف، وينزل الله به القطر، ويرحم به العباد، خير كهل وخير ناشئ قوله حكم وصمته علم، يبين للناس ما يختلفون فيه، ويسود عشيرته من قبل أوان حلمه، فقال له أبي: بأبي أنت وأمي وهل ولد؟ قال: نعم ومرت به سنون، قال يزيد: فجاءنا من لم نستطع معه كلاماً.

قال يزيد: فقلت لأبي إبراهيم عليه السلام: فأخبرني أنت بمثل ما أخبرني به أبوك عليه السلام، فقال لي: نعم إن أبي عليه السلام كان في زمان ليس هذا زمانه، فقلت له: فمن يرضى منك بهذا فعليه لعنة الله، قال: فضحك أبو إبراهيم ضحكاً شديداً، ثم قال: أخبرك يا أبا عمارة أني خرجت من منزلي فأوصيت إلى ابني فلان، وأشركت معه بني في الظاهر، وأوصيته في الباطن، فأفردته وحده ولو كان الامر إلي لجعلته في القاسم ابني، لحبي إياه ور أفتي عليه ولكن ذلك إلى الله عزوجل، يجعله حيث يشاء، ولقد جاءني بخبره رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمن أرانيه وأراني من يكون معه وكذلك لا يوصي إلى أحد منا حتى يأتي بخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وجدي علي صلوات الله عليه ورأيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله خاتما وسيفا وعصا وكتابا وعمامة، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال لي: أما العمامة فسلطان الله عز وجل، وأما السيف فعز الله تبارك وتعالى، وأما الكتاب فنور الله تبارك وتعالى، وأما العصا فقوة الله، وأما الخاتم فجامع هذه الأمور، ثم قال لي: والامر قد خرج منك إلى غيرك، فقلت: يا رسول الله أرنيه أيهم هو؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما رأيت من الأئمة أحدا أجزع على فراق هذا الامر منك ولو كانت الإمامة بالمحبة لكان إسماعيل أحب إلى أبيك منك ولكن ذلك من الله عزوجل.

ثم قال أبو إبراهيم: ورأيت ولدي جميعا الاحياء منهم والأموات، فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام: هذا سيدهم وأشار إلى ابني علي فهو مني و أنا منه والله مع المحسنين، قال يزيد: ثم قال أبو إبراهيم عليه السلام: يا يزيد إنها وديعة عندك قال تخبر بها إلا عاقلا أو عبدا تعرفه صادقا وإن سئلت عن الشهادة فاشهد بها، وهو قول الله عزوجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" وقال لنا أيضا: "ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله".

قال: فقال أبو إبراهيم عليه السلام، فأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: قد جمعتهم لي - بأبي وأمي - فأيهم هو؟ فقال: هو الذي ينظر بنور الله عزوجل ويسمع بفهمه وينطق بحكمته يصيب فلا يخطئ، ويعلم فلا يجهل، معلما حكما وعلما، هو هذا -

وأخذ بيد علي ابني - ثم قال: ما أقل مقامك معه، فإذا رجعت من سفرك فأوص وأصلح أمرك و افرغ مما أردت، فإنك منتقل عنهم ومجاور غيرهم، فإذا أردت فادع عليا فليغسلك وليكفنك، فإنه طهر لك، ولا يستقيم إلا ذلك وذلك سنة قد مضت، فاضطجع بين يديه وصف إخوته خلفه وعمومته، ومره فليكبر عليك تسعا، فإنه قد استقامت وصيته ووليك و أنت حي، ثم أجمع له ولدك من بعدهم، فأشهد عليهم وأشهد الله عز وجل وكفى بالله شهيدا، قال يزيد: ثم قال لي أبو إبراهيم عليه السلام: إني أؤخذ في هذه السنة والامر هو إلى ابني علي، سمي علي وعلي: فأما علي الأول فعلي بن أبي طالب، وأما الآخر فعلي بن الحسين عليهما السلام، أعطي فهم الأول وحلمه ونصره ووده ودينه ومحنته، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره وليس له أن يتكلم إلا بعد موت هارون بأربع سنين.

ثم قال لي: يا يزيد وإذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام، أمين، مأمون، مبارك وسيعلمك أنك قد لقيتني فأخبره عند ذلك أن الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل بيت مارية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله أم إبراهيم، فان قدرت أن تبلغها مني السلام فافعل، قال يزيد: فلقيت بعد مضي أبي إبراهيم عليه السلام علياً عليه السلام فبدأني، فقال لي: يا يزيد ما تقول في العمرة؟ فقلت: بأبي أنت وأمي ذلك إليك وما عندي نفقة، فقال: سبحان الله ما كنا نكلفك ولا نكفيك، فخرجنا حتى انتهينا إلى ذلك الموضع فابدأني فقال: يا يزيد إن هذا الموضع كثيراً ما لقيت فيه جيرتك وعمومتك، قلت. نعم ثم قصصت عليه الخبر فقال لي: أما الجارية فلم تجئ بعد، فإذا جاءت بلغتها منه السلام، فانطلقنا إلى مكة فاشتراها في تلك السنة، فلم تلبث إلا قليلاً حتى حملت فولدت ذلك الغلام، قال يزيد: وكان إخوة علي يرجون أن يرثوه فعادوني إخوته من غير ذنب، فقال لهم إسحاق بن جعفر: والله لقد رأيته و إنه ليقعد من أبي إبراهيم بالمجلس الذي لا أجلس فيه أنا) [1].

مسألة كلام الإمام الرضا وتصدّيه بعد موت هارون بأربع سنين (كما حددها الإمام الكاظم) لا تمنع من مباشرته ببعض الأمور التي تتعلق بنصرة دين الله بالحدود المتاحة التي تحفظ حياته؛ خصوصاً بعد أن ضربت فتنة الواقفة عموم الأمة المؤمنة. لكن

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣١٣ – ٣١٦.

السؤال: لماذا "أربع سنين" بالذات، فإذا كانت المسألة تتعلق بتحاشي طغيان هارون العباسي فقط يمكن أن تكون الغاية "موت هارون" وليس مضي أربع سنين بعد موته!

الحقيقة، التحديد بأربع سنين له علاقة برسالة الله وديمومة خلافة الله في أرضه، فالإمام الرضا عليه السلام إلى حين موت هارون لم يكن ابنه محمد الجواد قد ولد، فأراد الإمام الكاظم بكلامه تأخير تصدّي الإمام الرضا إلى حين ولادة وصيه وفطامه (استقلاله بنفسه بحدود)، ومسألة مضي فترة الفطام مهمة للاطمئنان على حياة المولود في مثل البيئة المتوفرة في ذلك الزمن، ومعلوم أنّ ولادة الجواد كانت في عام ١٩٥ هـ أي بعد موت هارون بسنتين، وإذا أضفنا لها مدة الفطام (سنتين) يكون تصدي الإمام الرضا بعد مضي أربع سنين من موت هارون.

يقول السيد أحمد الحسن: (التحديد بأربع سنين سببه الرسالة، وأهم شيء بالرسالة هو تسليم الإمام الرضا الأمانة لمن بعده "الإمام الجواد"[١]، فالإمام الكاظم ذكر أربع سنين؛ لأنه كان ينظر إلى ولادة الإمام الجواد التي ستكون بعد موت هارون بسنتين، يضاف لها سنتان مدة فطامه واستقلاله بنفسه بحدود معينة، فيكون المجموع أربع سنين، وبعد وجود الحجة الذي يخلف الإمام الرضا في الإمامة يكون التصدي أمر ممكن مهما كانت العواقب).

وأضاف: (السبب الأساسي لحفظ الإمام الرضا نفسه هو أن يبلغ رسالته، والجزء الأهم من رسالته هو تسليم خلافة الله في أرضه لمن بعده، وبما أنّ الإمام محمد بن علي

١- روى الكليني بسنده: (عن أحمد بن عمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" قال: هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله أن يؤدي الامام الأمانة إلى من بعده ولا يخص بها غيره ولا يزويها عنه.

... عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" قال: هم الأئمة يؤدي الامام إلى الامام من بعده، ولا يخص بها غيره ولا يزويها عنه.

... عن المعلى بن خنيس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" قال: أمر الله الامام الأول أن يدفع إلى الامام الذي بعده كل شئ عنده) الكافي: ١ / ٢٧٦ – ٢٧٧.

الجواد لم يكن قد ولد بعد فحفظ الإمام الرضا نفسه في ظرف متطرف مهم وضروري وواجب على الأقل حتى تتغير الظروف المحيطة به ويأمن على حياته بقدرٍ ما.

لكن الأحداث، ومنها ردة فقهاء الشيعة المعروفة بفتنة الواقفة، أجبرت الإمام علي بن موسى الرضا على التصدي والكلام بقدر الممكن مع أخذ الحيطة والحذر حتى لا يصل للسلطة الحاكمة ما يجعل هارون يغتاله كما فعل مع الإمام موسى صلوات الله عليه.

وما ورد في "عيون أخبار الرضا" يبين لك كيف أنّ الإمام علي بن موسى كان يتصرّف بعض الأحيان بطريقة يتقصّد بها إبعاد اهتمام السلطة عنه قدر المستطاع:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْمُتَوَكِّلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ دَاوُدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّهْدِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الطَّيِّبِ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام دَخَلَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام السُّوقَ فَاشْتَرَى كَلْباً وَ كَبْشاً وَ دِيكاً فَلَمَّا كَتَبَ صَاحِبُ الْخَبَرِ إِلَى هَارُونَ بِذَلِكَ قَالَ قَدْ أَمِنَّا جَانِبَهُ وَ كَتَبَ الزُّبَيْرِيُّ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام قَدْ فَتَحَ بَابَهُ وَ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ هَارُونُ وَا عَجَبَا مِنْ هَذَا يَكْتُبُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عليه السلام قَدِ اشْتَرَى كَلْباً وَ كَبْشاً وَ دِيكاً وَ يَكْتُبُ فِيهِ بِمَا يَكْتُبُ"، هذا في العيون: ج٢ ص٢٠٥) انتهى [1].

وهذا يعني أنّ الإمام الرضا عليه السلام بدأ بالتحرك وتبليغ رسالته بحدود معينة قبل موت هارون، لكنه تصدّى للإمامة بشكل واضح بعد موت هارون بأربع سنين كما ذكر الإمام الكاظم عليه السلام بعد أن ولد ابنه محمد الجواد وفُطم أي اطمئن على حياته وخلافته له.

وعموماً، نحن نجمل رسالة الإمام الرضا الإلهية بالمحطات التالية:

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

بيان الدين الحق:

دين الله منظومة متكاملة تتألف من ثلاث ركائز أساسية هي: العقيدة، الشريعة، الأخلاق. والإمام الرضا صلوات الله عليه غطّى هذه الركائز الثلاث بشكل كبير جداً، وهذا أمر يلاحظه كل من تتبع روايات وبيانات الإمام الرضا المبثوثة في كتب الحديث والتاريخ والسير، وهي كثيرة جداً.

١- على مستوى الاعتقاد بيّن صلوات الله عليه توحيد الله الخالص وحدَّ حدود المعرفة الحقة والأسماء والصفات التي تليق به سبحانه، ونزّهه عن التشبيه والرؤية والجسم والصورة والحركة والمكان ونحو ذلك [١]. كما نزّهه عن الصفات التي لا تليق به سبحانه مما يوهمه بعض ظاهر الآيات من قبيل: "الاستهزاء، السخرية، المكر، النسيان، الخديعة" [٢]، وبيّن المقصود بها، علماً أنّ الوهابيين فهموها على ظاهرها ونسبوا لله هذه الأمور على نحو الحقيقة؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً!

١- وكمثال: (عن محمد بن زيد قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى عليّ: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداعا بقدرته وحكمته، لا من شئ فيبطل الاختراع ولا لعلة فلا يصح الابتداع، خلق ما شاء كيف شاء، متوحدا بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته، لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الابصار ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار وضل فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم، لا إله إلا الله الكبير المتعال) الكافي، الكليني: ١ / ١٠٥. و أيضاً: بيّن توحيد الله وصفاته وأسمائه لبعض أصحابه برواية طويلة تبدأ بقوله: "اعلم علّمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته التي دلت العاقل على أنه لا شئ قبله ولا شئ معه في ديموميته ....." وتنتهي بقوله: "وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نستجمعها كلها فقد يكتفي الاعتبار بما ألقينا إليك والله عونك وعوننا في إرشادنا وتوفيقنا"، انظر: الكافي، الكليني: ١ / ١٢٠ – ١٢٣.

٢- قال تعالى: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" البقرة: ١٥، "سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" التوبة: ٧٩، "وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" آل عمران: ٥٤، "نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ" التوبة: ٦٧، "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ" النساء: ١٤٢. وهذا بيان الإمام الرضا عليه السلام للآيات:

- (علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى عليهما السلام، قال: سألته عن قول الله عز وجل "سخر الله منهم" وعن قول الله عز وجل: "الله يستهزئ بهم" وعن قوله: "ومكروا ومكر الله" وعن قوله: "يخادعون الله وهو خادعهم" فقال: إن الله تبارك وتعالى لا يسخر ولا يستهزئ ولا يمكر ولا يخادع ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء، وجزاء المكر والخديعة، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) التوحيد، الصدوق: ١٦٣.

كذا أوضح الحق في مسألة الجبر والتفويض [١]، وحذّر أصحابه من أن يقولوا بقول القدرية [٢].

٢- بيّن الإمام الرضا ما يتعلق بالأنبياء والرسل، و أثبت عصمتهم ووجوب معرفتهم، كما دافع عن رسالات الله ونزّه الأنبياء مما نسبه لهم بعض المتوهمين من سيئات وأمور منكرة بسبب سوء الفهم أو النقل المكذوب، وعلى سبيل المثال أجوبته للمأمون العباسي المتعلقة بهذا الصدد وسيأتي الإشارة لها. و أيضاً: صحح الكثير من الاعتقادات الباطلة التي تخص الرسل، مثل مسألة عدم السهو مطلقاً [٣].

- (عن عبد العزيز بن مسلم، قال: سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام عن قول الله عزوجل: "نسوا الله فنسيهم" فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، و إنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه عزوجل يقول: "وما كان ربك نسيا" و إنما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال عزوجل: "ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسيهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون" وقوله عزوجل "فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا" أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا) التوحيد، الصدوق: ١٦٠.

١- روى الصدوق بسنده: (عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: ذكر عنده الجبر والتفويض، فقال: ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحدا إلا كسرتموه، قلنا: إن رأيت ذلك، فقال: إن الله عزوجل لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادا ولا منها مانعا وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام: من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه) التوحيد: ٣٦١.

٢- روى الكليني بسنده: (عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين. وقال إبليس: رب بما أغويتني، فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى، فقال: يا يونس ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، يا يونس تعلم ما المشيئة؟ قلت: لا، قال: هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟ قلت: لا، قال: هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟ قلت: لا، قال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، قال: ثم قال: والقضاء هو الابرام و إقامة العين، قال: فاستأذنته أن أُقبّل رأسه وقلت: فتحت لي شيئا كنت عنه في غفلة) الكافي: ١ / ١٥٧ – ١٥٨.

٣- (عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله إن في سواد الكوفة قوما يزعمون أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله أن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢١٩.

٣- بخصوص الإمامة الإلهية التي خصَّ الله بها محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، كان للإمام الرضا عليه السلام بيانات واضحة وشافية وأنها في آل محمد خاصة، ولو كان فقط الغرة التي أتحف بها عبد العزيز (أحد أصحابه) لكفى [١]!

١- روى الكليني بسنده: (عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسّم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا ، فقال عز وجل: "ما فرطنا في الكتاب من شئ" و أنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: "اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا" وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، و أقام لهم عليا عليه السلام علما وإمام وما ترك [لهم] شيئا يحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عزوجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم، إن الإمامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلا مكانا وأمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: "إني جاعلك للناس إماما" فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: "ومن ذريتي" قال الله تبارك وتعالى: "لا ينال عهدي الظالمين". فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين". فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله، فقال جل وتعالى: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين" فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمان، بقوله تعالى: "قال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث" فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال!

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفئ والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف. الامام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والابصار.

الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الامام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الامام النار على اليفاع (الأرض

المرتفعة)، الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغديروالروضة. الامام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد (العظمى)، الامام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله.

الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب.

فمن ذا الذي يبلغ معرفة الامام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم (العقول)، وحارت الألباب، وخسئت العيون وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، و أقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف و أنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ و أين العقول عن هذا؟ و أين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقا صعبا دحضا، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الامام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعدا، [قاتلهم الله أنى يؤفكون] ولقد راموا صعبا، وقالوا إفكا وضلوا ضلالا بعيدا، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الامام عن بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون" وقال عز وجل: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم" الآية وقال: "ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون * سلهم أيهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين" وقال عز وجل: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" أم " طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون" أم "قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون" أم " قالوا سمعنا وعصينا" بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فكيف لهم باختيار الامام؟! والامام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله والرضا من الله عز وجل، شرف الاشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله.

إنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى : " أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون" وقوله تبارك وتعالى: "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" وقوله في طالوت: "إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم" وقال لنبيه صلى الله عليه وآله:

أيضاً: أجاب على شبهات تخص آبائه الطاهرين، مثل: مسألة عدم أخذ الإمام علي عليه السلام حقه لمدة ٢٥ سنة، فكان جوابه يرتكز على تشبيه حال أمير المؤمنين برسول الله في تركه جهاد مشركي قريش لقلة الناصر، وهو نفسه المانع لعلي عليه السلام [١]!

وكذلك أجاب عن شبهة عدم أخذه فدكاً لما آلت إليه الأمور:

(علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن أمير المؤمنين عليه السلام لِمَ لم يسترجع فدك لما ولي أمر الناس؟ فقال: لأنا أهل بيت إذا ولينا الله عز وجل لا يأخذ لنا حقوقنا ممن ظلمنا إلا هو، ونحن أولياء المؤمنين إنما نحكم لهم ونأخذ لهم حقوقهم ممن يظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا) [٢].

"أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" وقال في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: "أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا".

وإن العبد إذا اختاره الله عزوجل لأمور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه، تعدوا - وبيت الله - الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه و اتبعوا أهواء هم، فذمهم الله ومقتهم و أتعسهم فقال جل وتعالى: "ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين" وقال: "فتعسا لهم وأضل أعمالهم" وقال: "كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار"، وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليما كثيرا) الكافي: ١ / ١٩٨ – ٢٠٣.

١- الصدوق: (الهيثم بن عبد الله الرماني قال: سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت له يا بن رسول الله أخبرني عن علي بن أبي طالب لِمَ لم يجاهد أعدائه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم جاهد في أيام ولايته؟ فقال: لأنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاثة عشرة سنة بعد النبوة، وبالمدينة تسعة عشر شهرا، وذلك لقلة أعوانه عليهم وكذلك علي عليه السلام ترك مجاهدة أعدائه لقله أعوانه عليهم، فلما لم تبطل نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله مع تركه الجهاد ثلاثة عشر سنة وتسعة عشر شهراً كذلك لم تبطل إمامة علي عليه السلام مع تركه الجهاد خمساً وعشرين سنة إذ كانت العلة المانعة لهما من الجهاد واحدة) علل الشرائع: ١ / ١٤٨.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٩٢.

٤- القرآن الكريم له نصيب و افر من اهتمام الإمام الرضا عليه السلام، إذ قام ببيان وتفسير الكثير من آياته وأوضح أسباب نزولها وقراءتها كما أُنزلت، والروايات المنقولة عنه في هذا الجانب يمكن ملاحظتها في المصادر الروائية والتفسيرية.

٥- على مستوى الشريعة، فإنّ الروايات المروية عنه في جانبي العبادات والمعاملات كالطهارة والصلاة والصوم والزكاة والخمس والحج والبيع والإجارة والزواج ونحو ذلك، كان للإمام الرضا دور كبير في بيانها لشيعته وعموم السائلين.

له عليه السلام رسالة في "جوامع الشرائع" جمعت أمهات مسائل الشريعة طلبها منه المأمون العباسي:

(روي أنّ المأمون بعث الفضل بن سهل ذا الرياستين إلى الرضا عليه السلام فقال له: إني أحب أن تجمع لي من الحلال والحرام والفرائض والسنن، فإنك حجة الله على خلقه ومعدن العلم. فدعا الرضا عليه السلام بدواة وقرطاس، وقال عليه السلام للفضل اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم .....) إلى قوله: (فهذه أصول الدين والحمد لله رب العالمين) [١].

وفي هذا الصدد أيضاً: ذكرت المصادر أنّ له رسالة فقهية أسميت: "صحيفة الرضا" أو "مسند الإمام الرضا"، جُمع فيها ١٦٣ حديثاً طُبعت بالأزهر [٢]. و أيضاً: نُسب له ما موجود في الكتاب المعروف بـ"الفقه الرضوي" و"فقه الرضا" الذي جمعه علي بن بابويه

١- تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤١٥ – ٤٢٣.

٢- طبعت الصحيفة بالأزهر بمصر على يد عبد الواحد بن يحيى الواسعي وجعلها على عشرة أبواب: الأول في الذكر ذكر فيه ٢١ حديثاً، والباب الثاني في الأذان ذكر فيه حديثاً واحداً، والباب الثالث في الحث على الصلوات الخمس ذكر فيه ١٠ أحاديث، والباب الرابع في فضل أهل البيت عليهم السلام ذكر فيه ٤٨ حديثاً منها ١٥ حديثاً في فضل علي عليه السلام، و٨ حديث في فضل فاطمة عليها السلام، و٢٥ حديثاً في فضل الحسنين عليهما السلام. والباب الخامس في فضل المؤمن وحسن الخلق ذكر فيه ٢٢ حديثاً، والباب السادس في ذكر الأطعمة والادهان ذكر فيه ٢٨ حديثاً، والباب السابع في بر الوالدين والأرحام ذكر فيه ٥ أحاديث، والباب الثامن في التحذير من الغش والنميمة ذكر فيه ستة أحاديث، والباب التاسع في فضل الجهاد ذكر فيه حديثاً واحداً، والباب العاشر في أحاديث متفرقة ذكر فيه ٢١ حديثاً. فكان مجموع أحاديث الصحيفة ١٦٣ حديثاً.

القمي "والد الشيخ الصدوق"، ويشتمل على أحكام ومسائل الشريعة موزعة على أبواب الفقه المعروفة.

و أيضاً: أوضح الإمام الرضا عليه السلام علل كثير من الأحكام سواء الواجبات منها أو المحرمات [١].

٦- حذّر الإمام الرضا عليه السلام من الكذابين أمثال محمد بن الفرات الذي كان يكذب عليه أشد مما كان يكذب أبو الخطاب على الإمام الصادق عليه السلام:

(عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: آذاني محمد بن الفرات آذاه الله وأذاقه الله حر الحديد، آذاني لعنه الله أذى ما آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفر بن محمد عليهما السلام بمثله، وما كذب علينا خطابي مثل ما كذب محمد بن الفرات، والله ما من أحد يكذب علينا إلا ويذيقه الله حر الحديد) [٢].

٧- النصائح التربوية والأخلاقية التي ترفع من كمال الإنسان وتغطي مجمل علاقاته بربه وأسرته ومجتمعه، حظيت باهتمام الإمام الرضا صلوات الله عليه، وهذا عيّنة منها:

- "ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة. و إنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله" [٣].

١- سأكتفي بذكر مثال واحد لكل من الواجبات والمحرمات؛ لأنها كثيرة جداً:

- (وفيما ذكره الفضل من العلل عن الرضا عليه السلام أنه قال: "أمر الناس بالقراءة في الصلاة لئلا يكون القرآن مهجورا مضيعا، وليكن محفوظا مدروسا فلا يضمحل ولا يجهل، و إنما بدء بالحمد دون سائر السور لأنه ليس شئ من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، ... فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شئ من الأشياء ") ما لا يحضره الفقيه، الصدوق: ١ / ٣١٠.

- (عن محمد بن سنان أن أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله علة تحريم الربا إنما نهي الله عزوجل عنه لما فيه من فساد الأموال لأن الانسان إذا اشترى الدرهم بالدرهمين كان ثمن الدرهم درهماً وثمن الآخر باطلاً، ... وعلة تحريم الربا بالنسيئة لعلة ذهاب المعروف وتلف الأموال ورغبة الناس في الربح وتركهم القرض وصنايع المعروف ولما في ذلك من الفساد والظلم وفناء الأموال) علل الشرائع: ٢ / ٤٨٣.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٢٩.

٣- تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٤٢.

- "صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله" [١].
- "التودد إلى الناس نصف العقل" [٢].
- "من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير" [٣].
- "من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن أخاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، وصديق الجاهل في تعب، و أفضل المال ما وقي به العرض، و أفضل العقل معرفة الإنسان نفسه، والمؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقه" [٤].
- "لا يتم عقل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول. والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره. ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه. ولا يمل من طلب العلم طول دهره. الفقر في الله أحب إليه من الغنى. والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه. والخمول أشهى إليه من الشهرة، ثم قال عليه السلام: العاشرة وما العاشرة. قيل له: ما هي؟ قال: لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني و أتقى. إنما الناس رجلان: رجل خير منه و أتقى ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي شر منه وأدنى قال: لعل خير هذا باطن وهو خير له وخيري ظاهر وهو شر لي، وإذا رأى الذي هو خير منه و أتقى تواضع له ليلحق به. فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وطاب خيره وحسن ذكره وساد أهل زمانه" [٥].

والخلاصة: بيان الدين الحق كله بما اقتضته رسالته الإلهية، أدّاه الإمام الرضا عليه السلام بأتم وجه ممكن.

١- الكافي، الكليني: ١ / ١١.

٢- تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٤٣.

٣- الكافي، الكليني: ٢ / ١١٣.

٤- مسند الإمام الرضا، عزيزالله عطاردي: ١ / ٣٠٢.

٥- تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٤٣.

إعادة بناء الأمة المؤمنة:

تكفل الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه بإعادة بناء الأمة المؤمنة بعد أن وجدها منهارة بسبب فتنة الواقفة كما تقدم بيانه، وتحمّل في سبيل هذه المهمة الشاقة الشيء الكثير، لكن جهوده وصبره أثمرو أنتج.

أسماء لامعة كثيرة جداً كانت ثمرة جهود وتربية وتعليم الإمام الرضا صلوات الله عليه، منهم على سبيل المثال [١]:

١- إبراهيم بن أبي البلاد.
٢- إبراهيم بن أبي محمود [٢].
٣- إبراهيم بن العباس بن محمد الصولي (الأديب المشهور) [٣].
٤- إبراهيم بن محمد الهمداني [٤].
٥- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي [٥].
٦- الحسن بن علي الوشاء.

١- اعتمدت في ترتيب الأسماء أسبقية اللفظ لغوياً، لأن أسبقية القرب الإلهي أمر يعلم به الله وأولياؤه لا غير.

٢- (إبراهيم بن أبي محمود، قال: دخلت على أبي جعفر (الجواد) عليه السلام ومعي كتب إليه من أبيه، فجعل يقرءها ويضع كتابا كثيرا على عينيه، ويقول: خط أبي والله، ويبكي حتى سالت دموعه على خديه. فقلت له: جعلت فداك قد كان أبوك ربما قال لي في المجلس الواحد مرات أسكنك الله الجنة أدخلك الله الجنة، قال، فقال: و أنا أقول أدخلك الله الجنة، فقلت: جعلت فداك تضمن لي على ربك أن يدخلني الجنة، قال: نعم، قال: فأخذت رجله فقبّلتها) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٣٨.

٣- لما تولّى الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد بخراسان، دخل عليه إبراهيم الصولي و أنشده أبيات من الشعر، فأمر له الإمام بعشرة آلاف درهم بقت عند إلى أن توفي، انظر: أمالي المرتضى: ١ / ٤٨٤.

٤- كان وكيلاً للإمام الجواد عليه السلام، قال عليه السلام: "وكتبت إلى موالي بهمدان كتابا أمرتهم بطاعتك والمصير إلى أمرك وأن لا وكيل لي سواك" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٦٩..

٥- (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: كنت عند الرضا عليه السلام، قال: فأمسيت عنده، قال، فقلت: انصرف فقال لي: لا تنصرف فقد أمسيت، قال: فأقمت عنده، قال، فقال لجاريته: هاتي مضربتي ووسادتي فافرشي لأحمد في ذلك البيت. قال: فلما صرت في البيت دخلني شئ فجعل يخطر ببالي: من مثلي في بيت ولي الله وعلى مهاده فناداني يا أحمد ان أمير المؤمنين عليه السلام عاد صعصعة بن صوحان، فقال: يا صعصعة لا تجعل عيادتي إياك فخراً على قومك، وتواضع لله يرفعك الله) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٥٣.

٧- الحسن بن محبوب.

٨- حماد بن عثمان.

٩- حماد بن عيسى.

١٠- دعبل الخزاعي (الشاعر الشيعي المعروف) [١].

١١- دواد بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار (أبو هاشم الجعفري).

١٢- الريان بن شبيب (خال المعتصم العباسي).

١٣- الريان بن الصلت.

١- كان ممّن وفد على الإمام الرضا عليه السلام بخراسان و أنشده قصيدته المعرفة "مدارس آيات":

(ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة وأمره أن لا يبرح من موضعه فدخل الدار فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضوية فقال له: يقول لك مولاي اجعلها في نفقتك، فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إلي ورد الصرّة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك ويتشرف به، فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبّة خز مع الصرّة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرّة فإنك ستحتاج إليها ولا تراجعني فيها، فأخذ دعبل الصرة والجبّة و انصرف وسار من مرو في قافلة فلما بلغ ميان قوهان وقع عليهم اللصوص فأخذوا القافلة بأسرها وكتفوا أهلها وكان دعبل فيمن كتف وملك اللصوص القافلة وجعلوا يقسمونها بينهم، فقال رجل من القوم متمثلاً بقول دعبل في قصيدته: "أرى فيئهم في غيرهم متقسماً * و أيديهم من فيئهم صفرات"، فسمعه دعبل فقال له: لمن هذا البيت؟ فقال لرجل من خزاعة يقال له: دعبل بن علي، قال: فأنا دعبل قائل هذه القصيدة التي منها هذا البيت، فوثب الرجل إلى رئيسهم وكان يصلي على رأس تل وكان من الشيعة فأخبره فجاء بنفسه حتى وقف على دعبل وقال له: أنت دعبل؟ فقال: نعم، فقال له: أنشدني القصيدة فأنشدها فحل كتافه وكتاف جميع أهل القافلة ورد إليهم جميع ما أخذ منهم لكرامة دعبل، وسار دعبل حتى وصل إلى قم فسأله أهل قم أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع فلما اجتمعوا صعد المنبر فأنشدهم القصيدة فوصله الناس من المال والخلع بشئ كثير، و اتصل بهم خبر الجبة فسألوه أن يبيعها بألف دينار فامتنع من ذلك فقالوا له: فبعنا شيئا منها بألف دينار فأبى عليهم وسار عن قم فلما خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب وأخذوا الجبة منه فرجع دعبل إلى قم وسألهم رد الجبّة فامتنع الأحداث من ذلك وعصوا المشايخ في أمرها فقالوا لدعبل: لا سبيل إلى لك إلى الجبّة فخذ ثمنها ألف دينار فأبى عليهم فلما يئس من ردهم الجبة سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها فأجابوه إلى ذلك وأعطوه بعضها ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار و انصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله فباع المائة الدينار التي كان الرضا عليه السلام وصله بها فباع من الشيعة كل دينار بمائة درهم فحصل في يده عشرة آلاف درهم فذكر قول الرضا عليه السلام: إنك ستحتاج إلى الدنانير...) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٩٤ – ٢٩٦.

١٤- زكريا بن آدم القمي [١].

١٥- صفوان بن يحيى، بياع السابري [٢].

١٦- عبد السلام الهروي (أبو الصلت) [٣].

١٧- عبد العزيز بن المهتدي القمي [٤].

١٨- عبد الله بن جندب [٥].

١٩- علي بن جعفر (الإمام الصادق عليه السلام).

٢٠- علي بن سويد السائي.

٢١- علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي (الإمام زين العابدين عليه السلام) [٦].

١- (عن زكريا بن آدم، قال، قلت للرضا عليه السلام: إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم، فقال: لا تفعل فان أهل بيتك يدفع عنهم بك، كما يدفع عن أهل بغداد بابي الحسن الكاظم عليه السلام) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٥٧ – ٨٥٨.

٢- (صفوان بن يحيى مات في سنة عشر ومائتين بالمدينة وبعث إليه أبو جعفر عليه السلام بحنوطه وكفنه وأمر إسماعيل بن موسى بالصلاة عليه. ...

عن علي بن الحسين بن داود القمي قال: سمعت أبا جعفر الثاني عليه السلام يذكر صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان بخير، وقال: رضي الله عنهما برضاي عنهما فما خالفاني قط) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٩٢. والسابري: نوع من الأقمشة الجيدة.

٣- (أحمد ابن سعيد الرازي، يقول: إن أبا الصلت الهروي ثقة مأمون على الحديث الا أنه يحب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان دينه ومذهبه) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٧٢.

٤- كان وكيلاً للرضا عليه السلام، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢/ ٧٩٥.

٥- قال عنه الرضا عليه السلام: "إنّ عبد الله بن جندب لمن المخبتين" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٥٢.

٦- (عن سليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أسلم عليه، قلت: فما يمنعك من ذلك؟ قال: الاجلال والهيبة له و أتقي عليه. قال: فاعتل أبو الحسن عليه السلام علة خفيفة وقد عاده الناس، فلقيت علي بن عبيد الله، فقلت: قد جاءك ما تريد، قد اعتل أبو الحسن علة خفيفة وقد عاده الناس، فان أردت الدخول عليه فاليوم. قال: فجاء إلى أبي الحسن عليه السلام عائدا فلقيه أبو الحسن عليه السلام بكل ما يحب من التكرمة والتعظيم، ففرح بذلك علي بن عبيد الله فرحا شديدا. ثم مرض علي بن عبيد الله، فعاده أبو الحسن عليه السلام و أنا معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلما خرجنا أخبرتني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلما خرج: خرجت و انكبت على الموضع الذي كان أبو الحسن عليه السلام فيه جالسا تقبله وتتمسح به. قال سليمان: ثم دخلت على علي بن عبيد الله، فأخبرني بما فعلت أم سلمة، فخبرت به

٢٢- محمد بن أبي عمير [١].

٢٣- محمد بن إسماعيل بن بزيع [٢].

٢٤- محمد بن سنان الزاهري.

٢٥- معروف الكرخي [٣].

٢٦- يونس بن عبد الرحمن [٤].

أبا الحسن عليه السلام، فقال: يا سليمان ان علي بن عبيد الله وامر أته وولده من أهل الجنة، يا سليمان ان ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرفهم الله هذا الامرلم يكونوا كالناس) اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٨٥٦ – ٨٥٧.

١- (وذكر أن محمد بن أبي عمير أخذ وحبس وأصابه من الجهد والضيق والضرب أمر عظيم، وأخذ كل شيء كان له وصاحبه المأمون، وذلك بعد موت الرضا عليه السلام، وذهبت كتب ابن أبي عمير فلم يخلص كتب أحاديثه، فكان يحفظ أربعين جلدا فسماه نوادر، فلذلك يوجد أحاديث متقطعة الأسانيد. .....

الريان بن الصلت، قال: حدثا يونس بن عبد الرحمن: ان ابن أبي عمير بحر طارس بالموقف والمذهب. ...

سمعت أبا محمد الفضل بن شاذان، يقول: سُعي بمحمد بن أبي عمير- واسم أبي عمير زياد - إلى السلطان: أنه يعرف أسامي عامة الشيعة بالعراق، فأمره السلطان أن يسميهم، فامتنع، فجرد وعلق بين العقارين وضرب مائة سوط) اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٨٥٤ – ٨٥٥.

٢- (عن الحسين بن خالد الصيرفي. قال: كنا عند الرضا عليه السلام، ونحن جماعة، فذكر محمد بن إسماعيل بن بزيع، فقال: "وددت أن فيكم مثله") رجال النجاشي: ٣٣٢.

٣- كان نصر انياً ثم أسلم على يد الرضا عليه السلام وهو صبي، وكان أحد مواليه، عمل بعد إسلامه حاجباً للرضا عليه السلام، انظر: الصواعق المحرقة، ابن حجر: ١٩ / ٢٥٣؛ الأعلام، الزركلي: ٧ / ٢٦٩، معجم رجال الحديث، الخوئي: ١٩ / ٢٥٢ – ٢٥٣.

قال الإيجي: (كان "معروف الكرخي بوّاب دار علي بن موسى الرضا" هذا مما لا شبهة في صحته فإنّ معروفاً كان صبياً نصر انياً فأسلم على يد علي بن موسى وكان يخدمه) المو اقف: ٣ / ٦٣٨.

علماً، أنّ منزلة معروف الكرخي عند أئمة أهل السنة كبيرة جداً، حتى إنّ أحمد بن حنبل كان يأتيه ويسأله:

قال الغزالي: (وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه) إحياء علوم الدين: ٣٧.

قال الذهبي في وصفه: (علم الزهاد، بركة العصر) سير أعلام النبلاء: ٩ / ٣٣٩.

٤- (أبو جعفر البصري وكان ثقة فاضلاً صالحاً قال: دخلت مع يونس بن عبد الرحمن على الرضا عليه السلام فشكى إليه ما يلقى من أصحابه من الوقيعة، فقال الرضا عليه السلام: دارهم فان عقولهم لا تبلغ.

حدثني الفضل قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الرضا عليه السلام يقول: يونس بن عبد الرحمن في زمانه كسلمان الفارسي في زمانه.

٢٧- يونس بن يعقوب [١].

كثير من هؤلاء أسماء لامعة في سماء الإسلام (التشيع بالخصوص)، رووا عن الإمام الرضا عليه السلام ونقلوا علومه، يعرف ذلك كل ما قرأ تراجمهم وسيرهم في كتب التراجم، وكثير منهم (ويوجد غيرهم لم أذكرهم تجنباً للإطالة) لديهم كتب ومؤلفات في

وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا، وكان ممن بذل له على الوقف مال جليل فامتنع من أخذه وثبت على الحق. وهو أحد الأربعة الذين يقال فيهم انتهى إليهم علم الأنبياء - عليهم السلام - وهم: سلمان الفارسي، وجابر، وسعيد، ويونس بن عبد الرحمن، وروى عبد العزيز ابن المهتدي قال: سألت الرضا عليه السلام عمّن أخذ معالم ديني؟ فقال: خذ عن يونس بن عبد الرحمن ولما عرض كتابه "عمل اليوم والليلة" على أبي الحسن العسكري عليه السلام قال: أعطاه الله تعالى بكل حرف نوراً يوم القيامة.

محمد بن الحسن الواسطي، وجعفر بن عيسى، ومحمد بن يونس، أن الرضا عليه السلام ضمن ليونس الجنة ثلاث مرات. .....

جعفر بن عيسى، قال: كنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام وعنده يونس بن عبد الرحمن، إذ استأذن عليه قوم من أهل البصرة، فأومى أبو الحسن عليه السلام إلى يونس: أدخل البيت، فإذا بيت مسبل عليه ستر، و إياك أن تتحرك حتى تؤذن لك. فدخل البصريون وأكثروا من الوقيعة والقول في يونس، و أبو الحسن عليه السلام مطرق، حتى لما أكثروا وقاموا فودعوا وخرجوا: فأذن ليونس بالخروج، فخرج باكيا فقال: جعلني الله فداك أني أحامي عن هذه المقالة، وهذه حالي عند أصحابي فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا يونس وما عليك مما يقولون إذا كان امامك عنك راضيا، يا يونس حدث الناس بما يعرفون، و اتركهم مما لا يعرفون، كأنك تريد أن تكذب على الله في عرشه. يا يونس وما عليك أن لو كان في يدك اليمنى درة ثم قال الناس بعرة، أو قال الناس درة، أو بعرة فقال الناس درة، هل ينفعك ذلك شيئا؟ فقلت: لا. فقال: هكذا أنت يا يونس، إذ كنت على الصواب وكان امامك عنك راضيا لم يضرك ما قال الناس) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٧٩ – ٧٨٢.

١- (عن يونس بن يعقوب، قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام، قال، فقلت له: جعلت فداك ان أباك كان يرق علي ويرحمني، فان رأيت أن تنزلني بتلك المنزلة فعلت قال، فقال لي: يا يونس اني دخلت على أبي وبين يديه حيس أو هريسة، فقال: ادن يا بني فكل من هذا، هذا بعث به إلينا يونس أنه من شيعتنا القدماء، فنحن لك حافظون. قال أبو النضر: سمعت علي بن الحسن، يقول: مات يونس بن يعقوب بالمدينة فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام بحنوطه وكفنه وجميع ما يحتاج إليه، وأمر مواليه وموالي أبيه وجده أن يحضروا جنازته، وقال لهم: هذا مولى لأبي عبد الله عليه السلام كان يسكن العراق. وقال لهم: احفروا له في البقيع فان قال لكم أهل المدينة أنه عراقي ولا ندفنه في البقيع: فقولوا لهم هذا مولي لأبي عبد الله عليه السلام وكان يسكن العراق، فان منعتمونا أن ندفنه بالبقيع منعناكم أن تدفنوا مواليكم في البقيع، ووجه أبو الحسن علي بن موسى عليهما السلام إلى زميله محمد بن الحباب، وكان رجلا من أهل الكوفة: صل عليه أنت) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢/ ٦٨٣ – ٦٨٤.

علوم الدين؛ عقيدة وشريعة، كما أنّ بعضهم كانوا وكلاء للإمام الرضا عليه السلام في أماكن سكناهم.

وكحال آبائه الطاهرين، اعتمد الإمام الرضا صلوات الله عليه على بعض شيعته وأصحابه فربّاهم وعلّمهم وأرجع بقية شيعته إليهم في أخذ معالم دين الله، منهم: يونس بن عبد الرحمن، وزكريا بن آدم القمي:

- (الفضل بن شاذان قال: حدثني عبد العزيز بن المهتدي، وكان خير قمي رأيته، وكان وكيل الرضا عليه السلام وخاصته، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إني لا ألقاك في كل وقت فعن من آخذ معالم ديني؟ قال: خذ من يونس بن عبد الرحمن) [١].

- (عن علي بن المسيب، قال: قلت للرضا عليه السلام شقتي بعيدة ولست أصل إليك في كل وقت، فممن آخذ معالم ديني؟ فقال: من زكريا بن آدم القمي المأمون على الدين والدنيا، قال علي بن المسيب، فلما انصرفت قدمت على زكريا بن آدم فسألته عما احتجت إليه) [٢].

ومن وصاياه لأمته وشيعته:

- (عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قلت لأبي الحسن: جعلت فداك إني قد سألت الله حاجة منذ كذا وكذا سنة وقد دخل قلبي من إبطائها شئ، فقال: يا أحمد إياك والشيطان أن يكون له عليك سبيل حتى يقنطك، إن أبا جعفر صلوات الله عليه (الباقر) كان يقول: إن المؤمن يسأل الله عز وجل حاجة فيؤخر عنه تعجيل إجابته حبا لصوته واستماع نحيبه ثم قال: والله ما أخر الله عز وجل عن المؤمنين ما يطلبون من هذه الدنيا خير لهم مما عجل لهم فيها وأي شئ الدنيا، إن أبا جعفر عليه السلام كان يقول: ينبغي للمؤمن أن يكون دعاؤه في الرخاء نحوا من دعائه في الشدة، ليس إذا أعطي فتر، فلا تمل الدعاء فإنه من الله عز وجل بمكان وعليك بالصبر وطلب الحلال وصلة الرحم وإياك

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢/ ٧٧٩.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢/ ٨٥٨.

ومكاشفة الناس فإنا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن إلى من أساء إلينا، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة إن صاحب النعمة في الدنيا إذا سأل فاعطي طلب غير الذي سأل وصغرت النعمة في عينه فلا يشبع من شئ وإذا كثرت النعم كان المسلم من ذلك على خطر للحقوق التي تجب عليه وما يخاف من الفتنة فيها، أخبرني عنك لو أني قلت لك قولا أكنت تثق به مني؟ فقلت له: جعلت فداك إذا لم أثق بقولك فبمن أثق و أنت حجة الله على خلقه؟ قال: فكن بالله أوثق فإنك على موعد من الله، أليس الله عزوجل يقول: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع دعان" وقال: "لا تقنطوا من رحمة الله" وقال: "والله يعدكم مغفرة منه وفضلا" فكن بالله عزوجل أوثق منك بغيره ولا تجعلوا في أنفسكم إلا خيرا فإنه مغفور لكم) [١].

- (عن إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا عليه السلام - في حديث طويل - قال: أخبرني أبي، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس - إلى أن قال: - يا ابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالا فألزم طريقتنا، فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، فان أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه، يا ابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة) [٢].

- "عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: وما سلاح الأنبياء؟ قال: الدعاء" [٣].

وكان من أصحابه أيضاً: السيد الجليل عبد العظيم الحسني [٤]، وقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام وصيته التالية لشيعته ومواليه:

١- الكافي، الكليني: ٢ / ٤٨٨ – ٤٨٩.

٢- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ٢٧ / ١٢٨ – ١٢٩.

٣- الكافي، الكليني: ٢ / ٤٦٨.

٤- سيأتي مزيد من التعريف بحاله مع الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام.

(يا عبد العظيم أبلغ عني أوليائي السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً، ومرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم و إقبال بعضهم على بعض والمزاورة فإن ذلك قربة إلي. ولا يشتغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين وعرّفهم أنّ الله قد غفر لمحسنهم وتجاوز عن مسيئهم إلا من أشرك به أو آذى ولياً من أوليائي، أو أضمر له سوءاً فإنّ الله لا يغفر له حتى يرجع عنه فإن رجع وإلا نزع روح الإيمان عن قلبه وخرج عن ولايتي، ولم يكن له نصيباً في ولايتنا، وأعوذ بالله من ذلك) [١].

الاحتجاجات والمناظرات:

احتجاجات ومناظرات الإمام الرضا عليه السلام كثيرة، وهي سمة طبعت نشاطه العلمي والتبليغي لبيان دين الله، وهذه بعض مناظراته واحتجاجاته خلال مسيرته المفعمة بنصرة دين الله:

١- احتجاجه على بعض كبار الأديان في البصرة التي سافر إليها بعد شهادة أبيه الكاظم عليه السلام واختلاف الناس في أمره [٢]: إذ يبدو أنّ فتنة الواقفة كانت قد نشبت

١- الاختصاص، المفيد: ٢٤٧.

٢- (عن محمد بن الفضل الهاشمي قال: لما توفي [الامام] موسى ابن جعفر عليه السلام أتيت المدينة، فدخلت على الرضا عليه السلام فسلمت عليه بالأمر وأوصلت إليه ما كان معي، وقلت: إني صائر إلى البصرة، وعرفت كثرة خلاف الناس وقد نعي إليهم موسى عليه السلام وما أشك أنه سيسألوني عن براهين الامام، فلو أريتني شيئا من ذلك؟

فقال الرضا عليه السلام لم يخف عليّ هذا، فأبلغ أولياءنا بالبصرة وغيرها أني قادم عليهم، ولا قوة إلا بالله. ثم أخرج إلي جميع ما كان للنبي صلى الله عليه وآله عند الأئمة: من بردته وقضيبه وسلاحه وغير ذلك. فقلت: ومتى تقدم عليهم؟ قال: بعد ثلاثة أيام من وصولك ودخولك البصرة.

فلما قدمتها سألوني عن الحال فقلت لهم: إني أتيت موسى بن جعفر عليهما السلام قبل وفاته بيوم واحد، فقال: إني ميت لا محالة، فإذا واريتني في لحدي فلا تقيمن، وتوجه إلى المدينة بودائعي هذه، وأوصلها إلى ابني "علي بن موسى" فهو وصيي وصاحب الامر بعدي. ففعلت ما أمرني به، وأوصلت الودائع إليه، وهو يو افيكم إلى ثلاثة أيام من يومي هذا فاسألوه عما شئتم. فابتدر للكلام عمرو بن هذاب من القوم، وكان ناصبيا ينحو نحو التزيد والاعتزال، فقال: يا محمد إن الحسن بن محمد رجل من أفاضل أهل هذا البيت في ورعه وزهده وعلمه وسنّه، وليس هو كشاب مثل علي بن موسى، ولعله لو سئل عن [شئ من] معضلات الاحكام لحار في ذلك. فقال الحسن بن محمد -

نيرانها في البصرة، والإمام بسفره لها لم يستهدف إنقاذ شيعته فقط و إنما هداية عموم الناس للحق. ولما كانت البصرة حاضرة مهمة يقطنها الكثير من أهل الديانات والثقافات المختلفة، التقى الإمام في سفره لها بكبار أهل الأديان وجرت بينه وبينهم مناظرات وحوارات مهمة، وقد جرت إحداها في دار الحسن بن محمد؛ حيث أثبت الإمام الرضا عليه السلام نبوة جده محمد صلى الله عليه وآله بالنصوص التي وردت في كتبهم، و انتهت المناظرة بقول رأس الجالوت: "والله يا ابن محمد لولا الرئاسة التي قد حصلت لي على جميع اليهود لآمنت بأحماد، و اتبعت أمرك، فوالله الذي أنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى ما رأيت أقرأ للتوراة والإنجيل والزبور منك، ولا رأيت أحداً أحسن بياناً وتفسيراً وفصاحة لهذه الكتب منك" [١].

و أيضاً: سافر الإمام الرضا إلى الكوفة ونزل في دار حفص بن عمير اليشكري، والتف الناس به يسألونه عن دينهم وهو يجيبهم [٢]، ثم كان له مناظرة مع كبير علماء أهل الكتاب فيها، وبعد أن أقام عليه الحجة قال: (يا معاشر الناس أليس أنصف الناس من حاج

وكان حاضراً في المجلس -: لا تقل يا عمرو ذلك، فإن علياً على ما وصف من الفضل، وهذا محمد بن الفضل يقول: إنه يقدم إلى ثلاثة أيام فكفاك به دليلاً. وتفرقوا.

فلما كان في اليوم الثالث من دخولي البصرة إذا الرضا عليه السلام قد وافى فقصد منزل الحسن بن محمد وأخلى له داره، وقام بين يديه، يتصرف بين أمره ونهيه فقال: يا [حسن بن] محمد أحضر جميع القوم الذين حضروا عند محمد بن الفضل وغيرهم من شيعتنا، وأحضر جاثليق النصارى، ورأس الجالوت، ومر القوم أن يسألوا عما بدا لهم. فجمعهم كلهم والزيدية والمعتزلة وهم لا يعلمون لما يدعوهم الحسن بن محمد فلما تكاملوا ثنى للرضا عليه السلام وسادة، فجلس عليها، ثم قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هل تدرون لم بدأتكم بالسلام؟ فقالوا: لا. قال: لتطمئن أنفسكم. قالوا: ومن أنت يرحمك الله؟ قال: أنا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب و ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، .....) الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٤١ – ٣٤٨.

١ - الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٤٧؛ مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٧ / ٢٠٩.

٢- (قال محمد بن الفضل: كان فيما أوصاني به الرضا عليه السلام في وقت منصرفه من البصرة أن قال لي: صر إلى الكوفة فاجمع الشيعة هناك وأعلمهم أني قادم عليهم. وأمرني أن أنزل في دار حفص بن عمير اليشكري، فصرت إلى الكوفة، فأعلمت الشيعة أن الرضا عليه السلام قادم عليهم. .....

قال: يا محمد انظر من بالكوفة من المتكلمين والعلماء فأحضرهم. فأحضرناهم، فقال لهم الرضا عليه السلام: إني أريد أن أجعل لكم حظاً من نفسي كما جعلت لأهل البصرة، وإن الله قد أعلمني كل كتاب أنزله. ثم أقبل على "جاثليق، وكان معروفاً بالجدل والعلم" والإنجيل فقال: .....) الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٤٩ – ٣٥٠.

خصمه بملته وبكتابه وبنبيه وشريعته؟ قالوا: نعم. قال الرضا عليه السلام: فاعلموا أنه ليس بإمام بعد محمد إلا من قام بما قام به محمد حين يفضي الأمر إليه، ولا تصلح الإمامة إلا لمن حاج الأمم بالبراهين للإمامة. ....) [١].

٢- مناظرة الإمام الرضا مع كبار أهل الأديان والمقالات والمتكلمين بخراسان:

(الحسن بن محمد النوفلي ثم الهاشمي يقول: لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق (كبير النصارى) ورأس الجالوت (كبير اليهود) ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر [٢] وأصحاب زرادشت ونسطاس الرومي [٣] والمتكلمين ليسمع كلامه وكلامهم فجمعهم الفضل بن سهل ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم علي ففعل فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: إني إنما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ فإذا كان بكرة فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد فقالوا: السمع والطاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: فداك أخوك انه أجمع إلى أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل فر أيك في البكور إلينا إن أحببت كلامهم وإن كرهت ذلك فلا تتجشم وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا، فقال أبو الحسن: الله أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت و أنا صائر إليك بكرة إن شاء الله.

قال الحسن بن النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقّة العراقي غير غليظة فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟ فقلت: جعلت فداك يريد الامتحان ويحب أن يعرف ما عندك ولقد بني على أساس غير وثيق البنيان وبئس والله ما بني، فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: ان

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٥٠.

٢- الهرابذة: قيل إنهم خدم نار المجوس، وقيل: عظماء الهنود وعلماؤهم.

٣- عالم بالطب.

أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب انكارومباهته ان احتججت عليهم بان الله واحد قالوا: صح وحدانيته وان قلت: ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: أثبت رسالته ثم يباهتون وهو يبطل عليهم بحجته ويغالطونه حتى يترك قوله فاحذرهم جعلت فداك. قال: فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا عليّ حجتي؟ فقلت: لا والله ما خفت عليك قط و إني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى. فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون؟ قلت: نعم، قال: إذا سمع إحتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم وعلى أهل الزبوربزبورهم وعلى الصابئين بعبر انيتهم وعلى أهل الهر ابذة بفارسيتهم وعلى أهل الروم برروميتهم وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع إلى قولي علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له فعند يكون الندامة ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك ان ابن عمك ينظرك وقد اجتمع القوم فما رأيك في اتيانه فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله ثم توضأ وضوء للصلاة وشرب شربه سويق وسقانا منه ثم خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون وإذا المجلس غاص بأهله ومحمد بن جعفر [١] وجماعة من الطالبيين والهاشميين والقواد حضور فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون وقام محمد بن جعفروجميع بني هاشم فما زالوا وقوفاً والرضا جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة ثم التفت إلى الجاثليق فقال: يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفروهو من ولد فاطمة بنت نبينا و ابن علي بن طالب صلوات الله عليهم فأحب أن تكلمه أو تحاجّه وتنصفه .....).

ثم تحاورا في نبوة عيسى ونبوة محمد صلى الله عليه وآله والحواريين والأنبياء، وبعد أن أقام الحجة على الجاثليق بنصوص الإنجيل والتوراة، حاور رأس الجالوت في نبوة موسى والأنبياء عليهم السلام و أثبت له نبوة محمد صلى الله عليه وآله بنصوص التوراة،

١- محمد بن جعفر: هو ابن الإمام الصادق عليه السلام. ثار بمكة ودعا الناس إلى نفسه وكان الإمام الرضا عليه السلام حذّره من ذلك لكنه لم يستجب له، ثم أرسل له المأمون جيشاً فرضخ واستسلم وعفا عنه المأمون، وسيتضح حاله لاحقاً.

وبعد أن أقام عليه الحجة دعا الهربذ الأكبر وحاججه في نبوة زرادشت و أثبت له نبوة الأنبياء عليهم السلام ومنهم محمد صلى الله عليه وآله.

ثم طلب من الحضور أن يسألوه وقال: (يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الاسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم)!

وازدحم الناس و انضم بعضهم لبعض، فقام عمران الصابئي، وكان متكلماً مشهوراً، وتحاور مع الإمام في الكائن الأول والخلق وقدم الخالق وعلمه وحدود خلقه وطرق معرفته وتنزيهه عن بعض الأعراض كالتغير وغير ذلك، واشتد الحوار واشترك المأمون بطرح الأسئلة والمداخلات مع عمران؛ كل ذلك والإمام الرضا عليه السلام يجيب أسئلتهم ببيان واضح يفهمه الحضور وما أعياه سؤال إطلاقاً، ولما انتهى الإمام من بيانه قال لعمران:

(أفهمت يا عمران؟ قال: نعم يا سيدي قد فهمت وأشهد أنّ الله تعالى على ما وصفت ووحدت وأشهد أن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون إلى كلام عمران الصابي وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط لم يدن من الرضا عليه السلام أحد منهم ولم يسألوه عن شئ وأمسينا فنهض المأمون والرضا عليه السلام فدخلا و انصرف الناس وكنت مع جماعه من أصحابنا إذ بعث إلي محمد بن جعفر فأتيته فقال لي: يا نوفلي أما رأيت ما جاء به صديقك؟! لا والله ما ظننت ان علي بن موسى الرضا عليه السلام خاض في شئ من هذا قط ولا عرفناه به انه كان يتكلم بالمدينة أو يجتمع إليه أصحاب الكلام! قلت: قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم وربما كلم من يأتيه بحاجه، فقال محمد بن جعفر: يا أبا محمد إني أخاف عليه أن يحسده عليه هذا الرجل فيسمّه أو يفعل به بلية فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء. قلت: إذاً لا يقبل مني وما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شئ من علوم آبائه عليه السلام. فقال لي: قل له: إنّ عمّك قد كره هذا الباب وأحب أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى فلما انقلبت إلى منزل الرضا عليه السلام أخبرته بما كان عن عمه محمد بن جعفر فتبسم عليه السلام ثم قال: حفظ الله عمي ما أعرفني به لم كره ذلك؟ يا غلام صر إلى

عمران الصابئي فأتني به فقلت: جعلت فداك انا اعرف موضعه وهو عند بعض اخو اننا من الشيعة قال: فلا باس قربوا إليه دابة فصرت إلى عمران فأتيته به فرحّب به ودعا بكسوة فخلعها عليه وحمله ودعا بعشرة آلاف درهم فوصله بها.

قلت: جعلت فداك حكيت فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام: هكذا نحب، ثم دعا عليه السلام بالعشاء فأجلسني عن يمينه وأجلس عمران عن يساره حتى إذا فرغنا قال لعمران: انصرف مصاحباً وبكّر علينا نطعمك طعام المدينة فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم حتى اجتنبوه ووصله المأمون بعشرة آلاف درهم وأعطاه الفضل مالاً وحمله، وولاه الرضا عليه السلام صدقات بلخ فأصاب الرغائب) [1].

٣- مناظرة الإمام الرضا مع سليمان المروزي:

(الحسن بن محمد النوفلي يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ثم قال له: إن ابن عمي علي بن موسى قدم علي من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه، فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته، .... فوجه المأمون إلى الرضا عليه السلام فقال: إنه قدم علينا رجل من أهل مرووهوواحد خراسان من أصحاب الكلام، فإن خف عليك أن تتجشم المصير إلينا فعلت، فنهض عليه السلام للوضوء وقال لنا: تقدموني وعمران الصابئي معنا فصرنا إلى الباب فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون، فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله، قلت: خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم، ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن عمران مولاك معي وهو بالباب، فقال: من عمران؟ قلت: الصابئي الذي أسلم على يديك قال: فليدخل فدخل فرحب به المأمون، ثم قال له: يا عمران لم تمت حتى صرت من بني هاشم، قال: الحمد لله الذي شرفني بكم يا أمير المؤمنين، فقال له المأمون: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان، قال عمران: يا أمير المؤمنين إنه يزعم أنه واحد خراسان في النظر وينكر البداء، قال: فلم لا تناظره؟ قال عمران: ذلك إليه، فدخل الرضا عليه السلام فقال: في أي شئ كنتم؟ قال عمران: يا ابن رسول الله هذا سليمان المروزي، فقال سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ١٣٩ – ١٥٨.

فيه؟ قال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجة أحتج بها على نظرائي من أهل النظر.

قال المأمون: يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه؟ .....).

فبيّن الإمام الرضا عليه السلام حقيقة البداء من كتاب الله، ثم انتقل الحوار إلى صفات الله ومنها صفة الإرادة بالخصوص؛ إذ كان لدى سليمان إشكالات وأسئلة حلها الإمام وأجابها جميعاً، ولما أقام عليه الحجة وقطع ما عنده: (قال المأمون عند ذلك: يا سليمان هذا أعلم هاشمي. ثم تفرق القوم) [١].

٤- مناظرة الإمام الرضا مع أبي قرّة:

أبو قرة محدث ومتكلم، كان لديه أسئلة في الحلال والحرام و أيضاً في بعض صفات الله الواردة في القرآن، فطلب من أحد أصحاب الإمام (صفوان بن يحيى) أن يستأذن له بالدخول على الإمام وطرح ما عنده عليه، فدخل وحاور الإمام وأجابه على كل ما عنده [٢].

١- التوحيد، الصدوق: ٤٤١ – ٤٤٥.

٢- الكليني: (عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأستأذنته فأذن لي، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له: أفتقر أن الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلا وأسفل وقد قال الله: "وله الأسماء الحسنى فادعوه بها" ولم يقل في كتبه إنه المحمول بل قال: إنه الحامل في البر والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه: يا محمول، قال أبو قرة، فإنه قال: "ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية" وقال: "الذين يحملون العرش"، فقال أبو الحسن عليه السلام: العرشي ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فيه كل شيء ثم أضاف الحمل إلى غيره: خلق من خلقه، لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه وخلقا يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه وملائكة يكتبون أعمال عباده؟ واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته والله على العرش استوى كما قال والعرش ومن يحمله ومن حول العرش والله الحامل لهم، الحافظ لهم، الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شئ وعلى كل شئ ولا يقال: محمول ولا أسفل، قولا مفردا لا يوصل بشئ فيفسد اللفظ والمعنى، قال أبو قرة: فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرون سجدا، فإذا ذهب الغضب خف ورجعوا إلى مواقفهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا

٥- مناظرة الإمام الرضا مع أحد الملاحدة:

(عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام، قال: دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة، فقال له أبو الحسن عليه السلام: أيها الرجل أرأيت إن كان القول قولكم - وليس هو كما تقولون - ألسنا و إياكم شرعاً سواء ولا يضرنا ما صلينا وصمنا وزكينا و أقررنا؟ فسكت، فقال أبو الحسن عليه السلام: وإن يكن القول قولنا - وهو كما نقول – ألستم قد هلكتم ونجونا؟ فقال، رحمك الله فأوجدني كيف هو و أين هو؟ .....). وبدأ الامام عليه السلام يذكر له أدلة وجود الله، ويجب أسئلة الملحد عن الله بـ"أين ومتى وكيف"، وعن بعض صفات الله كالسمع والبصر.

قال محمد بن عبد الله الخراساني: (فما برح حتى أسلم) [١].

٦- إجابة الإمام الرضا أسئلة علي بن الجهم:

ذكر أبو الصلت الهروي أنّ من ضمن من جمعهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام بخراسان هو علي بن الجهم، وكانت لديه مجموعة إشكالات تتعلق بعصمة الأنبياء بحسب فهمه لظواهر بعض الآيات، قام بطرح ما لديه على الإمام الرضا عليه السلام وأجابه عنها جميعها و أثبت عصمة أنبياء الله وبيّن المعنى الصحيح للآيات الكريمة [٢].

هو غضبان عليه، فمتى رضي؟ وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغيير من حال إلى حال و أنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟! سبحانه وتعال، لم يزل مع الزائلين ولم يتغير مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين، ومن دونه يده وتدبيره، وكلهم إليه محتاج وهو غني عمن سواه) الكافي: ١ / ١٣٠ – ١٣٢.

١- التوحيد، الصدوق: ٢٥٠ – ٢٥٢.

٢- لأهمية الأمر، أنقل تمام مجريات الحوار للفائدة:

(أبو الصلت الهروي، قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كأنه قد ألقم حجرا، قام إليه علي بن محمد بن الجهم، فقال له: يا بن رسول الله، أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى. قال: فما تعمل في قول الله عزوجل: "وعصى آدم ربه فغوى"، وقوله عزوجل: "وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن

أن لن نقدر عليه"، وقوله في يوسف: "ولقد همت به وهم بها"، وقوله عزوجل في داود: "وظن داود أنما فتناه"، وقوله في نبيه محمد صلى الله عليه وآله: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه"؟

فقال مولانا الرضا عليه السلام: ويحك - يا علي - اتق الله، ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله عزوجل بر أيك، فإن الله عزوجل يقول: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم".

أما قوله عزوجل في آدم عليه السلام: "وعصى آدم ربه فغوى" فإن الله عزوجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض تتم مقادير أمر الله عزوجل، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجة وخليفة، عصم بقوله عز وجل: "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين".

وأما قوله عزوجل: "وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه" إنما ظن أن الله عزوجل لا يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عزوجل: "وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه" أي ضيق عليه، ولو ظن أن الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عزوجل في يوسف: "ولقد همت به وهم بها" فإنها همت بالمعصية، وهم يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: "كذلك لنصرف عنه السوء" يعني القتل "والفحشاء" يعني الزنا.

وأما داود، فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال علي بن الجهم: يقولون: إن داود كان في محرابه يصلي، إذ تصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطير، فخرج الطير إلى الدار، فخرج في أثره، فطار الطير إلى السطح، فصعد في طلبه، فسقط الطير في دار أوريا بن حنان، فاطلع داود في أثر الطير، فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلما نظر إليها هواها، وكان أوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه: أن قدم أوريا أمام الحرب، فقدم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية: أن قدمه أمام التابوت، فقتل أوريا رحمه الله، وتزوج داود بامرأته. قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيا من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته، حتى خرج في أثر الطير، ثم بالفاحشة، ثم بالقتل!

فقال: يا بن رسول الله، فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك، إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عزوجل خلقا هو أعلم منه، فبعث الله عزوجل إليه الملكين فتسوروا المحراب، فقالا: "خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب" فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه، فقال: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه"، ولم يسأل المدعي البينة على ذلك، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عزوجل يقول: "يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق" إلى آخر الآية؟

فقلت: يا بن رسول الله، فما قصته مع أوريا؟ فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبدا، وأول من أباح الله عزوجل له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها داود عليه السلام، فذلك الذي شق على [الناس] من قبل أوريا.

وأما محمد نبيه صلى الله عليه وآله وقول الله عزوجل له: "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه" فإن الله عزوجل عرّف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة،

٧- إجابة الإمام الرضا مسائل المأمون في عصمة الأنبياء:

وشبيه بأسئلة علي بن الجهم وأكثر، كان لدى المأمون العباسي أسئلة قام بطرحها على الإمام الرضا عليه السلام تتعلق بعصمة أنبياء الله، أجابه الإمام عنها بتفصيل وتوضيح تام، وانتهى الحوار بقول المأمون:

(لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ فجزاك الله عن أنبيائه وعن الاسلام خيراً.

قال علي بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى صلاه وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم، فقال المأمون: إنّ ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله: إلا أن أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلالة.

وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمّه محمد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرّنك ما سمعته منه فإنه سيغتالني والله تعالى ينتقم لي منه) [١].

وأنهن أمهات المؤمنين، وأحد من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبده، لكيلا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها أحد أزواجه من أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، قال الله عزوجل: "والله أحق أن تخشاه" في نفسك، وإن الله عزوجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم، وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله: وفاطمة من علي عليهما السلام.

قال: فبكى علي بن الجهم، وقال: يا بن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزوجل أن أنطق في أنبياء الله عزوجل بعد يومي هذا إلا بما ذكرته) الأمالي، الصدوق: ١٥٠ – ١٥٣.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ١٧٤ – ١٨٢.

قال الشيخ الصدوق: (قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق علي بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليه السلام).

٨- إجابة الإمام الرضا مسائل ابن السكيت في معاجز الأنبياء [١].

٩- احتجاج الإمام الرضا على المأمون وجمع من علماء العراق وخراسان في اصطفاء عترة الرسول صلى الله عليه وآله.

(عن الريان بن الصلت، قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا". فقالت العلماء: أراد الله عزوجل بذلك الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول، يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا، ولكني أقول: أراد الله العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله تبارك وتعالى: "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير" ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: "جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب" فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

١- الكليني: (عن أبي يعقوب البغدادي قال: قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمدا - صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء - بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، و أثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، و أبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، و أثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال: الشعر فأتاهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، و أثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب) الكافي: ١ / ٢٤ – ٢٥.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه، فقال عزوجل: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

قالت العلماء: أخبرنا - يا أبا الحسن - عن العترة، .....)، وبدأوا يطرحون أسئلتهم على الإمام عليه السلام واشترك معهم المأمون، وتصدى الإمام لإجابة أسئلتهم وتفنيد أقوالهم وفهمهم، و أثبت لهم بالأدلة المحكمة أنّ المقصود بالعترة هم آل محمد الأئمة صلوات الله عليهم.

(فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن الأمة خيرا، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم) [1].

كانت هذه بعض المناظرات والحوارات والإجابات التي أوضحت وفرة علم الإمام الرضا عليه السلام وعلو كعبه على جميع أهل زمانه دون أدنى شك.

سعة علوم الإمام الرضا (ع):

الملفت في الحركة العلمية التي قادها الإمام الرضا صلوات الله عليه أنها لم تقتصر على معارف الدين المعروفة، وكمثال لذلك: ما كتبه في رسالته التي عرفت بـ "الرسالة الذهبية في الطب" بحسب المتعارف في ذلك الزمان.

(الحسن بن محمد بن جمهور، قال: حدثني أبي وكان عالما بأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام خاصة به، ملازما لخدمته، وكان معه حين حمل من المدينة إلى أن سار إلى خراسان واستشهد عليه الصلاة والسلام بطوس، وهو ابن تسع وأربعين سنة.

١- الأمالي، الصدوق: ٦١٥ – ٦٢٦.

قال: وكان المأمون بنيسابور، وفي مجلسه سيدي أبو الحسن الرضا عليه السلام وجماعة من المتطببين والفلاسفة، مثل يوحنا بن ماسويه، وجبرئيل بن بختيشوع، وصالح بن سلهمة الهندي، وغيرهم من منتحلي العلوم وذوي البحث والنظر، فجرى ذكر الطب وما فيه صلاح الأجسام وقوامها، فأغرق المأمون ومن بحضرته في الكلام وتغلغلوا في علم ذلك، وكيف ركب الله تعالى هذا الجسد وجميع ما فيه من هذه الأشياء المتضادة من الطبائع الأربع، ومضار الأغذية ومنافعها، وما يلحق الأجسام من مضارها من العلل.

قال: و أبو الحسن عليه السلام ساكت لا يتكلم في شئ من ذلك. فقال له المأمون: ما تقول يا أبا الحسن في هذا الامر الذي نحن فيه هذا اليوم، والذي لابد منه من معرفة هذه الأشياء والأغذية، النافع منها والضار وتدبير الجسد؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام، مع ما وقفني عليه من مضى من السلف، مما لا يسع الانسان جهله، ولا يعذر في تركه، فأنا أجمع ذلك مع ما يقاربه مما يحتاج إلى معرفته.

قال: وعاجل المأمون الخروج إلى بلخ، وتخلف عنه أبو الحسن عليه السلام، وكتب المأمون إليه كتابا يتنجزه ما كان ذكره مما يحتاج إلى معرفته من جهته على ما سمعه منه وجربه من الأطعمة والأشربة وأخذ الأدوية والفصد والحجامة والسواك والحمام والنورة والتدبير في ذلك.

فكتب الرضا عليه السلام إليه كتابا نسخته: "بسم الله الرحمن الرحيم. اعتصمت بالله. أما بعد، فإنه وصل إلي كتاب أمير المؤمنين فيما أمرني من توقيفه على ما يحتاج إليه مما جربته و [ما] سمعته في الأطعمة والأشربة وأخذ الأدوية والفصد والحجامة والحمام والنورة والباه وغير ذلك مما يدبر استقامة أمر الجسد، وقد فسرت له ما يحتاج إليه، وشرحت له ما يعمل عليه، من تدبير مطعمه ومشربه وأخذه الدواء وفصده وحجامته وباهه وغير ذلك مما يحتاج إليه من سياسة جسمه، وبالله التوفيق. .....) [1].

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٩ / ٣٠٧ – ٣٢٨.

الرسالة التي كتبها الإمام الرضا عليه السلام أعجبت المأمون فقرّظها وأمر بكتابتها بماء الذهب وإرسال نسخة منها إلى المكتبة العلمية "خزانة الحكمة" في بغداد.

قال المأمون في تقريظها: (أما بعد: فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب والفاضل الحبيب، والمنطقي الطبيب، في اصلاح الأجسام، وتدبير الحمام، وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام، ووجدتها في أفضل الانعام، ودرستها متدبراً، ورددت نظري فيها متفكراً، فكلما أعدت قراءتها، والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظاً، وتدبرتها فهماً، إذ رأيتها من أنفس العلائق، وأعظم الذخائر، وأنفع الفوائد، فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها، وحسن موقعها، وعظم نفعها، وكثرت بركتها، وسميتها "المذهبة" وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة ...) [١].

"خزانة الحكمة": هي نفسها "بيت الحكمة"، وهي مكتبة ومركز علمي في بغداد، ذاع صيته في زمن المأمون العباسي، ووسم الباحثون أيامه بـ "عصر الإسلام الذهبي" نتيجة إسهامات المركز العلمية والبحثية التي تعدّت أهل زمانها، ولأهمية الموضوع سنخصص له بحثاً مستقلاً لنتعرف على رائد نهضة ذلك المركز العلمي ومطور حركته؛ وهل هم العباسيون فعلاً، أم أشخاص آخرون!

١- حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ١ / ٢٠٢.

الإمام الرضا و"مصر" المُحبة لآل محمد:

المعروف عن أغلب المصريين محبّتهم لآل الرسول صلى الله عليه وآله بشكل ملحوظ، وأخذهم بالمذهب الشافعي على مستوى السلوك والممارسات العبادية، فهم يتغنّون بحب آل الرسول عموماً وبالإمام الحسين بشكل خاص. ربما يظن البعض أنّ سبب ذلك يعود إلى وجود مشهد "رأس الحسين" فيها، إذ ذكر بعض المؤرخين أنّ الرأس الشريف نقل من الشام إلى القاهرة سنة ٥٤٨ هـ أيام حكم الفاطميين لمصر[١]، ومنذ أن استقر دفن الرأس الشريف في أرضهم وهم ينشدون له الأناشيد ويحيون ذكرى مولده في شهر ربيع الثاني

١- قصة نقل الرأس الشريف من الشام إلى مصر حدث تاريخي ذكرته مصادر عديدة:

قال ابن الجوزي: (واختلفوا في الرأس على أقوال ... الخامس: إنّ الخلفاء الفاطميين نقلوه من باب الفراديس (بدمشق) إلى عسقلان ثم نقلوه إلى القاهرة وهو فيها وله مشهد عظيم يُزار في الجملة) تذكرة الخواص: ٢٦٥.

(ومنهم العلامة محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية في "مر اقد أهل البيت بالقاهرة: ص٢٧ ط٤ مطبوعات العشيرة المحمدية بمبنى جامع البنات بالقاهرة" قال:

أولاً: رأى المؤرخون وكتاب السيرة: يجمع المؤرخون وكتاب السيرة على أنّ جسد الحسين رضوان الله عليه دفن مكان مقتله في كربلاء، أما الرأس الشريفة فقد طافوا به حتى استقرت بعسقلان الميناء الفلسطيني. وقد أيد وجود الرأس الشريف بعسقلان ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواد منهم ابن ميسر والقلقشندي وعلي بن أبي بكر الشهير بالسايح الهروي و ابن أياس وسبط الجوزي. وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة المؤرخ العظيم عثمان مدوخ إذ قال: إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ... مشهد بدمشق دفن به الرأس أولا ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض ونقل إليه الرأس من دمشق ثم نقل إلى المشهد القاهري لمصر بين خان الخليلي والجامع الأزهر. ويقول المقريزي: إن رأس الحسين رضوان الله عليه نقلت من عسقلان إلى القاهرة في ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨ هـ وبقيت عاماً مدفونة في قصر الزمرد حتى أنشئت له خصيصاً قبة هي المشهد الحالي وكان ذلك عام ٥٤٩ هـ.

ثانياً: شهادة الدكتور الحسيني هاشم.

ويقول فضيلة الشيخ الحسيني هاشم وكيل الأزهر وأمين عام مجمع البحوث تعليقا على ما دسه النساخون على كتاب الإمام السيوطي "حقيقة السنة والبدعة" ما ملخصه: وقد أكد استقرار الرأس بمصر أكبر عدد من المؤرخين منهم ابن إياس في كتابه والقلقشندي في صبح الأعشى، والمقريزي الذي عقد فصلا في خططه المسمى المواعظ والاعتبار ص٤٢٧، ص٤٢٨ ، ص٤٣٠ يؤكد رواية ابن ميسر أن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي حمل الرأس الشريف على صدره من عسقلان وسعى به ماشيا حيث وصل مصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية وحلت الرأس في مثواها الحالي من القصر يوم الثلاثاء ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية عند قبة باب الديلم ، حيث الضريح المعروف الآن بمسجده المبارك ، وكذا "السخاوي" رحمه الله قد أثبت رواية نقل رأس الحسين إلى مصر) شرح إحقاق الحق، المرعشي: ٣٣ / ٧٢٢ – ٧٢٣.

بالتحديد بالرغم من أنّ مولد الإمام الحسين كان في شهر شعبان وشهادته كانت في محرم الحرام لكنهم اختاروا شهر ربيع الثاني باعتباره الوقت الذي دفن فيه رأس الحسين الشهيد في أرض مصر.

ومهما يكن، فنحن لا ننكر أن يكون لوجود المشاهد المقدسة لآل بيت رسول الله في مكان ما أثر في شد الناس وجذبهم نحوهم وارتفاع رصيد محبتهم في النفوس؛ إذ سيشعر ببركة وجودهم الجميع بكل تأكيد، لكن بخصوص أهل مصر فإنّ مسألة محبتهم وتعلّقهم الواضح بأهل البيت أسبق من وجود المشهد الحسيني في أرضهم سنة ٥٤٨ هـ.

فمثلاً: الإمام الشافعي قدم إلى مصر سنة ١٩٩ هـ وبقي فيها ينشر مذهبه ويلقي في مسجدها الجامع دروسه و أبحاثه إلى أن مات ودفن بالقاهرة سنة ٢٠٤ هـ.

كان يُؤثَر عنه قوله [١]:

يا راكباً قف بالمحصب من منى	واهتف بقاعد خيفها والناهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى	فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ
إن كان رفضاً حبُّ آلِ محمدٍ	فليشهد الثقلان أني رافضي

الشافعي كان يستمع من السيدة الجليلة نفيسة بنت الحسن (صاحبة المشهد المعروف بمصر؛ زوجة السيد إسحاق المؤتمن ابن الإمام الصادق عليه السلام)، وكان الشافعي يقصد بيتها باستمرار للتعلّم منها، وهي كانت دائمة الإحسان إليه، حتى إنه لما مات طلب أن يؤتى بجنازته إلى بيتها للصلاة عليه، وهذا أمر ذكره المؤرخون وأصحاب التراجم والسير بوضوح، وهذه بعض أقوالهم:

- النمازي: (النفيسة الثالثة: بنت الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام. السيدة الجليلة تزوجها إسحاق بن جعفر الصادق عليه السلام. وهذه توفيت بمصر سنة ٢٠٨. قبرها مزار معروف بإجابة الدعاء عند مزارها.

١- انظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي: ١٧ / ٣١٠؛ تاج العروس، الزبيدي: ١٠ / ٦٣.

عن كتاب إسعاف الراغبين نقلاً من كتاب حسن المحاضرة: أن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن المجتبى عليه السلام لما توفيت بمصر أراد زوجها إسحاق المؤتمن ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام نقلها إلى المدينة ودفنها في البقيع، فسأله أهل مصر في تركها عندهم للتبرك وبذلوا له مالاً كثيراً، فلم يرض، فرأى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: يا إسحاق لا تعارض أهل مصر في نفيسة فإن الرحمة تنزل عليهم ببركتها.

حكي أن الشيخ أبا المواهب الشاذلي رأى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد إذا كان لك إلى الله تعالى حاجة فأنذر لنفيسة الطاهرة ولو بدرهم يقضي الله تعالى حاجتك.

وعن إسعاف الراغبين أنها كانت قد حفرت قبرها بيدها وصارت تنزل فيه وتصلي وقرأت فيه ستة آلاف ختمة، فماتت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين، احتضرت وهي صائمة فالزموها الفطر، فقالت: واعجباً إني منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه و أنا صائمة أفطر الآن هذا لا يكون، ثم قرأت سورة الأنعام فلما وصلت إلى قوله تعالى: "لهم دار السلام عند ربهم" ماتت. وبالجملة خدمتها زينب بنت يحيى بن الحسن أربعين سنة، كما ذكرناها في رجالنا في النساء) [1].

- اليافعي المكي: (وفي السنة المذكورة (٢٠٨ هـ) توفيت السيدة الكريمة صاحبة المناقب الجسيمة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، صاحبة المشهد الكبير المفخم الشهير بمصر، دخلت إليها مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه وعن الجميع، وقيل: بل مع أبيها الحسن، وكانت نفيسة من النساء الصالحات. ويروى أن الإمام الشافعي لما دخل مصر حضر عندها، وسمع عنها الحديث، ولما توفي، أدخلت جنازته إليها، فصلت عليه في دارها، وكانت في موضع مشهدها اليوم، ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان من السنة المذكورة، ولما ماتت عزم زوجها إسحاق بن جعفر على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم، فدفنت في الموضع المعروف بها اليوم بين القاهرة ومصر، وكان يعرف ذلك المكان بدرب

١- مستدرك سفينة البحار، النمازي: ١٠ / ١٢٠ – ١٢١.

السباع، فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد، وقبرها معروف مزور مشهور، قيل: الدعاء عنده مستجاب رضي الله تعالى عنها.

قلت: وقد قصدت زيارة مشهدها، فوجدت عنده عالماً من الرجال والنسوان والصحاح والعميان، ووجدت الناظر جالساً على الكرسي، فقام لي، وأنا لا أعرفه، فمضيت للزيارة، ولم ألتفت إليه، ثم بلغني أنه عتب علي، فأجبته بما معناه: إني غيرراغب في الميل إلى أولي الحشمة والمناصب) [١].

- ابن خلكان: (وكانت نفيسة من النساء الصالحات التقيات ويروى أن الإمام الشافعي رضي الله عنه لما دخل مصرفي التاريخ المذكورفي ترجمته حضر إليها وسمع عليها الحديث وكان للمصريين فيها اعتقاد عظيم وهو إلى الآن باق كما كان. ولما توفي الإمام الشافعي رضي الله عنه أدخلت جنازته إليها وصلت عليه في دارها وكانت مقيمة في موضع مشهدها اليوم ولم تزل به إلى أن توفيت في شهررمضان سنة ثمان ومائتين. ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك فسأله المصريون بقاءها عندهم فدفنت في الموضع المعروف بها الآن بين القاهرة ومصر عند المشاهد وهذا الموضع كان يعرف يومذاك بدرب السباع فخرب الدرب ولم يبق هناك سوى المشهد وقبرها معروف بإجابة الدعاء عنده وهو مجرب رضي الله عنها) [٢].

- المقريزي: (وكانت نفيسة من الصلاح والزهد على الحد الذي لا مزيد عليه. ويقال إنها حجت ثلاثين حجة. وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار. وكانت حفظ القرآن وتفسيره. توفيت عام ٢٠٨ هـ. ودفنت في منزلها الذي هو قبرها الآن. وأراد زوجها أن يحملها ليدفنها بالمدينة. فسأله أهل مصرأن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة) [٣].

- الزركلي: (نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر. تقية صالحة عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة ونشأت في

١- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، اليافعي المكي: ٢ / ٣٣.

٢- وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٥ / ٤٢٤.

٣- المواعظ والاعتبار، المقريزي: ٢ / ٤٤٠، وانظر أيضاً: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٢٨٦.

المدينة، وتزوجت إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق. و انتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن وسمع عليها الإمام الشافعي، ولما مات أُدخلت جنازته إلى دارها وصلت عليه. وكان العلماء يزورونها ويأخذون عنها) [١].

وصول إسحاق المؤتمن وزوجته السيدة نفيسة إلى مصر كان قبل الشافعي، وتحديداً في سنة ١٩٣ هـ، أي في زمن إمامة الرضا صلوات الله عليه؛ أيام تواجده بالمدينة وقبل سفره إلى خراسان.

المعروف في سيرة إسحاق المؤتمن – كما عرفنا في سبب تلقيبه بالمؤتمن – أنه كان مؤمناً وناصراً لأبيه الصادق الذي ائتمنه على وصيته بولده الكاظم، ثم ائتمنه أخوه الكاظم على وصيته بابنه الرضا، فصدّق بإمامة الرضا ودافع عنه دفاعاً شديداً، وقد اطلعنا سابقاً على قوة موقفه في الدفاع عنه عندما شكاه إخوته للقاضي العباسي في المدينة، وكانت زوجته السيدة نفيسة مثله وعلى خطاه. والحقيقة، إنّ ما عليه إسحاق وزوجته نفيسة من إيمان ودين وطهارة وعلم وورع يشهد به الجميع إنما كان ببركة اختصاص الإمام الكاظم صلوات الله عليه لهما بالتربية والتعليم والنصح.

بالتأكيد، حلول إسحاق المؤتمن ونفيسة عليهما السلام بمصر بما هم عليه من علم ودين وطهر (إضافة إلى علو شأن النسب الرفيع) يعني التفاف أهل مصر حولهم والتأثر بهم، وإذا كان إمام أهل السنة في مصر (محمد بن إدريس الشافعي) لم يتخلص من قوة جذب هذه الأسرة الطاهرة فكان يأتي بيت إسحاق المؤتمن بشكل يومي تقريباً ويمر بهم قبل ذهابه إلى محل درسه، فما بالك بالناس الآخرين!

علماً، أنّ إسحاق وزوجته كانا علماء بدين الله، ولاحظنا في بعض كلمات المؤرخين المتقدمة أنّ الشافعي كان يسأل ويستمع ما يروونه ويحدثونه به، وبالتالي فميله وحبّه لآل محمد عليهم السلام لم يكن سوى نتيجة قربه من هذه الأسرة العلوية وتتلمذه وتعلّمه منهم، وبدوره نقل الشافعي هذا الميل والحب إلى طلابه ومنهم إلى كثير من الناس.

١- الأعلام: ٨ / ٤٤.

بالنتيجة ما نراه في مصر سابقاً وإلى يوم الناس هذا من شدة حب أهلها لآل بيت رسول الله يعود في أحد أسبابه إلى جهود إسحاق المؤتمن وزوجته السيدة نفيسة في الفترة التي قضوها في مصر[١]، وبالنتيجة يعود الفضل الرئيس إلى مهندس هذه الحركة الدينية المثمرة أعني الإمام علي بن موسى الرضا، فقد كان ذهاب عمّه إسحاق بزوجته إلى مصر بتوجيه وتخطيط منه صلوات الله عليه بهدف نشر دين الله الحق.

يقول السيد أحمد الحسن:

(هناك شخصيات مهمة لم تُنصف، ومنها إسحاق المؤتمن، إذ لم أرَ أحداً تكلّم عنه أو سلّط عليه الضوء، بل على العكس رأيت بعضهم يستهزأ ويستخف عند ذكر زوجته السيدة نفيسة، مع أنها زوجة: "ابن إمام، أخو إمام، عم إمام، مؤمن بأبيه، مؤمن وشاهد لأخيه، ومؤمن وشاهد لابن أخيه". ولقد أثّر هو وزوجته السيدة نفيسة في المصريين وتوجههم إلى التعبّد للتقرّب من الله سبحانه (سمّي التصوّف فيما بعد) بعد أن انتقلوا إلى مصر بطلب من الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه، بل أثّروا بأحد كبار فقهاء السنة وهو محمد بن إدريس الشافعي حتى إنّ بعضهم اتهموه بالتشيع أو الرفض لتردده على بيت إسحاق بن جعفر، وقد نُقلت عن الشافعي أبيات يرد بها على من اتهموه بالرفض بل وختم الشافعي حياته بأن أوصى أن يصلي عليه إسحاق بن جعفر وزوجته السيدة نفيسة، وقد نقل جثمانه إلى دارهم تنفيذاً لوصيته) انتهى[٢].

ملاحظة: أبيات الشافعي التي ردَّ بها على من اتهموه تقدم ذكرها.

---

١ - حيث كانت مدة مكوث السيدة نفيسة بمصر ١٥ عاماً (١٩٣ – ٢٠٨ هـ)، وأما إسحاق المؤتمن فمدة مكوثه أكثر من ذلك؛ لأنه بقي حياً بعد وفاة زوجته، ثم توفي ودفن بالقاهرة أيضاً.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الإمام الرضا وبنو العباس وثورات العلويين:

مدة إمامة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام – كما عرفنا – عشرون عاماً تقريباً (١٨٣ – ٢٠٣ هـ)، عاصر فيها حكم هارون العباسي و ابنيه الأمين والمأمون.

ومن جانب آخر: كان كثير من العلويين يعتقدون أنّ القيام بثورة مسلحة ضد الحكم العباسي أمر يقتضيه الاقتداء بثورة الحسين صلوات الله عليه ونهجه، وما علموا أنّ الإمام من ولد الحسين الذي بين ظهرانيهم هو (دون غيره) من يمثل الحسين ويجسّده نهجاً ورسالة وامتداداً.

الإمام الرضا (ع) وهارون العباسي:

حكم هارون العباسي ٢٣ عاماً (١٧٠ – ١٩٣ هـ)، وهذا يعني أنّ الإمام الرضا عاصر السنين العشر الأخيرة من حكمه.

معروف عن هارون – وقد استعرضنا شيئاً من سيرته سابقاً [1] – طغيانه وجبروته وانهماكه بالدنيا، ولو كانت مسألة إقدامه على قتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالسم وحدها لكفته قبحاً ووزراً وعاراً.

١- انظر: يوم الحسين / الجزء الرابع، مباحث رسالة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ومن المفيد ذكر رسالة سفيان الثوري (أحد أئمة أهل السنة) إلى هارون فهي تصف شيئاً من حاله:

(بسم اللّه الرحمن الرحيم، من العبد الميت سفيان، إلى العبد المغرور بالآمال هارون، الذي سلب حلاوة الإيمان، ولذة قراءة القرآن، أما بعد، فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك، وقطعت ودك، و إنك قد جعلتني شاهدا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك، بما هجمت على بيت مال المسلمين، فأنفقته في غير حقه و أنفذته بغير حكمه ولم ترض بما فعلته و أنت ناء عني، حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك، فأما أنا قد شهدت عليك، أنا وإخو اني الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدي الشهادة غدا بين يدي اللّه الحكم العدل، يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها في أرض اللّه، والمجاهدون في سبيل اللّه، و ابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن، وأهل العلم يعني العاملين، أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل، أم رضي بذلك خلق من رعيتك؟ فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جو ابا، وللبلاء جلبابا، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل، فاتق اللّه في نفسك، إذ سلبت حلاوة العلم والزهد، ولذة قراءة القرآن، ومجالسة

الإمام الرضا عليه السلام يدرك خطورة التحرك بقوة في أيام هارون، ويعرف تماماً أنّ عاقبة ذلك قد تنجر إلى القتل قبل إنجاز مراد الله، ومن جهة ثانية: قيام كبار فقهاء الشيعة بفتنتهم وردّتهم التي أدّت بهم إلى إنكار إمامة الرضا اضطرت الإمام إلى أن يبدأ بالتحرك في أيام هارون، لكن تحركه كان بطريقة في غاية الدقة والحكمة:

- فمن جهة: تمكّن من فضح الباطل وبيان الحق و إقامة الحجة بهدف إنقاذ أكبر قدر ممكن من الشيعة المفتونين.
- ومن جهة أخرى: لم تكن حركته بشكل تلفت نظر الطاغية، وبالتالي لم يمنحه حجة القضاء عليه؛ خصوصاً وأنّ ابنه الإمام محمد الجواد لم يكن مولوداً بعدُ في ذلك الوقت.

ولهذا، لم يُصب الإمام الرضا عليه السلام بسوء في أيام فترة هارون العباسي حتى موته سنة ١٩٣ هـ. وقد سعى بعض عيون هارون بالمدينة والوشاة فيها إلى كتابة تقارير وإرسالها إلى بغداد تخص حركة الإمام، لكن الإمام كان يصرف الانتباه عنه ببعض التصرفات التي توحي بأنه معتزل الوضع الاجتماعي عموماً:

(عن علي بن جعفر عن أبي الحسن الطيب قال: سمعته يقول: لما توفى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام دخل أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام السوق، فاشترى كلباً وكبشاً وديكاً فلما كتب صاحب الخبر إلى هارون بذلك قال: قد أمنا جانبه،

الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما، يا هارون قعدت على السرير، ولبست الحرير، وأسبلت ستورا دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك، يظلمون الناس ولا ينصفون، ويشربون الخمر ويحدون الشارب، ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق، ويقتلون ويقتلون القاتل، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم ، قبل أن يحكموا بها على الناس ! فكيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل اللَّه: أحشروا الظلمة وأعوانهم!؟ فتقدمت بين يدي اللَّه ويداك مغلولتان إلى عنقك، لا يفكهما إلا عدلك و انصافك، والظالمون حولك و أنت لهم إمام أو سائق إلى النار، وكأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق، و أنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك ، على سيئاتك بلاء على بلاء، وظلمة فوق ظلمة، فاتق اللَّه يا هارون في رعيتك، واحفظ محمدا صلى اللَّه عليه وسلم في أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك، وكذلك الدنيا، تفعل بأهلها واحدا بعد واحد، فمنهم من تزود زادا نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، و إياك ثم إياك، أن تكتب إلي بعد هذا فإني لا أجيبك، والسلام)، ثم بعث بالكتاب إلى هارون من غير طي ولا ختم، انظر: حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ٢ / ٢٩٤ – ٢٩٥.

وكتب الزبيري أنّ علي بن موسى الرضا عليه السلام قد فتح بابه ودعا إلى نفسه، فقال هارون: واعجباً من هذا! يكتب أنّ علي بن موسى عليه السلام قد اشترى كلباً وكبشاً وديكاً ويكتب فيه بما يكتب) [١].

ومن ضمن الوشاة بالإمام، عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور:

(عن موسى بن مهران قال: سمعت جعفر بن يحيى يقول: سمعت عيسى بن جعفر يقول لهارون حيث توجه من الرقة إلى مكة أذكر يمينك التي حلفت بها في آل أبي طالب فإنك حلفت أن ادعى أحد بعد موسى الإمامة ضربت عنقه صبرا وهذا علي ابنه يدعي هذا الامر ويقال فيه ما يقال في أبيه فنظر إليه مغضبا فقال: وما ترى؟ تريد أن أقتلهم كلهم؟! قال موسى بن مهران: فلما سمعت ذلك صرت إليه: فأخبرته فقال عليه السلام: ما لي ولهم لا يقدرون إلي على شيء) [٢].

وروي أنّ البرامكة كانوا من ضمن الوشاة [٣]، لكن هذا الأمر غير صحيح، و أيضاً: غير صحيح ما روي من أنّ الإمام الرضا عليه السلام دعا عليهم يوم عرفة وأنّ الله استجاب دعاءه فحلّ بهم ما حل [٤]!

فقد ذكرنا في خاتمة الجزء السابق من "يوم الحسين" أنّ البرامكة آمنوا بالإمام موسى بن جعفر عليه السلام ومهّدوا لمسألة ولاية عهد الإمام الرضا للمأمون من خلال

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٢٢.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٦.

٣- (قال صفوان: فأخبرنا الثقة أن يحيى بن خالد قال للطاغي: هذا علي ابنه قد قعد وادعى الأمر لنفسه فقال: ما يكفينا ما صنعنا بأبيه؟! تريد أن نقتلهم جميعاً، ولقد كانت البرامكة مبغضين على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مظهرين لهم العداوة) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٦.

٤- (عن محمد بن الفضيل قال: لما كان في السنة التي بطش هارون بآل برمك بدأ بجعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد ونزل بالبرامكة ما نزل كان أبو الحسن عليه السلام و اقفا بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه، فسأل عن ذلك فقال: إني كنت ادعو الله تعالى على البرامكة بما فعلوا بأبي عليه السلام فاستجاب الله لي اليوم فيهم فلما انصرف لم يلبث إلا يسيرا حتى بطش بجعفر ويحيى وتغيرت أحوالهم) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٥.

تربيتهم للمأمون منذ صغره، وكان ولاؤهم سبباً في نقمة هارون العباسي عليهم؛ قتلاً وسجناً وتشريداً.

نعم، الإمام الرضا عليه السلام أخبر بما سيجري عليهم قبل حصوله:

(عن مسافر قال: كنت مع أبي الحسن الرضا عليه السلام بمنى فمرّ يحيى بن خالد البرمكي وهو مغطّي وجهه بمنديل من الغبار، فقال الرضا عليه السلام: مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحلّ بهم في هذه السنة. فكان من أمرهم ما كان. قال: وأعجب من هذا أنا وهارون كهاتين، وضمّ إصبعيه السبّابة والوسطى. قال مسافر: فوالله ما عرفت معنى حديثه في هارون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه) [١].

بعض أصحاب الإمام الرضا كانوا يخشون عليه من بطش هارون، لكنه يجيبهم بأن لا سبيل له عليه:

(عن صفوان بن يحيى قال: لما مضى أبو إبراهيم عليه السلام وتكلم أبو الحسن عليه السلام خفنا عليه من ذلك، فقيل له: إنك قد أظهرت أمراً عظيماً و إنا نخاف عليك هذه الطاغية، قال: فقال: ليجهد جهده، فلا سبيل له علي) [٢].

الإمام الرضا عليه السلام كان مملوءاً ثقة بالله أنّ هارون العباسي لن يتمكن من إلحاق الأذى به:

(عن محمد بن سنان قال: قلت: لأبي الحسن الرضا عليه السلام في أيام هارون: إنك قد شهرت نفسك بهذا الأمر وجلست مجلس أبيك وسيف هارون يقطر الدم، فقال: جرّ أني على هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أخذ أبو جهل من رأسي شعرة

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ٩٧٥ – ٩٧٦.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٨٧؛ الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٥٥.

فاشهدوا أني لست بنبي و أنا أقول لكم: إن أخذ هارون من رأسي شعرة فاشهدوا أني لست بإمام) [١].

وصدق عليه السلام بما قال، ومات هارون ولم يمس شعرة من رأس الإمام بفضل الله ورحمته.

ما بعد هارون العباسي:

بعد موت هارون، تسلّم ابنه محمد الأمين الخلافة، وباعتراف الجميع فإنه لم يكن مؤهلاً لها تماماً، فكان ضعيفاً في الرأي منهمكاً باللهو والملذات، كارهاً للعلم متكبراً على الرعية. ولم يمضِ وقت طويل حتى ساءت علاقته بأخيه عبد الله المأمون جداً، وكان لحاشية كل منهما دور في ذلك؛ فتبادلا الرسائل المليئة بالسباب والشتائم، ثم عمد الأمين إلى خلع أخيه المأمون عن ولاية العهد وجعلها لولده موسى وهو طفل بالمهد!

كان هارون العباسي قد كتب كتاباً وأشهد عليه جماعة وعلّقه داخل الكعبة يتضمّن ولاية ابنيه الأمين ثم المأمون من بعده واحداً تلو الآخر، لكن الأمين أمر بالإتيان بالكتاب من الكعبة وقام بتمزيقه، ثم أمر قائد جيشه "علي بن عيسى" بالمسير بالجيش إلى خراسان ليأتيه بالمأمون موثقاً!

المأمون من جهته، لما بلغه نبأ خلع الأمين له، نصّب نفسه خليفة وحاكماً عاماً على المسلمين وقطع إرسال الخراج إلى بغداد، وندب طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين وجهّزهما بجيش كبير للتصدي للجيش القادم من العراق، فالتقى الجيشان بالري في ملحمة كبيرة كان النصر فيها لجيش المأمون. ولما بلغ نبأ الانتصار المأمون، أمر طاهر بالسير إلى العراق والقضاء على أخيه الأمين في بغداد.

وصل طاهر بن الحسين بجيشه إلى بغداد، وحاصرها و أيقن الأمين ووزيره الفضل بن الربيع بالهزيمة فكتب الأمين إلى طاهر يطلب منه الأمان مقابل استقالته من الخلافة

١- الكافي، الكليني: ٨ / ٢٥٧ – ٢٥٨.

لأخيه، فلم يقبل طاهر وأصر على أن يأتيه الأمين ويبايعه فلم يجبه لذلك، وطال حصار بغداد وخربت ولحق أهلها البؤس والعبث والفوضى، والأمين – مع هذا – كان مشغولاً بلهوه إلى أن قُتل واحتز رأسه وبعث به طاهر إلى المأمون في خراسان، فأمر بنصبه في صحن الدار ثم أعاده إلى جثته ببغداد ودفن معها.

هذا باختصار شديد ما جرى بعد موت هارون العباسي والصراع بين الأخوين (الأمين والمأمون) الذي استمر خمس سنين (١٩٣ – ١٩٨ هـ)، و انتهى بسفك الدماء وتفرد المأمون بالخلافة والحكم سنة ١٩٨ هـ.

وكان الإمام الرضا عليه السلام قد أخبر بما يجري بين الأخوين، وأنّ عبد الله المأمون بالنتيجة سيقتل أخاه محمد الأمين:

(الحسين بن بشار قال الرضا عليه السلام: إنّ عبد الله يقتل محمداً، قلت: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون؟ قال: نعم عبد الله الذي بخراسان يقتل محمد بن زبيدة الذي هو ببغداد، فقتله، وكان عليه السلام يتمثل: وان الضغن بعد الضغن يفشو* عليك ويخرج الداء الدفينا) [١].

ثورة محمد بن جعفر:

محمد بن جعفر (جعفر = الإمام الصادق عليه السلام)، الملقب بالديباج، ثار على العباسيين بمكة ودعا الناس إلى نفسه وبيعته ولقّب بأمير المؤمنين.

بعض المؤرخين ذكر أنّ ثورته كانت بعد مقتل الأمين، وخلع العباسيين للمأمون في سنة ٢٠٠ هـ [٢].

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٤٧.

٢- انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ١٠ / ١٠٥.

ومهما يكن، فقد ثار بمكة فذهب إليه الإمام الرضا عليه السلام من المدينة لينصحه بأنّ هذا الأمر لا يتم لآل أبي طالب و أنّه صائر إلى المأمون العباسي:

(إسحاق بن موسى قال: لما خرج عمي محمد بن جعفر بمكة ودعا إلى نفسه ودُعي بأمير المؤمنين وبويع له بالخلافة ودخل عليه الرضا عليه السلام و أنا معه فقال له: يا عم لا تكذب أباك ولا أخاك فإنّ هذا أمر لا يتم، ثم خرج وخرجت معه إلى المدينة. فلم يلبث إلا قليلاً حتى أتى الجلودي فلقيه فهزمه. ثم استأمن إليه فلبس السواد وصعد المنبر فخلع نفسه وقال: إنّ هذا الأمر للمأمون وليس لي فيه حق. ثم أخرج إلى خراسان، فمات بجرجان) [1].

"لا تكذب أباك ولا أخاك": أي لا تكذب ما أخبر به الصادق والكاظم صلوات الله عليهما بملك العباسيين والنهي عن القيام بالقوة، وأنّ أمر آل محمد لا يتم إلا على يد القائم عليه السلام في آخر الزمان.

"فلبس السواد": أي بايع المأمون العباسي.

وفعلاً، قرّبه المأمون إليه وكان يتواجد في بلاطه باستمرار، ولهذا رأينا له ذكراً أكثر من مرة عند استعراض مناظرات واحتجاجات الإمام الرضا عليه السلام بمحضر المأمون التي تقدم ذكرها.

أيضاً: روي أنّ ثورته كانت في أواخر أيام هارون العباسي، فأرسل إليه عيسى الجلودي وأمره أن يغير على دور آل أبي طالب بالمدينة، ففعل الجلودي ذلك:

(وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه وأن يغير دور آل أبي طالب وأن يسلب نساءهم ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوبا واحدا ففعل الجلودي ذلك، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، فصار الجلودي إلى باب دار أبي الحسن الرضا عليه السلام

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٢٤.

هجم على داره مع خيله فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت ووقف على باب البيت فقال الجلودي لأبي الحسن عليه السلام: لابد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين، فقال الرضا عليه السلام: أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته، فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن، فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرارهن إلا أخذه منهن وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير) [١].

ولا مانع من أن يكون محمد بن جعفر ثار في أواخر حياة هارون أو كان يمهّد لثورته فحصل هذا الأذى للإمام الرضا عليه السلام من قبل هارون وجنده، ثم ثار بعد موت هارون ومقتل الأمين فذهب الإمام الرضا إليه وهو بمكة لينصحه، ثم أخيراً بايع المأمون ولحق به بخراسان وبقي في إيران حتى مات بجرجان.

والملفت: أنّ الإمام الرضا عليه السلام مع كل هذا الأذى الذي ألحقه الجلودي به وبعياله، لكنه (في أيام ولاية عهده للمأمون) لما أُدخل الجلودي على المأمون ليحاكمه، وصاح المأمون: "هذا الذي فعل ببنات محمد ما فعل من سلبهن" يقصد ما فعله بالمدينة، اقترب الإمام الرضا من المأمون وكلّمه أن يعفو عنه ويهبه له! لكن الجلودي الخبيث ظن أنّ الإمام يعين عليه ويثأر لنفسه، فصاح: "يا أمير المؤمنين أسألك بالله وبخدمتي الرشيد لا تقبل قول هذا فيَّ"! فقال المأمون: "يا أبا الحسن قد استعفي ونحن نبر قسمه"، أي: هو حكم على نفسه ورفض طلبك والتماسك العفو عنه، فأمر به فضربت عنقه [٢].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦١.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٢.

ثورة أبي السرايا:

من بين الثورات التي حصلت في أيام المأمون العباسي هي "ثورة أبي السرايا" التي رفعت شعار الرضا من آل محمد بين عامي (١٩٩ – ٢٠٠ هـ). وأبو السرايا: هو السري بن منصور الشيباني، قائد عسكري معروف، يميل إلى التشيع [١].

قيادة الثورة وأحداثها:

قلت سابقاً: إنّ كثيراً من العلويين كان يظنون أنّ الامتداد والاقتداء بثورة الحسين صلوات الله عليه يستدعي بالضرورة القيام بثورة مسلحة ضد الظلم، ولهذا لم تكن ثورة أبي السرايا بتخطيط منه وإنما صاحبها الحقيقي والمخطط لها هو رجل علوي من آل الحسن، هو: محمد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام.

وأكيد أنّ ظلم العباسيين كان أحد أسباب قيامه بالثورة.

(... فبينا هو في بعض الأيام يمشي في بعض طريق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع احمال الرطب، فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك. فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشئ، فأنا أتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي. فبكى بكاء شديداً، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي) [٢].

باشر محمد بالإعداد لثورته وتواصل مع بعض شخصيات المسلمين للانضمام إليه، ثم التقى بنصر بن شبث العقيلي (أحد زعماء القبائل الناقمة على العباسيين) وأعلن دعمه له، ثم انضم لهم أبو السرايا وكان قائداً ضمن عسكر المأمون، لكنه بعد مقتل الأمين اختلف مع القائد العسكري هرثمة بن أعين بسبب إنقاص العطاء فدعا أصحابه

١- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٤٦.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٤٦.

للتجمع حوله وغاروا على عين تمر وولايات أخرى بالأنبار وغيرها كانت خاضعة للحكم العباسي وأخذوا ما عند عمالها من أموال وفرقوها عليهم، ثم حدثت معركة بين جيشه وجيش هرثمة فانهزم الأخير وسيطر أبو السرايا وأصحابه على الأنبار.

وعموماً، التقى أبو السرايا بمحمد بن إبراهيم العلوي و اتفقا على الثورة على الحكم العباسي والدعوة إلى الرضا من آل محمد [١].

أسند محمد إلى أبي السرايا قيادة الثورة عسكرياً وفوّض إليه جميع شؤونها، فزحف بجيشه إلى كربلاء فزار قبر الحسين صلوات الله عليه ودعا الزيدية فيها للانضمام إليه، وقال: (أيها الناس، هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه، فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه؟ وهو غدا خارج طالب بثأره وحقه، وتراث آبائه، و إقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته؟ إنني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه، والنصر لأهل بيته، فمن كان له نية في ذلك فليلحق بي ثم مضى من فوره عائدا إلى الكوفة ومعه أصحابه.

قال: وخرج محمد بن إبراهيم في اليوم الذي واعد فيه أبا السرايا للاجتماع بالكوفة، واظهر نفسه وبرز إلى ظهر الكوفة، ومعه علي بن عبيد الله بن الحسين ابن علي بن الحسين، وأهل الكوفة منبثون مثل الجراد إلا انهم على غير نظام وغير قوة، ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر، فلم يزل محمد بن إبراهيم ومن معه ينتظرون أبا السرايا ويتوقعونه فلا يرون له اثرا حتى أيسوا منه، وشتمه بعضهم ولاموا محمد بن إبراهيم على الاستعانة به، واغتنم محمد بن إبراهيم بتأخره، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم من نحو الجرف علمان اصفران وخيل، فتنادى الناس بالبشارة فكبروا ونظروا، فإذا هو أبو السرايا ومن معه، فلما أبصر محمد بن إبراهيم ترجل و اقبل إليه فانكب عليه واعتنقه محمد، ثم قال له: يا بن رسول الله، ما يقيمك هاهنا؟ ادخل البلد فما يمنعك منه أحد، فدخل هو وخطب الناس، ودعاهم إلى البيعة إلى الرضا من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى

١- انظر: حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٤٠٠.

الله عليه وآله، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب. فبايعه جميع الناس حتى تكابسوا وازدحموا عليه، وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين) [١].

من جهته، لما علم حاكم العراق من طرف المأمون (الحسن بن سهل) بأحداث الكوفة، جهّز جيشاً بقوام ثلاثة آلاف مقاتل وأرسله لمواجهة أبي السرايا، فانهزم الجيش العباسي أمام الثوار، لكن المفاجئة أنّ محمد بن إبراهيم الحسني توفي في هذه الأثناء، وكان مما أوصى لأبي السرايا أن قال له:

(أوصيك بتقوى الله، والمقام على الذب عن دينك، ونصرة أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله، فإنّ أنفسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فان اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله، فاني قد بلوت طريقته ورضيت دينه) [٢].

"علي بن عبيد الله": هو علي بن عبيد الله بن الحسين ابن الإمام زين العابدين.

وعموماً، بعد موته جهّزه أبو السرايا وأصحابه من الزيدية ودفنوه بالغري، وخطب بالناس في اليوم التالي وعزاهم ثم قال:

(وقد أوصى أبو عبد الله (يقصد محمد بن إبراهيم) رحمة الله عليه إلى شبهه ومن اختاره، وهو أبو الحسن علي بن عبيد الله، فان رضيتم به فهو الرضا، وإلا فاحتاروا لأنفسكم. فتواكلوا ونظر بعضهم إلى بعض، فلم ينطق أحد منهم فوثب محمد بن محمد ابن زيد وهو غلام حدث السن، فقال: يا آل علي: فات الهالك النجا، وبقي الثاني بكرمه، إنّ دين الله لا ينصر بالفشل، وليست يد هذا الرجل (يقصد أبا السرايا) عندنا بسيئة، وقد شفى الغليل، وأدرك الثأر، ثم التفت إلى علي بن عبد الله فقال: ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك؟ فقد وصانا بك أمدد يدك نبايعك، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إن أبا عبيد الله رحمة الله عليه قد اختار فلم يعد الثقة في نفسه، ولم يأل جهداً في حق الله الذي قلّده، وما أرد وصيته تهاوناً بأمره، ولا أدع هذا نكولاً عنه، ولكن أتخوف أن اشتغل به عن غيره مما هو

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٤٧ – ٣٤٨.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٥٤.

أحمد و أفضل عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك واجمع شمل ابن عمك، فقد قلّدناك الرياسة علينا، و أنت الرضا عندنا، الثقة في أنفسنا. ثم قال لأبي السرايا: ما ترى؟ أرضيت به؟ قال: رضائي في رضاك وقولي مع قولك، فجذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه، وفرق عمّاله.

فولّى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر خلافته على الكوفة. وولّى روح ابن الحجاج شرطته. وولى أحمد بن السري الأنصاري رسائله. وولى عاصم بن عامر القضاء. وولى نصر بن مزاحم السوق. وعقد لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن. وولّى زيد بن موسى بن جعفر الأهواز. وولّى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب البصرة. وولى الحسن بن الحسن الأفطس مكة. وعقد لجعفر بن محمد بن زيد بن علي، والحسين بن إبراهيم بن الحسن بن علي واسطاً. فخرجوا إلى أعمالهم.

فأما ابن الأفطس فلم يمنعه أحد مما وجه له، فأقام الحج تلك وهي سنة تسع وتسعين ومائة. وأما إبراهيم بن موسى فأذعن له أهل اليمن بالطاعة، بعد وقعة كانت بينهم يسيرة المدة. وأما صاحبا واسط فان نصر البجلي صاحب واسط خرج إليهما فقاتلهما قتالا شديدا، فثبتا له ثم انهزم ودخلا واسطاً وجبيا الخراج وتألفا الناس. وأما الجعفري صاحب البصرة فإنه خرج إليه علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين فاجتمعا، وو افاهم زيد بن موسى بن جعفر ماضياً إلى الأهواز، فاجتمعوا، ولقيهم الحسن بن علي المعروف بالمأمون - رجل من أهل باذغيس وكان على البصرة - فقاتلوه وهزموه وحووا عسكره. وحرق زيد بن موسى دور بني العباس بالبصرة، فلقب بذلك وسمي زيد النار. وتتابعت الكتب وتو اترت على محمد بن محمد بالفتوح من كل ناحية.

وكتب إليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرون أن يوجه إليهم رسولا ليسمعوا له ويطيعوا. وعظم امر أبي السرايا على الحسن بن سهل وبلغ منه، فكتب إلى طاهر بن الحسين أن يصير إليه لينفذه لقتاله .....) [١].

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٥٤ – ٣٥٦.

واضح أنّ مناطق (الكوفة، مكة، اليمن، البصرة، واسط، الأهواز) قد خرجت من تحت سلطة المأمون العباسي الذي أدرك خطورة الوضع، فأرسل عامله على العراق "الحسن بن سهل" إلى طاهر بن الحسين لينضم إليه في قتال أبي السرايا، ثم كتب إلى هرثمة بن أعين يسأله التعجيل بالقدوم وإرسال المدد، فجمع هرثمة ثلاثين ألف مقاتل وزحف بهم نحو جيش أبي السرايا، فالتقت الجيوش ودارت بين الطرفين معارك طاحنة راح ضحيتها ألوف كثيرة من الطرفين، و انتهت المعارك بهزيمة جيش أبي السرايا وهروبه نحو القادسية ثم السوس إلى أن أُلقي عليه القبض لاحقاً فقُتل وصُلب رأسه ببغداد في سنة ٢٠٠ هـ.

العلويون المشتركون بالثورة:

هذه أسماء بعض الشخصيات العلوية التي اشتركت بثورة أبي السرايا:

١- محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى.
٢- علي بن عبيد الله بن الحسين بن (الإمام علي بن الحسين).

ملاحظة: بالنسبة إلى علي بن عبيد الله، فقد اهتدى مع عائلته لولاية الرضا عليه السلام، وشهد لهم الإمام بخير[(١)].

١- (عن سليمان بن جعفر، قال: قال لي علي بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام: أشتهي أن أدخل على أبي الحسن الرضا عليه السلام أسلم عليه، قلت: فما يمنعك من ذلك؟ قال: الاجلال والهيبة له و أتقي عليه. قال: فاعتل أبو الحسن عليه السلام علة خفيفة وقد عاده الناس، فلقيت علي بن عبيد الله، فقلت: قد جاءك ما تريد، قد اعتل أبو الحسن علة خفيفة وقد عاده الناس، فان أردت الدخول عليه فاليوم. قال: فجاء إلى أبي الحسن عليه السلام عائدا فلقيه أبو الحسن عليه السلام بكل ما يحب من التكرمة والتعظيم، ففرح بذلك علي بن عبيد الله فرحا شديدا. ثم مرض علي بن عبيد الله، فعاده أبو الحسن عليه السلام و أنا معه، فجلس حتى خرج من كان في البيت، فلما خرجنا أخبرتني مولاة لنا أن أم سلمة امرأة علي بن عبيد الله كانت من وراء الستر تنظر إليه، فلما خرج: خرجت و انكبت على الموضع الذي كان أبو الحسن عليه السلام فيه جالسا تقبله وتتمسح به. قال سليمان: ثم دخلت على علي بن عبيد الله، فأخبرني بما فعلت أم سلمة، فخبرت به أبا الحسن عليه السلام، فقال: يا سليمان ان علي بن عبيد الله وامرأته وولده من أهل الجنة، يا سليمان ان ولد علي وفاطمة عليهما السلام إذا عرفهم الله هذا الامر لم يكونوا كالناس) اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٨٥٦ – ٨٥٧.

٣- محمد بن محمد بن زيد بن (الإمام علي بن الحسين).

(وكان لمحمد بن زيد الشهيد عدة بنين منهم محمد بن محمد بن زيد، ولما خرج أبو السرايا السري بن منصور الشيباني وأخذ البيعة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وتوفى محمد فجأة نصب أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد هذا ولقبه المؤيد، فندب الحسن ابن سهل إليه هرثمة بن أعين فحاربه وأسره وحمله إلى الحسن بن سهل، فحمله الحسن إلى المأمون بمرو فتعجب المأمون من صغر سنه وقال: كيف رأيت صنع الله بابن عمك؟ فقال محمد بن محمد بن زيد:

رأيت أمين الله في العفو والحلمِ وكان يسيرا عنده أعظم الجرمِ
فأعرض عن جهلي وداوى سقامه بعفو جلا عن جلدتي هبوة السقمِ

وتوفى محمد بن محمد بن زيد بمرو، سقاه المأمون السم سنة اثنتين ومائتين وهو ابن عشرين سنة، فيقال إنه كان ينظر كبده يخرج من حلقه قطعا فيلقيه في طشت ويقلبه بخلال في يده) [١].

٤- إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر.

جعفر: هو الإمام الصادق عليه السلام. وعلي بن إسماعيل له أخ اسمه محمد، خصّهما الإمام الصادق عليه السلام بالذكر [٢].

٥- العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار.

١- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة: ٢٩٩ – ٣٠٠.

٢- (عن علي بن جعفر، قال: سمعت أخي موسى عليه السلام قال: قال أبي لعبد الله أخي: إليك ابني أخيك فقد ملآني بالسفه فإنهما شرك شيطان يعني: محمد بن إسماعيل بن جعفر، وعلي بن إسماعيل، وكان عبد الله أخاه لأبيه وأمه) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٤٢.

ملاحظة: ذكرت النصوص انضمام علي بن جعفر له بالبصرة، وقد تقدم في الجزء السابق من "يوم الحسين" استعراض إيمان علي بن جعفر بأبيه الصادق وأخيه الكاظم و ابن أخيه الرضا ثم الجواد عليهم السلام، لكن كما قلنا مراراً أنّ المؤمن لا يخلو من الغفلة والتقصير.

٦- الحسن بن الحسن الأفطس بن علي ابن (الإمام علي بن الحسين).

الحسن الأفطس: هو الذي أقدم على محاولة طعن الإمام الصادق بشفرة [١].

٧- جعفر بن محمد بن زيد ابن (الإمام علي بن الحسين).
٨- الحسين بن إبراهيم بن الحسن ابن (الإمام علي بن الحسين).
٩- إبراهيم بن موسى بن جعفر (أخو الإمام الرضا).

(عن بكر بن صالح قال: قلت لإبراهيم بن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ما قولك في أبيك؟ قال: هو حي، قلت: فما قولك في أخيك أبي الحسن عليه السلام؟ قال: ثقة صدوق، قلت فإنه يقول: إن أباك قد مضى، قال: هو اعلم بما يقول، فأعدت عليه فأعاد علي، قلت: فأوصى أبوك؟ قال: نعم، قلت: إلى من أوصى؟ قال: إلى خمسة منا وجعل علياً المقدم علينا) [٢].

١- روى الكليني بسنده: (عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد جميعا، عن سالمة مولاة أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حين حضرته الوفاة فأغمي عليه فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين وهو الأفطس سبعين دينارا وأعطوا فلانا كذا وكذا وفلانا كذا وكذا فقلت: أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة؟ فقال: ويحك أما تقرئين القرآن؟ قلت: بلى قال: أما سمعت قول الله عزوجل: "الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب".

قال ابن محبوب في حديثه حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك.

فقال: أتريدين على أن لا أكون من الذين قال الله تبارك وتعالى: "الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب " نعم يا سالمة إن الله خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة الفي عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم) الكافي: ٧ / ٥٥.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٤٦.

(وكان إبراهيم بن موسى سخيا شجاعا كريما، وتقلد الإمرة على اليمن في أيام المأمون من قبل محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الذي بايعه أبو السرايا بالكوفة، ومضى إليها ففتحها و أقام بها مدة إلى أن كان من أمر أبي السرايا ما كان، فأخذ له الأمان من المأمون) [١].

(وفي هذه السنة (٢٠٠ هـ) خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين ابن علي بن أبي طالب باليمن وكان إبراهيم بن موسى فيما ذكر وجماعة من أهل بيته بمكة حين خرج أبو السرايا وأمره وأمر الطالبيين بالعراق ما ذكر وبلغ إبراهيم بن موسى خبرهم فخرج من مكة مع من كان معه من أهل بيته يريد اليمن ووالي اليمن يومئذ المقيم بها من قبل المأمون إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس فلما سمع بإقبال إبراهيم بن موسى العلوي وقربه من صنعاء خرج منصرفاً عن اليمن في الطريق النجدية بجميع من في عسكره من الخيل والرجل وخلى لإبراهيم بن موسى بن جعفر اليمن وكره قتاله ..... وكان يقال لإبراهيم بن موسى الجزار لكثرة من قتل باليمن من الناس وسبى وأخذ من الأموال) [٢].

قيل: إنّ الإمام الرضا عليه السلام تشفّع فيه عند المأمون فشفّعه فيه وتركه [٣].

١٠- أحمد بن موسى بن جعفر (أخو الإمام الرضا).

(محمد بن أحمد بن أسيد، قال: لما كان من أمر أبي الحسن عليه السلام (الكاظم) ما كان، قال إبراهيم وإسماعيل ابنا أبي سمال فنأتي أحمد ابنه، قال: فاختلفا إليه زماناً، فلما خرج أبو السرايا، خرج أحمد بن أبي الحسن عليه السلام معه فأتينا إبراهيم

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٤٥ – ٢٤٦.

٢- تاريخ الطبري: ٧ / ١٢٣ – ١٢٤.

٣- أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٢ / ٢٢٩.

وإسماعيل فقلنا لهما إنّ هذا الرجل خرج مع أبي السرايا فما تقولان؟ قال: فأنكرا ذلك من فعله ورجعا عنه، وقالا: أبو الحسن حي نثبت على الوقف) [١].

توفي بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، ودفن بشيراز وقبره فيها معروف [٢].

١١- زيد بن موسى بن جعفر (أخو الإمام الرضا).

(ابن أبي عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون وقد كان خرج بالبصرة وأحرق دور ولد العباس وهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما أتاه بصغير، فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد غضب لله عزوجل فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليهما السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام يقول: رحم الله عمي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولي قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق و إنه كان اتقى لله من ذلك إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام و إنما جاء ما جاء فيمن يدعي أنّ الله تعالى نص عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن خوطب بهذه الآية: "وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم") [٣].

(علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثني ياسر أنه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمى زيد النار فبعث إليه المأمون فأسر وحمل إلى المأمون فقال المأمون: اذهبوا به إلى أبي الحسن، قال ياسر: فلما أدخل إليه قال له أبو

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٧١.

٢- انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٤٩٤.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٢٢٥.

الحسن عليه السلام: يا زيد أغرّك قول سفلة أهل الكوفة أنّ فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار ذلك للحسن والحسين خاصة إن كنت ترى إنك تعصي الله عزوجل وتدخل الجنة وموسى بن جعفر عليه السلام أطاع الله ودخل الجنة فأنت إذا أكرم على الله عزوجل من موسى بن جعفر عليه السلام والله ما ينال أحد ما عند الله عزوجل إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته فبئس ما زعمت! فقال له زيد: أنا أخوك و ابن أبيك، فقال له أبو الحسن عليه السلام: أنت أخي ما أطعت الله عزوجل أن نوحاً عليه السلام قال: "رب إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين" فقال الله عزوجل: "يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح" فأخرجه الله عزوجل من أن يكون من أهله بمعصيته) [١].

١٢- إسماعيل بن موسى بن جعفر (أخو الإمام الرضا):

اشترك في ثورة أبي السرايا، وولّاه على فارس، وبعد فشل الثورة ومقتل أبي السرايا خرج إلى مصر وتوفي فيها [٢].

خاتمة:

قيادة الثورة "ثورة أبي السرايا" كانت تعرف جيداً بقيمة ومكانة الإمام الرضا صلوات الله عليه، ولذا كانوا حريصين على مخاطبته وكسب تأييده، لكن الإمام لم يكن يرى القيام بثورة مسلحة، وهو تكليف الأئمة من ولد الحسين كما بينا وأوضحنا أكثر من مرة، لذلك لم يشترك ولم يؤيد تحركهم، بل أخبرهم بأنّ مصير ثورتهم الفشل:

(عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن عبد الصمد بن عبيد الله عن محمد بن الأثرم وكان على شرطة محمد بن سليمان العلوي بالمدينة أيام أبي السرايا، قال: اجتمع عليه أهل بيته وغيرهم من قريش فبايعوه وقالوا له: لو بعثت إلى أبي الحسن الرضا

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٥٩ – ٢٦٠.

٢- انظر: تاريخ ابن خلدون: ٣ / ٢٤٣؛ تاريخ الكوفة، البراقي: ٤٠٩؛ أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٧ / ٢١٨؛ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٦٧٢.

عليه السلام كان معنا وكان أمرنا واحداً، فقال محمد بن سليمان: اذهب إليه فاقرأه السلام وقل له: إنّ أهل بيتك اجتمعوا وأحبوا أن تكون معهم فإن رأيت أن تأتينا فافعل، قال: فأتيته وهو بالحمراء (موضع قريب من المدينة) فأديت ما أرسلني به إليه فقال أقرأه منى السلام وقل له: إذا مضى عشرون يوما أتيتك، قال: فجئته فأبلغته ما أرسلني به فمكثنا أياماً فلما كان يوم ثمانية عشر جاءنا ورقاء قائد الجلودي فقاتلنا وهزمنا وخرجت هارباً نحو الصورين فإذا هاتف يهتف بي: يا أثرم فالتفت إليه، فإذا أبو الحسن عليه السلام وهو يقول: مضت العشرون أم لا؟ وهو محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) [1].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٢٤ – ٢٢٥.

الإمام الرضا (ع) وولاية العهد:

من الأحداث المهمة في حياة الإمام الرضا صلوات الله عليه هي ولاية العهد التي حصلت في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته الشريفة، وقد تناول هذا الحدث أغلب المؤرخين بوصفه حدثاً تاريخياً مهماً يمثل انعطافة جديدة لا سابقة لها في طبيعة العلاقة بين العباسيين والعلويين؛ إذ لم يعهد أنّ خليفة عباسي قرّب علوياً إليه إلى حد أن جعله ولياً لعهده.

ونحن من جانبنا سنتناول المسألة بطريقة ليست تقليدية متعارفة أيضاً.

المأمون وقرار ولاية العهد:

ولد عبد الله المأمون سنة ١٧٠ هـ؛ السنة التي تولّى فيها أبوه هارون الخلافة، وكان معروفاً عنه النباهة والحزم بخلاف شخصية أخيه الأمين. ولا يعنينا الخوض في تفاصيل سيرته الآن، لكن الملفت في شخصيته هو اعتقاده، وهو الأمر المهم بالنسبة لبحثنا.

اعتقاد المأمون:

الملفت في سيرة المأمون أنه كان محباً لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وكان يصف نفسه بالتشيع لهم [١]!

١- قال الطبرسي: (وروي أنّ المأمون قال لقومه: أتدرون من علّمني التشيع؟ فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك. قال: علمنيه الرشيد! قيل له: وكيف ذلك، والرشيد يقتل أهل البيت؟! قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك، لأن الملك عقيم، ثم قال: إنه دخل موسى بن جعفر عليهما السلام على الرشيد يوما فقام إليه، واستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه، وجرى بينهما أشياء، ثم قال موسى بن جعفر عليه السلام لأبي: يا أمير المؤمنين إن الله عزوجل قد فرض على الولاة عهده: أن ينعشوا فقراء هذه الأمة، ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل، ويكسوا العاري، ويحسنوا إلى العاني، و أنت أولى من يفعل ذلك. فقال: أفعل يا أبا الحسن. ثم قام فقام الرشيد لقيامه، وقبل بين عينيه ووجهه، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن فقال: يا عبد الله! ويا محمد! ويا إبراهيم! امشوا بين يدي ابن عمكم وسيدكم، خذوا بركابه، وسووا عليه ثيابه، وشيعوه إلى منزله، فأقبل إلي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام سرا بيني وبينه فبشرني بالخلافة. وقال لي: "إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي". ثم انصرفنا وكنت أجرأ

ولهذا، لم يتردد بعض المؤرخين في وصفه بالتشيع كابن كثير والذهبي وغيرهم [١].

ولد أبي عليه، فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي أعظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، و أقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له؟ قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده. فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله يا بني أنه لأحق بمقام رسول الله مني ومن الخلق جميعا، ووالله لو نازعتني في هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك، لأن الملك عقيم. فلما أراد الرحيل من المدينة إلى مكة أمر بصرّة سوداء فيها مائتا دينار، ثم أقبل على الفضل فقال له: اذهب إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيقة وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت. فقمت في وجهه فقلت: يا أمير المؤمنين! تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش وبني هاشم ومن لا تعرف حسبه ونسبه: خمسة آلاف دينار إلى ما دونها. وتعطي موسى بن جعفر وقد عظّمته وأجللته مائتي دينار، وأخس عطية أعطيتها أحداً من الناس؟ فقال: اسكت لا أم لك! فإني لو أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وإغنائهم) الاحتجاج: ٢ / ١٦٥ – ١٦٧.

(الريان بن شبيب قال المأمون: استأذن الناس على الرشيد فكان آخر من أذن له موسى بن جعفر، فلما نظر إليه الرشيد تحرك ومد بصره وعنقه إليه حتى دخل البيت الذي كان فيه، فلما قرب منه جثا الرشيد على ركبتيه وعانقه ثم أقبل يسأل عن أحواله و أبو الحسن يقول: خير خير. فلما قام عانقه وودعه، فقلت يا أمير المؤمنين لقد رأيتك عملت بهذا الرجل شيئا ما عملته مع أحد قط فمن هذا الرجل! فقال: يا بني هذا وارث علم النبيين هذا موسى بن جعفر بن محمد إن أردت العلم الصحيح فعند هذا. قال المأمون: فعند ذلك انغرس في قلبي حبهم) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٢٥ – ٤٢٦.

١- قال ابن كثير: (تولّى المأمون الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر. وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية العهد من بعده لعلي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي - زين العابدين - بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وخلع السواد ولبس الخضرة كما تقدم، فأعظم ذلك العباسيون من البغاددة وغيرهم، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي، ثم ظفر المأمون بهم واستقام له الحال في الخلافة) البداية والنهاية: ١٠ / ٣٠١.

وقال الذهبي - ضمن أحداث سنة ٢١١ هـ -: (تشيع المأمون: وفيها أمر المأمون بأن ينادى: برئت الذمة ممّن ذكر معاوية بخير أو فضّله على أحد من الصحابة. وإن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان المأمون يبالغ في التشيع، ولكن لم يتكلم في الشيخين بسوء، بل كان يترضى عنهما ويعتقد إمامتهما، رضي الله عنهما) تاريخ الإسلام: ١٥ / ٥ – ٦.

ابن كثير أيضاً، وصف تشيع المأمون بثاني مراتب التشيع؛ وهي المرتبة التي تقضي بتفضيل علي عليه السلام على غيره من الصحابة [١].

لم يكن ما رآه المأمون من تعامل والده هارون مع الإمام موسى بن جعفر وتقديره له السبب الوحيد في بذر التشيع أو الميل ومحبة آل البيت في نفسه وحسب، ولكن المربي الذي احتضنه وصقل شخصيته كان له دور في ذلك أيضاً، وقد تقدم [٢] أنّ هارون العباسي دفع بابنه المأمون إلى البرامكة (وتحديداً إلى جعفر بن يحيى البرمكي) لتربيته؛ ومعروف عن البرامكة ميلهم لآل بيت الرسول، وختموا أمرهم باهتدائهم و إيمانهم بالإمام الكاظم؛ الأمر الذي كان سبباً في نقمة هارون العباسي عليهم.

البرامكة تركوا أثراً واضحاً في شخصية المأمون وطبعوا في نفسه مسألة تقريب الإمام الرضا له وتوليته العهد من بعده بل تسليمه الخلافة من الأصل كما سيتضح، فواضح أنّ الإمام الكاظم كان قد عرّفهم بالإمام بعده وأطلعهم على مجريات ما يحدث بعد

١- مستند ابن كثير في ذلك رواية نقلها عن ابن عساكر، قال: (وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال: دخلت على المأمون فقال: كيف أصبحت يا نضر؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. فقال: ما الارجاء؟ فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم. قال: صدقت. ثم قال: يا نضر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم؟ قلت: إني لمن علم الغيب لبعيد. فقال قلت أبياتاً وهي:

أصبح ديني الذي أدين به	ولست منه الغداة معتذرا
حب علي بعد النبي ولا	أشتم صديقا ولا عمرا
ثم ابن عفان في الجنان مع ال	أبرار ذاك القتيل مصطبرا
ألا ولا أشتم الزبير ولا	طلحة إن قال قائل غدرا
وعائش الام لست أشتمها	من يفتريها فنحن منه برا

وهذا المذهب ثاني مراتب الشيعة وفيه تفضيل علي على الصحابة) البداية والنهاية: ١٠ / ٣٠٣.

٢- انظر: يوم الحسين / الجزء الرابع: بحث: ما حلّ بالبرامكة نكبة أم نعمة!

شهادته، بل الإمام الكاظم نفسه أخبر المأمون بأنّ الخلافة ستؤول إليه وطلب منه أن يُحسن إلى ولده، وبالتالي فمسألة ولاية العهد أمر مخطط له إلهياً [١]!

عموماً، مسألة ميل المأمون لآل محمد عليهم السلام أمر واضح وعليه شواهد وتؤكده الوثائق التاريخية، ولا أقل فالثابت عنه أنه قام برد فدك على العلويين [٢]، و أنه كتب إلى جميع الآفاق بأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله [٣]، وبالمقابل كتب: "أن برئت الذمة من أحد من الناس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله" [٤].

و أيضاً: عقد المأمون مؤتمراً علمياً في بغداد وكلّف يحيى بن أكثم أن يجمع له كبار المتكلمين والمحدثين في بغداد ممّن يروون ويقولون بتفضيل الخلفاء الثلاثة على أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وتصدى المأمون لمناظرتهم و أبطل جميع حججهم و أثبت أفضلية الإمام علي عليه السلام [٥]. وكان غرضه من ذلك التقرّب إلى الإمام الرضا صلوات الله عليه، لكن الإمام كان يخبر بعض خواصّه بأنه مقتول!

(عن إسحاق بن حماد قال: كان المأمون يعقد مجالس النظر ويجمع المخالفين لأهل البيت عليهم السلام ويكلمهم في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتفضيله على جميع الصحابة تقرباً إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، وكان الرضا عليه السلام يقول لأصحابه الذين يثق بهم: لا تغتروا منه بقوله، فما يقتلني والله غيره ولكنه لا بد لي من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله) [٦].

١- تقدمت رو اية المأمون عن الإمام الكاظم، وقد ذكر فيها سبب تشيعه، قال: (... فأقبل إليّ أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام سراً بيني وبينه فبشّرني بالخلافة. وقال لي: "إذا ملكت هذا الأمر فأحسن إلى ولدي" ...) الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٦٦.

٢- انظر: فتوح البلدان، البلاذري: ١ / ٣٨.

٣- انظر: تذكرة الخواص، ابن الجوزي: ٣٦٦،

٤- مروج الذهب، المسعودي: ٣ / ٣٦١.

٥- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٩٩ – ٢١٥.

٦- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٩٩.

قول الإمام الرضا: "فما يقتلني والله غيره ..." لا يقصد به أنّ المأمون يباشر قتل الإمام بنفسه، وسيتضح معناه بدقة في البحوث القادمة.

مسألة أن يهتدي الإنسان أو يميل إلى الحق ويقترب منه فترة من حياته ثم ينتكس بسبب الدنيا؛ خصوصاً في مثل حالة المأمون المبتلى بالملك، أمر وارد في دنيا الامتحان، وكم له من نظائر وشواهد، وبالتالي فلا أجد مبرراً لفكرة رفض تشيع المأمون (أو ميله لآل محمد عليهم السلام كحد أدنى) من الأساس بحجة أنه بالنهاية ساهم بقتل الإمام!

بل بالغ البعض أكثر وصوّر قضية منح المأمون ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام بأنها مجرد إجراء صوري غير حقيقي؛ الهدف منه:

- التضييق على الإمام!
- سبيل لإخماد ثورات العلويين وامتصاص غليان الشارع الشيعي آنذاك!
- تدعيم موقفه بشخصية قوية لها ثقل أمام الأسرة العباسية التي كانت تقدم أخاه الأمين عليه [١]!
- كسب ود بعض قادة جيشه (وكثير من المقاتلين فيه، بل عموم المسلمين) الذين لديهم ميول لآل محمد!

بحسب هؤلاء فإنّ السبب الذي دعا المأمون إلى إظهار تشيّعه أو ميله وتقليد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام هي هذه الأمور مجتمعة أو بعضاً منها [٢]!

والحق، إنّ ما ذُكر مجرد تخمينات لا أكثر؛ إذ التضييق على الإمام كان يمكن أن يحصل مع بقائه بالمدينة وتشديد الرقابة عليه كما فعل المنصور العباسي مع الإمام الصادق وكما فعل هارون العباسي مع الإمام الكاظم، بل يمكن أن يحصل بالإتيان بالإمام الرضا إلى خراسان بدون منحه ولاية العهد!

١- باعتبار المأمون ابن أمة "مراجل"، بخلاف الأمين فأمه زبيدة وهي هاشمية.

٢- انظر: حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٣٦٢ – ٣٦٩، ٣٧٤.

أما قضية الثورات ومنها ثورات العلويين التي اشترك فيها بعض إخوة الإمام الرضا، فهي لم تكن تحظى بتأييد الإمام من الأساس، ولم يكن يأذن لأصحابه وغيرهم بالاشتراك فيها، وليس السبب في ذلك يعود إلى التقية أو تجنب مواجهة السلطة بقدر ما هو موقف عقائدي ديني ثابت لديه، وقد أوضحناه في البحوث السابقة من "يوم الحسين"، وباختصار أقول: إنّ الامام الرضا يعلم بمراد الله وأنّ الله لم يأذن للأئمة من ولد الحسين بالقيام بثورة مسلحة بعد عاشوراء إلى وقت مجيء القائم، وهذا الموقف الديني أوضحه السجاد والباقر والصادق والكاظم صلوات الله عليهم، والإمام الرضا يسير على نهجهم بالتأكيد، لهذا لم يفكر الإمام بالقيام بثورة مسلحة ولم يؤيد ثورة مسلحة وإن قادها علوي أو اشترك فيها بعض إخوته، الإمام الرضا لا يجامل أحداً على حساب مراد الله ودينه ورسالته. وبالتالي، فمن العبث زعم أنّ المأمون أتى به إلى خراسان وقلّده ولاية العهد بغرض تهدئة الثورات، وكأنّ الإمام كان يقود تلك الثورات أو يؤيدها أو يتعاطف معها؟!

نعم، يمكن اعتبار تهدئة الشارع هدفاً ثانوياً ضمنياً؛ فالمأمون بالنتيجة حاكم يفكر باستقرار دولته، وبالتالي فإجراء مثل الإتيان بعميد العلويين وجعله على رأس السلطة أكيد يسهم بتهدئة العلويين الثائرين في أكثر من مكان في ذلك الوقت، لكن أن يكون هذا هو الهدف الأساس من إظهار المأمون التشيع وتنصيب الإمام ولياً للعهد فغير صحيح؛ باعتبار أنّ الأمر لم يقف عند عرض ولاية العهد بل سبقه عرض تصدي الإمام للخلافة حيث كان المأمون عازماً على التنازل عنها لصالح الإمام كما سيتضح.

أما مسألة تدعيم المأمون موقفه بين العباسيين بمنح ولاية العهد للرضا، فهو أمر غريب حقيقة وفيه قلب للحقائق تماماً، فمسألة انفراد المأمون بالحكم بات أمراً واقعاً؛ لأننا نتحدث عن عام ٢٠١ هـ (السنة التي عُيّن فيها الإمام الرضا ولياً للعهد)، والأمين قُتل في سنة ١٩٨ هـ، وهذا يعني أنّ التنصيب كان في ظرف اتساق الأمور للمأمون وسيطرته على جميع البلاد. والواقع أثبت العكس؛ إذ اعتبر كبار البيت العباسي في بغداد إجراء المأمون استفزازاً لهم وتعدياً للخطوط الحمراء التي تهدد بزوال الملك عن العباسيين فعمدوا إلى خلع المأمون عن الخلافة وتنصيب إبراهيم بن المهدي العباسي بدلاً منه. أضف إليه: أنّ مسألة تدعيم الموقف لا تنحصر بجعل الإمام الرضا ولياً للعهد بل كان يمكن تحصيلها

بإجراء أقل حدة وليس فيه استفزاز للعباسيين كأن يتخذه مستشاراً مثلاً أو يقرّبه إليه بأي طريقة أخرى غير ولاية العهد.

والكلام نفسه يجري في مسألة "الكسب والتعاطف"؛ إذ يمكن تحصيل هذا الغرض – على فرض وجوده فعلاً – بسبل أخرى كثيرة، خصوصاً و أننا نتحدث عن خليفة عباسي ورث ملك هارون على مملكة مترامية الأطراف، وبالتالي فخيارات كثيرة كانت متاحة أمامه!

نصوص تؤكد تشيع المأمون أو ميله:

كثيرون استغربوا من إصرار المأمون على مسألة منح منصب ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، ومن يطالع أجوبته لهم في الحوارات التي دارت بينه وبينهم (وسيأتي عرض بعضها بتمامها)، يلاحظ اعتقاده بالإمام الرضا عليه السلام بوضوح، منها:

- المأمون: "فلما وفى الله تعالى بما عاهدته عليه أحببت أن أفي الله بما عاهدته فلم أرَ أحداً أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا فوضعتها فيه ..." [١].
- المأمون: "إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع (يقصد الأمين) وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل (يقصد الرضا) ..." [٢].
- المأمون: "يا ابن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني" [٣].
- المأمون: "أيها الناس جاءتكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والله لو قُرئت هذه الأسماء على الصم البكم لبرؤوا بإذن الله عزوجل" [٤].
- كان المأمون يخاطب الإمام الرضا: "سيدي" [٥].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦٤.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٧٥.

٣- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٣٧.

٤- الأمالي، الصدوق: ٧٥٨.

٥- على سبيل المثال، انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٢.

- و أيضاً: قول الرضا عليه السلام بحق المأمون: "إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، ... و أنه جعل إليّ عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده" [1].

هذه مقتطفات من نصوص حوارية سيأتي عرض أغلبها بتمامها، واعتقاد المأمون فيها بالإمام الرضا عليه السلام (ولو بمستوى معين) واضح وجلي.

الامام الرضا (ع) ولياً للعهد:

الطرح التقليدي لولاية العهد وما تلاه:

المتعارف لدى أغلب الباحثين (الشيعة منهم بالخصوص) في مسألة ولاية العهد أنهم يؤكدون الأمور التالية في طرحهم وبحوثهم:

١- إسناد المأمون منصب ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام كان لأسباب سياسية بحتة، ولم يكن صادقاً في فعله.
٢- كان الإمام الرضا عليه السلام مجبوراً على القبول بولاية العهد، والجبر بنظرهم يعني أنّ حياة الإمام مهددة بالخطر والقتل.
٣- دور الفضل بن سهل في موضوع ولاية العهد ينحصر بالتحريض، أي تحريض المأمون على استقدام الإمام من المدينة إلى خراسان وتنصيبه ولياً للعهد ليكون تحت النظر ومر اقباً من قبل أجهزة السلطة ولا يتمكن من القيام بأي حركة.
٤- بخصوص الأحداث التي تلت التنصيب: فهي بالمجمل تقوم على أساس سوء النية في تصرفات المأمون ووزيره بعد أن كان هدفهما من الأساس إيذاء الإمام والسعي للتخلص منه إلى أن حاكا بالنهاية عملية تصفيته واغتياله بالسم.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٨.

أما ما يظهر في بعض النصوص والروايات التاريخية أحياناً من احترام وتبجيل قد يبديه المأمون أو وزيره الفضل بن سهل للإمام الرضا عليه السلام فهو (بحسبهم طبعاً) مجرد نفاق وحيلة ومكر للتوصل إلى أغراض وغايات خبيثة لا أقل ولا أكثر!

هذا ملخّص تعاطي كثير من الباحثين مع مسألة ولاية العهد، وقد ناقشنا بعض كلامهم الذي ذكروا فيه الأسباب التي دعت المأمون لعرض ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام، وهي أسباب سياسية محضة كما عرفنا.

بحسب المؤرخين، فإنّ القصة بدأت ببعث المأمون وفداً من قبله إلى المدينة برئاسة الرجاء بن الضحاك للقاء الإمام واستقدامه إلى خراسان. فوصل وفد المأمون إلى المدينة وطرح على الإمام الرضا مسألة اصطحابه معهم إلى خراسان، وبعد مفاوضات اضطر الإمام للقبول والتهيئة للسفر، وسيتبين معنى الاضطرار والإجبار لاحقاً، وليس بالمعنى الذي فهموه (الخوف من القتل)!

وعموماً، ودّع الإمام الرضا قبر جده الرسول صلى الله عليه وآله:

(محول السجستاني قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدّمت إليه وسلّمت عليه فرد السلام وهنأته، فقال: ذرني فاني أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله وأموت في غربة وأدفن في جنب هارون قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون) [١].

علم الإمام الرضا عليه السلام بأن لا عودة لأهله بعد سفره هذا، فودَّعهم وأمرهم بالبكاء عليه، وفضَّ عليهم بعض العطاء [٢].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٤.

٢- انظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٣ / ٩٥؛ أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٤ / ١٢٣.

وفق الطرح التقليدي أيضاً، فإنّ الطريق الذي سلكه موكب الإمام الرضا من المدينة إلى خراسان هو طريق (البصرة – الأهواز – فارس – خراسان)، وليس طريق (الكوفة – قم – خراسان)؛ تجنّباً للمرور بمدن شيعية يكثر فيها شيعة الإمام وربما يُقدمون على تخليصه من أيدي السلطة الظالمة!

أقول: البحوث القادمة كفيلة بتقييم هذا الطرح.

فهم آخر لقضية ولاية العهد:

١- تنبيه مهم:

قبل عرض موضوع ولاية العهد ومجمل ما يتصل به من أحداث بشكل منطقي وموضوعي أكثر ينبغي الإشارة إلى مسألة مهمة، هي: إنّ الحقائق التاريخية لم تصلنا مجردة كما حصلت بالفعل، فالتاريخ أساساً – بما يحتويه من أحداث – لم يكن نزيهاً، والتوجهات السياسية والدينية للمؤرخ أو الراوي أو الجهة المشرفة التي تقف وراء مشروع الكتابة والتدوين كان لها دخل كبير في طريقة كتابته ونقل رواياته وأحداثه بطريقة انتقائية أحياناً أو مزيفة ومحرفة أحياناً أخرى؛ لغايات وأسباب كثيرة.

بلا شك، فإنّ خلفية المؤرخ أو الراوي تتدخل في كثير من الأحيان أثناء صياغة أو نقل حدث ما؛ خصوصاً في المسائل التاريخية المهمة والمفصلية كمسألتنا التي نحن بصددها، فمثلاً: تراه ينقل حدثاً رآه أو سمع به ويعلق عليه بحسب وجهة نظره، وبمرور الوقت يصبح التعليق جزءاً من نص الحادثة المروية، فيأتي الباحث ويأخذ النص كله والحال أنّ موضع استشهاده هو تعليق الراوي لا نفس الحدث! وبالتالي، فمسائل كهذه تحتاج إلى تروٍّ وقراءة النصوص والروايات بشكل أكثر موضوعية وحيادية وعدم تحميل الأمور أكثر مما تحتمل، وهذا بالتأكيد يوصل إلى نتائج أكثر دقة وقرب من الواقع.

وكمثال لتقريب الفكرة، أنقل نصاً تاريخياً متعلقاً ببحثنا لتكون فائدته أكبر:

(عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: أشار الفضل بن سهل على المأمون أن يتقرب إلى الله عز وجل وإلى رسوله صلى الله عليه وآله بصلة رحمه بالبقية بالعهد لعلي بن موسى

الرضا عليه السلام ليمحو بذلك ما كان من أمر الرشيد فيهم، وكان يقدر على خلافه في شئ فوجّه من خراسان برجاء بن أبي الضحاك وياسر الخادم ليشخصا إليه محمد بن جعفر بن محمد وعلي بن موسى بن جعفر عليه السلام وذلك في سنة مائتين فلما وصل علي بن موسى عليه السلام إلى المأمون وهو بمرو ولّاه العهد من بعده وأمر للجند برزق سنة وكتب إلى الآفاق بذلك وسمّاه الرضا وضرب الدراهم باسمه وأمر الناس بلبس الخضرة وترك السواد وزوّجه ابنته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي عليهما السلام ابنته أم الفضل بنت المأمون وتزوج هو ببوران بنت الحسن بن سهل زوجه بها عمها الفضل وكان كل هذا في يوم واحد [١]، وما كان يحب أن يتم العهد للرضا عليه السلام بعده ...) [٢].

النص واضح في أنّ الفضل بن سهل يعتبر الإمام الرضا بقية الرسول صلى الله عليه وآله الذي يتقرّب به المتقرب إلى الله، ويحث المأمون لوصله وتكفير ما فعله أبوه بالإمام الكاظم عليه السلام. و أيضاً: النص واضح في أنّ المأمون استقدم الإمام ليوليه ولاية العهد، و أنه ابتهج بمجيئه بشكل دعاه إلى توزيع رواتب الجند لمدة سنة مقدماً، كما أمر بالسواد (شعار العباسيين) فأزيح وحلَّ مكانه الخضار (شعار العلويين)، ثم أمر فنقش اسم الإمام على العملة الرسمية التي عادة ما ينقش عليها اسم الرئيس أو الملك الأعلى، و أيضاً: زوّجه ابنته ... إلخ، ثم يعلق الراوي فيقول: "وما كان - أي المأمون - يحب أن يتم العهد للرضا عليه السلام بعده"!

بعض أو كثير من الباحثين المتأخرين يأخذون هذا النص للاحتجاج به؛ لكن ليس على حسن نية المأمون والفضل بن سهل في مسألة تقليد الإمام الرضا ولاية العهد، و إنما على أنّ المأمون (والفضل تبعاً له) لم يكن صادقاً في فعله! وحجتهم في ذلك فقرة: "وما كان يحب أن يتم العهد للرضا عليه السلام بعده"! مع أنها ليست جزءاً من الحدث المروي الذي رآه الراوي أو سمع به، و إنما هو كلام يعبر عن فهم الراوي وتحليله ونظرته للحدث،

١- فقرة: "وكان كل هذا في يوم واحد" غير دقيقة وربما فيها تصحيف، لا أقل من جهة زواج الإمام الجواد عليه السلام؛ باعتبار أنه كان بالمدينة ولم يكن مع أبيه الرضا صلوات الله عليه، ثم بعد شهادته و انتقال المأمون إلى بغداد استدعاه إلى بغداد وزوّجه ابنته.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٨ – ١٥٩.

ولا أعرف كيف عرف الراوي أنّ المأمون والفضل لم يكونا صادقين في فعلهما، فهل دخل إلى قلبيهما مثلاً؟!!

عموماً، هذا مثال للنصوص التي تناولت مسألة ولاية العهد، وهي كثيرة بطبيعة الحال. هذا، فضلاً عن مسألة الوضع والكذب وما شابه التي شابت روايات الكثير من الأحداث التاريخية المهمة كمسألتنا.

٢- إلحاح الفضل بن سهل على المأمون:

إلحاح الفضل بن سهل على المأمون لاستقدام الإمام الرضا صلوات الله عليه من المدينة إلى خراسان وتنصيبه ولياً للعهد أمر واضح وبيّن في النصوص والروايات التاريخية، وكمثال لذلك:

رسالة الفضل بن سهل التي بعثها إلى الإمام الرضا عليه السلام وعرض فيها مسألة قدومه إلى خراسان وتقلّده منصب ولاية العهد، وهذا نصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم:

لعلي بن موسى الرضا، و ابن رسول الله المصطفى، والمهتدي بهديه، والمقتدى بفعله، الحافظ لدين الله، الخازن لوحي الله، من وليه الفضل بن سهل، الذي بذل في رد حقه إليه مهجته، ووصل ليله فيه بنهاره.

سلام عليك أيها المهتدي ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده.

أما بعد: فاني أرجو أن الله قد أدى لك، واذن لك في ارتجاع حقك ممن استضعفك، وان يعظم مننه عليك، وأن يجعلك الامام الوارث، ويري أعداءك، ومن رغب عنك، منك ما كان يحذرون.

وان كتابي هذا عن ازماع من أمير المؤمنين عبد الله الامام المأمون ومني على رد مظلمتك عليك، و اثبات حقوقك في يديك، والتخلي منها إليك، على ما اسأل الله الذي وقف عليه: ان تبلغني ما أكون بها أسعد العالمين، وعند الله من الفائزين، ولحق رسول الله صلى الله عليه وآله من المؤدين، ولك عليه من المعاونين، حتى أبلغ في توليك ودولتك كلتا الحسنتين.

فإذا أتاك كتابي - جعلت فداك - وأمكنك أن لا تضعه من يدك، حتى تسير إلى أمير المؤمنين، الذي يراك شريكاً في أمره، وشفيعاً في نسبه، وأولى الناس بما تحت يده... فعلت ما أنا بخيرة الله محفوفاً، وبملائكته محفوظاً، وبكلاءته محروساً، وأنّ الله كفيل لك بكل ما يجمع حسن العائدة عليك، وصلاح الأمة بك. وحسبنا الله ونعم الوكيل، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتبت بخطي) [١].

لغة الرسالة من بدايتها إلى نهايتها واضحة في الدلالة على ولاء الفضل بن سهل للإمام الرضا صلوات الله عليه، وبالتالي فهي إن لم تؤكد تشيّعه وولائه له فهي تؤكد محبّته وميله له كحد أقل؛ كل ذلك باعتراف صريح منه، بل ورد أنه كان يقول للإمام في حديثه معه: "سيدي" [٢]! وقد صرّح بتشيّعه بعض من ترجموا له [٣].

١- حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٢٨٤؛ نقلاً عن كتاب: التدوين، عبد الكريم الرافعي الشافعي: ٤ / ٥١.

٢- انظر، على سبيل المثال: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٣.

٣- منهم على سبيل المثال: ابن خلكان، يقول: (أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي أخو الحسن بن سهل ... ولما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه يحيى بحضرة الرشيد ... وكانت فيه فضائل وكان يلقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف، وكان يتشيع) وفيات الأعيان: ٤ / ٤١.

و أيضاً: الذهبي، يقول: (الفضل بن سهل السرخسي الوزير، وأخو الوزير الحسن بن سهل. أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين ومئة على يد المأمون. وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنا بليغا. وكان يلقب "ذا الرئاستين" لأنه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجما ماكراً ....) سير أعلام النبلاء: ١٠ / ٩٩ – ١٠٠.

وهذا ليس غريباً على من عرف سيرة الفضل بن سهل، فهو رجل فارسي تعود أصوله إلى سرخس وكان ملازماً للبرامكة وبالتأكيد فهو من الناحية الاعتقادية متأثر باعتقاد البرامكة، وقد تعرضنا لقضيتهم وعرفنا ميلهم لآل محمد بل ختموا حياتهم بالاهتداء إلى ولاية الإمام الكاظم عليه السلام، وعرفنا أيضاً أنهم مهّدوا لتولي الإمام الرضا ولاية عهد المأمون الذي تربّى على أيديهم، وضحّوا بسبب اعتقادهم بمناصبهم وحياتهم، وبالتالي فقضية تشيّع أو ميل الفضل بن سهل (وحتى المأمون) لآل محمد أمر منطقي وطبيعي لمن اطلع على سير الأحداث.

ثم إنّ مسألة تدخل وإلحاح الفضل بن سهل على المأمون في تعيين الإمام الرضا ولياً للعهد أمر كان يعلم به أغلب قادة الدولة العباسية، بل أكثر الناس عموماً؛ المؤيدين منهم لإجراء المأمون أو المعترضين عليه:

(عن الريان بن الصلت قال: أكثر الناس في بيعة الرضا من القواد والعامة ومن لم يحب ذلك وقالوا: إنّ هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرياستين ...) [1].

الأمثلة في هذا الصدد كثيرة، ومزيد من النصوص يأتي ذكرها عند بيان موقف المأمون نفسه.

وإذا اتضحت هذه الحقيقة، فلا أعرف سبباً معقولاً يدعو للإصرار على وصف الفضل بن سهل بالعدو الذي يريد الكيد بالإمام والانتقام منه ... إلخ، وتفسير قضية الإلحاح بتعيينه ولياً للعهد بطريقة أمنية جاسوسية ماكرة تستهدف تقريبه من أعين السلطة، وكأنّ الخيارات عُدمت إلا باتخاذ هكذا إجراء؟!!

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦٢.

٣- المأمون يعرض التنازل عن الخلافة من الأساس:

الأمر الذي يُحرج الفهم التقليدي المتقدم أكثر، هو معرفتنا بأنّ المأمون قبل عرض منصب ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام كان عازماً على التنازل إلى الإمام وتسليم الخلافة له، وهذه القضية إذا ما ثبتت – وهي ثابتة فعلاً – فلا أعتقد أنها تخضع للتبرير الأمني ولا غيره إطلاقاً، بل لا ينقطع النقاش إلا بالقول إنّ الرجل يعرف بإمامة الإمام الرضا وكان يميل إليه (كحد أدنى)، وهذه بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

(عن الريان بن الصلت قال: أكثر الناس في بيعة الرضا من القواد والعامة ومن لم يحب ذلك وقالوا: إن هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرياستين فبلغ المأمون ذلك فبعث إلي في جوف الليل فصرت إليه فقال: يا ريان بلغني أن الناس يقولون: إن بيعة الرضا عليه السلام كانت من تدبير الفضل بن سهل، فقلت: أمير المؤمنين يقولون ذلك، قال: ويحك يا ريان أيجسر أحد أن يجئ إلى خليفة و ابن خليفة قد استقامت له الرعية والقواد واستوت له الخلافة فيقول له ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أيجوز هذا في العقل؟ قال: قلت له: لا والله يا أمير المؤمنين ما يجسر على هذا أحد قال: لا والله ما كان كما يقولون ولكني سأخبرك بسبب ذلك، إنه لما كتب إلي محمد أخي (يقصد الأمين) يأمرني بالقدوم عليه فأبيت عقد لعلي عيسى بن هامان وأمره أن يقيدني بقيد ويجعل الجامعة في عنقي فورد علي بذلك الخبر وبعثت هرثمة بن أعين إلى سجستان وكرمان وما والاها فأفسد عليّ أمري فانهزم هرثمة وخرج صاحب السرير وغلب على كور خراسان من ناحية فورد عليّ هذا كله في أسبوع فلما ورد ذلك عليّ لم يكن لي قوة في ذلك ولا كان لي مال أتقوى به ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن أردت أن ألحق بملك كابل فقلت في نفسي: ملك كابل رجل كافر ويبذل محمد (الأمين) له الأموال فيدفعني إلى يده فلم أجد وجهاً أفضل من أن أتوب إلى الله تعالى من ذنوبي وأستعين به على هذه الأمور وأستجير بالله تعالى وأمرت بهذا البيت وأشار إلى بيت فكنس وصببت علي الماء ولبست ثوبين أبيضين وصليت أربع ركعات فقرأت فيها من القرآن ما حضرني ودعوت الله تعالى واستجرت به وعاهدته عهداً وثيقاً بنية صادقة أن أفضى الله بهذا الامر إلي وكفاني عادية الأمور الغليظة أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضع الله فيه، ثم قوي فيه قلبي فبعثت طاهراً إلى علي بن عيسى بن هامان فكان من أمره ما كان، ورددت هرثمة بن أعين إلى ر افع (بن أعين) فظفر به وقتله وبعثت إلى صاحب السرير فهاديته وبذلت له شيئاً حتى رجع فلم يزل أمري يتقوّى حتى كان من أمر

محمد (الأمين) ما كان و أفضى الله إلي بهذا الامر واستوى لي، فلما وفى الله تعالى بما عاهدته عليه أحببت أن أفي الله بما عاهدته فلم أرَ أحداً أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام فوضعتها فيه فلم يقبلها على ما قد علمت فهذا كان سببها. فقلت: وفق الله أمير المؤمنين، فقال: يا ريان إذا كان غداً وحضر الناس فاقعد بين هؤلاء القواد وحدثهم بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين ما أحسن من الحديث شيئا إلا ما سمعته منك، فقال: سبحان الله ما أجد أحدا يعينني على هذا الامر لقد هممت أن أجعل أهل قم شعاري ودثاري فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أحدث عنك بما سمعته منك من الاخبار؟ فقال: نعم حدث عني بما سمعته مني من الفضائل فلما كان من الغد قعدت بين القواد في الدار فقلت: حدثني أمير المؤمنين عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه وحدثني أمير المؤمنين عن أبيه عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علي مني بمنزلة هارون من موسى وكنت أخلط الحديث بعضه ببعض لا أحفظه على وجهه وحدثت بحديث خيبر وبهذه الأخبار المشهورة ...) [1].

النص واضح في ولاء (أو ميل) المأمون للإمام الرضا، فمسألة التنازل عن أصل الخلافة للإمام الرضا عليه السلام أمر لا يعقل التصنّع فيه، ولا ينفع معه التبرير بالجانب الأمني الذي ذكر في ولاية العهد، ولا ينقطع السؤال عنه إلا بالقول باعتقاد المأمون بالامام الرضا (أو ميله له) وقد صرّح هو بذلك: "ودعوت الله تعالى واستجرت به وعاهدته عهداً وثيقاً بنية صادقة ... أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضع الله فيه ... فلما وفى الله تعالى بما عاهدته عليه أحببت أن أفي الله بما عاهدته فلم أرَ أحداً أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام فوضعتها فيه فلم يقبلها ..."!

وهذا نص آخر يؤكد قضية تنازل المأمون عن الخلافة:

(عن أبي الصلت الهروي، قال: إنّ المأمون قال للرضا عليه السلام يا بن رسول الله قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني، فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل أفتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل،

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦٢ – ١٦٤.

فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها و أبايعك فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوزلك أن تخلع لباسا ألبسك الله وتجعله لغيرك وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوزلك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال له المأمون: يا بن رسول الله فلا بد لك من قبول هذا الامر، فقال: لست أفعل ذلك طائعا أبدا فما زال يجهد به أياما حتى يئس من قبوله فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن ولي عهدي له تكون الخلافة بعدي فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله إني أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسم مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد فبكى المأمون، ثم قال له: يا بن رسول الله ومن الذي يقتلك أويقدرعلى الإساءة إليك و أنا حي؟ فقال الرضا عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول لقلت من يقتلني؟ .....) [١].

و أيضاً: (موسى بن سلمة قال كنت بخراسان مع محمد بن جعفر، فسمعت أن ذا الرياستين الفضل بن سهل خرج ذات يوم وهو يقول: واعجباً لقد رأيت عجباً سلوني ما رأيت؟ فقالوا: ما رأيت أصلحك الله؟ قال: رأيت أمير المؤمنين يقول: لعلي بن موسى الرضا قد رأيت أن أقلدك أمر المسلمين و أفسخ ما في رقبتي وأجعله في رقبتك ورأيت علي بن موسى يقول له: الله الله لا طاقة لي بذلك ولا قوة فما رأيت خلافة قط كانت أضيع منها أمير المؤمنين يتفصى فيها ويعرضها على علي بن موسى وعلي بن موسى يرفضها ويأبى) [٢].

علماً، أنّ مسألة عرض التنازل عن الخلافة حصل من المأمون أكثرمن مرة في أكثرمن موقف، وكانت تحصل بين المأمون والإمام الرضا – بعد وصوله إلى خراسان – عدة حوارات ومخاطبات ولقاءات في سبيل إقناعه لقبول التصدي للخلافة دامت لمدة شهرين تقريباً [٣].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥١ – ١٥٢.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٢ – ١٥٣.

٣- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦٠ – ١٦١.

٤- المنطق والنصوص يؤكدان ولاء أو ميل المأمون للإمام الرضا:

استعرضنا بعض النصوص التي تؤكد ولاء أو ميل المأمون والفضل بن سهل للإمام الرضا صلوات الله عليه، لكن يصر كثير من الباحثين في هذا الشأن على وصفهما بالنصب والعداء، ومنطقياً أقول: لو كان المأمون ووزيره ناصبين معاديين للإمام، فهل ضاقت بهما السبل ولم يتبقَ لهما أي خيار غير الإصرار على تعيين الإمام ولياً للعهد، بل التنازل عن الخلافة كما عرفناه في كلام المأمون مع الإمام وإلحاحه عليه لمدة شهرين كاملين؟!!

لا شك أننا نتحدث عن المأمون (والفضل وزيره = رئيس وزراء دولته)، والمأمون زعيم امبراطورية مترامية الأطراف تحكم من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وتخضع لسلطتها عشرات البلدان وينتسب لجيوشها مئات ألوف الجنود بعدة وعدد كبيرين، هل يصعب عليه مراقبة الإمام وهو بالمدينة مثلاً؟!! أو المجيء به إلى خراسان ووضعه تحت الإقامة الجبرية والرقابة الأمنية بلا أن يمنحه أي صفة رسمية؟!! أو يمنحه صفة معينة غير منصب ولاية العهد الحساس جداً كما هو معروف، وقد أثار بالفعل حفيظة البيت العباسي ببغداد وجرَّ عليه ويلات كما سنعرف؟!!

أسئلة كثيرة لا مجال للتخلّص من إحراجاتها وفق الفهم التقليدي المتقدم، خصوصاً وأنّ نصوصاً كثيرة أكدت – كما بيّنت – اعتقاد المأمون والفضل بن سهل بالإمام الرضا عليه السلام، وبالتالي فمع فرض وجود نصوص في الجانب الآخر، فلا أقل لا يُصار إلى تقديم جانب السلب وطرح نصوص جانب الإيجاب بلا مبرر منطقي ومعقول!

وبقدر تعلق الأمر بنا، فإنّ خلاصة الفهم الذي عرضناه لمسألة ولاية العهد أنّ المأمون ووزيره الفضل بن سهل كانا يتولّيان أو يميلان إلى الإمام الرضا عليه السلام وكانا صادقين في العرض الذي تقدّما به، لكن أسباباً موضوعية (قاسية ومؤلمة، كما سنعرفها بعد قليل) دعت الإمام الرضا إلى رفض عرض التنازل "الصادق" الذي تقدّم به المأمون، و انتهت أخيراً بقبول الإمام الرضا بمنصب ولاية العهد مجبوراً وبشروط.

ملاحظة: نحن لما نقول بتولّي أو ميل المأمون للإمام الرضا صلوات الله عليه فهذا لا يعني أننا سننتظر منه أن يتعامل مع الإمام الرضا كتعامل زرارة وهشام بن الحكم مع

الإمام الباقر والصادق صلوات الله عليهما. وبالتالي، فمن الممكن جداً أن نجد نصوصاً وروايات (وهذا موجود بالفعل) يجادل فيها المأمون الإمام الرضا صلوات الله عليه أو ينزعج من بعض تصرفاته أو يكون في نفسه شيء عليه ونحو ذلك، ولكن أن يُصار إلى القول بأنّ المأمون إنما جعل الإمام ولياً للعهد لسبب أمني ومجرد مكر ودهاء منه يبتغي به الحفاظ على ملكه؛ لأنه بالأصل كان يبغض الإمام أو يتمنى الخلاص منه وحتى قتله (كما يرى الكثير من الباحثين) فهو غير صحيح ومجانب للحقيقة تماماً.

٥- لماذا رفض الإمام الرضا التصدي للخلافة وقَبِل بولاية العهد؟

قد يبدو الأمر صعباً من الناحية الاعتقادية بالنسبة لمن يرى صدق المأمون في مسألة تنازله عن الخلافة لصالح الإمام الرضا صلوات الله عليه، إذ كيف يمكن تعقل أنّ إماماً معصوماً تتهيأ له فرصة التمكين للحكم ويرفضها؟!

لذا لما واجه أغلب الباحثين هذه المعضلة كان الأسهل بالنسبة لهم القول بعدم صدق المأمون في عرض التنازل وانتهى الأمر؛ ظناً منهم أنه الطريق الأسلم للاحتفاظ بالاعتقاد الحق، لكنه بالتأكيد على حساب الحقيقة والواقع الذي نقلته نصوص تاريخية كثيرة؛ أعني النصوص التي أكدت أنّ المأمون كان صادقاً في التنازل، كما الإمام الرضا أيضاً كان صادقاً في رفض العرض!

نحن من جهتنا، يمكننا أن نجمع بين الأمرين بدون أن يؤثر ذلك على صحة الاعتقاد بإمامة الإمام الرضا وعصمته بمقدار رأس شعرة، أما كيف!

يقول السيد أحمد الحسن:

(الإمام الرضا عليه السلام، بلا نقاش والروايات تؤكد ذلك، وضع شروطاً وقبل بولاية العهد، فهو – كما الإمام الصادق – يعرف أنّ الأمر لا يتم في ظل الدولة العباسية فأراد تكرار موقف جده الإمام الصادق في رفض الاشتراك فيها.

لكن المأمون لم يتلبّس بأمر الخلافة كما الخلفاء العباسيون الآخرون، فهو تربّى على يد جعفر بن يحيى البرمكي المتشيع، ولذلك لم يعرض المأمون ولاية العهد فقط وإنما

عرض التنازل عن الخلافة كلها، هو كان يقول له: "أنت الإمام و أنا لا وجود لي أمامك"، والمأمون كان صادقاً بذلك ولم يكن كاذباً كما يدعي البعض، لكن الإمام رفض!

وحتى نستوعب مسألة رفض الإمام، ينبغي أن نعرف أنّ الدولة العباسية هي امبراطورية كبرى وكلها مبنية على منهج خاطئ وثقافة ومفاهيم خاطئة غير مرضية لله، رُسّخت عبر تعاقب السنين التي حكم فيها خلفاء بني أمية ثم بني العباس ابتداء من السفاح ثم المنصور مروراً بالمهدي ثم الهادي وهارون ثم الأمين ثم المأمون، فالحكم العباسي عبر هذه الفترة الطويلة ترتب وفق نظام ومنهج معين خاطئ كما قلت، والإمام الرضا عليه السلام مع الوضع الذي تسبّب به الو اقفة وضعف الوضع الشيعي عموماً، ورث حالاً بائساً تماماً!

الإمام الرضا بدأ من الصفر تقريباً ولم يرث شيعة الإمام الصادق، لو كانت الأمة مستمرة من الإمام الصادق بنفس الحال إلى الإمام الرضا لأمكن الإمام الرضا استلام زمام الخلافة والولاية والحكم؛ باعتبار وجود عدد كبير من الناس المؤمنين الذين يمكن الاستعانة بهم على تأدية مهام الخلافة وفق ما يرتضيه الله سبحانه، لكن بذاك الوضع البائس وبالعدد غير المؤهل المتوفر لديه لا يمكنه أن يفعل شيئاً بعد أن هدّم الو اقفة ما بناه الأئمة وخطفوا منه معظم الشيعة الذين صاروا لا يقبلونه عقائدياً، ومن رجع منهم للحق بقي الشك يملأ قلوبهم أو ضعف موقفهم، لذلك حتى مسألة ولاية العهد رفضها الإمام ابتداء مراعاة لحالهم، ثم قبلها بشروط. علماً، أنّ الو اقفة استمروا طول حياة الإمام الرضا عليه السلام، وبعد وفاته كان لهم وجود أيضاً، والقول بانتهاء أمرهم في زمانه غير صحيح.

بالتالي، وفق هذه المعطيات المتوفرة يكون وجود الإمام الرضا على رأس الحكم مجرد مشروع لاغتياله لا أكثر، أو أنه يتبنّى منهج العباسيين بالحكم؛ لأنه المنهج المتوفر والمتاح فعلياً، وحاشاه من ذلك).

ولكي نتعرف أكثر على السبب الذي دعا الإمام الرضا لرفض التصدي للخلافة بعد عرض تنازل المأمون عنها، يضيف السيد أحمد الحسن فيقول:

(لو قبل الإمام الرضا صلوات الله عليه بعرض المأمون وتصدّى للخلافة، فمن سيقبله وبمن سيحكم؟ هل لديه قاعدة واسعة يعتمد عليها، أم أنّ القاعدة تم تخريبها إلى درجة أنّ من لم يلتحق بكبار الو اقفة اهتزوا وشكّوا، وهم الأكثرية! ومن رجع منهم للتشيع رجع ضعيفاً عقائدياً، والسبب: أنّ قادة الفتنة هم كبار فقهاء الشيعة وكانوا وكلاء خاصّين للإمام الكاظم عليه السلام، ثم رجع القلة للحق وآمنوا بالإمام الرضا لكن الأكثرية بقوا مهزوزين، وإلا كيف نفهم حديث الإمام الرضا مع الجموع التي استقبلته وقوله لهم في الحديث المعروف: "لا إله الا الله حصني"، ثم يقول: "بشرطها وشروطها و أنا من شروطها"، أوليس أنّ كثيراً من الحاضرين هم شيعة خرجوا لاستقباله؟! هل يعقل أنهم لا يعرفون أنه من شروطها، وهو أمر يعد من أبجديات التشيع؟!

الحديث له سبب حقيقة، فهو عليه السلام يقول لهم: أنا مرتبط بـ "لا إله الا الله" كارتباط رسول الله محمد بها، لكن لماذا يخاطبهم الإمام بهذه الطريقة وهم خارجون لاستقباله؟! خاطبهم بذلك؛ لأنهم كانوا مهزوزين بسبب فتنة الو اقفة!

و أيضاً: الإمام الرضا إذا أراد أن يحكم فلا شك أنه يحكم بمنهج أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، الذي كان يقف أحدهم قريباً منه وهو يصلي فيقرأ: "لأن أشركت ليحبطن عملك"، فلم يفعل له شيئاً سوى أنه صبّر نفسه بقول الله: "اصبر إنّ وعد الله حق"، وهو خليفة المسلمين علي بن أبي طالب، ولو أراد الإمام الرضا الحكم بمنهج علي فمن يتحمله منه؟!

لو استثنينا "السنوات الخمس" التي قضاها الإمام علي بخوض الحروب التي فرضت عليه إلى أن قتل في محراب صلاته، وأضفنا لها "الأشهر" التي حكم فيها ابنه الحسن؛ الفترة التي تخاذل فيها المسلمون عن نصرته مع أنه سيد شباب أهل الجنة باعتراف الجميع، لو استثنينا ذلك لوجدنا أنّ الدولة الإسلامية محكومة من زمن أبي بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وبني أمية ثم بني العباس وصولاً إلى المأمون. وبالتالي، فبعد استبعاد إمكانية الحكم بمنهج علي عليه السلام؛ لعدم توفر القاعدة القابلة، لا يبقى غير الحكم بالمنهج الآخر، وهذا يعني أنّ قبول الإمام الرضا بعرض المأمون وتصديه للخلافة – في ظل الو اقع المتوفر لديه – يوجب تحمّله وزر المنهج الخاطئ في الحكم، وهذا ما لا يفعله الرضا إطلاقاً، كما لم يفعله جده علي بن أبي طالب عندما عرضت عليه الخلافة أول مرة بعد

مقتل عمر ورفضها إلا أن تكون بيعة على كتاب الله وسنة رسوله ومنهجه هو صلوات الله عليه، فعلي بن موسى الرضا ليس أول من عرضت عليه الخلافة ورفضها من الأئمة صلوات الله عليهم، فقد رفضها علي بن أبي طالب ورفضها الإمام جعفر بن محمد الصادق لما عرضها عليه أبو مسلم الخراساني، ثم هنا يتكرر الموقف مع الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه.

هذا من جهة السياسة والحكم، وليس الحال أفضل من جهة الدين؛ فقهاً وعقيدة، ففي زمن الإمام الرضا كثر الفقهاء المخالفون وكل فقيه له منهج و أتباع وأماكن ومساجد تدعو له ... إلخ! وعلى مستوى الاعتقاد كان لكل من الأشاعرة والمعتزلة طريق ومنهج ومدرسة وعلماء و أتباع ... إلخ! وبالتالي، فمن كان في زمن علي والحسن والحسين عليهم السلام بعيداً عن الحق والصراط المستقيم بمسافة أمتار ففي زمن الإمام الرضا ازدادت المسافة بعداً حتماً، ومع شدة البعد عن الصراط المستقيم هل يتمكن الرضا من إرجاعه إلى الحق، وهل يقبل منه ذلك؟! إذا لم يكن يقبل من علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي هل تراه يقبل من الرضا؟!

ماذا يمكن للإمام الرضا أن يفعل في ظل و اقع هذا حاله؟! بالتأكيد، لسان حاله سيقول: "لا الناس ناسي ولا الزمان زماني"!

هذه أسباب موضوعية وحقيقية دعت الإمام الرضا صلوات الله عليه لرفض تنازل المأمون عن الخلافة وتصدّيه لها، أما ولاية العهد فأمرها أهون بعد أن كان المتصدي هو المأمون، فهو من يتحمّل وزر الحكم وما يحصل فيه من ظلم وتبعات بحكم المنهج الخاطئ بالتأكيد، ومن جانب آخر: الإمام من خلال ولاية العهد يمكنه أن يكون أكثر تأثيراً ونفعاً لدين الله والناس قدر المستطاع، فيكون حاله كحال يوسف عليه السلام، فلذلك قبل بولاية العهد) انتهى [1].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

مسألة قبول الإمام الرضا بولاية العهد جاءت نتيجة الضغط والإجبار، لا شك في ذلك، لكن الإجبار ليس بمعنى التهديد بالقتل كما فهم الكثيرون، و إنما له معنى آخر:

يقول السيد أحمد الحسن:

(الإمام الرضا صلوات الله عليه قَبِل بولاية العهد مجبراً، فالإجبار والضغط على الإمام للقبول بولاية العهد موجود وهو أمر صحيح، لكن ليس بمعنى التهديد بالقتل، و إنما بمعنى الضغوط والإلحاح الكبير عليه.

قبول الامام بولاية العهد ليس فيه نظر لمسألة التهديد بالقتل أصلاً، ولو كان في قبوله مخالفة لرضا الله ومضرّة لدين الله لما قبل حتماً بلا أن يحسب للقتل أدنى حساب؛ فالقتل بالنسبة له لا يعد مشكلة كبرى أصلاً، وقد قُتل آباؤه!

ثم إنّ المأمون متشيع أو يميل إلى الإمام الرضا من الأساس وباعتر افه، ومن ينكر ذلك أو يحملون أقواله وتصرفاته على محامل سيئة فهل هم دخلوا إلى قلبه مثلاً واطلعوا على ما فيه؟! بل الأمر لا يقف عند المأمون فحسب، ولكن كثيرين من المحيطين به كانوا متشيعة أو لديهم ميل للتشيع، ومن لم يكن متشيعاً للإمام الرضا ومعتقداً بإمامته لديه حب واضح له. بلى، الحقد والبغض بقي فقط لدى مجموعة من العباسيين الذي خشوا من مسألة خروج الملك من بني العباس و انتقاله لآل محمد عليهم السلام.

نعم، المأمون قد يكون أزعج الإمام الرضا وضغط عليه وربما تصرف تصرفات غير مقبولة عند الإمام بحكم وضعه كخليفة وحاكم دنيا، لكن أن يكون هدّد الإمام بالقتل في حال رفضه ولاية العهد فهذا غير صحيح، بل حتى مسألة اغتيال الإمام بالسم ينبغي مناقشتها بموضوعية و إنصاف، وهي ليست بيد المأمون تماماً، لكنها الدنيا بالنهاية، فالمأمون حاكم عباسي خلف أباه هارون وورث منه دنياه وملكه، بعض أهل الدنيا في أيامنا هذه ربما لديهم شيء بسيط جداً من دنيا وملك هارون ومع هذا لديهم استعداد أن

يفعلوا أي شيء من أجل الحفاظ على دنياهم التافهة جداً فما بالك بمن ورث مملكة ضخمة وامبراطورية مترامية الأطراف تمتد من الصين إلى أوروبا) انتهى [١].

يضيف السيد أحمد الحسن بيان بدايات فكرة ولاية العهد والأسباب الموجبة لذلك، موضحاً أنّ الفضل بن سهل هو من ابتدأ طرحها كفكرة على المأمون، وبقت تجول برأسه سنين، ريثما نضجت ظروفها أكثر، بينما استمر الفضل بتكرار طرحها عليه بين الفينة والأخرى إلى أن أصبحت مشروعاً جاهزاً للتنفيذ، يقول:

(ملخص الأحداث قبل المأمون: أنّ البرامكة أصبحوا من شيعة الإمام الكاظم أو المحبين له، وبعد أن اغتال هارون الإمام موسى بن جعفر اتخذوا موقفاً، وكان الإمام الرضا موجوداً، وموقفهم أدى بالنتيجة إلى تصفيتهم بسبب اكتشاف هارون لمشروعهم وموقفهم من آل محمد فقتل بعضهم وسجن البعض الآخر.

في خلافة المأمون، فإنّ الفضل بن سهل (فارسي) وزيره وأكثر شخصية مقرّبة منه، كان ربيباً لآل برمك ومن المقربين ليحيى البرمكي و ابنه جعفر. علماً، أنّ الفضل بن سهل كان مع المأمون منذ أيام هارون الرشيد حيث كان المأمون يحكم الشرق في أيام أبيه. والآن، شخص مقرّب ويعيش مع يحيى البرمكي وجعفر البرمكي ومحسوب عليهم أصلاً ماذا سيكون اعتقاده؟ أكيد قريب من اعتقادهم وتوجههم الديني. وبالتالي، فما فعله الفضل بن سهل مع المأمون بخصوص ولاية العهد هو بالحقيقة تكملة لمشروع البرامكة، فهم كانوا يمهدون لمسألة ولاية العهد؛ باعتبار أنّ المأمون تربيتهم، لكن هارون لم يتركهم يكملون مشروعهم فأكمله الفضل بن سهل مع المأمون خصوصاً في ظل وجود أمرين:

- الأول: إنّ المأمون مهيأ للمسألة من جعفر بن يحيى البرمكي، وبالنتيجة فإنّ الفضل بن سهل والمأمون كلاهما تربية جعفر بن يحيى البرمكي.
- الثاني: الخطأ الذي ارتكبه محمد الأمين و أيده عليه من يحيط به من العباسيين، الذي تمثل بعزل المأمون.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

رأى الفضل بن سهل أنّ الفرصة مؤاتية جداً لمفاتحة المأمون بمسألة إسناد ولاية العهد للإمام الرضا بعد أن خذله أخوه وأعمامه العباسيين! وكان هذا قبل تعيين الامام ولياً للعهد بعدة سنين، ثم استمر الفضل يكرر طرح الأمر عليه بين فترة وأخرى إلى أن نضجت الفكرة في باله وعزم على تنفيذها في سنة ٢٠٠ هـ.

كثير من الحقائق مذكورة في التاريخ، لكن ما لم يتم ذكره بوضوح هو أنّ الفضل بن سهل شيعي وسبب تشيّعه هم البرامكة، وما فعله الفضل بن سهل هو أنه استغل فرصة اجتماع العباسيين ضد المأمون الذي وجد نفسه وحيداً، وكان من الأساس يحب العلويين، فبدأ يطرح عليه فكرة إسناد منصب ولاية العهد للإمام الرضا وبمرور الوقت اقتنع المأمون بذلك.

المأمون وإن كان طرح على الإمام مسألة التنازل عن الخلافة برمّتها لصالحه، لكنه كان يعلم من البداية أنّ أقصى ما يمكن أن يتحقق هو ولاية العهد؛ باعتبار أنّ الخلافة الكبرى ليس من السهل التنازل عنها، فالعباسيون الذين لم يقبلوا بالمأمون نفسه وهو ابن هارون هل يعقل أنهم يقبلون بعلي بن موسى الرضا! علماً، أنّ موقف البيت العباسي في بغداد له أثر كبير في تغيير مسار الأحداث بطبيعة الحال؛ خصوصاً في ظل الصلاحيات التي منحت لهم في زمن هارون الرشيد بحيث صار قبول بيعة الخليفة مرهون بتأييد وبيعة هذا البيت وليس بيعة الأمة وعموم المسلمين. وبالفعل، كما كان متوقعاً، فقد تسبّبوا للمأمون بأذىً كبير وخلعوه وأسندوا الخلافة لإبراهيم بن المهدي كردة فعل على تعيين الإمام الرضا ولياً للعهد!

وعموماً، المأمون – كما قلت – كان يعرف من البداية، كما الإمام الرضا يعرف أيضاً، أنّ مسألة إسناد الخلافة الكبرى للإمام أمر لا يمكن المصير إليه، فضغط وألحَّ على الإمام ليقبل ولاية العهد.

الو اقع يقول: إنّ إلحاح المأمون كان يهدف به غرضين:

الأول: أخروي؛ لكسب رضا الله من خلال إسناد ولاية العهد للإمام فعلاً، فهو صادق بهذا ويريد التقرب إلى الله بفعله.

الثاني: دنيوي؛ يتمثل باستقامة ملكه ودولته واستقرار الوضع الأمني بعد أن اتسعت دائرة الثورات التي كان يقودها العلويون في العراق والحجاز وأماكن أخرى، فالإتيان بشخصية علوية بحجم الإمام الرضا أكيد يسهم بتخفيف حدة الثورات ويحجم من المشاركة فيها.

الإمام الرضا، بخصوص ولاية العهد، لم يكن مجبوراً بنحو القتل، كان بإمكانه أن يرفض و أقصى ما يمكن أن يحصل هو القتل، لكن لم يهدده أحداً بالقتل أبداً، بل المأمون نفسه كان يقول له: "سيدي" فكيف يهدده بالقتل إن لم يقبل، هذا غير منطقي إطلاقاً!

أما ما يظهر تاريخياً من وجود تهديد بالقتل، فهو إما إضافات أو مبالغات غير دقيقة، فمثلاً: قد تكون الرواية تحكي حال الوضع العام الذي كان يحيط بالإمام من تربص بعض الأعداء به، والمأمون أو الفضل بن سهل يحكيان ذلك للإمام بطريقة: "إن لم تقبل تُقتل أو يُضرب عنقك" مثلاً ونحو ذلك، ثم يُنسب الكلام لهما، وإلا من غير المنطقي أنهما يلحّان عليه من أجل قبول منصب ولاية العهد ثم يقولان له إن لم تقبل نقتلك! أي منطق يقبل هذا! وكيف ينسجم هذا مع قول المأمون للإمام: "سيدي" [١]!

نعم، في ذلك الوقت كان الواقفة يتربصون بالإمام؛ لأنه بنظرهم منتحل للإمامة، فهم يعتقدون أنّ موسى بن جعفر هو الإمام المهدي، والرضا منتحل صفة الإمام المهدي، وهو سبب غيبة الإمام المهدي وعدم ظهور موسى بن جعفر، وبالتالي فيجب قتله، هذه هي عقيدتهم التي استمرت في حياة الإمام الرضا. هم كانوا يخططون لقتل الإمام الرضا قبل ولاية العهد وبعد قبوله بها اعتبروا ما حصل حجة إضافية لهم! وفق منطقهم: كيف يقول الرضا إنه إمام معصوم والحال أنه ذهب مع العباسيين الذين سجنوا أباه ويزعم أنهم قتلوه ويضع يده بأيديهم! بمنطقهم السفيه هذا أقنعوا بعض المغرر بهم من البسطاء والجهلة والمغفلين وحملوهم على نصب العداء للإمام [٢]!

١- على سبيل المثال، انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٢.

٢- (عن محمد بن زيد الرزامي [قال]: كنت في خدمة الرضا عليه السلام لما جعله المأمون ولي عهده. فأتاه رجل من الخوارج، وفي كمه مدية مسمومة، وقد قال لأصحابه: والله لآتين هذا [الذي] زعم أنه ابن رسول الله - وقد دخل

بالتالي، بعض الروايات التاريخية قد تحكي هذا الواقع المحيط بالإمام الرضا، وفعلاً كانت حياته مهددة بالخطر من هؤلاء، وأيضاً من العباسيين في بغداد، لكن أن يكون التهديد صدر من المأمون أو الفضل بن سهل على القبول بولاية العهد فهذا غير صحيح، أما الإجبار الذي صدر منهما فهو – كما بيّنا – بمعنى الإلحاح والضغط لكنهما عرضا الأمر على الإمام بكل احترام وتقدير.

أما مسألة اغتيال الإمام بالسم، فالمأمون أيضاً لم يقم بقتله بصورة مباشرة، بل شخصياً لم يكن يرغب بقتله، وإنما سمح بقتله، كما سمح بقتل وزيره الفضل بن سهل أيضاً، أما لماذا وكيف؟ فتلك قصة أخرى تحتاج إلى توضيح أيضاً) انتهى [١].

سيأتي في بحث شهادة الإمام الرضا صلوات الله عليه توضيح ذلك.

استقدام الإمام الرضا إلى خراسان:

١- قبل سفر الإمام الرضا صلوات الله عليه من المدينة، اصطحب ولده محمد الجواد إلى قبر جده الرسول صلى الله عليه وآله واستحفظه عنده، وأيضاً: أقامه مقامه وعرّف بعض أصحابه أنه القيّم بعده:

لهذا الطاغية فيما دخل - فأسأله عن حجته، فان كانت له حجة، وإلا أرحت الناس منه، فأتاه، واستأذن عليه، فأذن له. فقال له أبو الحسن عليه السلام: أجيبك عن مسألتك على شريطة تفي لي بها. فقال له: وما هذه الشريطة؟ فقال: إن أجبتك بجواب يقنعك وترضاه تكسر التي في كمك وترمي بها؟ فبقي الخارجي متحيرا، وأخرج المدية، وكسرها. ثم قال له: أخبرني عن دخولك لهذا الطاغية، فيما دخلت له، وهم عندك كفار؟! وأنت ابن رسول الله ما حملك على هذا؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: أرأيت هؤلاء أكفر عندك، أم عزيز مصر وأهل مملكته؟ أليس هؤلاء على حال يزعمون أنهم موحدون وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه؟ ويوسف بن يعقوب نبي ابن نبي، ابن نبي يسأل العزيز وهو كافر فقال: "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" وكان يجلس مجالس الفراعنة. وإنما أنا رجل من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله أجبرني على هذا الامر، وأكرهني عليه، ما الذي أنكرت ونقمت علي؟ فقال: لا عتب عليك، [إني] أشهد أنك ابن نبي الله وأنك صادق) الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٧٦٦ – ٧٦٧. "فأتاه رجل من الخوارج": أي واقفي، يقول السيد أحمد الحسن: (الواقفة كانوا مع الإمام الرضا كما كان الخوارج مع علي صلوات الله عليه) انتهى، من حوار خاص معه.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

(أقام الإمام الرضا عليه السلام ولده الجواد مقامه وهو ابن سبع سنين أو يزيد على ذلك، وأدخله مسجد النبي صلى الله عليه وآله ووضع يده على حافة القبر الشريف وألصق ولده بالقبر، واستحفظه عند جده الرسول صلى الله عليه وآله وقال له: "أمرت جميع وكلائي، وحشمي، بالسمع والطاعة لك"، وعرّف أصحابه أنه القيّم من بعده) [١].

وكان الإمام الرضا ودّع بيت الله بمكة برفقة ابنه محمد الجواد قبل ذلك:

(عن أمية بن علي قال: كنت مع أبي الحسن بمكة في السنة التي حج فيها ثم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر و أبو الحسن يودع البيت، فلما قضى طو افه عدل إلى المقام فصلى عنده، فصار أبو جعفر على عنق موفق يطوف به، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال فقال له موفق: قم جعلت فداك، فقال :ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله واستبان في وجهه الغم، فأتى موفق أبا الحسن فقال له: جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن فأتى أبا جعفر فقال: قم يا حبيبي، فقال: ما أريد أن أبرح من مكاني هذا، قال: بلى يا حبيبي، ثم قال: كيف أقوم وقد ودَّعتَ البيت وداعاً لا ترجع إليه، فقال له: قم يا حبيبي فقام معه) [٢].

٢- السؤال: لماذا لم يأخذه معه إلى خراسان؟

يقول السيد أحمد الحسن: (خوفاً عليه.

قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" [٣].

١- حياة الإمام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٢٨٧؛ نقلاً عن: الدر النظيم: ٦٧٨.

٢- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٣ / ١٥٥.

٣- النساء: ٥٨، ورد في تفسير الآية: ما رواه الكليني بسنده: (عن أحمد بن عمر قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عزوجل: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" قال: هم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله أن يؤدي الامام الأمانة إلى من بعده ولا يخص بها غيره ولا يزويها عنه) الكافي: ١ / ٢٧٦.

مهمة الإمام الأولى هي تسليم الإمام الذي بعده، كتبت في هذا سابقاً [١].

لهذا تجد ربما بعض الأئمة يهتمون بالإمام الذي يأتي بعدهم بشدة وبصورة كبيرة كما حدث لما ردَّ الإمام الحسين ابنه علياً يوم عاشوراء، فالأمر مهم الى درجة أنّ الحسين صلوات الله عليه رغم أنه مثخن بالجراح رجع وأكد على هذا الأمر أعني الحفاظ على حياة الإمام علي زين العابدين. وهذا أيضاً ربما كان لرفع اهتمام زينب عليها السلام به إلى أعلى ما يمكن بحيث إنها بدأت تقدم نفسها للموت لوقاية ابن أخيها.

عموماً، هذا كمثال) انتهى [٢].

بقي الإمام الجواد عليه السلام بجوار عمومته بالمدينة، وهم كثر كما هو معروف، لكن أحنّهم عليه عمّه الحسين بن موسى بن جعفر:

(قال أحمد بن محمد بن أبي نصر: كنت عند الرضا علي بن موسى عليه السلام وكان كثيراً ما يقول: "أستخرج منه الكلام - يعني أبا جعفر-"، فقلت له يوماً: أي عمومتك أبر بك؟ قال: الحسين، فقال أبوه صلى الله عليه: صدق والله هو والله أبرّهم به وأخيرهم له، صلى الله عليهما جميعاً) [٣].

٣- بخصوص الطريق الذي سلكه موكب الإمام الرضا عليه السلام من المدينة إلى "مرو" بخراسان، فإنّ كثيراً من الباحثين ذكروا أنّ السبب في ذلك هو تجنّب المرور بمدن شيعية قد يثور أهلها لاستنقاذ الإمام من أيدي السلطة العباسية!

أقول: صحيح أنّ الإمام الرضا قبل بولاية العهد مجبوراً، لكن هذا لا يعني أنّ الوفد المرسل من قبل المأمون وضع السيف على رقبة الإمام وخيّره بين الذهاب معهم إلى

١- انظر على سبيل المثال: عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن: بحث "قانون معرفة الحجة – العلم".

٢- من حوار مع السيد أحمد الحسن.

٣- قرب الإسناد، الحميري: ٣٧٨.

خراسان أو القتل، كما ربما يخطر هذا التصور ببال الكثيرين، ومن ثمَّ تجنب الموكب المرور بالكوفة أو قم مثلاً خشية أن يثور بعض شيعته فيها ويستنقذوه من أيديهم!

حقيقة، هذا طرح غير منطقي بالمرة!

فأولاً: من هم الشيعة المقصودون بالثورة؟! وهل فعلاً يوجد لدى الإمام الرضا قاعدة كبيرة بهذا الحجم والقوة بحيث إنّ سلطة المأمون العباسي كانت تخشاهم من مرور الموكب الرضوي بمدنهم؟!!

ثم أي المدن يقصدون بالضبط؟! الكوفة مثلاً! وغالبية الشيعة فيها لا زالوا يتأرجحون بين الشك والاعتقاد بالوقف تبعاً لساداتهم وكبرائهم الذين قادوهم إلى القول بالوقف و إنكار إمامة الرضا عليه السلام، والإمام منذ سنين وإلى لحظة مسير موكبه من المدينة باتجاه خراسان كان يئن ويتألم من عظم المصيبة التي حلّت بأمة آبائه! كان يحتج ويبين (للأفراد والجماعات) حقه، وتمكن فعلاً من إعادة كثيرين منهم إلى الحق لكن لا زال الأكثر تائهين شاكّين ضائعين متحيّرين بفعل فتنة "الوكلاء" وجريمتهم بحق دين الله! أعني وكلاء أبيه الكاظم صلوات الله عليه، وردّتهم بعد شهادته واختطاف أغلب أمة أبيه معهم!

الإمام الرضا بالو اقع لم يرث أمة مؤمنة أصلاً! الإمام ابتدأ بدين الله مع الأمة من جديد كما عرفنا سابقاً، ثم لحق به بعض الأفراد وأعانوه على محنته ووقفوا بوجه فقهاء الو اقفة و أتباعهم الشياطين، لكن الأكثرية لا زالت تائهة وشاكّة بالإمام. علماً، أنّ مذهب "الوقف" الفاسد بقي حتى بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام!

أما إذا كانوا يقصدون بالثورة "الثورة على طريقة أبي السرايا" وبعض العلوين الآخرين، فالحق إنّ الإمام الرضا عليه السلام لا علاقة له بها ولا بمن اشترك فيها من قريب أو بعيد حتى وإن رفع بعض قادتها شعار الرضا من آل محمد، كما عرفنا.

وثانياً: تبيّن بوضوح أنّ المأمون ووزيره الفضل بن سهل يميلان للرضا عليه السلام كحد أدنى، وكانا (لا أقل في ذلك الوقت) حريصين جداً على سلامته، والعراق فيه جهتان تنصبان العداء للإمام الرضا عليه السلام، هما:

- عباسيو بغداد.
- كبار الو اقفة و أتباعهم.

بالنسبة إلى موقف الو اقفة عرفناه، وأما عباسيو بغداد، فأعني بهم الخط العباسي الذي كان يقدّم "الأمين" على "المأمون"؛ لأسباب يقف على رأسها الجانب العرقي، فأم المأمون فارسية بينما أم الأمين "زبيدة" هاشمية. وعموماً، سيتضح أنّ هذا الخط هو الذي قام بخلع المأمون عن الخلافة بعد تعيين الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد؛ لأنهم اعتبروه اجراءً يهدد بزوال ملك العباسيين إلى الأبد!

وعموماً، فإذا كان لدى الباحثين توجس أمني في مسألة سير الموكب الرضوي إلى خراسان واختيار مسير "الأهواز – فارس" على مسير "الكوفة – قم" فالأولى بهم أن يعتبروا إجراء المأمون صحيحاً؛ لأن فرصة سلامة وحفظ حياة الإمام الرضا عليه السلام فيه أكبر من الطريق الذي يمر بمدن يكثر فيها الو اقفة والعباسيون الر افضون لتعيينه ولياً للعهد.

أعتقد أنّ هذا ما يفرضه التحليل المنطقي السليم لمجريات الحدث!

الإمام الرضا يبطل اعتقاد التمثل بالرسول في الرؤيا!

أثناء مسير الإمام الرضا صلوات الله عليه إلى خراسان حدثت قصة تثبت بطلان ما يزعمه البعض في أيامنا هذه من إمكانية تمثل الشيطان بالرسول صلى الله عليه وآله في الرؤيا، نستجير بالله من سوء هذا الاعتقاد الباطل:

(عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب البناجي أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وقد وافى البناج ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج كل سنة وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه ووجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحاني فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني منه فعددته فكان ثمانية عشرة تمرة فتأولت أني أعيش بعدد كل تمرة سنة، فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة حتى جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ونزوله ذلك المسجد ورأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع

الذي كنت رأيت فيه النبي صلى الله عليه وآله وتحته حصير مثل ما كان تحته وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاني فسلمت عليه فرد السلام علي واستدناني فناولني قبضة من ذلك التمر فعددته فإذا عدده مثل ذلك التمر الذي ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له: زدني منه يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلام: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله لزدناك) [١].

من يدعون إمكانية تمثل الشيطان برسول الله في الرؤيا يحتجون بأنّ الرائي لم يكن قد عاش في زمن الرسول ورآه وتعرّف على صفاته، وبالتالي (بحسبهم طبعاً) فمن يقول إنّ من يروه في رؤاهم هو فعلاً رسول الله ولم يكن شيطاناً؛ لأنهم بالأصل لم ينظروا شخص الرسول ويعرفوا صفاته!

لكن الإمام الرضا صلوات الله عليه يبطل زعمهم هذا؛ إذ أقرَّ للرائي رؤيته بالرغم من أنه كان يعيش في زمانه ويفصله عن الرسول الأكرم ١٥٠ عاماً تقريباً ولم يكن قد رأى شخص الرسول كما يدّعون!

و أيضاً: تكرر نفس الأمر من شخص آخر في خراسان، وقصَّ رؤياه بالرسول على الإمام الرضا، فأقر الإمام رؤياه بالرسول كذلك، وأوّلها بأنه "المدفون في أرضهم"، ثم ذكر بنص واضح وصريح أنّ الشيطان لا يتمثل بالرسول ولا بأحد أوصيائه، بل ولا بأحد شيعتهم المخلصين:

(عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال له رجل من أهل خراسان: يا بن رسول الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغُيّب في ثراكم نجمي؟ فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم، و أنا بضعة من نبيكم، و أنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي، فأنا و آبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس. ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٢٧.

عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءا من النبوة) [١].

"وغيّب في ثراكم نجمي":

سألت السيد أحمد الحسن، قلت: المعروف عن كل الأئمة عليهم السلام أنهم وُصفوا بالنجوم كما في الروايات، فهل للإمام الرضا خصوصية معينة، إذ يقول عنه الرسول صلى الله عليه وآله: "نجمي"؟

فقال: (إذا تقصد خصوصية مقارنة ببقية الأئمة عليهم السلام فلا توجد خصوصية هنا، فكل إمام منهم هو نجم رسول الله صلى الله عليه وآله) انتهى [٢].

حديث سلسلة الذهب:

بحسب المصادر، فإنّ الإمام الرضا عليه السلام أثناء مسيره إلى خراسان ما مرَّ بمدينة إلا واستقبله أهلها بحفاوة وتكريم، وهو أمر متوقع جداً بوصفه ابن رسول الله و ابن علي وفاطمة صلوات الله عليهم، إضافة لما كان يتمتع به من خصال ودين وورع وخلق محمدي علوي لا نظير له في زمانه، وهي مزايا تفرض احترامه وهيبته على الجميع بلا شك، لكن في نفس الوقت قليلين جداً من يتعاملون معه بوصفه إماماً معصوماً مفترض الطاعة.

وفي هذا الصدد، تطرح عادة حادثة مروره بمدينة "نيشابور" حيث استقبله أهلها استقبالاً كبيراً وكان في طليعتهم كبار العلماء والرواة والمحدثين [٣]. ولما أراد الارتحال عنهم

١- الأمالي، الصدوق: ١٢٠ – ١٢١.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٣٥.

طلبوا منه أن يحدّثهم بحديث ينتفعون به، فذكر لهم الحديث الذي روته مصادر المسلمين وهو المعروف بـ "حديث سلسلة الذهب":

قال عليه السلام: (سمعت أبي موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن علي يقول: سمعت أبي علي بن الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن علي يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل عليه السلام يقول: سمعت الله عزوجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن عذابي. فلما مرت الراحلة نادانا: بشروطها، و أنا من شروطها) [١].

ذكر بعض المؤرخين أنّ هذا الحديث كتبه ما يزيد على العشرين ألفاً [٢].

وكان أحمد بن حنبل يقول عنه: (لو قُرئ هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنّته) [٣].

وللتذكير: "أحمد بن حنبل" هو أحد أئمة المذاهب السنيّة الأربعة.

و أيضاً: مسألة تذكير جميع الحضور (وبينهم شيعة موالون لآبائه الأئمة بالتأكيد) بأنه من شروط قول "لا إله إلا الله" يكشف عن عمق أثر فتنة الو اقفة لعنهم الله على عموم الشيعة في ذلك الوقت.

إجراءات التنصيب وشروط القبول بولاية العهد:

بحسب الوثائق التاريخية أيضاً: لما بلغ الإمام الرضا صلوات الله عليه طوس بخراسان توجه إلى دار حميد بن قحطبة الطائي وفيها قبر هارون العباسي، فخط بيده إلى جانبه وقال لمن حوله: "هذه تربتي وفيها أدفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي

١- الأمالي، الصدوق: ٣٠٦.

٢- أخبار الدول و آثار الأُول، القرماني: ١١٥.

٣- الصواعق المحرقة، ابن حجر: ٢٠٥.

وأهل محبتي، والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلّم عليّ منهم مسلِّم إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت" [١].

المأمون من جهته، أمر باستقبال الإمام الرضا عليه السلام استقبالاً مهيباً، وبعد انتهاء مراسم الاستقبال عرض عليه التنازل عن الخلافة وتصديه لها فرفض الإمام، فعاوده مراراً لمدة شهرين والإمام يرفض، وبعد إصرار الإمام على الرفض انتقل المأمون إلى عرض ولاية العهد كما بيّنت النصوص التي تقدمت، وهذا نص آخر:

(عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعا قال: لما انقضى أمر المخلوع (الأمين) واستوى الامر للمأمون كتب إلى الرضا عليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسن عليه السلام بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له و أنه لا يكف عنه، فخرج عليه السلام ولأبي جعفر عليه السلام سبع سنين، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والأهوازوفارس، حتى وافى مرو، فعرض عليه المأمون أن يتقلد الامر والخلافة، فأبى أبو الحسن عليه السلام، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها، قال المأمون له: سل ما شئت، فكتب الرضا عليه السلام: أني داخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهى ولا أفتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا أغير شيئا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله، فأجابه المأمون إلى ذلك كله) [٢].

وفي نص آخر: (... فلما وافى مرو عرض عليه المأمون يتقلّد الإمرة والخلافة فأبى الرضا عليه السلام ذلك وجرت في هذا مخاطبات كثيرة وبقوا في ذلك نحواً من شهرين كل ذلك يأبى أبو الحسن الرضا عليه السلام أن يقبل ما يعرض عليه، فلما كثر الكلام والخطاب في هذا قال المأمون: فولاية العهد فأجابه إلى ذلك) [٣].

وها هنا ملاحظات مهمة:

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٤٧.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٤٨٨ – ٤٨٩.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦٠ – ١٦١.

١- موقف الإمام الرضا من عرض المأمون التنازل عن الخلافة وتصدي الإمام لها هو الرفض تماماً، و اتضح سبب ذلك فيما سبق.

٢- موقف الإمام الرضا عليه السلام من عرض المأمون ولاية العهد (كخيار ثانٍ) واجهه الإمام بالرفض أيضاً، لكن إلحاح المأمون وكذا وزيره الفضل بن سهل، وفي بعض المفاوضات تم إشراك الحسن السهل أيضاً (أخو الفضل)، أتى بنتيجة فقبل الإمام بتقلّد منصب ولاية العهد لكن بشروط لخّصها بقوله: "إني أدخل في ولاية العهد على أن لا آمر ولا أنهي ولا أقضي ولا أغيّر شيئاً مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله فأجابه المأمون إلى ذلك"!

وبالتالي، كانت نتيجة المفاوضات لفترة طويلة (ابتدأت بالمدينة واستمرت نحو شهرين بعد وصوله إلى خراسان) هي قبول الإمام الرضا بولاية العهد، وقبوله كان نتيجة الضغط والإلحاح، هذا هو معنى الجبر والاضطرار المذكور في بعض النصوص والروايات كما عرفنا، وليس كما فهمه كثير من الباحثين من أنّ الإمام اضطر للقبول بولاية العهد؛ لأن الإصرار على الرفض يعني قتله، فالقتل في الحقيقة لا يعني للإمام شيئاً؛ خصوصاً وأنّ مسألة ولاية العهد كانت في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره الشريف، أي بعد أن ولد وكبر ولده الحجة من بعده أعني ابنه الإمام محمد الجواد عليه السلام!

منطق تفسير الجبر بـ"الحفاظ من القتل" لا يصمد أمام النقاش العلمي الموضوعي؛ لأننا ببساطة نطرح السؤال الأساسي التالي: "هل قبول الإمام الرضا عليه السلام بمنصب ولاية العهد فيه رضا لله ويصب بمصلحة دين الله، أو العكس"؟

فإن كان الثاني، فهيهات أن يقبل الإمام الرضا به ولو كلّفه حياته وقتله ألف مرة، كيف وهو ابن رسول الله وعلي وفاطمة، هو ابن الحسين، هذه عائلة الفداء ومشروع العطاء المستمر لنصرة دين الله بلا انتظار أي ثمن أو جزاء! وبالتالي، فلو كان الرضا عليه السلام يعلم بأنّ قبول ولاية العهد ليس فيه رضا الله ولا يعود بالنفع على دين الله بشيء فهو لا يقدم عليه، والموت عنده في ذلك الحال أحلى من شربة العسل المصفى!

إذن، لا خيار أمام من يعتقد بإمامة وعصمة وطهارة الرضا عليه السلام إلا القول بالخيار الأول، أعني أن يكون في قبول ولاية العهد رضا لله ومصلحة ورفعة لدين الله، لذلك قبلها الإمام بالنتيجة.

يبقى سؤال: "لماذا رفض الإمام الرضا ولاية العهد ابتداءً ثم قبلها"؟ الأمر طالما فيه رضا لله (بحسب الفرض) فلماذا لم يسارع الإمام الرضا للقبول به؟ لماذا رفضه أولاً ثم قبل به لاحقاً؟!

الحقيقة، إنّ الإمام الرضا موعود بمنصب ولاية العهد، ومرسوم له طريقه من الله من البداية، وقد قلت سابقاً: إنّ أباه الكاظم عليه السلام كان يمهّد له، والرضا عليه السلام يعلم بما يعلم به أبوه بالتأكيد، إن لم يكن منه بحكم سجنه فمن الله الذي يتولّى الرضا منصب خلافته في أرضه كما هو الاعتقاد الحق، وبالتالي فالإمام الرضا يعلم أنّ تكليفه ووظيفته الإلهية تحتم عليه القبول بولاية العهد، لكنه في نفس الوقت مأمور ومكلّف أيضاً بهداية الخلق، هداية من ضل من شيعة أبيه، وهم بقية الأمة المؤمنة التي أجهد الأئمة السابقون أنفسهم في بنائها ورعايتها، لكنها – للأسف – انهارت بفعل فتنة الواقفة لعنهم الله، والإمام بالكاد بدأ يرجع بعضهم إلى الاعتقاد الحق، ولا زال الشك يملأ أفئدة كثيرين ممّن رجعوا فضلاً عمّن بقي على ضلاله، والإمام بتصرّفه في طريقة قبول ولاية العهد كان يراعي حال هؤلاء!

ولنا أن نتصور محنة الإمام بالنحو التالي: الرضا إمام أعلمه الله بأنّ تكليفه نصرة دينه عبر قبوله بمنصب ولاية العهد، تماماً كما حصل مع نبي الله يوسف عند بعثه برسالته، لكن من جهة أخرى هو مكلّف بهداية العباد والرأفة بهم، والعباد (الأمة المؤمنة) أضلهم كبار فقهاء الشيعة آنذاك وحملوهم على الاعتقاد بالوقف والقول بحياة الإمام الكاظم وعدم موته وأنه القائم والمهدي المرفوع، أما ولده الرضا فهو (وحاشاه) متقوّل على أبيه، وبالتالي يجب إنكار إمامته بل وقتله متى سنحت الفرصة؛ لأنه مدعٍ للإمامة!

هذه باختصار عقيدة الواقفة، والإمام الرضا عليه السلام طيلة ما سبق من سني إمامته السبع عشرة سنة (١٨٣ – ٢٠٠ هـ) كان يسعى جاهداً لاستنقاذ ما يمكن إنقاذه، وحتى من أرجعهم للحق لا زال الشك يملأ صدورهم بعد كل هذه السنين! وهذا حال يونس

بن عبد الرحمن (من خيرة أصحاب الرضا عليه السلام كما عرفنا سابقاً)، وهو يصف الإمام الرضا لما سمع بسفره إلى خراسان:

(عن ابن راشد، قال: لما ارتحل أبو الحسن عليه السلام إلى خراسان، قال، قلنا ليونس: هذا أبو الحسن حمل إلى خراسان، فقال: إن دخل في هذا الأمر طايعاً أو مكرهاً فهو طاغوت.

... عن علي بن مهزيار عن الحضيني، أنه قال: إن دخل في هذا الأمر طايعاً أو مكرهاً انتقضت النبوة من لدن آدم) [1].

وإذا كان هذا حال خيرة أصحاب الإمام الرضا فما بالك بالآخرين؟!

لذلك حرص الإمام الرضا على إظهار موقفه من ولاية العهد بالصورة التي ظهرت، أعني أنه رفض قبول ولاية العهد في أول الأمر ثم قبل بها لاحقاً بعد الإلحاح؛ رعاية لحال أصحابه ومن اهتدى إليه بعد ضلاله.

يقول السيد أحمد الحسن:

(الإمام الرضا صلوات الله عليه في قبوله بولاية العهد، أكيد لاحظ أنّ فيها مشاكل وفتن لكن في نفس الوقت فيها منفعة؛ إذ مجيئه على رأس هرم السلطة، كنبي الله يوسف، يمكّنه من أن يتصرّف بشكل أكبر وأوسع، لكن بالتأكيد فيه ضرر على شخصه وسمعته ونحو ذلك وليكن نسبته مثلاً: ١٠ %، لكن فيه منفعة للدين بنسبة أكبر كأن تكون ٣٠ %؛ إذ يتمكّن من أن يهدي الناس بصورة أكبر، كما أنّ الأدوات التي تتوفر تحت يده وتصرفه تكون أكثر، وبهذا يستطيع أن يعيد بناء التشيع الذي هدمه الو اقفة!

بالطبع، لا يقف الو اقفة، وهم فقهاء كبار ولديهم أتباع كثر، متفرجين على ما يفعله الإمام الرضا، وبالفعل استغلوا الموقف وشنّعوا عليه كثيراً، وبالتالي فحتى من رجع من الوقف واعتقد بالإمام عاد الشك إليه واهتز من جديد، لكن الإمام بصبره وحكمته وعمله

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٨٦.

استطاع أن يهزم الواقفة ويوجه لهم أكبر صفعة في ظرف ثلاث سنين (فترة ولاية العهد) بعد أن استغلها بأفضل طريقة ممكنة.

السنوات الثلاث كانت حاسمة في دين الله، لهذا استمر الإمام الرضا إلى آخر أيام حياته في تحجيم الواقفة بشكل كبير. التاريخ ربما يسلط الضوء على احتدام النقاش والمناظرات بين الإمام وبين علماء الأديان والأمم الأخرى كالمسيحيين واليهود إلى آخره، وهذا صحيح، لكن لم يقتصر الحال عليهم، وإنما – في السنوات الثلاث أيضاً – كانت بين الإمام وبين الواقفة "فقهاء الشيعة" حرب عقائدية محتدمة، تمكّن الإمام في أواخر حياته الشريفة من هزيمتهم والسيطرة على الوضع وأن يعيد للتشيع ثباته واستقراره.

نعم، في السنين الثلاث وفي أول أيامها بالخصوص قد يكون هناك ضرر وأذى مثل ما حصل من يونس بن عبد الرحمن من كلام أو غيره، لكن يونس وغيره بالنتيجة اهتدوا إلى الطريق وساروا عليه بثبات ويقين، وأيضاً: ترك الأغلبية عقيدة الوقف الباطلة، والتقط دين الله والأمة المؤمنة بها الأنفاس بفضل جهود الإمام الرضا صلوات الله عليه) انتهى [١].

٣- ما يظهر من بعض النصوص التاريخية التي تذكر أنّ تهديداً بالقتل قد مورس ضد الإمام الرضا من قبل المأمون أو من قبل وزيره الفضل بن سهل من أجل الضغط عليه للقبول بولاية العهد، فهو أمر غير صحيح ولا يمكن قبوله، وكمثال للنصوص:

رواية أبي الصلت الهروي التي حكت قول المأمون للإمام الرضا: (... فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك فإن فعلت وإلا ضربت عنقك، فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله تعالى أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك وأنا أقبل على أني لا أولي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنة وأكون في الامر من بعيد مشيراً فرضي منه بذلك وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك) [٢].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥١ – ١٥٢.

منطقياً، لا يمكن لنص تاريخي واحد أن يلغي عدة نصوص تؤكد خلاف مؤداه. علماً، أنّ قبول هذه الفقرة من رواية أبي الصلت على ظاهرها يعني أنّ الإمام قبل بولاية العهد خوفاً من القتل وليس لأنها قضية فيها رضا الله ومصلحة تعود بالنفع على دين الله، وهذا خلاف المعتقد الحق بالإمام المعصوم كما هو واضح.

نحن من جهتنا، وكما تقدم، فسّرنا إكراه الإمام على القبول بمعنى الإلحاح الذي دعاه إلى القبول، مع علمه (وهو الأصل في قبول الإمام) بأنّ في القبول رضا الله ومصلحة تعود على الدين بالفائدة أكبر من الرفض، وما ذكرناه ليس فقط ينسجم مع ثوابت الاعتقاد الحق وحسب ولكن ينسجم أيضاً مع النصوص التي عرضناها سابقاً وهي كثيرة وكلها يصور احترام المأمون للإمام وتبجيله له، وأنه عرض عليه التنازل عن الخلافة ثم ولاية العهد عن قناعة تامة، ولا يوجد أي تهديد في الموضوع سوى الإلحاح كما تبيّن.

نعم، يمكننا في حالة واحدة تعقل ورود التهديد في نص تاريخي، والحالة هي: ما إذا كان المأمون أو الفضل يحكيان حال الإمام فيما لو لم يقبل بولاية العهد، كأن يقولان له مثلاً: "في حال أنك لم تقبل سوف تتعرض حياتك للقتل" ونحو ذلك وهما يقصدان الآخرين المتربصين به، ثم تلقف الراوي أو المؤرخ الأمر ونقله بطريقة نسب فيها التهديد للمأمون أو وزيره، وهذا التوقع منهما (المأمون ووزيره) صحيح وواقعي؛ باعتبار أنّ حياة الإمام الرضا فعلاً كانت مهددة بالخطر من جهتين، هما: البيت العباسي في بغداد، وعيون الواقفة المنتشرين في مختلف الأماكن بما فيها خراسان التي لم تكن خالية من وجودهم بالتأكيد، وعرضنا سابقاً دخول بعضهم على مجلس الإمام في خراسان وسؤاله، وبعضهم اهتدى على يديه وبعضهم بقي على شكّه.

وعموماً، أي نص فيه تصريح بأنّ المأمون أو الفضل بن سهل هددا الامام بالقتل إن لم يقبل بولاية العهد، ولا يمكن تأويل النص بطريقة مقبولة فهو نص غير صحيح.

٤- قبول الإمام بمنصب ولاية العهد وفّر فرصة كبيرة لنصرة دين الله وضرب معتقد الواقفة الباطل بمقتل؛ إذ وجّه له الإمام الرضا صلوات الله عليه صفعة قوية ما كانت لتحصل لو لم يقبل بولاية العهد.

أيضاً: مسألة إعادة بناء وهيكلة الأمة المؤمنة، فقد فتح قبول الإمام بولاية العهد فرص تحققها بصورة أكبروأسرع، ولا أقل صاربإمكان الإمام أن يلتقي بأصحابه ويوجههم ويشرف على عملهم وحركتهم بصورة أفضل من الحال أيام تواجده بالمدينة والظروف التي كانت تخضع لها حركته ونشاطه الديني.

الحقيقة، إنّ قبول الإمام بولاية العهد أثمر أوجه كثيرة لنصرة دين الله، فمثلاً: بزغ فجر عطاء علمي كبير على يدي الإمام الرضا صلوات الله عليه تمثل على شكل بيانات وحوارات ومناظرات وإجابات ورسائل ... إلخ، تختلف عما سبقها؛ باعتبار أنها متبناة من قبل هرم السلطة الحاكمة، وبالتالي فإنّ وسائل وطرق انتشارها بين الناس عموماً تكون أسرع و أقوى! ولهذا، لم يمضِ وقت طويل من تعيين الإمام ولياً للعهد حتى صارت الألسن تلهج باسم "الرضا" وعلومه و أقواله وحكمه؛ ليس في خراسان وحسب، ولكن في عموم أرجاء العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب!

و أيضاً: يمكننا ملاحظة أثر النهضة العلمية التي قادها الإمام الرضا خلال ولاية العهد في سعيه لتطوير "بيت الحكمة" كمركز علمي وبحثي سابق لعصره في ذلك الوقت، ولا زالت آثار بعض نتاج أبحاثه العلمية تتردد صداها حتى يومنا هذا، وما كان لهذا المركز أن يثمر بالصورة التي حصلت لولا أنه حظي باهتمام وإشراف الإمام الرضا عليه السلام، وسيأتي تأكيد هذه الحقيقة ببحث مستقل لاحقاً.

وبالنتيجة، فإنّ ما حققه الإمام الرضا خلال السنين الثلاث (فترة ولاية العهد) قبل شهادته هو ما أسهم بشكل كبير ببقاء دين الله الذي وصلنا واهتدينا به إلى الله ورسله وخلفائه الطاهرين، وإلا فلو لم تكن هذه الصفحة موجودة ضمن صفحات "كتاب الله الرسالي"، ولو كان قد قُدّر (لا سامح الله) لفقهاء الو اقفة الضالين أن يبسطوا نفوذهم أكثرويوسعوا ضلالهم و انحر افهم بصورة أكبر، إذن لاندرس دين الله الحق ولم يبقَ منه شيء ومُحي أثر الأمة المؤمنة تماماً، لكن الله سبحانه أبى إلا أن يتم نوره بعبده "علي بن موسى الرضا" ولو كره المشركون الظالمون، بالرغم من أنّ المعاناة والآلام التي قاساها الإمام الرضا صلوات الله عليه لأداء هذه المهمة الكبرى والصعبة كانت كبيرة جداً وكلّفته في نهاية المطاف حياته الشريفة!

٥- ممّا يروى بهذا الصدد:

(عن القاسم بن أيوب العلوي أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بني هاشم فقال: إني أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي، فحسده بنو هاشم، وقالوا: أتولي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة؟! فابعث إليه رجلا يأتنا فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا علما نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد مليا لا يتكلم مطرقا، ثم انتفض انتفاضة. واستوى قائما، وحمد الله و أثنى عليه، وصلى على نبيه وأهل بيته.

ثم قال: "أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله تفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقا ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحده من اكتنهه، ولا حقيقة أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تذلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه وبالعقول يعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته. خلق الله حجاب بينه وبينهم ومباينته إياهم مفارقته إنيتهم، و ابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدء عن ابتداء غيره، وأدوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقة المتأدين، وأسماؤه تعبير، و أفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغبوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه، ومن قال: "كيف" فقد شبهه، ومن قال: "لم" فقد علله، ومن قال: "متى" فقد وقّته، ومن قال: "فيم" فقد ضمنه، ومن قال: "إلى م" فقد نهاه، ومن قال: "حتى م" فقد غياه ومن غياه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزأه، ومن جزأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مبائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بحول فكرة،

مدبر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة. لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحده الصفات، ولا تقيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزاله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجلاية بالبهم، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عز وجل: "ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون"، ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية "كيف"، ولا تغيبه "مذ"، ولا تدنيه "قد"، ولا تحجبه "لعل"، ولا توقته "متى"، ولا تشمله "حين"، ولا تقارنه "مع"، إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء يوجد فعالها، منعتها "منذ" القدمة، وحمتها "قد" الأزلية، وجبتها "لولا" التكملة، افترقت فدلت على مفرقها، وتباينت فأعربت من مباينها لما تجلى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل، وبها عرفها الاقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد المعرفة ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه، فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتدأه إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء، ولوحد له وراء إذا حد له أمام، ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذا لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه، ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه له تعظيم، ولا في إبانته عن الخلق ضيم، إلا بامتناع الأزلي أن يثنى وما لا بدأ له أن يبدأ، لا إله إلا الله العلي العظيم، كذب العادلون

بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبيناً، وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين") [١].

بالتأكيد، كلام الإمام الرضا صلوات الله عليه دقيق وعميق وبحاجة إلى شرح وتوضيح لتعرف قيمته، وليس هذا محل بيانه، لكني أقول: لا أعرف إن كان قد جال في أذهان الحاضرين وهم يستمعون كلام الإمام الرضا في توحيد الله، أو لم يجل، أنهم لو جابوا الأرض طولاً وعرضاً لما وجدوا لصاحب هذا الكلام نظيراً، وهيهات! كيف، وهو عالم آل محمد، فأين يتاه بكم!

بين رضا آل محمد ويوسف آل يعقوب!

"لو سكت الجاهل ما اختلف الناس"، حكمة قالها أمير المؤمنين صلوات الله، كلماتها قصيرة وواضحة المعنى لكن تطبيقها في دنيا الامتحان في غاية الصعوبة! فبالرغم من قلة علم العباد في هذا العالم "وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً"، وبالرغم من الجهل بغايات وأسباب كثير من الأمور البسيطة التي تصادفنا في حياتنا العادية فضلاً عن أن تكون أفعال وتصرفات إمام إلهي معصوم، نرى كثرة الاقتراحات والاعتراضات على الإمام المعصوم حتى من قبل بعض أتباعه والمؤمنين به فضلاً عن غيرهم!

بمجرد أن عُيّن الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد وفتح مجلسه إلا ودخل عليه البعض يستنكر عليه ما صنع وأنّ قبوله بها يعني الطمع بالدنيا! فأجابه الإمام بتشبيه حاله بحال نبي الله يوسف و أنه كان مجبراً على القبول مع كراهته له في نفسه لولا أمر الله:

(عن الحسن بن موسى قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام: أنه قال له رجل: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا هذا أيهما أفضل النبي صلى الله عليه وآله أو الوصي؟ فقال: لا بل النبي قال: فأيهما أفضل مسلم أو مشرك؟ قال: لا بل مسلم قال: فإن العزيز عزيز مصر كان مشركاً وكان يوسف عليه السلام نبياً وأن المأمون مسلم و أنا وصي ويوسف

١- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ١٧٤ – ١٧٨.

سئل العزيز أن يوليه حين قال "اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" و أنا أُجبرت على ذلك وقال عليه السلام: في قوله تعالى: "أجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" قال: حافظ لما في يدي عالم بكل لسان.

... عن الريان بن الصلت، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليهما السلام فقلت له: يا بن رسول الله الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟ فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل، ويحهم! أما علموا أنّ يوسف عليه السلام كان نبياً ورسولا دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز"قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم" ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار بعد الاشراف على الهلاك، على أني ما دخلت في هذا الامر إلا دخول خارج منه فإلى الله المشتكى وهو المستعان) [١].

بالتأكيد، على ضوء ما عرفناه فيما تقدم، فإنّ قوله عليه السلام: "فلما خيرت بين قبول ذلك وبين القتل اخترت القبول على القتل" يقصد به التهديد بالقتل من جهات كانت تناصبه العداء كالو اقفة لعنهم الله وبعض العباسيين في بغداد مثلاً، وليس المقصود أنّ المأمون أو وزيره الفضل بن سهل هما من خيّراه بين القبول أو القتل!

وثيقة ولاية العهد وإجراءات البيعة:

في الثالث أو الخامس من شهر رمضان سنة ٢٠٣ هـ كتب المأمون العباسي بخط يده وثيقة تنصيب الإمام الرضا عليه السلام ولياً للعهد [٢].

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٠ – ١٥١.

٢- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ١ / ٣٧٤؛ سر السلسلة العلوية، أبو نصر البخاري: ٣٨؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١٠ / ٩٤.

وهذا نص كتاب ولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه:

(وهذا مختصر من كتاب العهد الّذي كتبه المأمون الخليفة للرضا بخطّه اختصرته لطوله وذكرت أوّله وآخره وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ كتبه عبد الله بن هارون الرشيد لعليّ بن موسى بن جعفر وليّ عهده: أمّا بعد، فإنّ الله عزّوجلّ اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلاً دالّين عليه وهادين إليه، يبشّر أوّلهم

وكتب الإمام الرضا عليه السلام قبوله بيده أيضاً على ظهر نسخة العهد، وختم كلامه بقوله: (وكتبت خطي بحضرة أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، والفضل بن سهل، ويحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن أشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان. في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين) [١].

بآخرهم، ويصدّق تاليهم ماضيهم، حتّى انتهت نبوّة الله تعالى إلى محمّد صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل ودروس من العلم و انقطاع من الوحي و اقتراب من الساعة، فختم الله به النبيّين وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم، و أنزل عليه الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فلمّا انقضت النبوّة وختم الله بمحمّد صلى الله عليه وآله بالرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين في الخلافة ونظامها والقيام بشرائعها وأحكامها.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ انقضت إليه الخلافة وحمل مشاقّها واختبر مرارة طعمها ومذاقها مسهر العينين مضنياً لبدنه مطيلاً لفكره فيما فيه عزّ الدين وقمع المشركين وصلاح الأُمّة وجمع الكلمة ونشر العدل و إقامة الكتاب والسنّة ومنعه ذلك من الحفظ والدعة ومهنأ العيش محبّة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحاً له في دينه وعباده ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأُمّة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله تعالى وحقّه، مناجياً لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسألته الهامّة ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره، معملاً فكره ونظره فيما فيه طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعليّ بن أبي طالب، مقتصراً ممّن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغاً في المسألة ممّن خفي عليه أمره جهده وطاقته، رضاه وطاعته، حتّى استقصى أُمورهم معرفة، و ابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسائلة. وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى واجتهاده نفسه في قضاء حقّه في عباده وبلاده في الفئتين جميعاً عليّ بن موسى الرضا ابن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب لما رأى من فضله البارع وعلمه الذائع وورعه الظاهر الشائع وزهده الخالص النافع، وتخليته من الدنيا وتفرّده عن الناس وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه مطبقة والألسن عليه متّفقة والكلمة فيه جامعه والأخبار واسعة، ولما لم نزل نعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً وكهلاً فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعده و اثقاً بخيرة الله تعالى في ذلك، إذ علم الله تعالى أنه فعله إيثاراً له وللدين ونظراً للإسلام وطلبا للسلامة وثبات الحجّة والنجاة في اليوم الّذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين.

ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصّته وقوّاده وخدمه فبايعه الكلّ مطيعين مسارعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده وغيره ممن هو أشبك منه رحماً و أقرب قرابةً. وسمّاه الرضا إذ كان رضيّاً عند الله تعالى وعند الناس، وقد آثر طاعة الله والنظر لنفسه وللمسلمين، والحمد لله ربّ العالمين. وكتب بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٠٨ – ١٠٠٩؛ و انظر الكتاب بتمامه من غير اختصار في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١٠ / ٩٤ – ٩٨.

١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١٠ / ٩٨ – ٩٩.

وأول ما تكلّم به الإمام الرضا بعد تنصيبه ولياً للعهد أن قال:

(محمد بن إسحاق قال: حدثنا أبي قال: لما بويع الرضا عليه السلام بالعهد اجتمع الناس إليه يهنئونه فأومى إليهم فأنصتوا، ثم قال بعد أن استمع كلامهم: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين أقول و أنا علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام: إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قطعت، وآمن نفوساً فزعت بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضا رب العالمين لا يريد جزاء إلا من عنده "وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين"، و أنه جعل إلي عهده والامرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله تعالى بشدها وقصم عروة أحب الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذا كان بذلك زارياً على الامام منتهكاً حرمة الاسلام، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات ولم يعترض بعدها على الغرمات خوفاً على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين ولقرب أمر الجاهلية ورصد المنافقين فرصة تنتهز وبائقة تبتدروما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن الحكم إلا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين) [١].

وتوضيحاً لما ورد في بعض فقرات كلامه، يقول السيد أحمد الحسن:

(لا شك أنّ ولاية العهد ساعدت الإمام الرضا عليه السلام على إعادة التشيع بقوة، والإمام بكلامه يذكر أنّ الناس بدأوا يرجعون إلى الطريق بسبب ولاية العهد.

"فوصل أرحام قطعت": الرحم هو الإمام الرضا.

" نفوساً فزعت": هم العلويون والإمام الرضا ومعه شيعته.

"بل أحياها وقد تلفت": يعني الشيعة كلهم، فمن تلفوا هم الواقفة الذين ضلوا الطريق وتاهوا فأتلفوا وأهلكوا أنفسهم.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٧ – ١٥٨.

"وسيجزي الله الشاكرين": الإمام الرضا بدعائه للمأمون كان صادقاً، فالمأمون لما عيّن الإمام الرضا كان يريد جزاء من الله.

"ولا يضيع أجر المحسنين": المأمون لما تنازل واختار هذا الطريق فهو محسن وسيجزيه الله.

"و أنه جعل إليّ عهده": أي ولاية العهد.

"الامرة الكبرى إن بقيت بعده" يعني الخلافة إن بقيت بعده.

"فمن حل عقدة أمر الله تعالى بشدها وقصم عروة .....": العقدة والعروة التي أمر الله بشدها و إيثاقها هي الإمامة الكبرى للأئمة عليهم السلام. والإمام هنا لا يقصد المأمون فقط بل يقصد الكل، فكل إنسان "المأمون، أعمامه، الوزراء، باقي الناس" إذا يختار محاربة الإمام المعصوم ويعاديه فحكمه أنه ناصبي ليس له أي حرمة.

" إذا كان بذلك زارياً على الإمام ....": تأكيد على حكم من يبغض الإمام.

"منتهكاً حرمة الإسلام": باعتبار أنّ حرمة الإمام هي حرمة الإسلام) انتهى [1].

وفي رواية أخرى أنّ الإمام الرضا عليه السلام ختم كلامه بقوله: (... والجامعة والجفر يدلّان على ضد ذلك، وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم، إن الحكم إلا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين) [2].

"والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك": ربما يقصد الإمام بكلامه أنّ الأمر لا يكون لآل محمد عليهم السلام في زمنه ولا فيما يأتي حتى قيام دولة العدل الإلهي ومجيء القائم من ولد الحسين صلوات الله عليه كما عرفنا.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٧٤.

يؤكد ذلك، أنّ الإمام نعى نفسه وهو في مجلس التنصيب لما نظر إلى أحد أصحابه فوجده مسروراً بما يرى!

(وذكر المديني قال: لمّا جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع والخطباء يتكلّمون وتلك الألوية تخفق على رأسه نظر أبو الحسن الرضا إلى بعض مواليه الحاضرين ممّن كان يختصّ به وقد داخله من السرور ما لا عليه من مزيد وذلك لما رأى، فأشار إليه الرضا فدنا منه وقال له في أُذنه سرّاً: لا تشغل قلبك بهذا الأمر ولا تستبشر به فإنّه شيء لا يتمّ) [١].

وعموماً، كانت طريقة بيعة الإمام الرضا بأن يرفع الإمام يده بحيث يكون ظاهرها مقابل وجهه وباطنها مقابل وجوه الناس، فقال له المأمون: (ابسط يدك للبيعة. فقال له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع، فبايعه الناس، ووضعت البدر، وقامت الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى وما كان من المأمون في أمره) [٢].

ثم ارتقى المأمون المنبر وخطب بالناس فقال: (أيها الناس جاءتكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرؤوا بإذن الله عزوجل) [٣].

شيء من سيرته بعد ولاية العهد:

(إبراهيم بن العباس: كان الرضا عليه السلام إذا جلس على مائدته أجلس عليها مماليكه حتى السايس والبواب) [٤].

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٠٧.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٧٦.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٨.

٤- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٧٠.

وإذا وضع أمامه طعام نظر إلى أطيب ما فيه وأمر بحمله إلى المساكين [١].

وروي أنه أعتق ألف مملوك [٢].

في خراسان، أنفق الإمام الرضا عليه السلام كل ما عنده لله وأعطاه للفقراء، فقال له الفضل بن سهل: "إنّ هذا لمغرم"، فقال: "لا تعدن مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً" [٣].

(عن أبي عباد، قال: كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير وفي الشتاء على مسح (بساط من الشعر)، ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزين لهم) [٤].

(ولقيه سفيان الثوري في ثوب خز فقال: يا ابن رسول الله لو لبست ثوباً أدنى من هذا، فقال: هات يدك، فأخذ بيده وأدخل كمه فإذا تحت ذلك مسح، فقال: يا سفيان الخز للخلق والمسح للحق) [٥].

(يعقوب بن إسحاق النوبختي قال: مر رجل بأبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أعطني على قدر مروتك، قال عليه السلام: لا يسعني ذلك، فقال: على قدر مروتي، قال: إذاً فنعم، ثم قال: يا غلام اعطه مائتي دينار) [٦].

أيضاً: من الأحداث المشهورة في سيرة الإمام الرضا عليه السلام في أيام ولاية العهد بخراسان، هي حادثة صلاة العيد:

(عن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعاً ..... قال: فحدثني ياسر قال: فلما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضا عليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويصلي ويخطب،

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ / ٩٧.

٢- انظر: الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٥٨.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٧٠.

٤- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٩٢.

٥- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٧٠.

٦- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٧٠.

فبعث إليه الرضا عليه السلام قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الامر، فبعث إليه المأمون إنما أريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك، فلم يزل عليه السلام يراده الكلام في ذلك فألح عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال المأمون: اخرج كيف شئت وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن. قال: فحدثني ياسر الخادم أنه قعد الناس لأبي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح، الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد والجند على باب أبي الحسن عليه السلام فلما طلعت الشمس قام عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفيه وتشمر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ثم أخذ بيده عكازاً ثم خرج ونحن بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فلما مشى ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخيل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تهيؤوا ولبسوا السلاح وتزينوا بأحسن الزينة، فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة وطلع الرضا عليه السلام وقف على الباب وقفة، ثم قال: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر [الله أكبر] على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والحمد لله على ما أبلانا" نرفع بها أصواتنا.

قال ياسر: فتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج والصياح لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما رأوا أبا الحسن عليه السلام حافياً وكان يمشي ويقف في كل عشر خطوات ويكبر ثلاث مرات.

قال ياسر: فتخيل إلينا أن السماء والأرض والجبال تجاوبه، وصارت مرو ضجة واحدة من البكاء وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس والرأي أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه وركب ورجع)[1].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤٨٨ – ٤٩٠.

و أيضاً: حادثة حبس المطر وخروج الإمام الرضا للاستسقاء:

(عن الحسن بن علي العسكري عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عليهما السلام إن الرضا عليه السلام علي بن موسى لما جعله المأمون ولي عهده احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا يقولون انظروا لما جاءنا علي بن موسى عليه السلام وصار ولي عهدنا فحبس الله عنا المطر و اتصل بالمأمون فاشتد عليه فقال للرضا عليه السلام: قد احتبس المطر، فلو دعوت الله عزوجل أن يمطر الناس فقال الرضا عليه السلام: نعم، قال: فمتى تفعل ذلك؟ وكان ذلك يوم الجمعة، قال: يوم الاثنين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: يا بني انتظر يوم الاثنين فأبرز إلى الصحراء واستسق، فإن الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لا يعلمون من حالهم ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك عزوجل فلما كان يوم الاثنين غدا إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقيا نافعا عاما غير رايث ولا ضائر وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم قال: فوالذي بعث محمد بالحق نبيا لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت و أبرقت وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر فقال الرضا عليه السلام: على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لأهل بلد كذا فمضت السحابة وعبرت ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال: على رسلكم فما هذه لكم، إنما هي لأهل بلد كذا، فما زالت حتى جاءت عشر سحابة وعبرت ويقول علي بن موسى الرضا عليه السلام في كل واحدة: على رسلكم ليست هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا ثم أقبلت سحابة حادية عشر فقال: أيها الناس هذه سحابة بعثها الله عزوجل لكم فاشكروا الله على تفضله عليكم وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم فإنها مسامة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله ونزل من على المنبر و انصرف الناس فما زالت السحابة ممسكة أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملئت الأودية والحياض والغدران والفلوات، فجعل الناس يقولون: هنيئا لولد رسول الله صلى الله عليه وآله كرامات الله عزوجل ثم برز إليهم الرضا عليه السلام وحضرت الجماعة الكثيرة منهم فقال: يا أيها الناس اتقوا الله في نعم الله عليكم فلا تنفروها

عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه واعلموا أنكم لا تشكرون الله بشئ بعد الايمان بالله وبعد الاعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم فان من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى .....) [١].

و أيضاً: من ضمن الأحداث أنّ الإمام الرضا صلوات الله عليه راسل ابنه الإمام محمد الجواد عليه السلام، وجاء في رسالته له:

(فدتك نفسي بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من باب البستان الصغير، وإنما ذاك من بخل بهم لئلا ينال أحد منك خيراً، فأسألك بحقي عليك لا يكون مدخلك ومخرجك إلا من الباب الكبير، وإذا ركبت إن شاء الله فليكن معك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد شيئاً إلا أعطيته، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من قريش فلا تعطه أقل من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إني إنما أريد أن يوفقك الله، فاتقِ الله وأعط ولا تخف من ذي العرش إقتاراً) [٢].

حقاً، الكريم لا يربّي إلا كريماً!

كذلك روي: (لما أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد في سنة مائتين من الهجرة خرجت فاطمة أخته تقصده في سنة إحدى ومائتين فلما وصلت إلى ساوة مرضت فسألت كم بينها وبين قم؟ قالوا: عشرة فراسخ، فقالت: احملوني إليها فحملوها إلى قم وأنزلوها في بيت موسى بن خزرج بن سعد الأشعري، ... وكانت في داره سبعة عشر يوماً ثم توفيت رضي الله عنها، فأمر موسى بتغسيلها وتكفينها وصلى عليها

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٩ – ١٨٠.

٢- الدر النظيم، المشغري العاملي: ٦٩٢.

ودفنها في أرض كانت له وهي الآن روضتها، وبنى عليها سقيفة من البواري، إلى أن بنت زينب بنت محمد بن علي الجواد عليه السلام عليها قبة) [١].

و أيضاً: من ضمن الأمور التي قام بها الإمام الرضا غير ما ذكرناه سابقاً، أنه كتب ما يعرف بـ "كتاب الحباء والشرط" الذي وقّع عليه الإمام الرضا والمأمون، وقد أثنى فيه الإمام على الجهود التي بذلها الفضل بن سهل وأخوه الحسن لدحر ما خطط له الأمين وكذلك لمواجهة بعض الثورات كثورة أبي السرايا وثورة محمد بن جعفر!

بعض الباحثين [٢] رفض صدور هذا الكتاب من الإمام الرضا بحجة عدم معقولية صدور ذم لثورة محمد بن جعفر وثورة أبي السرايا المعروف بتشيعه، إضافة إلى اشتراك بعض الطالبيين فيها كما عرفنا سابقاً.

نحن من جهتنا، لا نعتبر هذا السبب كافياً لرفض صدور الكتاب من الإمام الرضا صلوات الله عليه؛ لأن هذه الثورات من الأساس لم يأذن بها الإمام ولم يؤيدها، وسبب الرفض - كما تقدم - ديني يتعلق برسالة الإمام الرضا نفسها (كما هو حال الأئمة من ولد الحسين قبل مجيء القائم عليه السلام). أما مجرد اشتراك بعض الطالبيين فيها فهو لا يقدم شيئاً ولا يؤخر ولا يعني شرعيتها أو مقبوليتها إطلاقاً، فالشرعية تمنح وتؤخذ من الإمام المعصوم لا غير.

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٢٩٠.

٢- انظر: حياة الامام علي بن موسى الرضا، باقر شريف القرشي: ٢ / ٤٦٥ – ٤٦٦.

موقف العباسيين ومخطط اغتيال الإمام الرضا:

ذكرنا سابقاً، أنّ موت هارون العباسي تسبّب في انقسام العباسيين إلى فئتين؛ فئة تؤيد محمد الأمين وكان وزيره الفضل بن الربيع في بغداد، وفئة تؤيد عبد الله المأمون وكان وزيره الفضل بن سهل في خراسان، ولا شك أنّ كفة بغداد كانت راجحة نوعاً ما. وأحد أسباب ذلك هو دخالة الجانب العنصري والعرقي في التقييم، إذ كان يميل لصالح كفة الأمين باعتبار أنّ أمه هاشمية، بخلاف المأمون الذي يميل إلى أخواله الفرس؛ إذ كانت أمه "مراجل" أمة فارسية!

انتصار المأمون وتفرّده بالحكم بعد مقتل أخيه الأمين على يد الجيش الذي كان يقوده طاهر بن الحسين في سنة ١٩٨ هـ، لا يعني صفاء نفوس البيت العباسي في بغداد، وبقوا يضمرون في أنفسهم تجاهه الشيء الكثير؛ وليس السبب ينحصر في أنّ وزيره ومن يحيطون بالمأمون فرس وحسب، ولكن لأنهم يتشيعون لآل علي! أي "رافضة" بحسب المصطلح السائد في ذلك الوقت!

و"زاد الطين بلة" كما يقال، تعيين الإمام الرضا صلوات الله عليه ولياً للعهد.

العباسيون ببغداد يخلعون المأمون:

كما لاحظنا في النصوص والروايات التي تقدمت، فإنّ المأمون لما عقد البيعة للإمام الرضا بولاية العهد، اتخذ عدة إجراءات، منها [١]:

- أمر ولاته بالأمصار بأخذ البيعة للإمام في المدينة ومكة والعراق ومصر.
- ترك لبس السواد و أبدله باللباس الأخضر.
- ضرب الدراهم والدنانير باسم الإمام الرضا عليه السلام.

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ٣٢٦.

رفض بعض قادة الجيش العباسي تعيين الإمام ولياً للعهد، منهم قادة معروفون هم: عيسى الجلودي، وعلي بن عمران، و أبو يونس. فأمر المأمون بسجنهم، ولاحقاً قام بقتلهم. وقد تقدم، أنّ الإمام الرضا أراد أن يتشفع للعفو عن الجلودي وكلّم المأمون بذلك على الرغم مما عمله الجلودي في أيام هارون بالإمام الرضا وعائلته بالمدينة، لكنه أبى وأصر على البقاء على نصب العداء للإمام، فهلك على ذلك الحال [١].

البيت العباسي ببغداد ينصّب إبراهيم بن المهدي خليفة:

بخصوص العباسيين في بغداد، فقد ثارت ثائرتهم ورفضوا إجراء المأمون بتعيين الإمام الرضا ولياً للعهد؛ إذ كيف يعين المأمون العباسي "إمام الر افضة" ولياً للعهد! وهل هذا إلا تهديد صريح بزوال ملك العباسيين و انتقاله إلى العلويين! فخلعوا المأمون عن الخلافة ونصّبوا عمّه المطرب إبراهيم بن المهدي العباسي (شيخ المغنيين) في بغداد:

(وفي هذه السنة (٢٠١ هـ) في ذي الحجة خاض الناس في البيعة لإبراهيم بن المهدي بالخلافة وخلع المأمون ببغداد. وكان سبب ما ذكرناه من إنكار الناس لولاية الحسن بن سهل والبيعة لعلي بن موسى فأظهر العباسيون بغداد أنهم قد كانوا بايعوا لإبراهيم بن المهدي لخمس بقين من ذي الحجة ووضعوا يوم الجمعة رجلا يقول إنا نريد أن ندعو للمأمون ومن بعده لإبراهيم ووضعوا من يجيبه بأننا لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم بن المهدي بالخلافة ومن بعده لإسحاق بن موسى الهادي وتخلعوا المأمون ففعلوا ما أمروهم به فلم يصل الناس جمعة وتفرقوا وكان ذلك لليلتين بقيتا من ذي الحجة من السنة) [٢].

خلافة إبراهيم بن المهدي وإن كانت مدعاة للسخرية في أول الأمر؛ لاشتهار حاله بالتحلل والطرب واللهو، لكن أمره شيء فشيء بدأ يشتد بعد أن اجتمع عليه أغلب العباسيين في بغداد، ثم في عام ٢٠٢ هـ تابعهم على بيعته أهل بغداد من فقهاء وشخصيات مؤثرة معروف عنها خدمتها للخلافة العباسية، مثل السندي بن شاهك لعنه الله (قاتل

١- انظر: عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٦١.

٢- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ٣٢٧.

الإمام الكاظم بأمرهارون)؛ إذ كان له دوركبيرفي توطيد خلافة إبراهيم نكاية بالمأمون الذي قرّب علي بن موسى الرضا!

(وكان الذي سعى في ذلك وقام به السندي وصالح صاحب المصلى ومنجاب ونصير الوصيف وسائر الموالي إلا أن هؤلاء كانوا الرؤساء والقادة غضباً منهم على المأمون حين أراد إخراج الخلافة من ولد العباس إلى ولد علي ولتركه لباس آبائه من السواد ولبسه الخضرة ...) [١].

و أيضاً: بايعه المعتصم بن هارون (أخو المأمون)، وكانت بيعته ضربة قوية للمأمون:

(لما بايع أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي وبايعه جماعة بني العباس بايعه أبو إسحاق المعتصم في جملة القوم وقبّل ركابه فأمر له بعشرة آلاف درهم) [٢].

والي العراق من طرف المأمون هو الحسن بن سهل (أخو الفضل بن سهل)، كان يقيم في واسط وقد سعى جاهداً لاحتواء الوضع، لكن بغداد خرجت عن سيطرة المأمون، والوضع في الكوفة غير مستقر أيضاً، وقد حاول الحسن معالجة وضعها بتولية العباس بن موسى بن جعفر عليها وأمره بدعوة الناس للمأمون ولأخيه الرضا بعده ولبس الخضرة، وقال له: (قاتل عن أخيك فإنّ أهل الكوفة يجيبونك إلى ذلك و أنا معك)! لكن الأغلبية خذلوه ولم يقفوا معه، وقالوا له: (إن كنت تدعو للمأمون ثم من بعده لأخيك فلا حاجة لنا في دعوتك، وإن كنت تدعو إلى أخيك أو بعض أهل بيتك أو إلى نفسك أجبناك، فقال: أنا أدعو إلى المأمون ثم من بعده لأخي فقعد عنه الغالية من الر افضة و أكثر الشيعة) [٣].

بالنتيجة اصطف غالبية الكوفيين مع العباسيين وبايعوا إبراهيم بن المهدي وطردوا العباس بن موسى بن جعفر، ونصب إبراهيم والياً عليها من طرفه، ثم سيّر جيوشه إلى واسط فاقتتلوا مع جيش الحسن بن سهل قتالاً شديداً. ثم ازداد الوضع سوءاً في العراق

---

١ - تاريخ الطبري: ٧ / ١٤١.

٢- الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني: ١٠٧.

٣- تاريخ الطبري: ٧ / ١٤٤. و انظر أيضاً: تجارب الأمم، الرازي: ٤ / ١٣٤ – ١٣٥.

بخروج مناطق كثيرة عن سيطرة المأمون، حتى إنّ بعض أصحابه نصحه بأنه: "إن لم يتدارك أمره خرجت الخلافة منه ومن أهل بيته" [١]!

عزم المأمون على السفر إلى بغداد والمفاوضات غير المعلنة!

في هذه المرحلة بالذات، يذكر بعض المؤرخين (كالطبري) أنّ المأمون قرّر السفر إلى بغداد والشخوص من "مرو" بدون بيان الأسباب الكافية والمقنعة، سوى أنهم ذكروا أنّ بعض المقربين من المأمون: (سألوا المأمون الخروج إلى بغداد في بني هاشم والموالي والقواد والجند لو رأوا عزّتك سكنوا إلى ذلك وبخعوا بالطاعة لك، فلما تحقق ذلك عند المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد) [٢]!

لكن كيف يسير المأمون إلى بغداد لتهدئة الوضع فيها والحال أنها محكومة فعلياً من إبراهيم بن المهدي المبايع له من قبل البيت العباسي وعموم المصطفين معهم من قادة ووجوه وفقهاء و أتباع كثر تشكلت منهم جيوش استطاعت إخضاع الكوفة ومناطق كثيرة غيرها لصالح خلافة إبراهيم بن المهدي؟!

المعروف عن المأمون نباهته، فكيف يجازف بحياته ويقتنع بطرح سفيه كهذا! وكأن القضية صراع على قطعة أرض ممكن حلها بجلسة خاطفة وزيارة أقارب! القضية هي صراع على ملك وخلافة ودولة مترامية الأطراف! البيت العباسي يرى أنّ المأمون خرج عن رسمهم وتجاوز الحد، وكما هو صنع مع أخيه الأمين وقتله لتجاوزه الرسوم والحدود، فهم أيضاً مستعدون أن يقتلوه إن ظفروا به؟!

يعني كيف سيدخل بغداد وخصومه لديهم جيوش وسلاح و أتباع ... إلخ؟!

بالنتيجة المأمون فعلاً دخل بغداد بكل ترحاب واستقامت له الأمور وكأنّ شيئاً لم يحصل، ورجع الخليفة الأوحد، وبيعة إبراهيم بن المهدي تبخرت كأنها سراب؟!

١- تاريخ الطبري: ٧ / ١٤٨.

٢- تاريخ الطبري: ٧ / ١٤٨.

لكن حتماً هناك شيء حصل بين المأمون والبيت العباسي أدى إلى الانتهاء إلى هذه النتيجة! وما لم يتم الكشف عنه لا يمكن – منطقياً – الاكتفاء بما ذكره المؤرخون في طريقة سير الأحداث، وستبقى هذه الفترة بمثابة "السلسلة" التي ينقصها "حلقة" مفقودة يتمكن أي باحث منصف من وضع إصبعه على موضع "القطع" فيها!

بعض المؤرخين ذكر أنّ هذه الفترة شهدت تبادل كتب ورسائل بين المأمون وأعمامه في بغداد كشف النقاب عن وجه إحداها؛ إذ كتبوا إليه كتاباً يسألون جوابهم، وكتابهم لم يُنقل تاريخياً، لكن من جواب المأمون يمكننا معرفة مفاد كتابهم المرسل إليه:

(فقال المأمون: ... أما بعد عرف المأمون كتابكم، وتدبير أمركم، ومخض زبدتكم، وأشرف على قلوب صغيركم وكبيركم، وعرفكم مقبلين ومدبرين، وما آل إليه كتابكم قبل كتابكم في مراوضة الباطل، وصرف وجوه الحق عن مواضعها ونبذكم كتاب الله تعالى والآثار، وكلما جاءكم به الصادق محمد صلى الله عليه وآله حتى كأنكم من الأمم السالفة التي هلكت بالخسفة والغرق والريح والصيحة والصواعق والرجم. ....).

ثم أوضح لهم مكانة السيدة خديجة و أبو طالب وعلي صلوات الله عليهم في نصرة الرسول والإسلام ورفض مقولة تقديم العباس على الإمام علي، وبيّن لهم أنّ آل العباس وآل علي يد واحدة، ثم قال:

(حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا فأخفناهم وضيقنا عليهم وقتلناهم أكثر من قتل بني أمية إياهم. ويحكم إن بني أمية إنما قتلوا منهم من سل سيفاً و إنا معشر بني العباس قتلناهم جملاً فلتسألن أعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت، ولتسألن نفوس ألقيت في دجلة والفرات، ونفوس دفنت ببغداد والكوفة أحياء، وهيهات إنه من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. .....

وأما ما ذكرتم من استبصار المأمون في البيعة لأبي الحسن الرضا عليه السلام فما بايع له المأمون إلا مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبق أحد على ظهرها أبين فضلاً ولا أظهر عفة، ولا أورع ورعاً ولا أزهد في الدنيا، ولا أطلق نفساً ولا أرضى في الخاصة والعامة، ولا أشد في ذات الله منه، وإن البيعة له لمو افقة رضى الرب عزوجل، ولقد جهدت وما أجد في

الله لومة لائم، ولعمري أن لو كانت بيعتي بيعة محاباة، لكان العباس ابني وسائر ولدي أحب إلى قلبي، وأجلى في عيني، ولكن أردت أمراً وأراد الله أمراً، فلم يسبق أمري أمر الله. ...

وأما ما سألتم من البيعة للعباس ابني، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، ويلكم إن العباس غلام حدث السن، ولم يونس رشده ولم يمهل وحده ولم تحكمه التجارب، تدبره النساء وتكفله الإماء، ثم لم يتفقه في الدين، ولم يعرف حلالاً من حرام، إلا معرفة لا تأتي به رعية، ولا تقوم به حجة، ولو كان مستأهلا قد أحكمته التجارب، وتفقه في الدين، وبلغ مبلغ أمير العدل في الزهد في الدنيا وصرف النفس عنها ما كان له عندي في الخلافة إلا ما كان لرجل من عك وحمير، فلا تكثروا في هذا المقال، فان لساني لم يزل مخزوناً عن أمور و أنباء، كراهية أن تخنث النفوس عندما تنكشف، علماً بأن الله بالغ أمره، ومظهر قضاه يوماً.

فإذا أبيتم إلا كشف الغطاء، وقشر العظاء، فالرشيد أخبرني عن آبائه وعما وجد في كتاب الدولة وغيرها أن السابع من ولد العباس لا تقوم لبني العباس بعده قائمة ولا تزال النعمة متعلقة عليهم بحياته، فإذا أودعت فودعها، فإذا أودع فودعاها، وإذا فقدتم شخصي فاطلبوا لأنفسكم معقلا وهيهات، ما لكم إلا السيف يأتيكم الحسني الثائر البائر، فيحصدكم حصداً، أو السفياني المرغم والقائم المهدي يحقن دمائكم إلا بحقها.

وأما ما كنت أردته من البيعة لعلي بن موسى بعد استحقاق منه لها في نفسه واختيار مني له، فما كان ذلك مني إلا أن أكون الحاقن لدمائكم، والذائد عنكم باستدامة المودة بيننا وبينهم، وهي الطريق أسلكها في إكرام آل أبي طالب، ومواساتهم في الفيئ بيسير ما يصيبهم منه.

وإن تزعموا أني أردت أن يؤول إليهم عاقبة ومنفعة فاني في تدبيركم والنظر لكم ولعقبكم و أبنائكم من بعدكم، و أنتم ساهون لاهون تائهون، في غمرة تعمهون لا تعلمون ما يراد بكم، وما أظللتم عليه من النقمة، و ابتزاز النعمة، همة أحدكم أن يمسي مركوباً ويصبح مخموراً تباهون بالمعاصي، وتبتهجون بها وآلهتكم البر ابط مخنثون مؤنثون، لا يتفكر متفكر منكم في إصلاح معيشة ولا استدامة نعمة ولا اصطناع مكرمة، ولا كسب

حسنة يمد بها عنقه يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم. أضعتم الصلاة، و اتبعتم الشهوات، و أكببتم على اللذات عن النغمات، فسوف تلقون غيا. .....

وأما ما ذكرتم من العثرة كانت في أبي الحسن عليه السلام نور الله وجهه، فلعمري إنها عندي للنهضة والاستقلال الذي أرجو به قطع الصراط، والأمن والنجاة، من الخوف يوم الفزع الأكبر، ولا أظن عملت عملا هو عندي أفضل من ذلك إلا أن أعود بمثلها إلى مثله و أين لي بذلك و أنى لكم بتلك السعادة. ...

وأما تعييركم إياي بسياسة المجوس إياكم فما أذهبكم الآنفة من ذلك ولو ساستكم القردة والخنازير ما أردتم إلا أمير المؤمنين، ولعمري لقد كانوا مجوساً فأسلموا كآبائنا وأمهاتنا في القديم، فهم المجوس الذين أسلموا و أنتم المسلمون الذين ارتدوا، فمجوسي أسلم خير من مسلم ارتد، فهم يتناهون عن المنكر، ويأمرون بالمعروف، ويتقربون من الخير ويتباعدون من الشر، ويذبون عن حرم المسلمين، يتباهجون بما نال الشرك وأهله من النكر، ويتباشرون بما نال الإسلام وأهله من الخير، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

وليس منكم إلا لاعب بنفسه، مأفون في عقله وتدبيره، إما مغن أو ضارب دف أو زامر، والله لو أن بني أمية الذين قتلتموهم بالأمس نشروا فقيل لهم لا تأنفوا في معائب تنالونهم بها، لما زادوا على ما صيرتموه لكم شعاراً ودثاراً، وصناعة وأخلاقاً. ليس فيكم إلا من إذا مسه الشر جزع، وإذا مسه الخير منع، ولا تأنفون ولا ترجعون إلا خشية، وكيف يأنف من يبيت مركوباً، ويصبح بإثمه معجباً كأنه قد اكتسب حمداً غايته بطنه وفرجه، لا يبالي أن ينال شهوته بقتل ألف نبي مرسل، أو ملك مقرب، أحب الناس إليه من زين له معصية، أو أعانه في فاحشة تنظفه المخمورة وتربده المطمورة، فشتت الأحوال فان ارتدعتم مما أنتم فيه من السيئات والفضائح، وما تهذرون به من عذاب ألسنتكم، وإلا فدونكم تعلوا بالحديد ولا قوة إلا بالله وعليه توكلي وهو حسبي) [1].

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٩ / ٢٠٨ ٢١٤.

لا يهمني الآن ما وصف به المأمون حال بني العباس (الذي يحكي حال الأولين منهم والآخرين على حد سواء)، لكن المهم بالنسبة لنا هو: أنّ الواضح من كتب العباسيين إلى المأمون أنهم كانوا يركزون على أمرين أساسيين:

١- إبعاد الإمام علي بن موسى الرضا عن ولاية العهد، وإذا ما تحقق ذلك فإنهم على استعداد أن يقبلوا حتى بابنه الطفل "العباس" ولياً للعهد!
٢- تعييره بالفرس والمجوس على حد وصفهم، وبالتأكيد هم يقصدون بالدرجة الأساس وزيره الفضل بن سهل؛ لأنهم يعتبرونه المتسبب الأساس بتعيين الإمام علي بن موسى الرضا ولياً للعهد، وهم محقون بهذا التصور، كما عرفنا سابقاً.

إذن، ما يهم البيت العباسي هو هذان الشخصان، وبالتالي فإذا ما استطاعوا إقناع المأمون بإبعادهما فهم مستعدون لمد أيديهم له والقبول بخلافته من جديد وفتح بغداد أمامه بلا قتال ولا حرب! وليس هناك جزم بأنّ هذا الكتاب "سؤالاً وجواباً" كان الوحيد بين المأمون وأعمامه العباسيين في بغداد، بل الواقع ومآل الأمور أثبت أنّ هناك عدة رسائل ومفاوضات جرت بين الطرفين استغرقت فترة؛ خصوصاً في مثل ذلك الزمان الذي يحتاج فيه البريد بين بغداد وخراسان أياماً وأشهر؛ ذهاباً وإياباً.

من جهته، كان الإمام الرضا صلوات الله عليه يعلم بما يجري من مفاوضات ورسائل متبادلة، وإذا كانت تخفى عليه من جهة المأمون فالله سبحانه لا تخفى عليه خافية ويطلع وليه إذا شاء، وقد أطلعه فعلاً لذلك نرى الإمام الرضا تحدث مع المأمون بمسألة إبعاده عن ولاية العهد مع الفضل بن سهل إن أراد أن يصفو له الملك!

(إبراهيم بن العباس يقول: لما عقد المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام، قال له الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين إنّ النصح لك واجب والغش لا ينبغي لمؤمن، أن العامة تكره ما فعلت بي والخاصة تكره ما فعلت بالفضل بن سهل والرأي لك

أن تبعدنا عنك حتى يصلح لك أمرك، قال إبراهيم: فكان والله قوله هذا السبب في الذي آل الأمر إليه) [١].

بالتأكيد، من يقرأ كلام الإمام وحديثه مع المأمون في مسألة الإبعاد (مجرداً عن سياق الأحداث) قد لا يكون السبب فيه مفهوماً، فمسألة عدم رضا البيت العباسي وكثيرين غيرهم ليست أمراً جديداً وكانت موجودة من البداية، فلماذا الآن يطرح الإمام قضية إبعاده؟ ولماذا يشرك معه الفضل بن سهل أيضاً؟!

إحاطتنا بما تقدم في بيان سير الأحداث يمنحنا إجابة واضحة بنسبة لا بأس بها، وهي: أنّ الإمام أراد أن ينبّه المأمون إلى أنه يعرف بما يجري من تواصل ومفاوضات بينه وبين أعمامه في بغداد، وأنّ نقطة الخلاف تتمثل بشخصه وشخص الفضل بن سهل، و أيضاً: الإمام الرضا كان يعلم بأنّ المأمون إن استطاع أن يصمد مدة فإنه لا يمكنه الصمود حتى النهاية أمام عروض البيت العباسي و أنه بالنتيجة سيرضخ لمطالبهم، فأراد أن يخفف عليه الأمر بطريقة بحيث لا يكون مطيّة لهم في تنفيذ مخططهم المستقبلي وتكون له يد بما سيجري عليه وعلى الفضل بن سهل! أي: أراد أن يرحمه!

الإمام الرضا بولاية العهد تمكن من إنجاز أعمال كبيرة حفظ بها دين الله والتشيع كما عرفنا، وهذه النقطة البيضاء في صفحة المأمون ربما أراد الإمام أن ينمّيها ويزيدها اتساعاً ولم يرد له أن يخسر إذا ما اختار أن يكون جزءاً من المخطط العباسي الذي جهزوه للتعامل به مع الإمام، وسنتعرف بعد قليل على مخططهم والنتيجة التي أفضت لها المفاوضات وتبادل الرسائل بينهم وبين المأمون.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٥٧.

محاولتان لاغتيال الإمام الرضا (ع):

ذكرت المصادر التاريخية محاولتين لاغتيال الإمام الرضا صلوات الله عليه، وقبل عرضهما نشير إلى أنّ الإمام الرضا كان يعلم بما سيجري عليه وأخبر بمصيره وشهادته ودفنه في أرض طوس منذ أيام هارون العباسي!

الإمام الرضا (ع) يخبر بمصيره:

ابتداءً، الأمر مخبر به من الرسول صلى الله عليه وآله:

- (عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستدفن بضعة مني بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله عزوجل له الجنة وحرم جسده على النار) [١].

- (عن الحسين بن زيد قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول: يخرج ولد من ابني موسى اسمه اسم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى أرض طوس، وهي بخراسان، يقتل فيها بالسم، فيدفن فيها غريباً من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله تعالى أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل) [٢].

منذ أن جاء بريد المأمون إلى المدينة باستقدام الإمام الرضا عليه السلام منها إلى خراسان والإمام أخبر بأنه سيدفن إلى جنب هارون بطوس:

- (محول السجستاني قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله صلى الله عليه وآله فودعه مراراً كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب فتقدّمت إليه وسلّمت عليه فرد السلام وهنأته، فقال: ذرني فاني أخرج من جوار جدي صلى الله عليه وآله وأموت في غربة

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٨٦.

٢- الأمالي، الصدوق: ١٨٠.

وأدفن في جنب هارون قال: فخرجت متبعاً لطريقه حتى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون) [١].

- وتقدم، أنّ الإمام الرضا في أول وصوله إلى خراسان، دخل بيت حميد بن قحطبة، وخط بيده خطة إلى جنب قبر هارون، وقال: (هذه تربتي وفيها أدفن وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي والله ما يزورني منهم زائر ولا يسلّم عليّ منهم مسلِّم إلا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت) [٢].

بل كان الإمام الرضا يقول ذلك منذ أيام هارون؛ إذ تصادفا مرة في بيت الله الحرام، وتصادفا أخرى في المدينة:

- (عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال: خرج هارون من المسجد الحرام من باب وخرج الرضا عليه السلام من باب فقال الرضا عليه السلام وهو يعتبر لهارون: ما أبعد الدار و أقرب اللقا بطوس! يا طوس يا طوس، ستجمعني و إياه) [٣].

- (عن موسى بن مهران قال: رأيت علي بن موسى الرضا عليهما السلام في مسجد المدينة وهارون يخطب فقال: أترونني و إياه ندفن في بيت واحد) [٤].

- (عن جعفر بن محمد النوفلي قال: أتيت الرضا عليه السلام وهو بقنطرة إبريق فسلمت عليه ثم جلست وقلت: جعلت فداك إنّ أناساً يزعمون أن أباك حي! فقال: كذبوا لعنهم الله لو كان حياً ما قسم ميراثه ولا نكح نساؤه، ولكنه والله ذاق الموت كما ذاقه علي ابن أبي طالب عليه السلام. قال: فقلت له: ما تأمرني؟ قال: عليك بابني محمد من بعدي، وأما أنا فإني ذاهب في وجه لا أرجع، بورك قبر بطوس وقبران ببغداد، قال: قلت جعلت

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٤. وانظر أيضاً: أخبار الدول و آثار الأُول، القرماني: ١١٤، الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي: ٥٩.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٤٧.

٣- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٣ – ٢٣٤.

٤- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٧.

فداك عرفنا واحداً فما الثاني؟ قال: ستعرفونه، ثم قال: قبري وقبر هارون هكذا وضم بإصبعيه) [١].

إخبار الإمام بشهادته ودفنه في طوس صدر منه في مناسبات كثيرة، ابتدأت من أيام هارون كما عرفنا واستمرت حتى بعد وصوله إلى خراسان وتعيينه ولياً للعهد، وكمثال: ما أخبر به دعبل بن علي الخزاعي:

- (عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي على علي بن موسى الرضا عليهما السلام بمرو فقال له: يا بن رسول الله إني قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فقال عليه السلام: هاتها فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصاتِ

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي، فلما بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضاتِ

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلّب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات، فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر فلما انتهى إلى قوله:

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٣.

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن في الغرفاتِ

قال له الرضا عليه السلام: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقاتِ
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكرباتِ

فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له. ...) [١].

ولما كان المأمون يحدث الإمام الرضا عليه السلام عن بغداد و أنه سير افقه إليها، كان الإمام يجيبه: "وما أنا وبغداد، لا أرى بغداد ولا تراني"!

- (عن محمد بن أبي عباد قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: ندخل بغداد إن شاء الله نفعل كذا وكذا، فقال له: تدخل أنت بغداد يا أمير المؤمنين، فلما خلوت به قلت له: إني سمعت شيئاً غمني وذكرته له، فقال: يا أبا حسين - وكذا كان يكنيني بطرح الألف واللام - وما أنا وبغداد ولا أرى بغداد ولا تراني) [٢].

محاولة الاغتيال الأولى:

بحسب بعض المؤرخين: حدثت محاولة الاغتيال الأولى في سرخس [٣]؛ إذ سار المأمون بمن معه من "مرو" إلى سرخس وكان فيها حمام معروف، وكان من المقرر أن يذهب إليه كل من المأمون ووزيره الفضل ومعهم الإمام الرضا صلوات الله عليه في موعد معين، لكن

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٩٤ – ٢٩٦.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٤٤.

٣- تقع بالقرب من "مرو" في خراسان.

الإمام اعتذرعن الذهاب إلى الحمام في الموعد المقرر، وبمجرد دخول الفضل بن سهل إلى الحمام شدَّ عليه أربعة أشخاص وقتلوه بسيوفهم، كان ذلك في سنة ٢٠٢ هـ، والأشخاص الأربعة هم: غالب المسعودي الأسود، وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلبي.

عملية الاغتيال هذه كانت تستهدف حياة الإمام الرضا عليه السلام بالدرجة الأساس، والفضل بن سهل كان هدفاً ثانوياً. وواضح أنّ الجهة المخططة للعميلة كانت على علم بموعد مجيء الإمام والفضل برفقة المأمون، لكن عدم حضور الإمام في الموعد جعلهم يحققون هدفهم الثاني فقط، ونجا الإمام من محاولة الاغتيال. ولما كان هدفهم قتل الإمام الرضا، كما قلت، وجدنا الجهة المخططة للعملية تعمّدت اختيار الأشخاص بطريقة مدروسة بحيث يضيع فيها دم الإمام ولا تُتهم به جهة أو قومية أو جماعة بعينها، فكل واحد من الأربعة كان يمثل قبيلة أو بلد أو قومية معينة كما لاحظنا، فالمخطَّط – كما نرى – يشبه إلى حد بعيد محاولة قريش لاغتيال الرسول صلى الله عليه وآله!

بعض المؤرخين ذكر أنّ سلطات المأمون ألقت القبض على المنفذين، ولما جيء بهم إليه سألهم عن السبب الذي دعاهم إلى فعلتهم فأجابوه: "أنت أمرتنا بقتله"! فأمر بقتلهم، وأرسل تعازيه إلى الحسن بن سهل (أخو الفضل) في واسط وأعلمه أنه صيّره مكانه [١]!

أقول: سيتضح أنّ المأمون لم يأمرهم بقتل الفضل بن سهل، وجوابهم – على فرض صحة صدوره منهم – إنما كان لخلط الأوراق والتمويه على الجهة المخططة التي أرسلتهم وكلّفتهم بمهمة الاغتيال.

ثم إنّ عدم ذهاب الإمام الرضا صلوات الله عليه معهم إلى الحمام في ذلك اليوم بسبب رؤيا رآها برسول الله صلى الله عليه وآله، إذ سأله المأمون أن يذهب معهم:

(... فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: لست بداخل غداً الحمام ولا أرى يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غداً ولا أرى للفضل أن يدخل الحمام غداً، فأعاد إليه الرقعة

١- انظر: تاريخ الطبري: ٧ / ١٤٨.

مرتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام: لست بداخل غداً الحمام فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم في هذه الليلة يقول لي: يا علي لا تدخل الحمام غداً فلا أرى لك أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخلا الحمام غداً، فكتب إليه المأمون صدقت يا سيدي وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله، لست بداخل الحمام غداً، والفضل فهو أعلم وما يفعله.

قال ياسر (الخادم): فلما أمسينا وغابت الشمس فقال لنا الرضا عليه السلام: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة فأقبلنا نقول ذلك فلما صلى الرضا عليه السلام الصبح قال لنا: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل هذا اليوم فما زلنا نقول ذلك، فلما كان قريبا من طلوع الشمس، قال الرضا عليه السلام: اصعد السطح فاستمع هل تسمع شيئا؟ فلما صعدت سمعت الضجة والنحيب وكثر ذلك بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن عليه السلام يقول: يا سيدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل وكان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه، وأخذ من دخل عليه في الحمام وكانوا ثلاثة نفر، أحدهم ابن خالة الفضل ذو القلمين قال: واجتمع القواد والجند من كان من رجال ذي الرياستين على باب المأمون فقالوا: اغتاله وقتله، فلنطلبن بدمه، فقال المأمون للرضا عليه السلام: يا سيدي ترى أن تخرج إليهم وتفرقهم! قال ياسر: فركب الرضا عليه السلام وقال لي: إركب فلما خرجنا من الباب نظر الرضا عليه السلام إليهم وقد اجتمعوا وجاءوا بالنيران ليحرقوا الباب فصاح بهم وأومى إليهم بيده، تفرقوا فتفرقوا. قال ياسر: فأقبل الناس والله يقع بعضهم بعض وما أشار إلى أحد إلا ركض ومر ولم يقف أحد) [١].

المحاولة الثانية:

وهي اغتياله بالسم، حيث أودت بحياة الإمام الرضا صلوات الله عليه في شهر صفر سنة ٢٠٣ هـ. وكان الإمام يعلم بأنه سيقتل مسموماً:

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٣ – ١٧٤.

(عن الهروي في خبر طويل عن الرضا عليه السلام، في نفي قول من قال إن الحسين عليه السلام لم يقتل ولكن شبّه لهم، قال عليه السلام: والله لقد قتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين، والحسن بن علي، وما منا إلا مقتول، و إني والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني، أعرف ذلك بعهد معهود إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عزوجل) [1].

المؤرخ ابن الطقطقي دمج محاولتي الاغتيال بكلامه فقال: (ومات علي بن موسى من أكل عنب، فقيل: إنّ المأمون لما رأى إنكار الناس ببغداد لما فعله من نقل الخلافة إلى بني علي، وإنهم نسبوا ذلك إلى الفضل بن سهل ورأى الفتنة قائمة، دس جماعة على الفضل بن سهل فقتلوه في الحمام، ثم أخذهم وقدمهم ليضرب أعناقهم، قالوا له: أنت أمرتنا بذلك، ثم تقتلنا! فقال: أنا أقتلكم بإقراركم، وأما ما ادعيتموه عليّ من أني أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة، ثم ضرب أعناقهم، وحمل رؤوسهم إلى الحسن بن سهل وكتب يعزيه ويوليه مكانه، ثم دس إلى علي بن موسى الرضا عليهما السلام سمّاً في عنب وكان يحب العنب، فأكل منه واستكثر فمات من ساعته، ثم كتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم: إن الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال وأن الرجل مات) [2].

وعموماً، مصادر كثيرة ذكرت نصوصاً وروايات – على سبيل التأكيد أو الاحتمال – تفيد بأنّ المأمون هو من أمر بسمّ الإمام الرضا صلوات الله عليه!

أقول: قتل الإمام الرضا بالسم صحيح، إلا أنّ من باشر القتل وخطط له جهة أخرى غير المأمون، وهي نفسها الجهة التي قتلت الفضل بن سهل، لكن هذا لا يعفي المأمون من المسؤولية، ويمكن أن يسمّى قاتلاً بلحاظ الاتفاق الذي حصل بينه وبين العباسيين كما سنعرف الآن.

١- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢١٩ – ٢٢٠.

٢- الفخري في الآداب السلطانية، ابن طقطقا: ١٧٦.

شهادة الإمام الرضا (ع):

هل قتل المأمون الإمام الرضا (ع)؟

الأمر مختلف فيه بين المسلمين:

المجلسي: (اعلم أنّ أصحابنا والمخالفين اختلفوا أن الرضا عليه السلام هل مات حتف أنفه أو مضى شهيداً بالسم، وعلى الأخير هل سمّه المأمون أو غيره، والأشهر بيننا أنه مضى شهيداً بسم المأمون، وينسب إلى السيد بن طاووس أنه أنكر ذلك، وكذا أنكره الإربلي في كشف الغمة) [١].

بعض المحدثين اكتفى بذكر وفاة الإمام:

الكليني: (وقبض عليه السلام في صفر من سنة ثلاث ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة ... وتوفي عليه السلام بطوس في قرية يقال لها: سناباد من نوقان على دعوة، ودفن بها، وكان المأمون أشخصه من المدينة إلى مرو على طريق البصرة وفارس فلما خرج المأمون وشخص إلى بغداد أشخصه معه، فتوفي في هذه القرية) [٢].

المؤرخون أيضاً لم تتفق كلمتهم:

- فبعضهم ذكر موته فجأة [٣].
- وبعضهم نقل قولاً بتدخل المأمون في سمّه واستبعده [٤].

١- بحار الأنوار: ٤٩ / ٣١١.

٢- الكافي: ١ / ٤٨٦.

٣- الطبري: (ذكر أن المأمون شخص من سرخس حتى صار إلى طوس فلما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياما ثم إن علي بن موسى أكل عنبا فأكثر منه فمات فجأة وذلك في آخر صفر) تاريخ الطبري: ٧ / ١٥٠.

٤- ابن الأثير: (في سنة ثلاث ومائتين مات علي بن موسى الرضا عليه السلام، وكان سبب موته أنه أكل عنبا فأكثر منه، فمات فجأة وذلك في آخر صفر، وكان موته بمدينة طوس فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد،

- وبعضهم ذكر أنّ علي بن هشام هو من سقى الإمام السم [١].
- بينما اكتفى بعضهم بذكر أنّ المأمون كاتب العباسيين ببغداد بمجرد موت الإمام وأخبرهم بزوال سبب خلافهم عليه، أي يدعوهم للانضواء تحت خلافته [٢].

من قتل الإمام الرضا وما دور المأمون في قتله؟

الحلقة المفقودة في نقل ونصوص المؤرخين (التي كنا نتحدث عنها) ستتضح الآن، وسنعرف القاتل المباشر للإمام الرضا صلوات الله عليه.

السيد أحمد الحسن حدد الجهة التي تقف وراء مقتل الإمام الرضا، ودور المأمون في عملية الاغتيال التي أودت بحياة الإمام، إذ يقول:

(لما أكمل الفضل بن سهل مشروع البرامكة و أقنع المأمون بالمجيء بعلي بن موسى الرضا من المدينة إلى خراسان وتنصيبه ولياً للعهد، ونفّذ مشروعه سنة ٢٠٠ هـ، وجيء بالإمام إلى خراسان وقَبِل بالنهاية بولاية العهد، ماذا كانت ردة فعل العباسيين في بغداد؟

تاريخياً، لم يقبلوا بالإجراء الذي اتخذه المأمون، والبيت العباسي – لا شك – لهم مكانة ونفوذ وتأثير في بغداد بحكم الصلاحيات التي منحها لهم هارون في حياته، وإذا رفض كبار العباسيين إجراء المأمون بالتأكيد سيصطف معهم فقهاء السنة الموجودون هناك أيضاً، ويصبح موقفهم أكثر قوة.

وكان المأمون لما قدمها قد أقام عند قبر أبيه، وقيل: إن المأمون سمه في عنب، وكان علي يحب العنب، وهذا عندي بعيد) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ٣٥١.

١- اليعقوبي: (توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد عليهم السلام بقرية يقال لها النوقان أول سنة ثلاث ومائتين، ولم تكن علته غير ثلاثة أيام. فقيل: إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥٣.

٢- السيوطي: (وسار المأمون إلى نحو العراق، فلم ينشب علي الرضا أن مات في سنة ثلاث ومائتين، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا بيعته لعلي وقد مات) تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

الشيعة في ذلك الوقت كان يطلق عليهم "رافضة" (باعتبار رفضهم خلافة غير المعصومين)، وبعد تعيين الإمام علي بن موسى الرضا ولياً للعهد أصبح بيد العباسيين حجة مفادها: أنّ المأمون عيّن إمام الرافضة ولياً للعهد! وعليه، فالإجراء الذي يجب أن يتخذ هو خلعه وتنصيب خليفة عباسي يجمع عليه البيت العباسي ويرضى عنه فقهاء السنة وعموم المسلمين الذين يرضون بالخلافة القائمة.

هذا ما حصل بالفعل؛ إذ اختار بعض كبار العباسيين إبراهيم بن المهدي العباسي، ثم اجتمعوا عليه لاحقاً، حتى إنهم – كوسيلة ضغط على المأمون – أتوا بأخيه المعتصم ليبايع إبراهيم وهو ابن هارون، وبالتأكيد له تأثير في تعزيز موقف العباسيين. وعموماً، بدأ أمر إبراهيم يقوى شيء فشيء حتى استقامت له بغداد، ثم زحف باتجاه الأماكن التي كانت تحت سيطرة المأمون لينتزعها منه، وحدثت مواجهات كبيرة بين جيشه وجيش المأمون، ثم تطورت الأمور أكثر للاستعداد بالتوجه إلى المشرق وخراسان.

في هذه الأثناء، وربما هذه حلقة مفقودة في التاريخ أو لم يسلّط عليها الضوء، حصلت مفاوضات بين البيت العباسي في بغداد وبين المأمون، فالعباسيون بلا شك كانوا يفضّلون المأمون على إبراهيم المشتهر باللهو والطرب وعدم الكفاءة للحكم، لكنهم اضطروا إليه نتيجة الإجراء الذي قام به المأمون من إسناد ولاية العهد للإمام الرضا، وبالتالي فهم إن أمكنهم إقناع المأمون بالتخلي عن الرضا فلا مانع لديهم من إعادة الاعتراف به كخليفة عباسي لعموم المسلمين، فأرسلوا وفوداً وقادة للتفاوض مع المأمون بأنهم مستعدون للقيام بخلع إبراهيم بن المهدي وإرجاع الخلافة له، مقابل التخلص من الرافضة الذين يحيطون به وعزلهم، وبالتحديد كانوا يقصدون: الفضل بن سهل والإمام علي بن موسى الرضا. طبعاً، هم لما عرضوا عليه إعادة الاعتراف به كخليفة فهم يقصدون بذلك أن بغداد والعراق عموماً يرجع تحت حكمه بدون أي مشاكل ويمكنه دخول بغداد بجيشه متى ما شاء معززاً مكرماً. وإلا فيستمر الجيش العباسي الضخم بالمسير نحو خراسان بقيادة إبراهيم بن المهدي، وقد تنجر الأمور إلى قتل المأمون!

هذا خلاصة منطق العباسيين الذي فاوضوا به المأمون، وهنا أصبح حال المأمون بين نارين، يخيّر نفسه بينهما: نار التنازل عن الملك والخلافة والدنيا، ونار التنازل عن الإمام الذي يتشيّع أو يميل له، والتنازل عن أعز أصحابه و أقربهم إليه "الفضل بن سهل"!

أقرب صورة تشبه هذا الموقف، هي صورة عمر بن سعد مع الحسين صلوات الله عليه؛ حيث كان يخيّر نفسه بين التنازل عن الإمام الحسين الذي يعلم جيداً بأنّ في قتله النار، أو التنازل عن ملك الري الذي كان يطمح إليه بكل وجوده! بل ربما امتحان المأمون أكبر؛ باعتبار أنّ الأمر الذي امتحن به ابن سعد هو ملك الري فقط، أما المأمون فامتحانه كان بالخلافة كلها وامبراطورية طويلة عريضة تمتد ما بين المشرق والمغرب!

بالنتيجة، المأمون اختار الحفاظ على الملك والدنيا، فرفع يده عن الإمام الرضا والفضل بن سهل، وسحب الحماية المخصصة لهما، أي سمح للمخطط العباسي الذي يهدف إلى اغتيال الإمام والفضل بن سهل بالمرور؛ بعلمه طبعاً، فكانت هناك محاولتان لاغتيال الإمام الرضا صلوات الله عليه بهدف قتله:

المحاولة الأولى: اختار العباسيون فيها أربع شخصيات مدربة من جنسيات وأماكن مختلفة لقتل الإمام والفضل بن سهل، وسبب اختيارهم بهذا الشكل هو إضاعة دمهما حتى لا تتهم جهة معينة بدمهما، فهي تشبه عملية اغتيال الرسول صلى الله عليه وآله من قبل قريش التي كانت تريد إضاعة دمه بين القبائل. وكان موعد تنفيذ العملية في وقت محدد يذهب الثلاثة إلى الحمام (الإمام، والمأمون، والفضل)، لكن الإمام اعتذر عن الذهاب في ذلك اليوم، وحضر الفضل بن سهل حيث تمكن المنفذون من قتله، وكان من المقرر قتل الإمام الرضا معه في نفس المكان أيضاً.

سبب اعتذار الإمام هو أنه رأى رؤيا بالرسول صلى الله عليه وآله نهاه فيها عن الذهاب إلى الحمام، وعرف الإمام أنّ شيئاً سيحصل؛ لذلك كان يطلب من بعض المحيطين به أن يدعو لدفع الشر طيلة الليلة التي حصلت الجريمة في صبيحتها، و أيضاً: طلب منهم أن يصعدوا على السطح لسماع الأصوات، وفي الصباح أخبروه بحصول ضجة كبيرة وأصوات، ثم دخل عليه المأمون باكياً وأخبره بمقتل الفضل!

ولما أمسكوا المنفذين الأربعة نقل عنهم أنهم قالوا للمأمون: "أنت أمرتنا بقتله"! والحقيقة، إنّ المأمون لم يأمرهم باغتيال الفضل بن سهل ولكنه اتفق مع بني العباس على السماح لهم بقتله هو والإمام الرضا صلوات الله عليه، وهؤلاء القتلة على علم بقبول

المأمون بعملهم لهذا واجهوه بالحقيقة التي يعرفونها (بمعنى: ما فعلناه كان برضاك فأطلقنا ولا تحاسبنا)!

المحاولة الثانية لاغتيال الإمام الرضا: هي التي سمّ فيها العباسيون الإمام الرضا، وتمكّنوا من قتله صلوات الله عليه فعلاً.

هذا ما حصل حقيقة.

المأمون لم يقتل الإمام الرضا صلوات الله عليه بشكل مباشر أعني بيده أو بأمر منه أو تخطيط منه، وكذلك لم يفعل ذلك مع الفضل بن سهل، و إنما القتل كان بتخطيط العباسيين وبأدوات وتنفيذ رجالهم. ودور المأمون كان السماح لهم بتنفيذ مخططهم الخبيث بعد رفع يده عن الإمام والفضل بن سهل، فهو قاتل بهذا المعنى أي أنه عقد اتفاق مع العباسيين وسمح لمخططهم الخبيث بالمرور وتنصل عن مسؤوليته في الحفاظ على حياة الإمام والفضل بن سهل وتوفير الحماية لهما، مقابل أن يعيدوا اعتر افهم بخلافته ويستمر حكمه بدون أي مشاكل!

وهذا ما يفسر حالة المأمون النفسية والتناقض الذي كان يعيشه في ذلك الوقت، فهو من جهة سمح للعباسيين بقتل وزيره الفضل بن سهل، ومن جهة أخرى جاء إلى الامام الرضا مسرعاً بعد قتله وهو يبكي ويقول له: "سيدي قُتل الفضل بن سهل"!

و أيضاً: من جهة يسمح للعباسيين أن يقتلوا الإمام الرضا بالسم، ومن جهة بكى عليه بعد قتله و أقام عند قبره ثلاثة أيام باكٍ حزين... إلخ!

بكاء المأمون هنا يشبه بكاء عمر بن سعد في معركة الطف!

عمر بن سعد والمأمون بكوا على أمر كانوا يعرفونه تماماً وليس على أمر لا يعرفونه، ابن سعد يعرف أنّ الحسين إمام من الله، والمأمون يعرف أنّ الرضا إمام من الله، وليس حالهما كالشمر لعنه الله الذي قام بقتل الإمام الحسين وهو يضحك فرحاً، الشمر شيطان كامل، أما ابن سعد والمأمون فكل منهما جاء للدنيا إنساناً لكنه فشل في الامتحان فيها!

مقتضى العدل والإنصاف أن نضع الأمور في نصابها كما يريد الله، وأن نذكر الحقيقة كما حصلت. نعم، المأمون خليفة عباسي وطالب ملك ودنيا، لكنه لم يسم الإمام بشكل مباشر ولم يأمر بذلك ولم يخطط لذلك بنفسه، المأمون باع حياة الإمام الرضا والفضل بن سهل للعباسيين وسمح لهم بتنفيذ مخططهم مقابل الخلافة!

ولذلك، فبعد عملية قتل الإمام الرضا صلوات الله عليه والفضل بن سهل بأشهر قليلة ذهب المأمون إلى بغداد بعد أن مهّد له العباسيون هناك الأمر بانقلابهم على إبراهيم بن المهدي وعزلهم له، فدخلها وأتم حكمه دون أي مشكلة، وسبب عزل العباسيين لإبراهيم هو وجود الاتفاق بينهم وبين المأمون كما توضح الآن. وبالمناسبة، لم يفعل المأمون شيئاً لإبراهيم بن المهدي ولأخيه المعتصم مع أنه كان رأس الحربة في تقويم خلافة إبراهيم، والسبب أنّ هذا كان جزءاً من الاتفاق!

لكن نفس هؤلاء الذين اتفق معهم المأمون وسمح لهم باغتيال الإمام علي بن موسى الرضا بالسم اغتالوه بالسم أيضاً لاحقاً؛ لأنهم بقوا غير راضين عنه واختلفوا معه فيما بعد في أمور كثيرة منها استقدامه الإمام الجواد إلى بغداد وتزويجه ابنته وترك منصب ولاية العهد شاغراً بعد شهادة الإمام الرضا.

والخلاصة: أنّ المأمون لم يباشر قتل الإمام علي بن موسى الرضا بالسم بنفسه، ولم يخطط لقتله بنفسه، لكنه لما صبّت مصلحته بقتل الإمام رفع الحماية عن الإمام وسمح للعباسيين بتنفيذ مخططهم بقتله، وكذا فعل مع الفضل بن سهل، وبالنتيجة هو يتحمل مسؤولية شهادة الإمام ومقتل الفضل بن سهل من هذه الناحية؛ خصوصاً وأنّ الأمر حصل بعلمه وبعد اتفاق جرى بينه وبين العباسيين.

وكما قلت، حال المأمون يشبه إلى حد بعيد حال عمر بن سعد، فعمر بن سعد لم يقم بقتل الحسين صلوات الله عليه بيده، وإنما سمح لمن معه أن يقتلوه وقال لمن معه: "اقتلوه أنتم"؛ لأنه يعرف ما يلحق ذلك الفعل من إثم: "أم أرجع مأثوماً بقتل حسين"، فتركهم – بحسب ظنّه – يبوؤوا بالإثم! وكان هذا منطق المأمون أيضاً إذ ترك العباسيين يقتلوا الإمام ويبوؤوا بإثم قتله!

كلاهما فعلا ذلك من أجل الملك والدنيا، وما فعلاه لا يعفيهما عن مسؤولية قتل الإمام المعصوم) انتهى [١].

الإمام الرضا الشهيد المسموم!

أصاب الإمام الرضا صلوات الله عليه من أهل الدنيا الألم والأذى الكثير، وكان في أواخر أيامه يدعو فيقول: "اللهم إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت فعجّله إليّ الساعة"، ولم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض عليه السلام [٢].

نفذ العباسيون مخططهم الخبيث بقتل الإمام الرضا بالسم:

(عن أبي الصلت الهروي أنه قال: دخلت على الرضا عليه السلام وقد خرج المأمون من عنده، فقال لي: "يا أبا الصلت قد فعلوها" وجعل يوحّد الله ويمجّده) [٣].

فعلوها: أي العباسيون أخزاهم الله.

(أبو الصلت الهروي، قال: دخل المأمون إلى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى وقال: أعزز علي يا أخي بأن أعيش ليومك، وقد كان في بقائك أمل، وأغلظ علي من ذلك وأشد أنّ الناس يقولون: إني سقيتك سمّاً، و أنا إلى الله من ذلك برئ. فقال له الرضا: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت والله بريء) [٤].

الإمام الرضا عليه السلام يقصد أنّ المأمون بريء من أن يكون سقاه السم بشكل مباشر، لكن – كما قلنا – هذا لا يعفيه من مسؤولية قتل العباسيين للإمام بالسم بسبب الاتفاق الذي حصل بينه وبين العباسيين كما عرفنا.

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٨.

٣- الارشاد، المفيد: ٢ / ٢٧٠.

٤- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٨٠.

وروي: (لما توفي الرضا عليه السلام لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوماً وليلة، ثم وجّه إلى محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام وجماعة من آل أبي طالب، فلما أحضرهم وأراهم إياه صحيح الجسد لا أثر به، ثم بكى وقال: عزَّعلي يا أخي أن أراك في هذه الحالة، وقد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلا ما أراد، وأظهر جزعاً شديداً وحزناً كثيراً، وخرج مع جنازته يحملها حتى أتى إلى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن، فدفنه هناك إلى جانب هارون الرشيد) [(١)].

واضح أنّ المأمون يعيش حالة التناقض والارتباك والتشتت بكل ما تعنيه الكلمة، فهو من جهة سمح لمخطط العباسيين الخبيث بالمرور من أجل الملك والدنيا، ومن جهة هو يعرف قدر الإمام الرضا وحقه ومقامه عند الله، لكن رضا آل محمد بالنتيجة قُتل، فهل ينفع المأمون ملكه ودنياه في جبران خسارته وفشله في الامتحان؟! هيهات.

(أبو الحسن بن أبي عباد قال: رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا حاسراً في مبطنة بيضاء وهو بين قائمتي النعش يقول: إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن، و أقام عند قبره ثلاثة أيام، يؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله، ثم انصرف في اليوم الرابع) [(٢)].

ارتحل الإمام الرضا صلوات الله عليه إلى ربه شهيداً مسموماً مظلوماً في شهر صفر سنة ٢٠٣ هـ بعمر ٥٥ عاماً [(٣)].

رحل الإمام الرضا لكن صبره وعطاؤه الحسيني الكبير لم ولن يرحل؛ لأنه كان لله بكله، وسيبقى الرضا علماً شامخاً ودليلاً لائحاً في سماء الرسالات الإلهية؛ خالداً أبداً ما بقيت شمس الحقيقة التي لن تغيب حتى آخر لحظات عالمنا الذي نحن فيه!

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٧٨.

٢- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥٣.

٣- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٤٨٦.

بيت الحكمة:

أحد أهم المنجزات التي حدثت في عهد الخلافة العباسية في الفترة التي عرفت لاحقاً بـ "العصر الذهبي للإسلام" هو وجود "بيت الحكمة" في بغداد، وكان لبعض البحوث العلمية التي أُنجزت فيه دورمهم فيما بلغته الحضارة الإنسانية اليوم على مستوى التقدم التكنولوجي بالتحديد [١]. ولهذا ارتئينا – إنصافاً للحقيقة – أن نلحق بحثه برسالة الإمام الرضا؛ لأن تطوير "بيت الحكمة" ونهضته تزامن مع أيامه صلوات الله عليه.

ما هو بيت الحكمة، ومن يقف وراء تطوره؟

بيت الحكمة؛ النشأة والتطور:

البدايات باختصار:

بحسب بعض المؤرخين والباحثين، فقد شهدت أيام أبي جعفر المنصور أولى الخطوات باتجاه تأسيس "بيت الحكمة"؛ إذ قامت الدولة باجتذاب بعض الأطباء إلى مدينة بغداد وسمحت بترجمة كتب في الطب والفلك والهندسة والآداب على يد مترجمين، وتم تخصيص خزانات خاصة في قصر الخلافة لحفظ المخطوطات والترجمات [٢].

الملفت في الأمر، أنّ أحداً من المؤرخين أو الباحثين لم يشر إلى سبب منطقي دعا الخليفة العباسي إلى فتح هذا الباب الذي لم يكن له عين ولا أثر طيلة فترة الحكم الأموي،

١- باختصار: عمليات البرمجة والذكاء الاصطناعي تستند إلى مسائل رياضية وحسابية معينة تعرف بالخوارزميات بالدرجة الأساس، والخوارزمية "Algorithm" بشكل عام: هي مجموعة من الخطوات الرياضية والمنطقية المتسلسلة لحل مشكلة ما، وبلغة البرمجة: هي طريقة بناء "الكود البرمجي Code" بحيث يكون مناسباً لأداء مهام معينة ومطلوبة في وقت ومساحة محددين، والخوارزميات واضح من اسمها تعود إلى ما كتبه الخوارزمي في الرياضيات أيام تواجده في "بيت الحكمة" وأصبحت اليوم سبباً فيما نشهده من ثورة في عالم البرمجيات وبلوغ التكنولوجيا الحديثة التي أنتجت الكمبيوتروالبرامج والهواتف والآلات الذكية ... إلخ.

٢- انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ابن القفطي: ٣٨٣.

ولا حتى أيام خلافة أخيه أبي العباس السفاح (أول حكام بني العباس). نعم، هناك بعض الباحثين حاول أن يرجع سبب ذلك إلى أنّ المنصور العباسي كان عالماً ومهتماً بالعلوم وتطوير الحركة العلمية بشكل عام!

أقول: استعرضنا في بحوث الجزء الرابع من "يوم الحسين" خلافة المنصور العباسي وتعرفنا على مفاصل مهمة منها، وكان واضحاً أنّ همَّ الرجل كان منصبّاً تماماً على توطيد أركان الخلافة العباسية والقضاء على كل المنافسين؛ وخصوصاً الحسنيين. فالجانب السياسي كان هو الغالب ولم يكن لديه أي اهتمام أو إنجاز واضح في الجانب العلمي، سوى سعيه لتأسيس المذاهب الدينية أو تدعيم بعض الوجوه العلمية والسبب فيه – كما عرفنا سابقاً – هو صرف الناس عن عالم آل محمد آنذاك؛ أعني الإمام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه.

عموماً، أوصى المنصور ابنه محمد المهدي بالاهتمام بموضوع الترجمة من بعده، إلا أنه لم يهتم بالأمر أصلاً، ثم عادت حركة الترجمة من جديد في عهد ابنه: هارون العباسي، و اتسعت شيئاً ما فدعاه كثرة الكتب التي ضمّتها خزانة جدّه "المنصور" إلى إنشاء مكان أوسع لحفظها سمي "بيت الحكمة" [١]. وكما هو واضح فالأمر في زمن هارون لم يتعدَّ الترجمة وجلب الكتب ولو من خلال الغزوات التي كان يشنّها جيشه على الروم [٢].

والخلاصة: كل الموجود في زمن المنصور هو خزانة لحفظ الكتب المترجمة داخل قصر الخلافة وكان مقفلاً بوجه عامة الناس. أما في زمن هارون فقد تطور الوضع أكثر؛ إذ خصّص لها مكاناً خارج القصر يُسمح بارتياده، أطلق عليه "بيت الحكمة"، ومع هذا فهو إلى المكتبة أقرب منه إلى أي شيء آخر، وإذا كان هناك نشاط علمي آخر غير الترجمة فهو نادر جداً، ولم يصبح "بيت الحكمة" مركزاً علمياً متطوراً تُمارس فيه الأنشطة العلمية المختلفة إلا في زمن المأمون العباسي.

١- انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ١ / ١٩٩ – ٢٠٠.

٢- انظر: الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي، محمد البرقوقي: ٧٨؛ المكتبات في الإسلام، د. محمد ماهر حمادة: ٥٩.

بيت الحكمة في عهد المأمون:

بلغ أمر "بيت الحكمة" أوج أيامه في زمن المأمون الذي حكم بين: (١٩٨ – ٢١٨ هـ)، إذ أصبح مؤسسة علمية أكاديمية مكتملة الأركان تقريباً، ففيه أماكن مخصصة لخزن الكتب وحفظها، وأماكن للمطالعة والقراءة، وأماكن للتأليف والبحث، وأماكن للترجمة والنسخ والتجليد، وقاعات دراسية، إلى جانب وجود مرصد فلكي بنته الدولة في منطقة "الشماسية" شمال شرق بغداد ليكون تابعاً لبيت الحكمة [١].

لا شك، أنّ تحوّل "بيت الحكمة" من مجرد خزانة ومكتبة لحفظ بعض الكتب المترجمة إلى مؤسسة علمية ضخمة تُمارَس فيها الأنشطة العلمية المختلفة، أمر يلفت الانتباه! ولست مجازفاً إن قلت: إنه قفزة واضحة وفق الطرح السائد والكلاسيكي لدى جمهور المؤرخين والباحثين!

"بيت الحكمة" في فترة المأمون أصبح بمثابة معهد علمي يُعنى بالدراسات العليا في علوم عديدة، و أيضاً: مركز بحثي تخصصي واسع، ضم عاملين وموظفين أكفّاء سواء على مستوى الرئاسة والعمادة، أو على مستوى الأساتذة والتدريسيين والباحثين، وصولاً إلى الطلاب والدارسين الذين كانوا متميّزين بين أقرانهم. وكان التلاميذ في "بيت الحكمة" يتلقّون العلم مجاناً، كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويستلم كلٌّ منهم مبلغاً مالياً كل شهر لمصروفاته الأخرى، وكان "البيت" يشتمل على مستشفى وحمام ومكتبة مفتوحة للطلبة وهيئة التدريس على السواء [٢].

في "بيت الحكمة" تم جمع أكابر المفكرين والعلماء والأطباء والمترجمين والنسّاخ وأُغدق عليهم العطاء، فأصبحت خزانة الكتب فيه من أثرى وأعظم خزائن الكتب في

١- انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ٢ / ٣٧؛ مبادئ الثقافة الإسلامية، د. محمد فاروق النهان: ٦٩؛ الإسلام في نظمه وحضارته، أنور الرفاعي: ٥٤٤.

يقول أحمد أمين: (إنّ بيت الحكمة كان جامعة كبيرة، وأنّ المكتبة كانت جزءاً منه) ضحى الإسلام: ٢ / ٦٤.

٢- انظر: قصة الحضارة، ديورانت: ٤ / ٣١٩.

ذلك الوقت، كان خازنها سهل بن هارون، واختير لها المترجمون المشهورون؛ منهم: يوحنا ابن ماسويه و ابن البطريق ويعقوب الكندي وحنين بن إسحاق [١].

و"الحكمة": تعني الفلسفة بمعناها الأوسع أي: "البحث عن حقائق الأشياء"، وبهذا فهي - أي الحكمة في ذلك الوقت - تشمل علوم الطب والبصريات والرياضيات والفلك "الهيئة" وعلم الفيزياء "الطبيعة" والمنطق والجغرافيا والأرصاد، إضافة إلى العلوم الإلهية والدينية. ولهذا وجدنا "بيت الحكمة" يهتم بهذه العلوم تقريباً [٢].

أما الترجمة، فقد تطوّرت حركتها بشكل ملحوظ؛ إذ لم يُكتفَ بجلب الكتب من بلاد فارس والهند واليونان والرومان وغيرها، و إنما ابتُعث إليها علماء ومترجمون للنظر فيما عندهم من كتب ونفائس ومخطوطات ونسخها وترجمتها [٣]. و أيضاً: أُنشئت مدرسة لتخريج المترجمين وجعلها مكمّلة لبيت الحكمة [٤].

بالنسبة للمرصد التابع لبيت الحكمة، فقد عيّن على إدارته نور الدين الطوسي، وعمل به أيضاً يحيى بن أبي منصور، ثم أبناء موسى بن شاكر، أي الخوارزمي وإخوته [٥].

(وهكذا اجتمع في بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات، وترجموا مختلف الكتب في شتى العلوم والفنون والمعارف وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون) [٦].

١- انظر: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المقريزي: ١ / ٤٠٦؛ طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ١ / ١٨٦.

٢- يقول ابن القفطي: (الحكمة في رأي العلماء المسلمين هي العلوم الإلهية والعددية وصناعتا الطب والتنجيم) أخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٣٨٣.

٣- انظر: المقدمة، ابن خلدون: ٨٩٢ – ٨٩٣؛ الفهرست، ابن النديم: ٢٤٣.

٤- انظر: عبد الله بن المقفع، محمد خراساني: ٣٦.

٥- انظر: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ابن القفطي: ١٢٨، ٢٣٠.

٦- بيت الحكمة في عصر العباسيين، د. خضر أحمد عطا الله: ٢٤٧.

بحسب المؤرخين، فقد تولّت شخصيات علمية عديدة رئاسة "بيت الحكمة" في زمن المأمون، منها: سهل بن هارون، ويوحنا بن ماسويه، وسلم الحرّاني، وكان أحدهم: محمد بن موسى الخوارزمي [١].

أما الإنفاق على النشاط العلمي في "بيت الحكمة"، ففي الوقت الذي لا نرى له أثراً واضحاً قبل المأمون ولا بعده، نجد أنّ عصر المأمون تميّز بقوة الإنفاق المالي على تنشيط البحث العلمي والحركة العلمية عموماً، فمثلاً: ترجم حنين بن إسحاق رسائل جالينوس الطبية، وكاد المأمون أن يفلس بيت المال حين كافأه على أعماله بمعادلة وزن الكتب التي ترجمها بالذهب [٢]!

أقول: حتى مع افتراض وجود مبالغة في نصوص بعض المؤرخين الذين صوّروا حجم الإنفاق، إلا أنّ الشيء المؤكد أنّ تخصيصاً مالياً كبيراً مُنح لتمويل النشاط العلمي الكبير الذي يقوم به الباحثون والمترجمون والأساتذة في "بيت الحكمة" في ذلك الوقت بالذات بشكل يصلح أن يكون "حجم الإنفاق" وحده فارقاً بيّناً يميز عصر المأمون عمّا سبقه وما تلاه، حتى قيل: (إنّه أنفق على ترجمة كتب اليونان ثلاثمائة ألف دينار) [٣].

و أيضاً: "بيت الحكمة" في وقت المأمون يمكن اعتباره باكورة الحركة باتجاه تنظيم النشاط التعليمي في أماكن مخصصة والذي أدى بالنهاية إلى نشوء المدارس العلمية النظامية في بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري تقريباً.

١- انظر: بيت الحكمة في عصر العباسيين، د. خضر أحمد عطا الله: ٢٤٧.

٢- انظر: قصة الحضارة، ديورانت: ٢ / ١٧٧ – ١٧٨؛ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ١ / ١٨٧.

٣- دائرة المعارف، فريد وجدي: ٨ / ٦٧.

بيت الحكمة والعصر الذهبي وفقدان البريق:

نتاج "بيت الحكمة" العلمي والمعرفي كبير؛ خصوصاً ما حصل على يد الخوارزمي [١] من ابتكارات في علوم الرياضيات، حيث لا زالت آثار بحوثه وكتاباته فيها تلهم البشرية بعد ١٢٠٠ عام تقريباً، ولهذا اعتبر كثير من الباحثين "بيت الحكمة" المحرّك المبكر لعصر الحضارة الإسلامية الذهبي. ولأن الأيام كانت أيام المأمون العباسي، نُسبت إليه فكرة "بيت الحكمة" وتطويره والإنفاق عليه، بل نُسب إليه كل شيء، وصار اسمه يُقرن بالنهضة العلمية والتحضر الإنساني ووصف عصره بالذهبي!

بسبب العطاء العلمي لـ "بيت الحكمة" صار بعض الباحثين يلقّب المأمون بـ "أستاذ الحضارة العربية" [٢]! وآخرون اعتبروا المأمون صاحب الفضل بحفظ تراث الفكر الإنساني من الضياع، علاوة على أنه عمل على نشر ذخائر ذلك الفكر في العالم الإسلامي ومنه إلى أرجاء العالم المتحضر كله [٣]! وهكذا، نرى أنّ الأمر برمّته نسبوه للمأمون، وجردّوا المسألة عن وجود أي احتمال آخر، حتى وإن بدا الخليفة العباسي – بحسب هذا الطرح المتطرف – كرجل فريد وألمعي (علماً و ابتكاراً وتخطيطاً) وكحالة شاذة انفرد فيها عن جميع خلفاء بني العباس سواء من تقدّموه أو من تأخّروا عنه!

١- الخوارزمي: هو محمد بن موسى، نشأ في "بيت الحكمة" وتولّى رئاسته، كما كان أستاذاً محاضراً فيه، ومؤلفاً وباحثاً أيضاً. يقول د. خضر أحمد عطا الله: (أما محمد بن موسى الذي عاش في بغداد فيما بين عامي (١٦٤ – ٢٣٥ هـ) وتوفي هناك فقد برز في زمن خلافة المأمون ولمع في الرياضيات والفلك حتى عيّنه المأمون رئيساً لبيت الحكمة. وطوّر الخوارزمي علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب. ومن هنا أصبح هذا العلم ينسب إليه في جميع أنحاء المعمورة، ... إذ ابتكر الخوارزمي في بيت الحكمة الفكر الرياضي وذلك بإيجاد نظام جديد لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذوات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية. والعالم يدين له بما نعرفه الآن من علمي الجبر والحساب. وهكذا فقد سطع نور بيت الحكمة في أيام المأمون، و أيام هذا الخليفة كانت عهداً ذهبياً في حياة الدولة العباسية) بيت الحكمة في عصر العباسيين: ٣٢.

٢- انظر على سبيل المثال: عصر المأمون، أحمد الرفاعي: ٣٧٥.

٣- انظر: المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم: ١٥ – ١٧، مجلة الباحث – العدد ٢٢، ١٩٨٢ م.

والملفت أنّ "بيت الحكمة" خفت نجمه بعد المأمون مباشرة، بالرغم من أنّ العصر العباسي – بنظر المؤرخين والباحثين – لا زال ذهبياً كما يعبّرون [١]، أي لا زالت عناصر النهوض والقوة متوفرة وهو أمر جدير بالبحث والتأمل بالتأكيد! وبالرغم من أنّ خلفاء بني العباس التالين للمأمون أسسّوا دُوراً للعلم والكتب و أنشأوا مكتبات عامة وخاصة ضمّت عشرات آلاف الكتب، وكذلك بالرغم من امتلاك بعض أولاد الخلفاء العباسيين أو ندمائهم وحاشيتهم لمكتبات ومراكز ثقافية ضخمة، مثل: مكتبة علي بن يحيى المنجم، ودار العلم التي أنشأها سابوربن أردشير، ومكتبة إسحاق بن سليمان العباسي، وكذلك مكتبة يحيى بن خالد البرمكي على سعتها وضخامتها وغيرها، إلا أنّ كل تلك المكتبات والدور جميعاً لم تبلغ معشار العطاء والنشاط المعرفي الذي كان يملأ "بيت الحكمة" حيوية، فلا أثر لشعلة العلم والمعرفة التي كانت متقدة فيه!

حقيقة، لم أجد شيئاً يُعبأ به يفسّر: أين اختفى رجال بيت الحكمة "العلماء"؟ ولماذا تبخّر العطاء و انكفأ الإناء ولم يبقَ إلا الشيء اليسير على سبيل "إسقاط الفرض" كما يقال! وحتى هذا اليسير اضمحل وتلاشى بمرور الوقت [٢]! والملفت أيضاً: أنّ الخوارزمي - الذي كان يرأس بيت الحكمة ويحاضر ويكتب أبحاثه فيه - انطوى على نفسه وصار يعمل

١- عادة ما يقسّم المؤرخون والباحثون دولة بني العباس - بحسب توفر عناصر القوة والتحضّر والازدهار- إلى ست عصور؛ أهمها العصر العباسي الأول (ويصطلح عليه: العصر الذهبي) الذي ابتدأ بالسفاح سنة ١٣٢ هـ و انتهى بالواثق بالله سنة ٢٣٢ هـ. تعاقب في هذا العصر على الحكم تسع حكام عباسيين، هم: السفاح، المنصور، محمد المهدي، موسى الهادي، هارون العباسي، الأمين، المأمون، المعتصم، الواثق، ثم تلاه حكام العصر الثاني وهكذا حتى العصر السادس الذي انتهى بحكم محمد المتوكل في القاهرة سنة ٩٢٣ هـ.

٢- يقول د. خضر أحمد عطا الله: (ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون ورعايته، وكان أول من قلّل من شأنه أن يتولى المعتصم الخلافة بعد المأمون، والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة لا يجد لذة ولا يتذوق لها حلاوة فلم يرعَ بيت الحكمة كما كان يجب و إنما اتجه إلى جلب المماليك وتدريبهم والسرور ببطولتهم، ثم هجر بسببهم بغداد إلى سامراء فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعدم رعايتهم لما في العاصمة الأولى من منشآت ثم تزاحمت الأحداث على بغداد وما فيها من مؤسسات، وكثرت الحروب والفتن وكلها تنتقص من هذا المعهد وتقلل من شأنه، وتخفت من صوته) بيت الحكمة في عصر العباسيين: ٢١٥.

بجهد شخصي وفردي، حيث انقطع هو وإخوته (أبناء شاكر) إلى العمل لحسابهم الخاص بعد أن كانوا ملازمين لبيت الحكمة كما عرفنا [١]!

فما سرُّ هذا التراجع الخطير، ولماذا تدهور أمر "بيت الحكمة" إلى هذا الحد فجأة كما أنّ تطوره حصل فجأة، أعني بـ "الفجأة": وقت زمني قياسي وقصير جداً!

مَن وراء تطور "بيت الحكمة"؟

أسئلة منطقية:

وفق الطرح التقليدي والمتعارف بين الباحثين لنشأة "بيت الحكمة" وتطوره، هذه مجموعة من الأسئلة المهمة والمنطقية التي تحتاج إلى إجابات واضحة:

١- كيف خطر ببال أبي جعفر المنصور فجأة فكرة ترجمة الكتب وإنشاء خزانتها؛ الأمر الذي اعتُبر بذرة "بيت الحكمة" وفكرته الأُولى؟
٢- كيف تحوّل "بيت الحكمة" من خزانة ومكتبة عادية إلى مؤسسة علمية متكاملة تضم مجمل النشاط العلمي من تدريس وبحث وترجمة وتأليف ونسخ وأرصاد ... إلخ في خطوة جديدة بأن تُحسب باكورة العمل العلمي المنهج ضمن نطاق المؤسسة التعليمية المنظمة والجامعة للعلوم؟
٣- لماذا المأمون بالذات، يحصل في وقته هذا التطور العلمي الكبير فجأة دون من سبقه ومن تلاه من عموم خلفاء بني العباس الذين بلغ عددهم ٥٤ خليفة حكموا لمدة ٧٦٧ عاماً بين بغداد والقاهرة [٢]؟

١- انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ٢ / ١٧٦ – ١٧٧.

٢- منهم ٣٧ خليفة حكموا في بغداد؛ أولهم أبو العباس السفاح الذي حكم في سنة ١٣٢ هـ، وآخرهم المستعصم بالله الذي قتله المغول سنة ٥٤٦ هـ، ثم حكم ١٧ خليفة منهم في القاهرة - وإن كانت السلطة الفعلية حينها بيد المماليك - كان أولهم المستنصر بالله الذي حكم في سنة ٦٥٩ هـ وآخرهم محمد المتوكل على الله الذي انتهى حكمه بدخول السلطان العثماني سليم الأول القاهرة فاتحاً في سنة ٩٢٣ هـ.

٤- ما سرُّ الإنفاق المالي الكبير على "بيت الحكمة" الذي لم يتكرّر نظيراً له طيلة القرون السبعة والنصف التي حكم فيها العباسيون؟

٥- لماذا انهار "بيت الحكمة" مباشرة بعد موت المأمون، وغادره رئيسه الخوارزمي معتمداً بعد ذلك على جهده الشخصي لا الحكومي؟

إجابة هذه التساؤلات بإنصاف وموضوعية إذا لم ترشدنا إلى الحقيقة فإنها كفيلة بفتح آفاق جديدة نحو دراسة الموضوع بطريقة أخرى.

بدايات بيت الحكمة ليست عباسية:

استعرضنا في بحوث الجزء الرابع من "يوم الحسين" شيئاً مهماً من حكم المنصور الذي دام ٢٢ عاماً، وباعتبار أنّ الدولة العباسية كانت في بداياتها فقد قضى المنصور مجمل سني خلافته بترتيب وضع الملك والقضاء على المنافسين ومن أهمهم الحسنيين، فقد شغلته الخلافة وأخذت مجمل وقته باعتراف[1]. نعم، هذا لا يمنع من تأثر المنصور بالحركة العلمية التي سادت في ذلك الوقت؛ إلا أنّ قائدها لم يكن عباسياً، بل لم يكن لدى العباسيين شخصية يغلب عليها اللمعان العلمي بحيث يشار لها بالتميّز، وإنما قائد الحركة العلمية هو الإمام جعفر بن محمد الصادق، وقد لاحظنا في بحث إمامته الوجه الأبرز في رسالته الذي تمثل بالعلم الغزير الذي بثّه وغطّى جوانب وحقول علمية ومعرفية كثيرة. وبالتالي، فمن المنطقي أن تحصل فكرة انطلاق الترجمة (التي اعتبرت لاحقاً البذرة الأولى لتأسيس بيت الحكمة) في ظل أجواء كهذه، فالفكرة – والحال هذه – ما كانت إلا استجابة وتماشياً مع هذا الحراك، تماماً كتعاطي المنصور مع حقيقة ذيوع فقه الإمام الصادق الذي ملأ خافقي بلاد المسلمين؛ الأمر الذي دعاه إلى أن يلجأ لأحد تلامذة الصادق

١- قال المنصور لمالك بن أنس: (لم يبقَ على وجه الأرض أعلم مني ومنك! وإني قد شغلتني الخلافة، فضع أنت للناس كتاباً ينتفعون به، تجنّب فيه رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر ووطئه للناس توطئة. قال مالك: فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ) تاريخ ابن خلدون: ١ / ١٧ – ١٨.

ويطلب منه تأليف كتاب فقهي؛ الغرض الأساس منه مزاحمة فقه الصادق الذي اكتسح الساحة الإسلامية، فاستجاب له مالك بن أنس وكتب "الموطأ" [١].

حقيقة، الإنصاف يقتضي إرجاع بذرة وبدايات "بيت الحكمة" إلى الإمام الصادق صلوات الله عليه؛ لا سيما وأنّ العلم الغزير الذي بثه لم يقتصر على العلم الديني فقط و إنما شمل جوانب من العلوم الإنسانية كالفلسفة والكيمياء والفلك وغيرها، وتجسّد ذلك بشكل واضح في فتح باب التخصص العلمي بين تلاميذه [٢]، وبشكل أوضح في بحوث تلميذه في الكيمياء جابر بن حيان الكوفي [٣] الذي عُدّت أبحاثه – باعتراف بعض مؤرخي العلوم [٤] – السبب الرئيس في تحريك عملية الترجمة، و إبراهيم بن حبيب الفزاري في علم الفلك حيث كان أول من عمل اسطرلاب بين المسلمين [٥]. وبالتالي، فإذا كان تحريك الترجمة في وقت المنصور العباسي هو بذرة وبدايات بيت الحكمة كما يرمي إليه مجمل الباحثين، فالمحرك الأساس لها هو بحوث وعلوم الإمام الصادق وتلاميذه، وهذا يعني أنّ أساس "بيت الحكمة" وبذرته علوية وليست عباسية.

ثم إنّ إسناد بدايات "بيت الحكمة" إلى المنصور، ليس بوصفه عالماً وباحثاً ومكتشفاً، ولا بوصفه مؤلفاً أو أستاذاً ماهراً يحضر درسه الكثير من طلبة العلوم في ذلك الوقت، و إنما لأنه احتفظ ببعض الكتب المترجمة في خزانة مقفلة داخل قصره! إذ نُقل

١- راجع: يوم الحسين / الجزء الرابع: بحوث رسالة جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

٢- صنّف الإمام الصادق تلاميذه بحسب مجالات تخصصاتهم في التفسير والفقه والكلام والفلسفة والعلوم العقلية عموماً، وعلوم التوحيد بالخصوص، و أيضاً: كان لبعض تلاميذه تخصصات في علوم الطبيعة مثل: جابر بن حيان الكوفي في علم الكيمياء، و إبراهيم بن حبيب الفزاري في علم الفلك.

٣- قال ابن خلكان في ترجمة الإمام الصادق عليه السلام: (... وفضله أشهر من أن يذكر، وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفأل وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة) وفيات الأعيان: ١ / ٣٢٧.

وقال د. عبد الحليم منتصر: (جابر بن حيان: هو الكيميائي العربي الأول، بل شيخ الكيميائيين غير منازع ولا مدافع، ... درس العلم والكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق، ...) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه: ١٠٥.

٤- يقول هوليارد: (إنه بواسطة جابر نقلت كتب عديدة من الاستانة إلى بغداد بقصد الترجمة ...) الكيمياء حتى عصر دالتون، هوليارد: ١٥. والاستانة: هي القسطنطينية.

٥- انظر: فلاسفة الشيعة، عبد الله نعمة: ٧٤. والاسطرلاب: آلة فلكية يعرف بها حركة الكواكب.

أنّه كان يُسرف في أكل الطعام، فمرض وطلب أطباء لديهم خبرة في الطب والعلاج، فجيء له بالطبيب جورجيس بن جبرائيل [١]، فعالجه وطلب منه تخفيف الأكل، ثم أقام هذا الطبيب في بغداد وقام بترجمة بعض الكتب الطبية، تلاه استدعاء الدولة لأطباء آخرين من عائلة بختيشوع التي كانت تسكن في جنديسابور للإقامة في بغداد؛ خصوصاً في زمن موسى الهادي وهارون الرشيد الذي عيّن بختيشوع رئيساً للأطباء [٢]، وهكذا بدأت عملية الترجمة بحسب بعض الباحثين! وأما الخزانة المقفلة التي خصّصها المنصور داخل قصره للاحتفاظ ببعض الكتب المترجمة فقد اعتبروها بذرة نشوء "بيت الحكمة" لاحقاً، وبهذا فإنّ التحضّر الإسلامي الذي بلغ أوجه في عصر "بيت الحكمة" مدين - بحسب هؤلاء - لمعدة الدوانيقي وتخمته التي كانت سبباً في هذا الفتح العلمي والحضاري الكبير!

لكن، هل يُعقل تجاهل نهضة فكرية جبّارة وحركة علمية فذّة قادها عالم من أبناء رسول الله، شهد بعلمه القاصي والداني، وتُغفل كل مناظراته ومجالسه العلمية وإجاباته على آلاف الأسئلة في شتى صنوف المعرفة الإنسانية، وتُنسى حلقات دروسه التي خرّجت المئات من الرواة والعلماء والمؤلفين والباحثين في مختلف العلوم؛ الدينية منها والإنسانية عموماً، وبلغ صدى كثير من طلابه مديات بعيدة شهرة ونتاجاً، هل يُعقل إغفال كل هذا ولا يصلح (بنظر بعض الباحثين) أن يكون فكرة وبذرة أولى لـ "بيت الحكمة"، وتصلح خزانة مقفلة تحوي بعض الكتب المترجمة المركونة في زواياها لأن تكون سبباً وبذرة له؟! إذن على العقول العفا، وعلى الإنصاف العلمي والبحث الموضوعي السلام!

علماً، أنّ مسألة نشاط الترجمة التي حصلت بسبب أبحاث بعض تلاميذ الصادق كجابر بن حيان الكوفي أسبق زماناً من ترجمة بعض كتب الطب على يد طبيب المنصور "جورجيس بن جبرائيل"؛ باعتبار أنّ الحركة العلمية التي قادها الإمام الصادق بلغت أوج نشاطها في أواخر الدولة الأموية وبداية حكم العباسيين، أي قبل أن يستلم المنصور الحكم

١- أحد أطباء مدينة جنديسابور المشهورة بالطب في ذلك الوقت. وهي إحدى المدن التابعة للأهواز، وقد اشتهرت بالطب وذاع صيتها منذ عصر الساسانيين (٢٢٤ - ٦٥١ م) باعتبارها مركزاً ثقافياً هاماً في امبراطوريتهم.

٢- انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ٢ / ١٢٤.

أصلاً، واستمر الإمام على مشروعه حتى منتصف فترة حكم المنصور تقريباً؛ إذ استشهد مقتولاً بالسم سنة ١٤٨ هـ.

ثم، هب أنّ المنصور قبل استلامه الحكم كان لديه بعض الاهتمام بطلب العلم كما ذكر البعض، وهب أنه أتى بطبيب فارسي لعلاج مرضه فصادف أن ترجم بضعة كتب طبية سواء كان الطبيب ترجمها تبرعاً واجتهاداً من نفسه أو باقتراح من المنصور نفسه، لكن هذا لا يعني أنّه - أي المنصور - صار سبباً في فكرة تأسيس أول مؤسسة علمية وبحثية متطورة "بيت الحكمة" لاحقاً؛ لأن الاهتمام (المزعوم) بالعلم كان أمراً طارئاً سرعان ما تلاشى وأركنه المنصور جانباً بعد تفرّغه مع أخيه السفاح للعمل السياسي والسعي للإطاحة بالحكم الأموي و إنشاء دولة العباسيين وصولاً إلى اعتلائه سدة الحكم سنة ١٣٦ هـ حيث أخذت السياسة وتدبير شؤون الحكم كل وقته بحسب قوله! كما أنّ اقتراح ترجمة بعض كتب الطب (إن ثبت أنّ الاقتراح للمنصور فعلاً ولم يكن الطبيب ترجم باجتهاده) فقد كان متأخراً عن موضوع تنشيط الترجمة عموماً الذي أحدثته أبحاث بعض طلبة الإمام الصادق في فترة سابقة كما ذكر بعض مؤرخي العلوم.

أما تخصيص المنصور مكاناً مقفلاً داخل القصر لحفظ الكتب، فهو الآخر لا يصحح نسبة فكرة "بيت الحكمة" وبدايات تأسيسه إليه؛ لأن الأمكنة المملوءة بالناس – فضلاً عن المهجورة والمقفلة بوجوههم – لم تكن يوماً سبباً في تقدم وازدهار علمي وحضاري عام ما لم يكن خلف تلك الأمكنة عقل مدبّر وعالم متمرس وأستاذ كبير يقود معركة التطور والصراع ضد الجهل والتخلّف!

حقيقة، إنّ ظلماً كبيراً يطال آل محمد "العلماء" لما تُسرق جهودهم وتُمنح لأناس آخرين، لا لشيء إلا لمجرد أنهم - أي الآخرون - اعتلوا كراسي الحكم بالغلبة والقهر وتسلّطوا على العباد والبلاد، وأصبح لديهم المال والأتباع والأقلام المأجورة التي تطبّل وتزمّر لهم وتنسب لهم - كذباً وزوراً - فضائل ومزايا دون أي استحقاق أو وجه حق!

نعم، نحن لا نمنع من أن يكون المنصور العباسي أو بعض وزرائه ومستشاريه اضطروا إلى مجاراة المد العلمي والنشاط المعرفي السائد في ذلك الوقت ببركة جهود الإمام الصادق، وأكيد أنهم فكّروا في تجيير بعض الأمور لصالح مشروعهم وما يخدم دولتهم؛

فالمنصور ليس غبياً وسوف لن يترك الإمام الصادق ينفرد في الساحة العلمية وحده، ولذلك – كما نقلنا سابقاً – طلب من مالك بن أنس كتابة كتاب فقهي، وأوصى ولده محمد الأمين أن يعتني بأمر الخزانة، لكننا – في كل الأحوال – إذا ما أردنا أن نتحدث عن أساس رصين استند إليه "بيت الحكمة" في تأسيسه ثم تطوره لاحقاً إلى مؤسسة تعليمية وبحثية متكاملة، فإنّ المنطق والواقع يؤكدان أنّ المؤسسة العلمية المتطورة "بيت الحكمة" مدينة لجهود الإمام العالم جعفر بن محمد الصادق كما أوضحنا.

حال خزانة الكتب بعد موت المنصور:

مات المنصور سنة ١٥٨ هـ وخلفه ابنه محمد المهدي، وكان قد أوصاه بخزانة الكتب قبل موته، لكنه لم يعتنِ بها أصلاً، والسبب - بنظر بعض الباحثين [١] - انتشار حركة الزنادقة [٢] في بغداد في وقته، فتجنّب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التي تبحث في الملل والنحل والمعتقدات [٣]. والحق، إنّ انتشار الإلحاد والزندقة ليس فقط لا يمنع من رعاية خزانة الكتب ومجمل النشاط العلمي، وإنما يفترض أن يستوجب نشاطاً علمياً أكبر؛ لتثبيت أسس الدين والعلم الصحيح، لكن الرجل مشغول بشيء آخر! يقول المؤرخ الذهبي: (والمهدي (العباسي) كغيره من عموم الخلائف والملوك، له ما لهم وعليه ما عليهم، كان منهمكاً في اللذات واللهو والعبيد) [٤].

وأيضاً: بقي حال "الخزانة" على ما هو عليه في زمن موسى الهادي الذي خلف أباه محمد المهدي وحكم سنة واحدة فقط (١٦٩ – ١٧٠ هـ)، ثم خلفه أخوه هارون الذي حكم ٢٣ عاماً (١٧٠ – ١٩٣ هـ). وفي وقته تطور أمر خزانة الكتب نوعاً ما، فأخرج الكتب من "القبو" الذي كانت فيه وخصّص لها مكاناً أوسع أشبه بالمكتبة العامة، فُتح له باب من خارج القصر بحيث سمح للعامة بالدخول، وأسماه "بيت الحكمة". لكن مع هذا لم يكن

١- انظر: بيت الحكمة في عصر العباسيين، د. خضر أحمد عطا الله: ٣٣.

٢- بشكل عام، الزندقة تطلق على الشكّاكين والملحدين الذين لا يعتقدون بمقولات الدين الحقة الأساسية.

٣- انظر: بيت الحكمة في عصر العباسيين، د. خضر أحمد عطا الله: ٣٣.

٤- تاريخ الإسلام: ١٠ / ٤٤٤.

التوسع والتطور كبيراً وملفتاً، إنما هو توسع وتطور قياساً بالحالة السابقة؛ بدليل أنّ كثيراً من الباحثين الذين تعرضوا لـ"بيت الحكمة" في بحوثهم [١] اعتبروا فترة حكم المنصور هي فترة نشوء الفكرة وبدايات "بيت الحكمة"، وبعضهم لم يتطرق لذكر فترة المنصور أصلاً، في حين وصفوا زمن هارون بعصر الإنشاء والتأسيس من خلال تخصيص مكان لبيت الحكمة وتسميته وتنشيط الترجمة بحدود معينة [٢]. أما "بيت الحكمة" كمؤسسة علمية مكتملة فلم يحدث بنظر جميع الباحثين والمؤرخين إلا في عصر المأمون.

قفزات غير منطقية تعترض الطرح التقليدي:

مجمل الباحثين الذين يصورون "بيت الحكمة" مشروعاً علمياً عباسياً بحتاً يصطدم طرحهم، ولا شك، بأمور غير منطقية، فمن يعتبر خزانة المنصور المهملة والمقفلة أصلاً في نشوء "بيت الحكمة" لاحقاً يتفاجأ بأكثر من قفزة غير منطقية تخلُّ بطرحه:

- خطوة ١: خزانة مهملة ومقفلة.
- خطوة ٢: مكتبة مفتوحة تحوي بعض النشاط العلمي البسيط.
- خطوة ٣: مركز تعليمي وبحثي مكتمل يضم جميع الأنشطة العلمية.

والسؤال:

١- كيف خطر ببال المنصور عمل الخزانة بدون تمهيد، والرجل حاكم لا عالم؟
٢- ليس ثمة إشكال في وجود ترابط بين الخطوتين ١ و٢، أي: بين خزانة مقفلة مركونة داخل القصر وبين فتحها للعامة بعد نقلها إلى مكان أوسع، لكن الإشكال في وجود ترابط بين الخطوتين ٢ و٣؟ فما هو الربط بين مكتبة عامة يُمارس فيها نشاط علمي بسيط وبين تحولها في غضون وقت قصير جداً إلى مركز تعليمي وبحثي مكتمل الأركان لفت بريقه وعطاءه جميع الباحثين إلى يوم الناس هذا؟

١- انظر، على سبيل المثال: بيت الحكمة في عصر العباسيين، د. خضر أحمد عطالله.

٢- انظر: الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي، محمد البرقوقي: ٧٨؛ المكتبات في الإسلام، د. محمد ماهر حمادة: ٥٩.

حقيقة، لم أجد باحثاً تطرّق إلى حل هاتين القفزتين غير المنطقيتين؛ وخصوصاً الثانية منهما، سوى ادعاء أنهما – أي المنصوروالمأمون – كانا مهتمين بالعلم، وكان اهتمام المأمون أكبر، كما نسب له البعض براعته ببعض العلوم!

طبعاً، لا يمكن فهم "البراعة" هنا بمعنى: التخصص العلمي، وإلا فإنّ الاثنين – أعني المنصوروالمأمون – لم يتركا أثراً علمياً واضحاً يستدل به على براعتهما في علم معيّن، سواء كان تدريساً أو تأليفاً أو بحثاً أو نصوص علمية معينة، ومن ثم فأحسن ما يمكن حمل البراعة (المنسوبة للمأمون بالذات) هو الاطلاع الإجمالي والثقافة العامة لا أكثر، وهذا لا ننفيه عن المأمون بالضرورة. لكننا نقول: هل يلتزم صاحب هذا الطرح بأنّ كل مثقف يمكنه أن يسبق أهل زمانه ويقوم بابتداع ما لا أثر له في مجتمعه بمستوى "بيت الحكمة" في وقته"! وإذا كان الجواب "لا" حتماً، عاد السؤال من جديد: ما الذي ميّز المأمون "المثقف" وجعله يعمد إلى تحويل مكتبة عادية إلى مركز علمي وبحثي متميز في غضون فترة قصيرة جداً؟!

بينما مثل هذا القفز (غير المبرر) على الحقائق لا نجد له أثراً لو اعتمدنا مشروع آل محمد العلمي وقارنّاه بما هو موجود في "بيت الحكمة" في زمن المأمون؛ إذ أنّ جميع النشاطات العلمية الموجودة في "بيت الحكمة" نجد لها أثراً وأساساً بيّناً وواضحاً في النهضة العلمية والمعرفية الكبرى والشاملة التي قادها الإمام العالم جعفر بن محمد الصادق قبل بضع عقود سبقت تحول "بيت الحكمة" إلى مؤسسة علمية جامعة ومركز بحثي متطور. ثم إنّ الامام الصادق – كما يعلم الجميع – ينحدر نسباً وعلماً وتقىً وهدىً من آباء شهد بعلمهم ونبوغهم العلمي الجميع، فليس هناك أي شيء غير مألوف أو غير منطقي مثلما لاحظناه في المشروع العباسي الذي تبنّاه أغلب الباحثين!

لماذا في عهد المأمون بالذات حصل التطور؟

المأمون حكم منفرداً عشرين عاماً (١٩٨ – ٢١٨ هـ)، شهدت الفترة الأولى من حكمه، قبل انتقاله إلى بغداد في سنة ٢٠٤ هـ، حضور الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه بخراسان سنة ٢٠٠ هـ، ثم تعيينه ولياً للعهد ثلاث سنين: (٢٠١ – ٢٠٣ هـ) كما تقدم،

وتقدم - أيضاً - معرفتنا بتشيع المأمون أو ميله إلى الإمام الرضا واحترامه له وتقديره واعتقاده بإمامته وعلمه الذي لا يدانيه أحد.

المطلع على خلافة المأمون يجد أنّه من بين خلفاء بني العباس يظهر في سيرته الاهتمام بالعلم والعلماء وقد ظهر ذلك جلياً من خلال كثرة مجالسه العلمية واهتمامه بدعوة كبار العلماء وأهل المذاهب والمقالات ورؤساء الأديان من أرجاء الدولة الإسلامية للحضور عنده وعقد المناظرات، وكذلك من خلال كثرة الإنفاق على العلماء والاهتمام بهم تقديراً لهم وللعلم الذي يحملونه. و أيضاً: واضح في سيرته بنحو العموم احترامه للرأي الآخر و انفتاحه على مجمل الثقافات والاعتقادات التي كانت تتحاكم إلى الكلمة والحجة.

والسؤال: ما هو سر انفراد المأمون بذلك من بين سائر خلفاء بني العباس؟

البحث بإنصاف يقتضي عدم إهمال قربه للامام الرضا أيام ولاية العهد، فهو طيلة ثلاث سنين متواصلة كان قريباً من الإمام منذ لحظة وصوله إلى خراسان، وكان لهذا القرب أثراً واضحاً على فكر المأمون وسلوكه وطبيعة تعاطيه مع الحكم بصورة مقبولة قياساً بسيرة سائر العباسيين، وقد روي أنّ الإمام كان يكثر من وعظ المأمون إذا خلا به وكان المأمون يقبل منه في أحيان كثيرة. وبالتالي، فمسألة اهتمام المأمون بالعلم والعلماء والنهج العلمي عموماً سببه قربه إلى الإمام الرضا الذي كان يهتم بالأساس بالجانب العلمي بعد أن اشترط لقبول ولاية العهد عدم التدخل في الشؤون السياسية كما عرضناه سابقاً، بل حتى مسألة ترك المأمون لخراسان كان بنصيحة من الإمام الرضا [1].

١- ورد في نصحه له: (اتقِ الله في أمة محمد صلى الله عليه وآله وما ولّاك الله من هذا الأمر وخصّك به فإنك قد ضيّعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك، يحكم فيهم بغير حكم الله عزوجل، وقعدت في هذه البلاد، وتركت بيت الهجرة، ومهبط الوحي، وإن المهاجرين والأنصار يظلمون دونك، ولا يرقبون في مؤمن إلّاً ولا ذمة، ويأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه ويعجز عن نفقته، فلا يجد من يشكو إليه حاله، ولا يصل إليك. فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمور المسلمين وارجع إلى بيت النبوة، ومعدن المهاجرين والأنصار، أما علمت يا أمير المؤمنين أن والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط، من أراده أخذه. قال المأمون: يا سيدي فما ترى؟ قال: أرى أن تخرج من هذه البلاد، وتتحول إلى موضع آبائك وأجدادك، وتنظر في أمور المسلمين، ولا تكلهم إلى غيرك فان الله عزوجل سائلك عما ولّاك) عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ١٧٠ – ١٧١.

فتلخص أنّ أثر الإمام الرضا عليه السلام على شخصية المأمون واضح جداً نتيجة قربه له، وأكيد أنّ هذا القرب والنصح (سواء على مستوى النصائح العامة التي يهدف بها الإمام مصلحة الإسلام، أو على مستوى تنشيط الحركة العلمية والاهتمام بالعلم والعلماء بالخصوص) كان له دور في دفع المأمون باتجاه تطوير "بيت الحكمة" وهذا ما حصل بالفعل، فما أتيح للمأمون لم يتح لأي خليفة عباسي آخر، ولذا حصل تطور "بيت الحكمة" في وقته ولم يحصل لا قبله ولا بعده!

الإمام الرضا يطوّر بيت الحكمة بنهضته العلمية:

نهضة محمدية علوية جديدة قادها الإمام الرضا بعد جده الصادق صلوات الله عليهما. فبمجرد أن وطأت قدماه خراسان وقَبِل بولاية العهد – باشتراط عدم التدخل بالشؤون السياسية – باشر بمشروعه العلمي الذي بدت ملامحه بالظهور سريعاً؛ إذ تزيّنت دار الخلافة بملامح لم تكن معهودة سابقاً، فاكتظت أروقتها ودواوينها بالعلماء الذين تو افدوا عليها من مختلف المدن والأمصار بخلفيات دينية وثقافية مختلفة، ففاض الإمام بعلمه عليهم وعلى الناس وبان فضله وصار المأمون – قبل غيره – يجمع له رؤساء الأديان والمذاهب والمقالات لمناظرتهم ومحاججتهم، فأُذهل الجميع من وفرة علمه وسعة معرفته وبُعد غوره وقوة حجّته، و أقروا له بالفضل وأسلم بعضهم على يديه.

ونحن فيما سبق استعرضنا رسالة الإمام الرضا العلمية، وكان جانباً كبيراً منها حصل في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره؛ أي في أيام ولايته للعهد، ولم يكن نشاطه العلمي يقتصر على جانب العلوم الدينية والمناظرات والإجابات ونحو ذلك، و إنما تعداه إلى مساحات بحثية أخرى، فكتب رسالته المسماة بـ "الرسالة الذهبية" التي تتضمن إرشادات طبية في سنة ٢٠١ هـ، فقرظها المأمون وأمر بكتابتها بالذهب ولذلك سميت بالرسالة الذهبية، ثم أمر بحفظها في "بيت الحكمة" [١]!

١- جاء في تقريض المأمون لها: (..... أما بعد، فإني نظرت في رسالة ابن عمي العلوي الأديب، والفاضل الحبيب، والمنطقي الطبيب، في إصلاح الأجسام وتدبير الحمام، وتعديل الطعام، فرأيتها في أحسن التمام، ووجدتها في أفضل الانعام، ودرستها متدبرا، ورددت نظري فيها متفكرا، فكلما أعدت قراءتها والنظر فيها ظهرت لي حكمتها، ولاحت لي

الإمام الرضا لم يقتصر عطاؤه العلمي والديني على خراسان فقط، و إنما بلغ صداه مصر بعد أن أوفد لها (قبل تولّيه ولاية العهد) عمّه إسحاق المؤتمن وزوجته السيدة نفيسة، وببركة جهدهم وتوجيه الإمام لهم توسعت الحركة العلمية هناك، وكان لهذه الأسرة الطاهرة دور في ذلك، وقد تركا أثراً في مسألة التعبد والتقرب إلى الله توسّع فيما بعد ونشأ ما يعرف بالتصوف. وبخصوص العراق، فقد كان "بيت الحكمة" موجوداً في بغداد وحراك الإمام العلمي بالتأكيد ألقى بظلاله عليه؛ خصوصاً بعد أن خصّه ببحث علمي حفظ في أروقته.

"بيت الحكمة" الذي كان مهملاً ومجرد خزانة ومكتبة، فتح أبو ابه وبدأت الأموال تنفق على توسعة نشاطه وجذب الباحثين إليه، وهذا نص تاريخي يوضح حال "أبناء شاكر" أي العالم الرياضي الخوارزمي وإخوته:

(لم يكن موسى من أهل العلم، بل كان في حداثته حراميّاً يقطع الطريق، ثم تاب ومات وخلّف هؤلاء الأولاد الثلاثة صغاراً، فوصّى بهم المأمون إسحاق بن إبراهيم المصعبي و أثبتهم مع يحيى بن أبي منصور في بيت الحكمة وكانت حالهم رثة رقيقة، على أنّ أرزاق أصحاب المأمون كلهم كانت قليلة. فخرج بنو موسى بن شاكر نهاية في علومهم وكان أكبرهم وأجلّهم أبو جعفر محمد وكان و افر الحظ من الهندسة والنجوم ...) [1].

لاحظ قول المؤرخ: "على أنّ أرزاق أصحاب المأمون كلهم كانت قليلة"، لكن الذي طرأ على حياة المأمون وغيّر سيرته باتجاه كثرة الإنفاق والاهتمام بالعلم والعلماء هو قربه للإمام الرضا كما أوضحنا.

من اطلع على رسالة ونهضة الإمام الرضا العلمية يجد أنها كانت تتضمن عدة استراتيجيات، منها: الاهتمام بالعلم والعلماء، والانفتاح على مختلف العلوم والثقافات،

فائدتها، وتمكنت من قلبي منفعتها، فوعيتها حفظاً، وتدبرتها فهما، إذ رأيتها من أنفس العلائق، وأعظم الذخائر، و أنفع الفوائد، فأمرت أن تكتب بالذهب لنفاستها، وحسن موقعها، وعظم نفعها، وكثرة بركتها. وسميتها المذهبة، وخزنتها في خزانة الحكمة، وذلك بعد أن نسخها آل هاشم فتيان الدولة، ...) الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، د. محمد علي البار: ١٢١ – ١٢٣.

١- تاريخ مختصر الدول، ابن العبري: ١٥٢.

وكان هدف الإمام الرضا من ذلك نصرة دين الله ونفع الناس عموماً. وبقدر تعلق الأمر بـ "بيت الحكمة" المفتوح منذ أيام هارون فإنه لم يشهد أي توسعة وتطوير ملحوظ في مجمل نشاطه المفترض، وأعتقد جازماً أنّ إدخال الاستراتيجيات التي عمل عليها الإمام الرضا (بإضافة وفرة الإنفاق) كفيل بتغيير هوية "بيت الحكمة" من مجرد مكتبة إلى مؤسسة علمية وبحثية ضخمة ومتطورة شرط الاحتفاظ بالركائز الثلاث، أعني: (جذب الباحثين، حرية الفكر والإبداع، الإنفاق) مع توفر جهة إشراف مؤهلة (الإمام الرضا).

وهذا ما حصل بالفعل، و أتت عملية التطوير بنتائج كبيرة وبسرعة ملفتة؛ إذ تمت كتابة بعض الأبحاث العلمية كالتي قام بها الخوارزمي (رئيس بيت الحكمة وأحد الباحثين المهمين فيه) في هذه الفترة [١]، وواضح أنّ بعض أبحاثه تزامنت مع الفترة التي قاد فيها الإمام الرضا نهضته العلمية وأشرف على مجمل الأنشطة العلمية التي لم تستثن "بيت الحكمة" بالتأكيد. علماً، أنّ الخوارزمي رجل متشيع أو محب للإمام الرضا ولآل محمد عليهم السلام عموماً كما يظهر من بعض كتاباته [٢].

المأمون كان مدركاً تماماً لخطة الإمام الرضا هذه، وقد باشر فعلاً الاهتمام بـ "بيت الحكمة" وهو لا يزال بعدُ في خراسان لم ينتقل منها إلى بغداد، ولذلك رأيناه أمر بحفظ نسخة مما كتبه الإمام الرضا في "بيت الحكمة" وخزنها فيه كما تقدم. وهكذا، بدأ "بيت الحكمة" طوراً جديداً من نشاطه العلمي الذي لم يخطر ببال أحد من العباسيين وغيرهم أن يكون مساهماً في تطور الحضارة الإنسانية.

وبعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، انتقل المأمون إلى بغداد في سنة ٢٠٤ هـ، وواصل المسير بذات الاتجاه الذي رسمه له الإمام الرضا صلوات الله عليه، واستمر وضع

١- ذكر جملة من الباحثين أنّ الخوارزمي كتب معظم أبحاثه بين عامي (١٩٨ – ٢١٨ هـ).

٢- قال الخوارزمي في مقدمة كتابه "الجبر والقابلة": (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب وضعه محمد بن موسى الخوارزمي افتتحه بأن قال: الحمد لله على نعمه بما هو أهله من محامده ... بعث محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالنبوة على حين فترة من الرسل وتنكر من الحق ودروس من الهدى فبصر به من العمى واستنقذ به من الهلكة وكثر به بعد القلة وألف به بعد الشتات. تبارك الله ربنا وتعالى جدّه وتقدست اسماؤه ولا إله غيره، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم. ....) الجبر والمقابلة: ١٥.

"بيت الحكمة" كمؤسسة علمية ومركز بحثي متطوّر فترة من الزمن بعد رحيل الإمام؛ خصوصاً بعد استقدام المأمون للإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، فلا شك أنه الآخر كان له أثر في دفع المأمون بنفس الاتجاه الذي رسمه له والده الإمام الرضا عليه السلام، لكن الأصل – كما قلت – هو ما اختطه الإمام الرضا في نفس المأمون وفكره.

بخصوص تطور بيت الحكمة، يقول السيد أحمد الحسن:

(ينبغي أن نعرف أنّ حال المأمون بخراسان شبيه بحال من يجلس في مسجد، إذ ينبغي أن تليق تصرفاته بالمكان المقدس الذي هو فيه، المأمون كان قريباً من الإمام الرضا لمدة ثلاث سنين وجلس معه واستفاد منه كثيراً، و أكيد تأثر بشخصية الإمام وصار يتصرف في بعض أمور الحكم بطريقة جيدة، و أيضاً: أكيد كان يرى اهتمام الإمام بالعلم والعلماء وضرورة الإنفاق عليهم.

وما فعله المأمون في بيت الحكمة بعد رجوعه إلى بغداد كانت نتيجة وثمرة السنين التي قضاها مع الإمام الرضا، كما أنّ وجود الإمام الجواد بقربه بعد استقدامه إلى بغداد كان له تأثير أيضاً، لكن الأثر الأساسي هو للإمام الرضا من خلال المناظرات والحركة العلمية التي قام بها. الإمام الرضا كان ينفق أموالاً ومبالغ طائلة على المحتاجين والعلماء، وكان المأمون يرى الإمام ينفق على العلم والعلماء الذين كانت لديهم جهود في سبيل رقي مجتمعاتهم، فشجّعه وربّاه كقائد دولة على فعل هذه الأمور، وبالنتيجة علّمه الإمام القيادة الصحيحة، فكان بيت الحكمة وغيره أحد ثمارها) انتهى [1].

أغلب المؤرخين يحددون فترة تراجع أداء "بيت الحكمة" بأيام ما بعد المأمون، وهذا صحيح، والسبب هو أنّ من جاء بعد موته (المعتصم بن هارون) لم يحظَ بالخصوصية التي حظي بها المأمون (أعني قربه للإمام الرضا وتعلّمه منه)، وبالتالي لا وجود للاستراتيجيات الثلاث التي تحدثنا عنها، وإذا فقدت فمن الطبيعي جداً أن تحصل الانتكاسة والأفول والتراجع الذي لم يقدّم له الباحثون سبباً منطقياً معقولاً! ولهذا، رأينا الخوارزمي، العالم الذي كان يرأس "بيت الحكمة" ويحاضر ويكتب أبحاثه فيه، ابتعد عنه

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

في تلك الفترة وصار يعمل بشكل شخصي وفردي مدة من الزمن قبل وفاته التي لم تتأخر كثيراً عن وفاة المأمون [١]!

أفل نجم "بيت الحكمة"، والسبب في أفوله – كما لاحظنا – غياب مهندس تطويره الحقيقي والعالم المقتدر الذي كان يدفع الحاكم العباسي بهذا الاتجاه، أعني الإمام علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه، وولده الإمام الجواد وإن كان يملأ الفراغ من هذه الجهة لكن لا يوجد حاكم عباسي بمواصفات المأمون يقرّب الإمام إليه ويستمع لنصحه وإرشاده ليستمر "بيت الحكمة" بنفس التوهج والعطاء!

وبهذا، يتضح أنّ التقدم الحضاري مدين لآل محمد بالدرجة الأساس، والإسلام إذا كان فيه عصر ذهبي (وهو كذلك بالطبع) فهو ذهبي بوجود وجهود العلماء من آل محمد وهو الإمام الرضا في حالتنا، وهيهات أن يوصف مقطع زمني من تاريخ الإسلام بالذهبي وليس لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم فيه نصيب!

١- انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة: ٢ / ١٧٦ – ١٧٧.

(٢)

الجواد سخاء حسيني خاطف في دنيا الظلام

المكان: المدينة المنورة، بغداد
العمر: ٢٥ عاماً (١٩٥ – ٢٢٠ هـ)
مدة الإمامة: ١٧ عاماً

سادس الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام محمد بن علي بن موسى، الملقب بـ"الجواد"، "التقي"، "ابن الرضا" كأشهر ألقابه.

ولد في ١٠ رجب سنة ١٩٥ هـ بالمدينة [١].

أمه الشريفة أمة نوبية، وقد عهد الإمام الرضا صلوات الله عليه إلى أخته السيدة حكيمة بنت الإمام الكاظم أن تقوم برعايتها وملازمتها حتى الولادة [٢].

ولما بلغه خبرولادته سرَّوبقي يناغيه في مهده طول ليله:

(عن كلثم بن عمران قال: قلت للرضا عليه السلام: ادع الله ان يرزقك ولداً، فقال عليه السلام: إنما ارزق ولداً واحداً وهو يرثني، فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد ولد لي شبيه موسى بن عمران عليه السلام فالق البحاروشبيه عيسى بن مريم عليه السلام، قدست أم ولدته فلما ولدته طاهرة مطهرة، قال الرضا عليه السلام: يقتل غصباً فيبكي له وعليه أهل السماء ويغضب الله تعالى على عدوه وظالمه فلا

١- انظر: مصباح المتهجد، الطوسي: ٨٠٤ – ٨٠٥.

٢- انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٩٩.

يلبث إلا يسيراً حتى يحل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد وكان طول ليله يناغيه في مهده) [١].

و أيضاً: دخل عليه بعض الشيعة وأخبرهم بأنه الإمام من بعده:

(عن ابن قياما قال: دخلت على أبى الحسن الرضا عليه السلام وقد ولد له أبو جعفر عليه السلام فقال: إنّ الله قد وهب لي من يرثني ويرث آل داود) [٢].

أما كنيته: فهي "أبو جعفر"، وأحياناً يضاف لها "الثاني"؛ تمييزاً عن أبي جعفر الأول؛ الإمام الباقر صلوات الله عليه.

وبهذه الكنية "أبو جعفر" كان أبوه الرضا عليه السلام يخاطبه في كتبه ورسائله التي كان يبعثها إليه من خراسان كما عرفنا سابقاً.

وأما ألقابه: فهي كثيرة.

أشهرها: "الجواد"؛ لكثرة جوده وسخائه، "التقي" لشدة تقواه لله سبحانه وتعالى، و أيضاً: "القانع"، "الرضي"، "المختار"، "المتوكل"، وغيرها [٣].

١- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١٠٧ – ١٠٨.

٢- بصائر الدرجات، الصفار: ١٥٨.

٣- انظر: مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب: ٣ / ٤٨٦.

النص على إمامة الجواد (ع) وما قيل فيه:

النص على إمامته:

يمكننا ملاحظة النص على إمامة الجواد عليه السلام بطريقين واضحين:

- الأول: وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفاته؛ إذ ورد فيها: "... فإذا حضرته (الإمام الرضا) الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الثقة التقي" [١].
- الثاني: نص أبيه الرضا عليه، وهي نصوص كثيرة؛ منها:

(باب: الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام:

١- ... عن يحيى بن حبيب الزيات قال: أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضا عليه السلام جالساً، فلما نهضوا قال لهم: ألقوا أبا جعفر فسلموا عليه وأحدثوا به عهداً، فلما نهض القوم التفت إلي فقال: يرحم الله المفضل إنه كان ليقنع بدون هذا.

٢- ... عن معمر بن خلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئا فقال: ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة. ......

٥- ... عن ابن أبي نصر قال: قال لي ابن النجاشي: من الإمام بعد صاحبك؟ فأشتهي أن تسأله حتى أعلم، فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته، قال: فقال لي: الامام ابني، ثم قال: هل يتجرى أحد أن يقول ابني وليس له ولد.

٦- ... عن معمر بن خلاد قال: ذكرنا عند أبي الحسن عليه السلام شيئاً بعد ما ولد له أبو جعفر عليه السلام، فقال: ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته في مكاني. .....

١- الغيبة، الطوسي: ١٥٠ – ١٥١.

١٠- ... عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟! فقال: وما يضرّه من ذلك فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين.

١١- ... عن معمر بن خلاد قال: سمعت إسماعيل بن إبراهيم يقول للرضا عليه السلام: إن ابني في لسانه ثقل فأنا أبعث به إليك غداً تمسح على رأسه وتدعو له فإنه مولاك، فقال: هو مولى أبي جعفر فابعث به غداً إليه) [١].

و أيضاً: (جعفر بن محمد النوفلي قال: أتيت الرضا وهو بقنطرة أربق فسلمت عليه ثم جلست وقلت: جعلت فداك إن إناساً يزعمون أن أباك حي، فقال: كذبوا لعنهم الله ولو كان حياً ما قسم ميراثه ولا نكح نساؤه ولكنه والله ذاق الموت كما ذاقه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: فقلت له ما تأمرني؟ قال: عليك بابني محمد من بعدي وأما أنا فإني ذاهب في وجه الأرض لا أرجع منه بورك قبر بطوس وقبران ببغداد قال: قلت جعلت فداك قد عرفنا واحداً فما الثاني؟ قال: ستعرفونه، ثم قال عليه السلام: قبري وقبر هارون الرشيد هكذا وضم بأصبعيه) [٢].

ملاحظة: يظهر من الحديث الأول (حديث يحيى الزيات) أنّ الجالسين عند الإمام الرضا عليه السلام كانوا جماعة وقد سألوه (أو بعضهم) عن الإمام بعده، والإمام صرّح لهم بأنه ولده أبو جعفر، ويبدو أنهم اضطروه للبيان بطريقة لم يكن يرغب بها وكان ينبغي عليهم الاكتفاء بالأقل منها مما ذكره لهم (ولم تنقله الرواية)، ولذلك لما نهضوا قال ليحيى الزيات: "يرحم الله المفضل إنه كان ليقنع بدون هذا" أي: يقبل بأقل مما ذكرته لهم في معرفة الإمام.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٠ – ٣٢١.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٣٣.

الإمام المعصوم يبين من يليه بطريقة تكفي طالب الحق و أيضاً: تحفظ حياته من أعين الطغاة والأعداء المتربصين، والمفروض بالمؤمن أن يكون نبهاً ويعرف مراد إمامه بأقل إشارة تصدر منه ولا يلح عليه أو يضطره إلى بيان بعض الأمور المهمة والحساسة بأكثر من اللازم؛ وهذا أمر مهم ينبغي الالتفات له أثناء مسايرة الإمام المعصوم.

ما قيل في الجواد (ع):

بالتأكيد، خير من يصف المعصوم إمام معصوم مثله، وقد وصفه أبوه الرضا بأنه: "ما ولد مولود أعظم مولود بركة منه"!

(عن أبي يحيى الصنعاني قال: كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فجيء بابنه أبي جعفر عليه السلام وهو صغير، فقال: هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم بركة على شيعتنا منه) [١].

و أيضاً: تقدم أنه قال لبعض أصحابه: (هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيّرته مكاني إنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة).

وعموماً، هذه أقوال بعض علماء المسلمين بحقه:

١- الشيخ محمد بن طلحة الشافعي: (وأما مناقبه: فما اتسعت حلبات مجالها، ولا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقائه في الدنيا بحكمها و انجالها، فقل في الدنيا مقامه، وعجل القدوم عليه لزيارة حمامه، فلم تطل بها مدته ولا امتدت فيها أيامه) [٢].

٢- الذهبي: (كان يلقب بالجواد، وبالقانع، وبالمرتضى. كان من سروات آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. زوجه المأمون بابنته. وفد هو وزوجته على المعتصم فأكرمه وأجله.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢١.

٢- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٦٨.

وتوفي ببغداد في آخر سنة عشرين شاباً طرياً له خمسٌ وعشرون سنة. وكان أحد الموصوفين بالسخاء، ولذلك لقب بالجواد) [١].

٣- الزرندي الحنفي: (الإمام العالم العامل، الورع العادل، الزاهد الكامل، الشجاع الباذل، الطاهر المرتضى، الثقة المجتبى، المرشد إلى الهدى، والراشد في اكتساب المفاخر، والتقي المنتجب، والرضي الجواد، والولي الملقّب بالتقيّ، أبو جعفر محمد بن عليّ) [٢].

٤- الصفدي: (محمد بن علي هو الجواد بن الرضا بن الكاظم موسى بن الصادق جعفر رضي الله عنهم. كان يلقّب بالجواد وبالقانع وبالمرتضى، وكان من سروات آل بيت النبوّة ... وكان من الموصوفين بالسخاء ولذلك لُقّب "الجواد"، وهو أحد الأئمة الاثني عشر) [٣].

٥- سبط بن الجوزي: (هو محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ... وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود. ولما مات أبوه قدم على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان يعطي أباه، وكان قد زوّجه المأمون بابنته أم الفضل ... وكان يلقب بالمرتضى والقانع، وكانت وفاته ببغداد خامس ذي الحجة، ودفن إلى جانب جدّه موسى بن جعفر بمقابر قريش) [٤].

٦- خير الدين الزركلي: (محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الملقب بالجواد: تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان رفيع القدر كأسلافه، ذكيا، طلق اللسان، قوي البديهة) [٥].

١- تاريخ الإسلام: ١٥ / ٣٨٥. سروات: أي سادة ورؤساء.

٢- معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول والبتول، عنه: موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري: ١٣ / ٥٤١.

٣- الوافي بالوفيات: ٤ / ٧٩.

٤- تذكرة الخواص: ٣٥٨ – ٣٥٩.

٥- الأعلام: ٦ / ٢٧١ – ٢٧٢.

الإمام الجواد (ع) ومحنة صغر السن:

بالرغم من صغر السن، لكن الله سبحانه أبى إلا أن ينجز أمره ومراده بعبده وحجّته محمد بن علي الجواد صلوات الله عليه، فقد كان مسلّماً لمراد الله قائماً بأمره، ولم يكن أول حجة إلهي تم اصطفائه وتكليفه بمهام الإمامة وخلافة الله في أرضه بعمر صغير، فقد سبقه يحيى، قال تعالى: "يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا" مريم:١٢.

تأخر ولادة الجواد (ع):

تأخرت ولادة الإمام الجواد إلى السنين الثمان الأخيرة من حياة أبيه الرضا صلوات الله عليه، وكان عدم وجود ولد "ذكر" لدى الإمام الرضا قبل عام ١٩٥ هـ أحد الأسباب التي استند لها الواقفة للتشكيك بإمامته:

(عن الحسين بن بشار قال: كتب أبن قياما إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً يقول فيه: كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام - شبه المغضب -: وما علمك أنه لا يكون لي ولد والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً ذكراً يفرق به بين الحق والباطل) [١].

(عن ابن قياما الواسطي قال: دخلت على علي بن موسى عليهما السلام فقلت له: أيكون إمامان؟ قال: لا إلا وأحدهما صامت، فقلت له: هو ذا أنت، ليس لك صامت - ولم يكن ولد له أبو جعفر عليه السلام بعد - فقال لي: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق به الباطل وأهله، فولد له بعد سنة أبو جعفر عليه السلام وكان ابن قياما واقفياً) [٢].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٠.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢١.

ثم لما ولد، وأخبر أبوه الرضا صلوات الله عليه أصحابه بأنه يلي الأمر من بعده استصغر بعضهم سنّه:

(عن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عليه السلام فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين؟! فقال: وما يضرّه من ذلك فقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن ثلاث سنين) [١].

(عن الخيراني، عن أبيه قال: كنت و اقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي إن كان كون فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فكأن القائل استصغر سن أبي جعفر عليه السلام، فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام) [٢].

الجواد (ع) في ظل أبيه:

كل ما عاشه الإمام الجواد مع أبيه لا يبلغ ثمان سنين، منها خمس سنين معه بالمدينة، وثلاث سنين بعيداً عنه بخراسان.

في أيام وجود الإمام الرضا بالمدينة، كان ولده الجواد يقوم ببعض شؤونه، فيأمر الموالي وينهاهم ولا يخالفه أحد منهم، وكان أبوه مسروراً بذلك.

كان يحبه ويصفه بالمولود المبارك:

(عن يحيى الصنعاني قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكة وهو يقشر موزاً ويطعمه أبا جعفر عليه السلام، فقلت له: جعلت فداك هذا المولود المبارك

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢١.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٢.

قال: نعم يا يحيى هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه) [١].

و أيضاً: اصطحبه معه لوداع بيت الله قبل سفره إلى خراسان، كما تقدم.

وبعد سفره إلى خراسان، كان يكتب إليه كتباً ورسائل، يكنّيه فيها بـ"أبي جعفر"، وهو جزء من إعداد الأب لابنه!

(محمد بن أبي عباد ... قال: ما كان (الرضا) عليه السلام يذكر محمداً ابنه إلا بكنيته يقول: كتب إلي أبو جعفر عليه السلام وكنت اكتب إلى أبي جعفر عليه السلام وهو صبي بالمدينة فيخاطبه بالتعظيم، وترد كتب أبي جعفر عليه السلام في نهاية البلاغة والحسن فسمعته يقول: أبو جعفر وصيي وخليفتي في أهلي من بعدي) [٢].

وعند شهادة أبيه بعث إليه عبد الله بن أيوب الخريبي أبياتاً يعزيه بها [٣]:

يا بن الذبيح ويا بن أعراق الثرى	طابت أرومته وطاب عروقا
يا بن الوصي وصى أفضل مرسل	أعني النبي الصادق المصدوقا
ما لف في خرق القوابل مثله	أسدي لف مع الخريق خريقا
يا أيها الحبل المتين متى أعذ	يوما بعقوته أجده وثيقا
انا عائذ بك في القيامة لائذ	أبغي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غداً	أحد فلست بحبكم مسبوقا
يا ابن الثانية الأئمة غربوا	وأبا الثلاثة شرقوا تشريقا
ان المشارق والمغارب أنتم	جاء الكتاب بذلكم تصديقا

١- الكافي، الكليني: ٦ / ٣٦٠ – ٣٦١.

٢- عيون أخبار الرضا، الصدوق: ٢ / ٢٦٦.

٣- انظر: مقتضب الأثر، الجوهري: ٥١ – ٥٢.

النهوض بأعباء الإمامة بعد أبيه:

استشهد الإمام الرضا و ابنه الجواد بعمر ثمان سنين، فتناقلت شيعة أبيه الخبر وتداولوا أمر الإمامة بعده، وبالرغم من علم بعضهم بوصايا الإمام الرضا ونصوصه بابنه الجواد، لكن الإخبار والسماع شيء والامتحان بالحالة في وقتها شيء آخر، وكما يقال: "ليس الخبر كالعيان"!

ومهما يكن، فقد وصف الطبري "الشيعي" حال الشيعة بعد شهادة الإمام الرضا صلوات الله عليه بقوله: (وبقيت الطائفة في حيرة، واختلفت الكلمة بين الناس، واستصغر سن أبي جعفر، وتحيّر الشيعة في سائر الأمصار) [١]!

الجواد (ع) يرفع التردد عن بعض الشيعة:

تردد بعض كبار الشيعة في قدرة الإمام الجواد (بهذا العمر) على القيام بمهام الإمامة ومسؤولياتها وأجمعوا أمرهم على السفر إلى المدينة واللقاء بالإمام وطرح الأسئلة عليه لمعرفة قدراته!

نحن من جهتنا لا ننتقص من إيمان أحد، ولا ندعي أننا أكثر إيماناً من هؤلاء و أننا لو كنا مكانهم لفعلنا غير ما فعلوا، بقدر ما نريد أن نقص الو اقع كما حصل؛ إنصافاً للحقيقة وبيان ما لاقاه الأئمة عليهم السلام من جهة، وللعظة والاعتبار من جهة أخرى!

ومهما يكن، فقد نهض الإمام الجواد صلوات الله عليه بالأمر و أثبت أحقيته بالإمامة لمن تردد أو شك بقدرته على الاضطلاع بمهامها ومسؤولياتها:

(ولما قبض الرضا عليه السلام كان سن أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد وفي الأمصار واجتمع الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم وعبد الرحمن بن الحجاج ويونس بن عبد الرحمن وجماعة من

١- دلائل الإمامة، الطبري: ٣٨٨.

وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء من هذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؛ يعني أبا جعفر عليه السلام! فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول: أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشك والشرك! إن كان أمره من الله فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه. فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام فلما و افوا أ توا دار أبي جعفر الصادق لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (عم الإمام الجواد) فجلس وقام منادٍ وقال: هذا ابن رسول الله (يقصد عبد الله) فمن أراد السؤال فليسأله فسُئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيّرهم وغمّهم واضطربت الفقهاء وقاموا وهمّوا بالانصراف وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل جواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان ومن الجواب بغير الواجب، ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه فدخل عليه السلام وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين وفي رجليه نعلان وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له و أثنوا عليه وقالوا له: إنّ عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت، فقال: لا إله إلا الله، يا عم إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك: لِمَ تفتي عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو علم منك) [1].

كان من ضمن وفد الثمانين رجلاً إسحاق بن إسماعيل، وقد أعد مجموعة من الأسئلة ليطرحها على الإمام، لكنه لم يسألها في نفس المجلس؛ تخفيفاً على الإمام بعد أن طرح الحضور أسئلة كثيرة عليه، وهذه قصته:

١- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١٠٨ – ١٠٩.

(وكان إسحاق بن إسماعيل ممّن حج في جملتهم في تلك السنة، قال إسحاق: فأعددت له في رقعة عشر مسائل وكان لي حمل فقلت في نفسي إن أجابني عن مسائلي سألته أن يدعوا الله أن يجعله ذكراً، فلما ألحَّ عليه الناس بالمسائل وكان عليه السلام يفتي بالواجب فقمت لأخفف والرقعة معي لأسأله في غد عن مسائلي، فلما نظر إليّ عليه السلام قال: يا إسحاق قد استجاب الله دعائي فسمّه أحمد، فقلت: الحمد لله هذا هو الحجة البالغة و انصرف إلى بلده فولد له ذكراً فسمّاه أحمد) [١].

وبعضهم أعدَّ أسئلة كان قد سمع أجوبتها من أبيه الرضا ليعيد طرحها عليه [٢]!

وعموماً، استمر الإمام الجواد صلوات الله عليه يجيب أسئلة من يفد عليه:

(علي بن إبراهيم، عن أبيه قال: أستأذن على أبي جعفر عليه السلام قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عليه السلام وله عشر سنين) [٣].

واضح أنّ عدد الأسئلة كبير جداً، وربما المقصود بنفس المجلس أي نفس المكان؛ إذ يمكن أن تكون زيارتهم للإمام استغرقت عدة أيام يلتقون خلالها بالإمام في نفس المكان يومياً حتى أتموا جميع مسائلهم. والحادثة كانت بعد شهادة أبيه بسنتين كحد أدنى؛ لأن عمره بحسب الرواية عشر سنين.

١- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١٠٩ – ١١٠.

٢- (قال أبو خراش النهدي: وكنت قد حضرت مجلس الرضا علي بن موسى عليه السلام فأتاه رجل فقال له: جعلت فداك أم ولد لي هي صدوق أرضعت جارية لي بلبن ابني أتحرم عليّ نكاحها؟ قال أبو الحسن عليه السلام: لا رضاع بعد فطام. فسأله عن الصلاة في الحرمين، فقال: إن شئت قصرت وإن شئت أتممت قلت: فالخصي يدخل على النسوان، فأعرض بوجهه قال: فحججت بعد ذلك فدخلت على أبي جعفر عليه السلام، فسألته عن المسائل، فأجابني بالجواب) الدر النظيم، المشغري العاملي: ٧٠٥ – ٧٠٦.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٦.

إضافة لسعة علمه بالعقيدة والشريعة، كانت بعض احتجاجاته لإثبات حقه وإمامته معززة بمنطق قرآني واضح وبيّن، و أيضاً: تعزيزها بسير المرسلين:

(عن علي بن أسباط قال: خرج (الجواد) عليه السلام عليَّ فنظرت إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك حتى قعد وقال: يا علي إنّ الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة، فقال: "و آتيناه الحكم صبيا" قال: "ولما بلغ أشده"، "وبلغ أربعين سنة" فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبياً ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة) [١].

(عن علي بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت له: إنهم يقولون في حداثة سنك، فقال: إن الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم، فأنكر ذلك عباد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داود عليه السلام أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت و أثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود، فقالوا: قد رضينا وسلمنا) [٢].

(قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام: يا سيدي إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك، فقال: وما ينكرون من ذلك قول الله عزوجل؟ لقد قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وآله: "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين و أنا ابن تسع سنين) [٣].

حقيقة، أعان الله الإمام الجواد صلوات الله عليه وهو يدعو الناس في مجتمع عربي يتعامل بأعراف وتقاليد ربما يقدّمها الكثيرون على موازين الدين أو يتعامل معها بشكل مكافئ في أحسن الأحوال؛ ومنها أخذ السن بنظر الاعتبار في التقييم. وبالتالي، تحتاج نفوس القابلين بإمامة الجواد إلى درجة عالية من التمرّد على تلك الأعراف الجاهلية!

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٤.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٣.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٨٤.

بعض الشاكين والمترددين في إمامة الإمام الجواد عليه السلام في بادئ الأمر هم شخصيات شيعية كبيرة، وإذا كان هذا هو حالهم فلنا أن نتصور حال عموم الشيعة في مختلف الأمصار، لكن بمرور الوقت وبصبر الإمام الجواد وجهوده اعتقد بإمامته الكثيرون وبهم (أو ببعضهم بتعبير أدق) استمر في إنجاز رسالته الإلهية التي سنتعرف على بعض ثمارها ونتائجها، وبعضهم صاروا وكلاء عنه في مناطقهم، وبعضهم كتبوا كتباً في الفقه أو العقيدة بإشر افه ... إلخ، وبقت القلة التي ارتدت و أنكرت إمامته.

تنبيه: الملفت في طريقة تعرّف وفود الشيعة (التي كانت برئاسة كبار الشيعة ووجهائهم وعلمائهم) على إمامة الإمام الجواد صلوات الله عليه بعد شهادة أبيه أنهم تعرفوا عليه من خلال العلم وإجابته عن الأسئلة الخاصة بأمور دينهم، ولم يحصل أنّ واحداً من الشيوخ والوجهاء طلب من الإمام (كسبيل للتعرف عليه) أن يحوّل لحيته البيضاء إلى سوداء مثلاً وما شابه من سفاسف سمعناها مراراً في أيامنا هذه!

ارتداد طائفتين وأذى الواقفة والزيدية للإمام:

بالرغم من أنّ إمامة الجواد عليه السلام ثابتة بالنص والعلم، لكن مجموعة رجعت إلى القول بالوقف بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام، ومجموعة قالت بإمامة أحمد بن موسى بن جعفر (أخو الإمام الرضا)، وحجة المجموعتين هي: صغر عمر الإمام الجواد! لكن الحق أنّ أغلب هؤلاء كانوا مهزوزين من الأصل؛ خصوصاً من رجع للاعتقاد بالوقف، فهم اعتقدوا بالوقف بعد شهادة الإمام الكاظم ثم تركوه واعتقدوا بالإمام الرضا لكن بقي اعتقادهم به مهزوزاً وتقدم ذكرهم، وهذا هو السبب الحقيقي لإنكارهم إمامة الجواد عليه السلام وكان صغر السن مجرد عذر لكشف حقيقتهم لا أكثر!

(وكان سبب الفرقتين، اللتين ائتمت واحدة منهما بأحمد بن موسى، ورجعت الأخرى إلى القول بالوقف: أن أبا الحسن الرضا عليه السلام توفي، و ابنه محمد ابن سبع سنين، فاستصبوه واستصغروه وقالوا: لا يجوز الإمام إلا بالغاً) [1].

١- فرق الشيعة، النوبختي: ١ / ٨٧ – ٨٨.

جهود الإمام الرضا صلوات الله عليه وإن كانت قصمت ظهر فتنة الواقفة وضربتها بمقتل، إلا أنّ فتنتهم لم تنتهِ تماماً، ولذلك عانى الإمام الجواد عليه السلام منهم أيضاً، وكذلك عانى من الزيدية:

- (محمد بن الحسن البراثي، قال: حدثني أبو علي، قال: حكى منصور عن الصادق محمد بن علي الرضا عليهما السلام: أن الزيدية والواقفة والنصاب عنده بمنزلة واحدة) [١].

- (عن ابن أبي عمير، عمّن حدثه قال، قال: سألت محمد بن علي الرضا عليهما السلام عن هذه الآية "وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة"، قال: نزلت في النصاب والزيدية والواقفة من النصاب) [٢].

وهذا مثال لمعاناة الإمام الجواد صلوات الله عليه من الزيدية:

(قال القاسم بن عبد الرحمن وكان زيدياً، قال: خرجت إلى بغداد فبينا أنا بها إذ رأيت الناس يتعادون ويتشرفون ويقفون فقلت: ما هذا؟ فقالوا: ابن الرضا، فقلت: والله لأنظرن إليه فطلع على بغل أو بغلة فقلت: لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون إن الله افترض طاعة هذا! فعدل إلي وقال: يا قاسم بن عبد الرحمن " أبشرا منا واحدا نتبعه انا إذا لفي ضلال وسعر"، فقلت في نفسي: ساحر والله، فعدل إلي فقال: "أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر"، قال: فانصرفت وقلت بالإمامة وشهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدته) [٣].

لكن: لماذا كان الزيدية في صف واحد مع النصاب والواقفة؟ أذى النواصب والواقفة (وهم نواصب أيضاً) واضح، فقد أنكروا إمامة الرضا صلوات الله عليه واتهموه بأنه مدعٍ كاذب للإمامة (وحاشاه)، فهل الزيدية في ذلك الوقت مثلهم؟

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٦١.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٤٩٥.

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٣ / ١٥٦.

يقول السيد أحمد الحسن:

(الزيدية سابقاً وفكرة الثورة أبعدت الأعم الأغلب من الناس عن آل محمد عليهم السلام؛ لأن هؤلاء يدّعون أنّ الحق معهم لأنهم ثائرون ومحاربون ومقاومون للظلم وما شابه، فالناس تتبعهم وتترك الإمام الجواد وغيره من الأئمة؛ لهذا ورد عن الإمام الجواد أنهم نواصب.

الزيدية (وأشباههم في ذلك الوقت) يقولون للناس عن الأئمة بأنهم مدعو إمامة وطالبوا منصب وجاه ... إلخ ونحن المضحون المقاومون المحاربون للباطل فانضموا إلينا و اتركوهم! فكيف لا يكون هؤلاء نواصب وهم جلّ همّهم إبعاد الناس عن اتباع الأئمة عليهم السلام بحجة المقاومة وقتال الباطل وما شابه!) انتهى [١].

ويقول أيضاً: (تصور أنّ ثورة باسم الحسين وهي في الو اقع بالضد من مشروع الله وتسبب تيه الناس عن الحق لأنهم يتصورون أنّ الثائر هو الإمام الحق) انتهى [٢].

وكمثال لثورات الزيدية في عهد الإمام الجواد: ما قام به محمد بن القاسم بن علي بن عمر ابن الإمام زين العابدين، وكان زيدياً جارودياً اجتمعت حوله الزيدية ودعا الناس إلى نفسه ثم فشلت ثورته وسلّم نفسه إلى المعتصم العباسي [٣].

موقف علي بن جعفر والحسين بن موسى بن جعفر:

علي ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عاصر أخاه الإمام الكاظم ثم ابن أخيه الإمام الرضا ثم امتد عمره ليعاصر الإمام الجواد، وقد آمن بإمامتهم جميعاً.

وهذه بعض الرو ايات التي تبيّن اعتقاده بالإمام الجواد عليه السلام:

١- من حوارخاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- من حوارخاص مع السيد أحمد الحسن.

٣- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٨٢ – ٣٨٤؛ شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٣ / ٣٤٥.

• (عن علي بن جعفر ابن محمد قال: قال لي رجل أحسبه من الو اقفة: ما فعل أخوك أبو الحسن؟ قلت: قد مات، قال: وما يدريك بذلك؟ قال: قلت: اقتسمت أمواله و أنكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده. قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: ابنه علي قال: فما فعل؟ قلت له: مات قال: وما يدريك أنه مات؟ قلت: قسمت أمواله ونكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده قال: ومن الناطق من بعده؟ قلت: أبو جعفر ابنه، قال فقال له: أنت في سنك وقدرك و أبوك جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام؟ قال: قلت ما أراك إلا شيطاناً قال: ثم أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء، ثم قال: فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا، ولم يرَ هذه الشيبة لهذا أهلاً) [١].

• (عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالسا بالمدينة وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد - مسجد الرسول صلى الله عليه وآله - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك الله فقال: يا سيدي كيف أجلس و أنت قائم، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه و أنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا إذا كان الله عزوجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد) [٢].

"فسوّى له نعليه": باعتبار أنّ الإمام كان مريضاً وأُجريت له جراحة صغرى وبالتالي فهو بحاجة إلى من يعينه. وعموماً، جلالة قدر علي بن جعفر في النصوص المتقدمة أمر واضح، خصوصاً إذا ما عرفنا أنّ عمره فاق السبعين عاماً بينما كان الإمام الجواد عليه السلام صغيراً بالسن.

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٢٨.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٢.

وأما عمّه الحسين بن موسى بن جعفر، فقد تقدم أنه كان أحن أعمام الجواد عليه بعد سفر والده الرضا عليه السلام إلى خراسان، وبعد شهادته اعتقد بابن أخيه الجواد عليه السلام، وهذه رواية تحكي إيمانه به:

- (أبو عبد الله الحسن بن موسى بن جعفر، قال: كنت عند أبي عليه السلام بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام. قلت: هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا سبحان الله رسول الله قد مات منذ مائتي سنة وكذا وكذا سنة، وهذا حدث كيف يكون هذا. قلت: هذا وصي علي بن موسي، وعلي وصي موسى بن جعفر، وموسى وصي جعفر بن محمد، وجعفر وصي محمد بن علي، ومحمد وصي علي بن الحسين، وعلي وصي الحسين، والحسين وصي الحسن، والحسن وصي علي بن أبي طالب، وعلي وصي رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين. قال: ودنى الطبيب ليقطع له العرق، فقام علي بن جعفر، فقال: يا سيدي يبدأني ليكون حدة الحديد بي قبلك، قال، قلت: يهنئك، هذا عم أبيه، قال: فقطع له العرق، ثم أراد أبو جعفر عليه السلام النهوض فقام علي بن جعفر عليها السلام فسوّى له نعليه حتى لبسهما) [1].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٢٨ – ٧٢٩.

رسالة الإمام الجواد (ع):

استمرت إمامة الإمام الجواد ١٧ عاماً (٢٠٣ – ٢٢٠ هـ)، تمكن خلالها من إنجاز مهمته، وبالرغم من أنه رحل عن الدنيا وهو في ريعان شبابه إلا أنّ عطاءه وسخائه الإلهي بقي شاهداً على ما قام به.

بعض صور العطاء الرسالي:

بيان دين اللّه:

على مستوى العقيدة، أوضح الإمام الجواد ما يتعلق بتوحيد الله وأسمائه وصفاته، كما نزّهه سبحانه عن الرؤية والتشبيه ونحو ذلك، وبنحو عام بيّن الاعتقاد الحق والتوحيد المرضي لله ودفع الشبهات عنه، والأمثلة على ذلك كثيرة [١].

وعلى مستوى الشريعة، أجاب الإمام الجواد عليه السلام مسائل كثيرة جداً تتعلق بالشريعة بمختلف أبوابها في العبادات والمعاملات، فقد أجاب مسائل وردته في الصلاة

١- كمثال: هذا بعض ما روي عنه صلوات الله عليه:

عن: (أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل فإن "لم تزل" محتمل معنيين فان قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شئ غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل .....) الكافي: ١ / ١١٦.

(عن عبد الرحمن ابن أبي نجران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد فقلت: أتوهم شيئا؟ فقال: نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شئ فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل، وخلاف ما يتصور في الأوهام؟! إنما يتوهم شئ غير معقول ولا محدود) الكافي: ١ / ٨٢.

(عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار؟ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون؟!) الكافي: ١ / ٩٩.

والزكاة والخمس والحج والكفارات والأوقاف والزواج والبيع والميراث وغيرها. و أيضاً: وضح الإمام علل بعض الأحكام. وكل ذلك رواه عنه شيعته وأصحابه ويمكن ملاحظته في المجاميع الروائية.

وعلى مستوى الإمامة والاعتقاد الحق فيها كان للإمام الجواد عليه السلام بيان وتوضيح أيضاً، وخصوصاً ما يتعلق بالمهدي وقائم آل محمد صلوات الله عليه [١].

تقويم الأمة المؤمنة ورعايتها:

اعتقد أغلب شيعة الإمام الرضا وأصحابه بابنه الإمام الجواد بمرور الوقت بعد أن زالت عنهم الشبهات والشكوك، وبعضهم نال شرف العمل بين يديه بإخلاص وتفانٍ، وقد حفل سجل شيعته وصحبه بعدد كبير بينهم أسماء لامعة وكبيرة، منهم:

١- هذا بعض ما روي عنه بهذا الصدد: (عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام [الحسني] قال: دخلت على سيدي محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب عليهم السلام و أنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره فابتدائي فقال لي: يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته، ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة وخصنا بالإمامة إنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإن الله تبارك وتعالى ليصلح له أمره في ليلة، كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام إذ ذهب ليقتبس لأهله نارا فرجع وهو رسول نبي، ثم قال عليه السلام: أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرج.

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليهم السلام: إني لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقال عليه السلام: يا أبا القاسم: ما منا إلا وهو قائم بأمر الله عزوجل، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عزوجل به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه، وهو الذي تطوي له الأرض، ويذل له كل صعب [و] يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزوجل: "أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شئ قدير" فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الاخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزوجل، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزوجل.

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي وكيف يعلم أن الله عزوجل قد رضي؟ قال: يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٧٧ – ٣٧٨.

١- إبراهيم بن محمد الهمداني [١].
٢- أحمد بن حماد المروزي [٢].
٣- أحمد بن إسحاق الأشعري القمي [٣].
٤- أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، تقدم ذكره في أصحاب الرضا.
٥- أحمد بن محمد بن خالد البرقي، صاحب كتاب "المحاسن".
٦- داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر الطيار [٤].
٧- زكريا بن آدم القمي، تقدم ذكره في أصحاب الرضا.

١- ثقة جليل من أصحاب الرضا والجواد والهادي صلوات الله عليهم، وكيل الناحية المقدسة، ومن أصحاب الأصول التي استخرج منها الشيخ الصدوق روايات كتابه الفقيه، انظر مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٢٠٥. كان إبراهيم من أصحاب الرضا عليه السلام وروى عنه، وهذا مثال لروايته:

(عن إبراهيم بن محمد الهمداني - رضي الله عنه - قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن زرارة هل كان يعرف حق أبيك عليه السلام؟ فقال: نعم، فقلت له: فلم بعث ابنه عبيدا ليتعرف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام؟ فقال: إن زرارة كان يعرف أمر أبي ونص أبيه عليه و إنما بعث ابنه ليتعرف من أبي عليه السلام هل يجوز له أن يرفع التقية في إظهار أمره ونص أبيه عليه و أنه لما أبطأ عنه ابنه طولب بإظهار قوله في أبي عليه السلام فلم يحب أن يقدم على ذلك دون أمره فرفع المصحف وقال: اللهم إن إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمد عليهما السلام) كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٧٥.

٢- كتب له الإمام الجواد عليه السلام رسالة جاء فيها: "ثم وفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، أما الدنيا فنحن فيها متفرجون في البلاد، ولكن من هوى هوى صاحبه، فان بدينه فهو معه وإن كان نائيا عنه، وأما الآخرة فهي دار القرار" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٣٣.

٣- من أصحاب الجواد والهادي والعسكري صلوات الله عليهم، ولا خلاف في وثاقته وجلالته وتشرف بلقاء الإمام المهدي صلوات الله عليه، وكان من وكلائهم وسفرائهم المعروفين، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٢٥٩.

٤- أبو هاشم الجعفري، قال النمازي: (قالوا في الكتب الرجالية: إنه أدرك خمسة من الأئمة. يعنون الرضا إلى صاحب الزمان عليهم السلام. وعد من سفراء المهدي عليه السلام ... وبالجملة هو ثقة جليل القدر عظيم الشأن عظيم المنزلة عند الأئمة وله منهم إخبار ومسائل ولا خلاف في ذلك كله) مستدركات علم رجال الحديث: ٣ / ٣٦٢ – ٣٦٣. وهذا مثال لروايته عن الإمام الجواد عليه السلام: (عن داود بن القاسم الجعفري قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعي ثلاث رقاع غير معنونة واشتهت علي فاغتممت فتناول إحداهما وقال: هذه رقعة زياد بن شبيب، ثم تناول الثانية فقال: هذه رقعة فلان، فبهت أنا فنظر إليَّ فتبسم، قال: وأعطاني ثلاثمائة دينار وأمرني أن أحملها إلى بعض بني عمه ...) الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٥.

٨- صالح بن محمد بن سهل [١].

٩- صفوان بن يحيى بياع السابري، تقدم ذكره في أصحاب الرضا.

١٠- عبد العظيم الحسني [٢].

١- روى الكليني: (علي بن إبراهيم، عن أبيه قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام إذ دخل عليه صالح بن محمد بن سهل وكان يتولى له الوقف بقم، فقال يا سيدي اجعلني من عشرة آلاف في حل، فإني أنفقتها، فقال له: أنت في حل، فلما خرج صالح، قال أبو جعفر عليه السلام: أحدهم يثب على أموال حق آل محمد و أيتامهم ومساكينهم وفقرائهم و أبناء سبيلهم فيأخذه ثم يجئ فيقول: اجعلني في حل، أتراه ظن أني أقول: لا أفعل، والله ليسألنهم الله يوم القيامة عن ذلك سؤالاً حثيثاً) الكافي: ١ / ٥٤٨.

٢- من أصحاب الهادي والعسكري صلوات الله عليهما. وهو ذو ورع ودين، عابد معروف بالأمانة والوثاقة والجلالة. وله كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام. انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٤ / ٤٤٩، وسيأتي مزيد من بيان حاله في رسالة الإمام الهادي عليه السلام. وهذا مثال لرو ايته عن الإمام الجواد عليه السلام:

(عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال حدثني أبو جعفر محمد بن علي الرضا قال: حدثني أبي الرضا علي بن موسى قال سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد البصري على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس عنده تلا هذه الآية قوله تعالى: "الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش" ثم أمسك عنه، فقال له أبو عبد الله: ما أسكتك؟ قال: أحب ان أعرف الكبائر من كتاب الله، فقال: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله يقول الله تبارك وتعالى انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وبعده الأياس من روح الله لأن الله تعالى يقول: "ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"، والامن من مكر الله لأن الله يقول: "ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون"، ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جباراً شقياً، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأن الله تعالى يقول: "فجزاؤه جهنم خالدا فيها"، وقذف المحصنات لأن الله تعالى يقول: "والذين يرمون المحصنات المؤمنات الغافلات" إلى قوله: "لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم"، وأكل مال اليتيم ظلماً لقوله تعالى: "إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا"، والفرار من الزحف لأن الله تعالى يقول: "ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير"، وأكل الربا لأن الله عز وجل يقول: "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس"، والسحر لأن الله تعالى يقول: "ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق"، والزنا لأن الله تعالى يقول: "ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب"، واليمين الغموس لأن الله عز وجل يقول: "ان الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة"، والغلول يقول الله عز وجل: "ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة"، ومنع الزكاة المفروضة لأن الله تعالى يقول: "فتكوي بها جباههم وجنوبهم"، وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله عز وجل يقول: "ومن يكتمها فإنه آثم قلبه"، وشرب الخمر لأن الله عز وجل عدل بها عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شئ مما فرض الله لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله عز وجل يقول: "أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار". قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال بر أيه ونازعكم في الفضل والعلم) علل الشر ائع، الصدوق: ٢ / ٣٩١ – ٣٩٢.

١١- علي بن أسباط [١].

١٢- علي بن حديد الأزدي [٢].

١٣- علي بن مهزيار الأهوازي [٣].

١٤- محمد بن إسماعيل بن بزيع [٤].

١- كان فطيحاً، لكنه ترك القول بذلك واعتقد بالجواد صلوات الله عليه بعد حوار جرى بينه وبين علي بن مهزيار رجعا فيها إلى الامام الجواد عليه السلام، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٥ / ٣٠٣ – ٣٠٤.

٢- أرجع الإمام الجواد عليه السلام بعض شيعته للصلاة خلفه، انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٥٦٣.

٣- قال النمازي: (عدّوه من أصحاب الرضا والجواد والهادي صلوات الله عليهم. جليل القدر واسع الرواية، ثقة بالاتفاق. وكان أبوه نصرانياً فأسلم. وقد قيل: إن علياً أيضاً أسلم وهو صغير. ومنَّ الله عليه بمعرفة هذا الأمر وتفقه واختص بأبي جعفر الثاني عليه السلام وتوكّل له وعظم محله منه. وكذلك أبو الحسن الثالث عليه السلام. وله ثلاث وثلاثون كتاباً رواها جماعة) مستدركات علم رجال الحديث: ٥ / ٤٨٧.

وهذه أمثلة من رسائل بين الإمام الجواد عليه السلام وبينه:

(وفي كتاب لأبي جعفر عليه السلام إليه ببغداد: قد وصل إليّ كتابك، وقد فهمت ما ذكرت فيه، وملأتني سرورا، فسرك الله، و أنا أرجو من الكافي الدافع أن يكفي كيد كل كائد إن شاء الله تعالى.

وفي كتاب آخر: وقد فهمت ما ذكرت من أمر القميين، خلصهم الله وفرج عنهم، وسررتني بما ذكرت من ذلك، ولم تزل تفعل، سرك الله بالجنة ورضي عنك برضائي عنك، و أنا أرجو من الله حسن العون والر أفة، و أقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي كتاب آخر بالمدينة: فاشخص إلى منزلك، صيرك الله إلى خير منزل في دنياك وآخرتك.

وفي كتاب آخر: وأسأل الله أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك وفي كل حالاتك، فأبشر فاني أرجو أن يدفع الله عنك، وأسأل الله أن يجعل لك الخيرة فيما عزم لك به عليه من الشخوص في يوم الأحد، فأخر ذلك إلى يوم الاثنين ان شاء الله صحبك الله في سفرك وخلفك في أهلك وأدي غيبتك وسلمت بقدرته.

وكتبت إليه: أسأله التوسع عليّ والتحليل لما في يدي؟ فكتب: وسع الله عليك، ولمن سألت به التوسعة في أهلك، ولأهل بيتك ولك يا علي عندي من أكبر التوسعة، و أنا أسأل الله أن يصحبك بالعافية ويقدمك على العافية ويسترك بالعافية انه سميع الدعاء.

وسألته الدعاء، فكتب إلي: وأما ما سألت من الدعاء فأنك بعد لست تدري كيف جعلك الله عندي، وربما سميتك باسمك ونسبك، مع كثرة عنايتي بك ومحبتي لك ومعرفتي بما أنت إليه، فأدام الله لك أفضل ما رزقك من ذلك، ورضي عنك برضائي، وبلغك أفضل نيتك، و أنزلك الفردوس الاعلى برحمته، انه سميع الدعاء حفظك الله وتولاك ودفع الشر عنك برحمته، وكتبت بخطي) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٢٦ – ٨٢٧.

٤- من أصحاب الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام، ثقة جليل القدر، انظر: قاموس الرجال، التستري: ٩ / ١١١.

١٥- محمد بن سنان [١].

هذه أسماء بعض أصحاب الإمام الجواد صلوات الله عليه، وأغلبهم علماء فقهاء، وبعضهم لديه كتب كثيرة ورووا روايات كثيرة اعتمد عليها لاحقاً أصحاب المجاميع الحديثية كالكليني والصدوق والطوسي وغيرهم، كما أنّ بعضهم عيّنه الإمام وكيلاً عنه في مدنهم لتعليم الناس معالم الدين وقبض الحقوق الشرعية.

و أيضاً: بعضهم كان له منزلة وقدرجليل عند الإمام وروى عنه بكثرة مثل عبد العظيم الحسني و أبي هاشم الجعفري، كما أنه عليه السلام شهد لبعضهم بالوفاء:

(أبو طالب القمي قال: دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام في آخر عمره فسمعته يقول: جزى الله صفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، وسعد بن سعد عني خيراً، فقد وفوا لي) [٢].

كان للإمام الجواد صلوات الله عليه خطوات عملية في تقويم شيعته وأمته، منها:

١- قربه منهم ومواساتهم [٣].

١- (عن علي بن الحسين بن داود قال: سمعت أبا جعفر الثاني عليه السلام يذكر محمد بن سنان بخير ويقول: رضي الله عنه برضائي عنه فما خالفني وما خالف أبي قط) الغيبة، الطوسي: ٣٤٨.

٢- الغيبة، الطوسي: ٣٤٨.

٣- كان عليه السلام قريباً من شيعته يواسيهم عند نزول المصائب، فمثلاً:

- روى: (أبو علي المحمودي، قال كتب أبو جعفر عليه السلام إلي بعد وفاة أبي: قد مضى أبوك رضي الله عنه وعنك، وهو عندنا على حال محمودة ولم يتعد من تلك الحال) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٩٧.

- (عن بكر بن صالح قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني صلوات الله عليه: إن أبي ناصب خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدة وجهدا، فرأيك - جعلت فداك - في الدعاء لي، وما ترى؟ أفترى أن أكاشفه أم أداريه؟ فكتب عليه السلام: قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك، ولست أدع الدعاء لك إن شاء الله، والمداراة خير لك من المكاشفة، ومع العسر يسر، فاصبر فإن العاقبة للمتقين. ثبتك الله على ولاية من توليت، نحن و أنتم في وديعة الله الذي لا تضيع ودائعه. قال بكر: فعطف الله بقلب أبيه [عليه] حتى صار لا يخالفه في شيء) الأمالي، المفيد: ١٩١.

٢- حثهم على العلم والتعلم [١].
٣- دفعهم باتجاه التحلي بمكارم الأخلاق وترك مساوئها [٢].
٤- التآلف والترابط بين المؤمنين وقبول النصح وإحسان بعضهم لبعض [٣].

حكم وإرشادات:

للإمام الجواد صلوات الله عليه مجموعة كبيرة من الحكم والإرشادات والتوجيهات التي توجب رعايتها - بالطبع - تكامل الإنسان ورقيّه في الدنيا والآخرة على حد سواء، وهذه نماذج من حكمه، وهي كثيرة ومبثوثة في كتب الحديث والسير:

"مَن وثق بالله أراه السرور، ومن توكّل عليه كفاه الأُمور، والثقة بالله حصنٌ لا يتحصّن فيه إلا مؤمن، والتوكّل على الله نجاةٌ من كلّ سوء وحرزٌ من كلّ عدوّ، والدين عزٌّ والعلم كنزُوالصمت نورٌ، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال

١- كان عليه السلام يقول: "الدين عزوالعلم كنزوالصمت نور" الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٥٣. ويقول أيضاً: " الشريف كلّ الشريف من شرّفه علمه، والسؤدد كلّ السؤدد لمن اتقى الله ربّه" نفس المصدر: ١٠٥٦.

٢- وصاياه في هذا الجانب كثيرة جداً، منها:

- "ما استوى رجلان في حسب ودين قط الا كان أفضلهما عند الله آدبهما" كنزالعمال، المتقي الهندي: ٢ / ٢٩٣.

- " توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنك لن تخلو من عين الله فانظر كيف تكون" تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٥٥.

- "تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والاصرارعلى الذنب أمن لمكرالله، ولا يأمن مكرالله إلا القوم الخاسرون" نفس المصدر: ٤٥٦.

٣- وصاياه في هذا الجانب كثيرة جداً، منها:

- كتب عليه السلام لبعض محبيه: "إنّ ما لك من عملك ما أحسنت فيه فأحسن إلى إخوانك، واعلم أن الله عز وجل سائلك عن مثاقيل الذروالخردل" الكافي، الكليني: ٥ / ١١١.

- "إنّ لله عباداً يخصّهم بدوام النِعَم فلا تزال فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها عنهم وحوّلها إلى غيرهم" الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٥٣.

- "أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأنّ لهم أجرهم وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنّما يبدأ فيه بنفسه" المصدرالسابق: ١٠٥٣.

- "المؤمن يحتاج إلى توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه" تحف العقول، الحراني: ٤٥٧.

من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية، ومَن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومَن عاب عيب، ومَن شتم أُجيب، ومَن غرس أشجار التقى اجتنى أثمار المنى" [١].

وهذه جملة من قصار حكمه وبليغ إرشاده [٢]:

- "كيف يضيع من الله كافله، وكيف ينجو من الله طالبه".
- "من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه".
- "من عمل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح".
- "القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال".
- "من أطاع هواه أعلى عدوه مناه".
- "من هجر المداراة قاربه المكروه".
- "من لم يعرف الموارد أعيته المصادر".
- "من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة وللعاقبة المتعبة"
- "من عتب من غير ارتياب أعتب من غير استعتاب".
- "راكب الشهوات لا تستقال له عثرة".
- "اتئد تصب أو تكد".
- "الثقة [بالله] ثمن لكل غال وسلّم إلى كل عال".
- "إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره".
- "إذا نزل القضاء ضاق الفضاء".
- "كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة".
- "غنى المؤمن غناه عن الناس".
- "نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر".
- "لا يضرك سخط من رضاه الجور".
- "من لم يرض من أخيه بحسن النية لم يرض بالعطية".

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٥٢ – ١٠٥٣.

٢- انظرها في: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٣٦٣ – ٣٦٤.

الإمام الجواد وجده الحسين (ع):

كان الإمام الجواد يعتبر ما جرى على جده الحسين صلوات الله عليه يوم ما مر على آل محمد يوم مثله:

يقول: "لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ" [١].

و أيضاً: اعتبر الإمام الجواد أنّ واحدة من نتائج إقدام الأمة على قتل الإمام الحسين أنهم لا يوفقون لصيام صحيح أو عيد صحيح:

(عن محمد بن إسماعيل الرازي عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في الصوم فإنه قد روي أنهم لا يوفقون لصوم؟ فقال: أما إنه قد أجيبت دعوة الملك فيهم قال: فقلت: وكيف ذلك جعلت فداك؟ قال: إن الناس لما قتلوا الحسين صلوات الله عليه أمر الله تبارك وتعالى ملكاً ينادي أيتها الأمة الظالمة القاتلة عترة نبيها لا وفقكم الله لصوم ولا لفطر) [٢].

كان عليه السلام يحث على زيارته؛ وخصوصاً ليلة القدر:

يقول: "من زار الحسين عليه السلام ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم، صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملك ونبي، كلهم يستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام في تلك الليلة" [٣].

١- عمدة الطالب، ابن عنبة: ١٨٣.

٢- الكافي، الكليني: ٤ / ١٦٩.

٣- إقبال الأعمال، ابن طاووس: ١ / ٣٨٣.

الإمام الجواد (ع) وعهد المأمون:

بعد شهادة الإمام الرضا، انتقل المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ، وكان قد عيّن الحسن بن سهل وزيراً له ليحل محل أخيه الفضل بن سهل كما لاحظناه سابقاً.

في هذه الفترة بالذات، تزوج المأمون "بوران" بنت وزيره "الحسن بن سهل"، وذكر بعض المؤرخين في قضية زواجه منها قصصاً وحكايات وأشعار تصف البذخ والإسراف المهول الذي حصل، لكنها – للإنصاف – في جانب كبير منها هي إلى المبالغات والكذب أقرب منها إلى الواقع الفعلي كما هي عادة كثير من المؤرخين في مثل هذه القضايا.

استقدام المأمون للإمام الجواد وتزويجه ابنته:

تؤكد المصادر التاريخية أنّ المأمون استقدم الإمام الجواد صلوات الله عليه إلى بغداد، ثم قام بتزويجه ابنته "أم الفضل" كحدثين مهمين قام بهما بعد وصوله إلى بغداد. وعموماً، ذكر البعض قصة أول لقاء حصل بينهما في بغداد:

(إن أبا جعفر محمداً عليه السلام لما توفى والده علي الرضا وقدم الخليفة المأمون إلى بغداد بعد وفاته بسنة، اتفق أنه بعد ذلك خرج يوماً يتصيد، فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ومحمد و اقف معهم، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها، فلما أقبل الخليفة المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر محمد عليه السلام فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة فنظر إليه، وكان الله عز وجل قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمد مسرعاً: "يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسعه عليك بذهابي، ولم تكن لي جريمة فأخشاها، وظني بك حسن إنك لا تضر من لا ذنب له فوقفت". فأعجبه كلامه ووجهه فقال له: ما اسمك؟ فقال: "محمد". فقال: ابن من أنت؟ فقال: "يا أمير المؤمنين أنا ابن علي". فترحم على أبيه وساق إلى وجهته) [١].

١- مطالب السؤول في فضل آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي: ٤٦٨ – ٤٦٩.

لماذا استقدم المأمون الإمام الجواد إلى بغداد؟

كالعادة، كثير من الباحثين الذين اعتبروا المأمون معادياً للإمام الرضا (وآل محمد عموماً) وسبباً مباشراً لقتله بالسم (وقد عرضنا طرحهم سابقاً)، فسّروا أمر استقدام الإمام الجواد بنفس الطريقة التي فسّروا بها استقدام أبيه الرضا إلى خراسان! إذ اعتبروا أنّ قربه من المأمون يوفر للمأمون:

- جعله تحت الرقابة الأمنية المشددة دائماً!
- قطع صلته بالشيعة!
- إغرائه بدنيا العباسيين فيكون واحداً منهم ويدعو إليهم!
- إظهار براءته من قتل الإمام الرضا، وبالتالي التقرّب إلى الشيعة!

هذه مجمل الأسباب التي تعلل بنظرهم مسألة استقدام الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد [1].

أقول: إنّ التعلل بالجانب الأمني لم يصح قبوله مع أبيه الرضا صلوات الله عليه الذي تجاوز عمره الخمسين عاماً كما عرفنا سابقاً فكيف يصح قبوله في ابنه الجواد الذي لم يتجاوز عمره عشرة سنين! وبنظر القائمين على الخلافة: ماذا بوسعه أن يفعل مقابل امبراطورية ضخمة تمتد من الصين إلى حدود أوروبا! هل يعقل أنها تخشى الإمام اليتيم بهذا العمر فيأخذ حاكمها (الخليفة) قرار مراقبته أمنياً على محمل الجد والأهمية القصوى بحيث يبتدئ به أعماله في بغداد! ثم: من هم الشيعة الذين يُراد للإمام الجواد عليه السلام أن يقطع صلته بهم، وهم لا زالوا مترددين وشاكّين في قبول إمامته ويبحثون في الأمر!

هكذا طرح يصور الحال وكأن الإمام الجواد استلم مهام الإمامة على طبق من ورد واستقبلته مئات أو عشرات ألوف الشيعة بالطاعة والتسليم فشعر المأمون بخطر الجموع والألوف فأبعد إمامهم عنهم! هذا بلا شك طرح خيالي؛ لأن الحقيقة ليست كذلك

١- انظر: الحياة السياسية للإمام الجواد، جعفر مرتضى العاملي: ٩٥ – ٩٧.

تماماً، وسبق أن عرضنا شيئاً من الحال الذي حصل حيث كان خيار الشيعة وكبارهم وعلمائهم بعد شهادة الرضا عليه السلام في حيرة من أمرهم ومترددين في الإيمان بإمامة ابنه الجواد، وأخذت المسألة فترة من الزمن وفدوا خلالها أفراد وجماعات على الإمام سواء في فترة إقامته بالمدينة أو ببغداد [١]، وبدأوا يؤمنون بإمامته تدريجياً نتيجة علمه وإجابته على مسائلهم، وشيئاً فشيئاً بدأ وضع الشيعة يستقر بفضل جهود الإمام الجواد عليه السلام، وكانت إقامته في بغداد عاملاً مساعداً وفّر له حماية وحفظ وسبل أفضل لإنجاز رسالته وليس العكس، كما سيتضح.

أما مسألة إغراء الإمام بالدنيا والملذات التي طرحها بعض الباحثين كسبب لاستقدام الإمام، وطرحها بعض آخر كسبب لتزويج المأمون ابنته "أم الفضل" للإمام، فلعلهم يشيرون بذلك إلى رواية وردت في "الكافي"، وسيأتي مناقشتها، لكن باختصار أقول: إنّ المأمون ليس بليداً إلى الحد الذي لا يعرف فيه قدر آل محمد عليهم السلام أو يشك في أنّ الإمام الجواد واحد منهم! المأمون قبل غيره يعلم يقيناً أنّ من يسعى بهذا الاتجاه (إن كان له وجود أصلاً) هو كمن يسعى إلى جمع الهواء بشبك! ثم إنّه لم يكتفِ باستقدام الإمام وإنما بادر إلى عرض ابنته "أم الفضل" على الإمام بغرض الزواج، وهو أمر لم يتأخر كثيراً عن الاستقدام، وهذا يعني أنّ المأمون كان يعرف قدر الإمام وفضله جيداً وإلا لما زوّجه ابنته التي كان أغلب شباب المسلمين يتمنون أن يحظوا بمثل هذه الفرصة!

تبقى قضية البراءة من قتل الإمام الرضا صلوات الله عليه بالسم، فهذا أمر عرضنا شرحه وبيانه فيما سبق، وتبين أنّ القاتل الفعلي هم العباسيون الذين كانوا ناقمين على المأمون بسبب تقريب الإمام له وتعيينه ولياً للعهد، أما المأمون فجرمه أنه سمح لهم بتنفيذ مخططهم الخبيث، وهو أمر لا يعفيه من المسؤولية كما ذكرنا، لكن هذا لا يعني أنه كان يبغض الإمام ويعاديه وأنه الآمر بقتله وبالتالي فهو بحاجة إلى أن يثبت براءته؟!

١- مسألة استقدام الإمام الجواد إلى بغداد لا تعني أنه بقي فيها إلى وقت شهادته ولم يعد إلى المدينة، بل الصحيح أنه كان يذهب إلى المدينة ويقيم بها فترة ثم يعود إلى بغداد، ولهذا ذكر بعض المؤرخين أكثر من تاريخ لاستقدامه إلى بغداد، فكثيرون ذكروا أنه حصل في سنة ٢٠٤ هـ، وذكر بعضهم أنه حصل في سنة ٢١٥ هـ.

ثم: يثبت براءته لمن؟ هل كان هناك ألوف من الشيعة مثلاً يشهرون سيوفهم ويطلبون بدم الإمام الرضا من المأمون فاضطر إلى أن يثبت براءته لهم واستقدم ابنه الجواد إلى بغداد لتهدئتهم وإسكات غليانهم؟! حقيقة، هذا كلام غير منطقي وفروض ليست و اقعية ولا رصيد تاريخي يؤيدها إطلاقاً!

فتلخص أنّ ما ذكر من أسباب لتفسير مسألة استقدام المأمون للإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد غير صحيح، أما السبب الصحيح للاستقدام فسيتضح لاحقاً.

تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد (ع):

ليس بين المؤرخين شك في زواج زينب "أم الفضل" بنت المأمون من الإمام الجواد صلوات الله عليه، لكن بعضهم ذكر أنه تم في عام ٢٠٢ هـ في خراسان بوجود الإمام الرضا صلوات الله عليه [١]. وبعضهم ذكر أنه حصل في عام ٢٠٤ هـ بعد استقدام الإمام إلى بغداد كما يظهر من النصوص الآتية، وبعضهم ذكر أنه حصل في عام ٢١٥ هـ [٢].

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بأنّ ما حصل في خراسان هو مفاتحة المأمون للإمام الرضا بأمر تزويج ابنته أم الفضل من ولده محمد الجواد الموجود بالمدينة آنذاك وتسميتها له، وهما صغيران، وبغض النظر عن أنّ طرف الحادثة هنا إمام معصوم (الإمام الرضا) فهذا أمر يمكن حصوله ويقبله الشرع وفق ما يرتضيه الآباء لأبنائهم الصغار ثم يُترك الخيار لهما لما يكبرا لإقرار الأمر أو رفضه. أما ما حصل في ٢٠٤ هـ فهو الخطبة للزواج، وما حصل بعد ذلك هو الزواج الفعلي.

١- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٢٦٩.

٢- قال الطبري: (وفي هذه السنة (٢١٥ هـ) شخص المأمون من مدينة السلام لغزو الروم ... فلما صار المأمون بتكريت قدم عليه محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله من المدينة في صفر ليلة الجمعة من هذه السنة ولقيه بها فأجازه وأمره أن يدخل بابنته أم الفضل وكان زوجها منه فأدخلت عليه في دار أحمد بن يوسف التي على شاطئ دجلة فأقام بها فلما كان أيام الحج خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ثم أتى منزله بالمدينة فأقام بها) تاريخ الطبري: ٧ / ١٨٩ – ١٩٠.

وعموماً، ما يهمنا الآن هو معرفة سبب التزويج:

بعض الباحثين فسّروا السبب بنفس منطق تعليل الاستقدام إلى بغداد، باعتبار أنّ تشديد الرقابة الأمنية على الإمام الجواد وقطع تواصله مع شيعته ستكون أكبر، و أيضاً: دفع شبهة قتل الإمام الرضا عنه ستكون أوضح [١]!

أقول: مسألة التعلل بالجانب الأمني وقطع صلة الإمام بالشيعة ودفع المأمون تهمة قتل الإمام الرضا عن نفسه كلها أمور تمت الإجابة عنها في مناقشة سبب الاستقدام، وبخصوص مسألة التزويج أضيف: أنّ المأمون خليفة وحاكم لدولة كبيرة وتأتمر بأمره عشرات آلاف الجنود والقادة فهل ضاقت به السبل لتحقيق غرض مر اقبة شخص بعمر عشرة سنين وتحجيم حركته إلا بتزويجه ابنته وفلذة كبده، وهل يجازف عاقل بابنته لتحقيق غرض يمكنه تحقيقه بسبل أخرى متاحة كثيرة جداً؟!

هل يقبل منطق سليم هذا التبرير أصلاً؟! خصوصاً وأنّ مسألة استقدام الإمام وتزويجه (التزويج بالذات) قد جرّت على المأمون ويلات ونقمة كبيرة من قبل أعمامه العباسيين الذين عاد إليهم من جديد هاجس الخوف من تقريب العلويين والخشية من زوال ملك بني العباس، وخصوصاً أيضاً: أنّ المأمون كان يصر على رفض طلبهم المتكرر في تعيين ولي عهد عباسي، إذ المعروف والثابت عن المأمون أنه لم يعيّن ولي عهد له بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام إلى حين وفاته، وكان يماطل ويرفض طلب العباسيين ولم يعين أحداً بما في ذلك ابنه العباس الذي كان يحبه كثيراً، ولهذا استولى على الخلافة بعده أخوه الأمي البليد المعتصم بن هارون كما هو ثابت تاريخياً!

السبب الحقيقي لاستقدام الإمام الجواد وتزويجه سيتضح لاحقاً.

١- انظر: حياة الإمام محمد بن علي الجواد، باقر شريف القرشي: ٢٨٠ – ٢٨٢.

خوف العباسيين وفشل مخططهم:

بمجرد أن علم العباسيون بأمر استقدام الإمام الجواد إلى بغداد وعرفوا بعزم المأمون على تزويج ابنته له أبدوا خوفهم وقلقهم من تصرف المأمون هذا؛ لأنه ببساطة سلوك يذكرهم بما فعله مع أبيه الرضا عليه السلام، فالتقوا بالمأمون وعرضوا عليه مخاوفهم وتحججوا بصغر السن وما شابه، لكنهم تفاجئوا بعناد المأمون الذي بدا لهم أنّ قراره أمر لا رجعة فيه، فاضطروا إلى أن يفاوضوه في مسألة إخضاع الإمام للاختبار، ويبدو أنهم كانوا مقتنعين بعدم قدرته (خصوصاً بالسن الذي هو فيه) على تخطي امتحانهم له، بخلاف المأمون الذي بدا واثقاً ومتيقناً من قدرة الإمام الجواد عليه السلام على تخطي أي امتحان علمي يخططون له، وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً من أنّ المأمون كان يعلم تماماً بفضل ومنزلة الإمام الجواد، وأيضاً: يؤكد ما ذكرناه (في بحث الإمام الرضا) من تشيّعه أو ميله لآل محمد عليهم السلام ومعرفته بإمامتهم الإلهية.

وبالفعل، اجتاز الإمام الجواد اختبارهم الذي أسندوا فيه المهمة إلى أكبر فقهائهم "القاضي يحيى بن أكثم"، وانتصر الإمام الجواد نصراً علمياً مؤزراً، ما دعا المأمون (المسرور بطبيعة الحال بما حصل) أن ينتهز الفرصة لإتمام مشروعه ويعرض على الإمام التقدم رسمياً لخطبة ابنته إن كان يرغب بذلك، فقبل الإمام وخطب لنفسه وزوّجه المأمون من ابنته أم الفضل في نفس المجلس الغاص بكبار العباسيين وقادة الدولة ووزرائها والمقربين منها:

(عن الريان بن شبيب قال: لما أراد المأمون أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه فقالوا له: ننشدك الله - يا أمير المؤمنين - (أن تقيم) على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله، وينزع منا عز قد ألبسناه الله وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديما وحديثا، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم، وأما ما كان يفعله من كان قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، أعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالأمر و أنزعه عن نفسي فأبى، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، و أنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيت فيه.

فقالوا: إن هذا الصبي وإن راقك منه هديه، فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم إنني أعرف بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين به ما وصفت من حاله.

قالوا له: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخل بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شئ من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه. فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم.

فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي القضاة على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوما للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك.

واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دست، وتجعل له فيه مسورتان، ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر عليه السلام.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام: "سل إن شئت". قال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرم قتل صيدا؟

فقال له أبو جعفر: "قتله في حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أم جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أم عبدا؟ صغيرا كان أم كبيرا؟ مبتدئا بالقتل أم معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد كان أم كبارها؟ مصرا على ما فعل أو نادما؟ في الليل كان قتله للصيد أم نهارا؟ محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرما؟".

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟ قال: "نعم يا أمير المؤمنين" فقال له المأمون: اخطب، جعلت فداك لنفسك، فقد رضيتك لنفسي و أنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: "الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته. أما بعد: فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: "و أنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم" ثم إنّ محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليهما السلام وهو خمسمائة درهم جياداً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟".

قال المأمون: نعم، قد زوجتك أبا جعفر أم الفضل ابنتي على هذا الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟ قال أبو جعفر عليه السلام: "قد قبلت ذلك ورضيت به". فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة.

قال الريان: ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون سفينة مصنوعة من فضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوءة من الغالية (طيب)، فأمر المأمون أن تخضب لحى الخاصة من تلك الغالية، ثم مدت إلى دار العامة فطيبوا منها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم ...) [1].

ولما كان المأمون يهمه أن يعرّف الحضور قدر الإمام الجواد، طلب منه أن يبين الجواب على السؤال الذي فصّل فروعه ووجوهه:

يكمل الريان بن شبيب روايته فيقول:

(فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت - جعلت فداك – أن تذكر الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: "نعم، إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئا من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه للعمرة نحره بمكة. وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم، وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحر في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة".

١- الإرشاد، المفيد: ٢٨١ – ٢٨٥.

فقال له المأمون: أحسنت - أبا جعفر - أحسن الله إليك).

بالمقابل، عرض المأمون على الإمام الجواد عليه السلام إن كان يرغب بتوجيه سؤال إلى الفقيه يحيى بن أكثم لتكون محصلة الاجتماع "واحدة بواحدة" كما يقال، وواضح من هذا العرض أنّ المأمون كان مهتماً بإفشال مخطط العباسيين وإحراج من انتدبوه للمهمة بصورة أكبر، ومن جانب آخر: أراد إعلاء كعب الإمام الجواد بصورة أوضح، وبالنتيجة يبرهن للحضور صواب مخططه الذي تحقق؛ أعني تزويج ابنته للإمام:

(فقال له المأمون: أحسنت - أبا جعفر - أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر ليحيى: "أسألك؟". قال: ذلك إليك - جعلت فداك - فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: "خبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟".

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال له أبو جعفر: "هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراما عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له".

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟! قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال لهم: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحدا في سنه غيره. وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنان دون الست سنين ولم يبايع صبيان غيرهما، أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟!

قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم.

فلما كان من الغد أحضر الناس، وحضر أبو جعفر عليه السلام، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون و أبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية و إقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته، فكان كل من وقع في يده بندقة، أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له. ووضعت البدر، فنثر ما فيها على القواد وغيرهم، و انصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا. وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين. ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظما لقدره مدة حياته، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته) [1].

فائدة: بعض النواصب المتحاملين على آل محمد شكك في الحادثة التي حصلت بين الإمام الجواد وبين يحيى بن أكثم، بحجة أنّ يحيى فقيه معروف وهو أكبر من أن يطرح سؤالاً يعرفه صغار الفقهاء؟

١- الإرشاد، المفيد: ٢٨٥ – ٢٨٨.

وأضاف: أنّ الجواد اكتفى في جواب السؤال بذكر أقسام و أفرع المسألة، وليس كل من يُحسن التقسيم يُحسن الجواب [1]؟!

واضح أنّ هذا الناصبي المشكك أعماه بغضه لآل محمد عن الإنصاف، فهو ربما اعتمد على بعض الروايات التي ذكرت جزءاً من الحادثة واكتفت بذكر سؤال يحيى بن أكثم وتفصيل الإمام الجواد لأفرع المسألة الذي جعل يحيى مبهوتاً! لكن هناك روايات كثيرة ذكرت جواب الإمام كما نقلناه في رواية الريان بن شبيب، ويفترض أنّ الريان غير متهم في روايته باعتباره خال المعتصم العباسي (أي إنّ أخته كانت زوجة لهارون الرشيد)، وروايته أثبتت علم الإمام وجوابه على كل الفروع وليس الأمر كما ادعاه ابن تيمية!

أما أنّ السؤال يفقهه الصغار فيمكنه أن يوجه سؤاله هذا إلى يحيى نفسه إذا شاء الله والتقاه!

حقيقة دوافع المأمون:

يمكننا بيان دوافع المأمون الحقيقية في مسألة الإتيان بالإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد وتزويجه ابنته "أم الفضل" بربطها بما انتهينا إليه في بحث "ولاية العهد" للإمام الرضا صلوات الله عليه كما سيتضح الآن.

رواية غير صحيحة:

الباحثون الذين اعتبروا قضية الاستقدام والتزويج استجابة لدوافع سياسية وأمنية وإغرائية استندوا (في تفسير إغراء الإمام واستمالته إلى الدنيا، وحاشاه) إلى رواية وردت في كتاب "الكافي"، وهذا نصّها:

(علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن الريان قال: احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شئ، فلما اعتل وأراد أن يبنى عليه ابنته

١- منهاج السنة، ابن تيمية: ٤ / ٦٩.

دفع إلي مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهن جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأخيار. فلم يلتفت إليهن وكان رجل يقال له: مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شئ من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار وجعل يضرب بعوده ويغني فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع إليه رأسه وقال: أتق الله يا ذا العثنون قال: فسقط المضراب من يده والعود فلم ينتفع بيديه إلى أن مات قال: فسأله المأمون عن حاله قال: لما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً) [١].

أقول: الرواية لا يمكن قبولها والأخذ بها لسببين:

- الأول: إنهم يعتمدون "السند" كمنهج عام في الأخذ بالرواية كما هو معروف عنهم، والرواية ضعيفة سنداً بسبب الإرسال [٢].
- الثاني: الرواية لا يصح متنها؛ لأنه مخالف للواقع القطعي.

يقول السيد أحمد الحسن عن الرواية: (الراوية غير صحيحة، وأيضاً: الرواية مضطربة. المأمون كان جدّياً، وليس حاله كحال سائر الخلفاء العباسيين. المأمون لازم الإمام الرضا صلوات الله عليه ثلاث سنين، وتعلم منه وتأثر به كثيراً، ولا تصدر منه الأمور التي ذكرت في الرواية. ثم إنّ الإمام الجواد صلوات الله عليه عمره تسع سنين فأي حيل وأي إغراء يريد المأمون أن يفعله معه وهو بهذا العمر! وأما مسألة ورودها في كتاب "الكافي"، فليس كل ما ورد فيه صحيح، ومقولة: "الكافي كافٍ لشيعتنا" لا تعني أنّ كل رواية فيه صحيحة، وإنما تعني أنّ الصحيح الذي فيه يكفي؛ أيّاً كانت نسبته) انتهى [٣].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٤ – ٤٩٥.

٢- انظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي: ٦ / ١٠١، حيث صرح بأنّ الرواية: "مرسلة"، علماً أنّ الإرسال واضح من سندها حيث ورد فيه: "عن بعض أصحابنا" ولم يتم تسميتهم.

٣- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

المأمون يصرح بدوافعه ويجزل إكرام الإمام الجواد:

بعض المؤرخين ذكر تصريح المأمون بالدافع الذي دعاه لاستقدام الإمام الجواد عليه السلام وتزويجه ابنته أم الفضل، وهذا مثال للنصوص:

(وزوج (المأمون) محمد بن الرضى ابنته أم الفضل، وأمر له بألفي ألف درهم، وقال: إني أحببت أن أكون جدّاً لامرئ ولده رسول الله وعلي بن أبي طالب، فلم تلد منه) [١].

واضح أنّ المأمون يعرف قدر الإمام الجواد جيداً ويسعى لأن يحظى بشرف التقرب من الإمام ومصاهرته!

لكن بالرغم من تصريحه الواضح إلا أنّ بعض الباحثين يصرّون على اتهامه بالمكر ووصف قصده وغرضه بالخبث و أنه غير صادق فيما يقول، وكأنهم دخلوا إلى قلبه واطلعوا على نيّته!

تمضي الحقائق التاريخية قدماً وتصف إكرام المأمون وتعظيمه للإمام الجواد، وينقلها الشيعة والسنة على حد سواء، وهذا مثال لها:

- المفيد: (كان المأمون قد شغف بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان فزوجه ابنته أم الفضل وحملها إلى المدينة وكان متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره) [٢].

- المسعودي: (لما توفي الرضا وجّه المأمون إلى ولده الجواد فحمله إلى بغداد و أنزله بالقرب من داره وأجمع على أن يزوّجه ابنته أم الفضل) [٣].

١- تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥٤.

٢- الإرشاد: ٢ / ٢٨١.

٣- إثبات الوصية للمسعودي، عنه: أعيان الشيعة، محسن الأمين: ٢ / ٣٣.

- سبط ابن الجوزي: (وكان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود ولما مات أبوه قدم على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان يعطي أباه وكان قد زوّجه المأمون بابنته أم الفضل كما ذكرنا) [١].

"وأعطاه ما كان يعطي أباه": كان المأمون قد خصّص مبلغاً سنوياً للإمام الرضا عليه السلام يصرفه في شؤون رعيته وعياله وأعماله قدره مليون درهم [٢]، ونفس هذا المبلغ خصّصه للإمام الجواد عليه السلام.

- تصف إحدى الروايات لقاء حصل بين المأمون والإمام الجواد عليه السلام ودخوله عليه في بغداد:

(... فلما رآه قام إليه وضمّه إلى صدره ورحّب به ولم يأذن لأحد بالدخول عليه ولم يزل يحدثه ويسارّه، فلما انقضى ذلك قال له أبو جعفر عليه السلام: يا أمير المؤمنين فقال له المأمون: لبيك وسعديك قال: لك نصيحة فاقبلها فقال المأمون: فحمداً وشكراً فما ذلك فقال عليه السلام أحب أن لا تخرج بالليل فإني لست آمن عليك من هذا الخلق المنكوس وعندي حرز تحصن به نفسك وتحترز من الشرور والبلايا والمكاره والآفات والعاهات ...، فقال المأمون: تكتب ذلك بخطك وتبعث به إلي لا ينتهي فيه إلى ما ذكرته فقال: حبا وكرامة، فقال له المأمون: فداك عمك ان كنت تجد علي شيئا مما قد رصد مني فاعف واصفح، فقال عليه السلام: لا أجد شيئا ولم يكن الا خيرا، فقال المأمون: والله لأتقربن إلى الله تعالى بخراج الشرق والغرب ولأغدون غداً و أنفق فيه ما أملك كفارة لما سلف ثم قال: يا غلام الوضوء والغداء وادخل بني هاشم فدخلوا واكلوا معه وامر لهم بالخلع والجوائز على الاقدار، ثم قال لأبي جعفر عليه السلام انصرف في كلائة الله عز

١- تذكرة الخواص: ٣٥٤.

٢- قال سبط بن الجوزي: (وذكر أبو بكر الصولي في كتاب "الأوراق" أن هارون كان يجري على موسى بن جعفر وهو في حبسه كل سنة ثلاثمائة ألف درهم و أنزله عشرين ألفاً، فقال المأمون لعلي ابن موسى: لأزيدنك على مرتبة أبيك وجدّك فأجرى له ذلك ووصله بألف ألف درهم) تذكرة الخواص: ٣٥٥.

اسمه وحفظه فإذا كان في الغد فابعث إلي بالحرز، فقام عليه السلام وركب وأمر القواد أن يركبوا معه حتى يأتي منزله) [١].

ملاحظتان:

الأولى: إنّ مبلغ المليون درهم الذي خصّصه المأمون للإمام الرضا صلوات الله عليه كراتب سنوي يتكرر عليه، كان أحد الأسباب التي أعانته على إنجاز رسالته الإلهية في نشر الدين الحق ومواجهة فتنة الواقفة وتحجيمها إلى أقصى درجة ممكنة. والملفت أنّ المأمون (بعد شهادة الإمام الرضا) أبقى نفس المبلغ يجريه على الإمام الجواد صلوات الله عليه: "وأعطاه ما كان يعطي أباه". ولا شك أنّ المبلغ ضخم جداً (بحسب بعض المؤرخين: الدرهم في ذلك الوقت = قيمة شاة)، وبالتالي فهو أكبر بكثير من مسألة اعتباره إعانة له على تدبير شؤونه الشخصية والأسرية، فما سبب ذلك يا ترى؟

الجواب: إننا نتحدث عن إمام معصوم يعيل رعيته كما يعيل أسرته، وقبل ذلك يعيل كافة شؤون رسالته ومهمته الإلهية المطلوب منه إنجازها، وكل ذلك يتطلب مصدراً مالياً ضخماً؛ لا سيما في مثل حالته التي عانى فيها الإمام من حيرة أغلب الشيعة وشكهم بإمامته بسبب صغر سنه كما لاحظنا سابقاً، وهذا يستدعي بطبيعة الحال تفريغ عدد من المؤمنين الموقنين لنصرة الحق وإرشاد الأمة المؤمنة وتبصيرهم وتعليمهم لإزالة الشك عن قلوبهم، ثم إدامة التعليم والتثقيف كما تتطلبه كل رسالة إلهية عادة، هذا إضافة إلى وجود عدد كبير من الفقراء والمساكين المحتاجين بينهم، وقد ساهم المبلغ الذي خصصه له المأمون بتغطية الجانب الأغلب من هذه الأمور، وكان الإمام يصرفه في نصرة دين الله بتمامه، وطيلة حياة المأمون لم يكن الإمام يحتاج إلى مال من أي جهة كانت لتغطية نفقات رسالته وأُمّته، وبحسب النصوص لم يحصل أنه اشتكى من حاجة أو ضائقة من هذا الجانب في فترة حياة المأمون، بخلاف الحال بعد وفاته فإنه خاطب بعض شيعته وطلب منهم أن يرسلوا إليه مال الخمس لتدبير أمور رسالة الله والأمة المؤمنة:

١- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١١٦ – ١١٧.

(عن محمد بن الفرج، قال: كتب إلي أبو جعفر عليه السلام: "احمل إليّ الخمس، فإني لست آخذ منكم سوى عامي هذا"، فقبض عليه السلام في تلك السنة) [١].

هذه الحادثة كانت قبل شهادة الإمام بسنة أي في عام ٢١٩ هـ، وهذا يعني أنّ المأمون مضت سنة على وفاته، والخليفة الآن هو المعتصم الذي قام بقطع المبلغ المخصص للإمام الذي كان يجريه له المأمون، ولذلك احتاج الإمام إلى الخمس!

يقول السيد أحمد الحسن:

(تخصيص مبلغ كبير جداً كراتب يتكرر للإمام الجواد، وقدر هذا الراتب هو بقدر راتب ولي العهد السابق "الإمام الرضا صلوات الله عليه" أقلق العباسيين وزاد في شكوكهم حول مسألة تقريب المأمون الإمام الجواد!

المبلغ يعادل راتب الرجل الثاني في الدولة، وهو مبلغ كبير يمكن أن يجيّش جيشاً، فلماذا يعطيه المأمون للجواد؟ لا يوجد سبب غير أنه يعينه على أداء مهمته، وإلا فهل هو مضطر أن يعطيه راتباً ضخماً يعيل عدداً كبيراً من الناس؟

المنطق يفرض التساؤل والبحث عن جواب منطقي مقبول وليس جواباً مبنياً على فكرة مسبقة موهومة لا واقع لها!) انتهى [٢].

يمكننا الآن معرفة أنّ "نصرة دين الله" هو السبب الحقيقي لقبول الإمام الجواد بالمجيء إلى بغداد والزواج من ابنة المأمون. ما فعله الإمام الجواد كان هو السبيل الوحيد المتاح أمامه في ظل الظروف الموضوعية والمنعطفات التي مرّت بها إمامته ورسالته الإلهية، فلا يوجد ضغط أو جبر في المسألة (أعني: الاستقدام أو التزويج) كما يوهم البعض، وقد استعرضنا بعض النصوص التاريخية التي بدا فيها تخيير الإمام بأمر الزواج بشكل واضح.

١- الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٢٢.

٢- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الثانية: تصرفات المأمون مع الإمام الجواد على مستوى القول أو الفعل كلها تؤكد أنّ اعتقاده به كاعتقاده بأبيه الرضا صلوات الله عليهما، والنصوص أيّدت ذلك وقد استعرضنا بعضاً منها، أما الإصرار على تفسير أفعاله و أقواله بالمكر والخبث والكره للإمام فهو إصرار على وهم لا قيمة له بعد أن اجتمع المنطق والواقع والنص التاريخي على رفضه!

حوار بين المأمون وعمّته:

هذه رواية تاريخية تحكي حواراً هاماً جرى بين المأمون وعمّة أبيه يكشف النقاب عن كثير من الأمور التي لم يسلّط عليها الضوء في الطرح التقليدي الذي تناول مسألة تعامل المأمون مع آل محمد وبالخصوص الرضا و ابنه الجواد صلوات الله عليهما.

الحوار جرى بعد وصول المأمون إلى بغداد، والرواية صريحة في أنّ المأمون كان عازماً على إبقاء الخضرة كشعار للدولة وعدم إرجاع السواد العباسي، لكنه بالنتيجة رضخ للواقع وأرجع السواد، و أيضاً: تعامل بواقعية في مسألة علاقته بالإمام الجواد و اكتفى بتقريبه له وتزويجه ابنته وكان يطمح إلى الأكثر من ذلك كما تنص رواية سبط ابن الجوزي، يقول:

(وزعم قوم أنّ المأمون سمّه وليس بصحيح فإنه لما مات علي توجع له المأمون وأظهر الحزن عليه وبقي أياماً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شراباً وهجر اللذات، ثم أتى بغداد فدخلها في صفر سنة أربع و مائتين ولباسه ولباس أصحابه جميعاً الخضرة وكذا أعلامهم، وكان قد بعث المأمون الحسن بن سهل إلى بغداد فهزمهم واختفى إبراهيم ابن المهدي ونزل المأمون بقصر الرصافة.

قال الصولي: فاجتمع بنو العباس إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكانت في القعدد و السؤدد مثل المنصور فسألوها أن تدخل على المأمون و تسأله الرجوع إلى لبس السواد و ترك الخضرة و الاضراب مثل ما كان عليه؛ لأنه عزم بعد موت علي بن موسى أن يعهد إلى محمد بن علي بن موسى الرضا و إنما منعه من ذلك شغب بني العباس عليه؛ لأنه كان قد أصر على ذلك حتى دخلت عليه زينب، فلما دخلت عليه قام لها

ورحّب بها و أكرمها فقالت له: يا أمير المؤمنين إنك على برّ أهلك من ولد أبي طالب والأمر في يدك أقدر منك على برّهم والأمر في يد غيرك أو في أيديهم فدع لباس الخضرة وعد إلى لباس أهلك ولا تطمعن أحداً فيما كان منك، فعجب المأمون بكلامها وقال لها: والله يا عمة ما كلمني أحد بكلام أوقع من كلامك في قلبي و لا أقصد لما أردت و أنا أحاكمهم إلى عقلك، فقالت: و ما ذاك؟ فقال: ألست تعلمين أن أبا بكر (رض) ولي الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يول أحداً من بني هاشم شيئاً؟ قالت: بلى قال: ثم ولي عمر فكان كذلك، ثم ولي عثمان فأقبل على أهله من بني عبد الشمس فولّاهم الأمصار ولم يولِ أحداً من بني هاشم، ثم ولي علي عليه السلام فأقبل على بني هاشم فولّى عبد الله بن عباس البصرة وعبيد الله بن عباس اليمن و ولى معبداً مكة وولى قثم بن العباس البحرين و ما ترك أحداً ممن ينتمي إلى العباس إلا ولّاه فكانت له هذه في أعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت، فقالت: لله درك يا بني ولكن المصلحة لبني عمك من ولد أبي طالب ما قلت لك، فقال: ما يكون إلا ما تحبّون. ثم فكّر في أمره وولاية محمد بن علي العهد فرأى أنّ القواعد تنخرم عليه وربما خرج الأمر من يد بني العباس وبني علي لسبب الاختلاف وأنّ في الارض بقايا من بني أمية فربما وجدوا الفرصة في تفريق الكلمة و إثارة الفتنة فجلس لبني العباس وجمعهم ودعى بحلة سوداء فلبسها وترك الخضرة ولبس الناس كذلك فلم تلبس الخضرة ببغداد سوى ثمانية أيام) [1].

١- تذكرة الخواص: ٣٥٥ – ٣٥٦.

المأمون وحالة تأنيب الضمير!

إقدام المأمون على الإتيان بالإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ثم تزويجه ابنته "أم الفضل" لم تكن دو افعه سياسية كما فهم الكثيرون، فالقصة لها أبعاد أخرى لمن يتحرّى الإنصاف وطلب الحقيقة.

ينبغي ابتداءً استذكار ما انتهينا إليه في بحث "ولاية العهد" التي أسندها المأمون للإمام الرضا عليه السلام، حيث تبيّن هناك أنّ المأمون من الناحية الاعتقادية كان مؤمناً بإمامة الرضا ومتشيّعاً له أو لا أقل يحبّه ويميل إليه وهو السبب الحقيقي في إسناد منصب ولاية العهد إليه، لكن ما حصل هو أنّ العباسيين تمردوا على المأمون وخلعوه عن الخلافة في بغداد ونصّبوا خليفة من طرفهم، ثم توسع أمرهم واشتد وقضموا جزءاً كبيراً من دولته وهددوه بالسير إليه بخراسان نفسها وقد تنجر الأمور إلى قتله، فاضطر (من أجل الحفاظ على ملكه) إلى أن يعقد معهم اتفاقاً يقضي برفع يده عن الإمام الرضا والفضل بن سهل مقابل إعادة الاعتراف به، فو افق وسمح لهم بتمرير مخططهم الذي انتهى باغتيال الفضل بن سهل أولاً ثم الإمام الرضا بالسم ثانياً! وبالتالي فالمأمون فشل في صبره على الحق الذي عرفه واعتقد به، وتنازل عن اعتقاده في لحظة انهزام منه واضحة أمام مغريات الملك والدنيا، ولكنه أبداً لم يكن يبغض الإمام الرضا صلوات الله عليه، ولم يكن يرغب بقتله!

ولهذا رأيناه في النص المتقدم يصرّح للعباسيين بأنه غير نادم على تعيينه الإمام الرضا ولياً لعهده بل واعترف لهم بأنه تنازل له عن الخلافة لاعتقاده بأحقيته لكنه (أي الإمام) رفضها، كما أشار إلى أنّ أباه "هارون" ومن سبقه من خلفاء بني العباس كانوا قاطعين للرحم (يقصد الطالبيين وآل محمد بالخصوص)، ونفس اعتقاد المأمون هذا بالإمام الرضا حمله معه في التعامل مع ولده الجواد عليه السلام، ولهذا كان و اثقاً من انتصار الإمام في الامتحان الذي خطط له العباسيون بالرغم من صغر سنّه فالعمر بالنسبة لآل محمد لا يعني شيئاً، والوثوق هذا كان نتيجة اعتقاده بإمامة آل محمد وعلمه بعظيم منزلتهم وقدرهم.

ثم إنّ المأمون وإن كان ينفي عن نفسه قتل الإمام الرضا صلوات الله عليه بشكل فعلي ومباشر، لكنه في نفس الوقت يعرف تماماً أنه السبب في ذلك بعد اتفاقه مع العباسيين على تنفيذ مخططهم وتقصيره في حماية الإمام!

المأمون إذا كان ينفي الجرم عن نفسه ظاهراً فهو على المستوى النفسي والداخلي يعيش ألماً وتأنيباً للضمير، وقد ظهر منه ذلك مباشرة بعد شهادة الإمام لما انهار ولازم قبره ثلاثة أيام حزيناً باكياً!

لا ننسى أنّ المأمون لازم الإمام الرضا ثلاث سنين بشكل دائم ومستمر وتعلم منه الكثير، رأى طهره وأخلاقه وصبره وزهده وعلمه وتواضعه وورعه ورحمته وعدله، رأى صفاء روحه ونقاوة قلبه وسعة صدره وبعد غوره، وكان على استعداد تام بأن يفرط بالكثير من بني العباس مقابل الاحتفاظ بعلي بن موسى الرضا قريباً منه، ولهذا كانت سيرته تختلف عن سيرة سائر العباسيين بسبب تربية الإمام له [١]!

كان من الصعب جداً على المأمون أن يغادر فكره الأثر الذي تركه الإمام الرضا في مخيلته، وكانت ذكراه تطارده! بالطبع يفترض أن يكون هذا حال أشد المخلصين وفاء وتضحية للإمام فما بالك بالمأمون الذي يعتبر نفسه سبباً في التفريط بهذا الطهر العظيم الذي قتل أمامه ولم يدفع عنه شيئاً!

ربما من يدرك هذه الحقيقة يتمكّن من تفسير سرعة استقدام المأمون لابن الرضا "الجواد إلى بغداد وإسكانه بدار إلى جنبه، هو الآن يريد إراحة ضميره المعذّب من خلال رعاية وإكرام "بقية الرضا" اليتيم، لأنه يعرف أنه قصّر مع أبيه الذي كان يحبه كثيراً ولم يدفع عنه القتل! فتح المأمون يده للإمام الجواد وخصّص له مبلغاً سنوياً قدره مليون درهم وهو مبلغ ضخم جداً أثار استغراب بعض المؤرخين، وكأنّ لسان حاله يقول: سمحت

١- المأمون أصغر من الإمام الرضا بـ٢٢ عاماً؛ لأنه ولد سنة ١٧٠ هـ وولادة الإمام الرضا كانت في عام ١٤٨ هـ، ولذلك لما كان يعلمه وينصحه كان الإمام قد تجاوز الخمسين من عمره بينما المأمون أشرف على الثلاثين.

بقتل أبيك بسبب الدنيا، فهذا المال أمامك خذ منه ما تريد، بل وهذه ابنتي خذها إن رضيت بها زوجة لك!

علماً، أنّ دافعه ليس نفسياً فحسب ولكنه ناشئ من اعتقاد أيضاً. وقد انتبه بعض المؤرخين إلى شدة اهتمام المأمون ورعايته للإمام الجواد عليه السلام، كما لاحظنا نصوصهم التي تقدمت.

المأمون وإن ترك خراسان ونزل بغداد واعترف به العباسيون وعاد الهدوء إلى ملكه ودولته بعد أن وفى للعباسيين ببعض الشروط وهو السماح لهم بقتل الإمام الرضا صلوات الله عليه، لكن لا زالت هناك شروط أخرى لم ينفذها؛ منها: تنصيب ولي عهد عباسي له، ومنها: ترك الخضار كشعار ولباس والرجوع إلى السواد كما كان عليه الحال من قبل! وبالنسبة لاختيار ولي عهد، فإنّ المأمون لم يستجب لطلبهم وبقي يماطل إلى وقت وفاته بالسم سنة ٢١٨ هـ بتخطيط من العباسيين أنفسهم! أما بالنسبة إلى إرجاع السواد فقد رضخ لهم كما تقدم في حواره مع عمّته.

ما يهمنا الآن، هو التركيز على أنّ المأمون نزل بغداد وهو متألم ويعتبر نفسه سبباً فيما جرى على الإمام الرضا، فأراد أن يريح نفسه من حالة تأنيب الضمير ففعل ما فعل مع ابن الرضا الإمام محمد الجواد عليه السلام من تكريم واهتمام وعلى حد وصف رواية الريان أنه كان يؤثره على ولده وأهل بيته طيلة حياته!

لكن أصل الاستقدام والتعجيل به كان اقتراحاً تقدم به وزيره الحسن بن سهل فور وصول المأمون إلى بغداد! فمن هو الحسن بن سهل، وما هي عقيدته؟

الحسن بن سهل وزير المأمون:

الحسن بن سهل، أخو الفضل بن سهل، كان والياً على العراق من طرف المأمون أيام وجوده بخراسان، وهو أبو زوجته "بوران"، وبعد مقتل الفضل بن سهل عيّنه المأمون وزيراً له مكان أخيه في الكتاب الذي بعثه إليه يعزيه فيه بموت أخيه [١].

و أيضاً: كتب إليه المأمون كتاباً يعزيه ويعلمه بشهادة الإمام الرضا صلوات الله عليه وما دخله من الغم بسبب موته:

(وكتب (المأمون) في شهر ربيع الأول إلى الحسن بن سهل يعلمه أنّ علي بن موسى بن جعفر مات، ويعلمه ما دخل عليه من الغم والمصيبة بموته) [٢].

لكن لماذا يعزيه بالذات؟

السبب: لأنّ الحسن بن سهل – كأخيه الفضل بن سهل – كان من شيعة الإمام الرضا ومواليه، وكان يتعلّم منه الدين الحق كما أوضحت ذلك بعض الرو ايات:

(عن هاشم بن إبراهيم العباسي قال: قلت للرضا عليه السلام أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة، قال: ومن هو؟ قلت: الحسن ابن سهل أخو الفضل بن سهل ذي الرياستين، قال: في أي شئ المسألة؟ قلت: في التوحيد، قال: في أي التوحيد؟ قلت: يسألك عن الله جسم أو ليس بجسم؟ فقال: إنّ الناس في التوحيد ثلاثة، فمذهب إثبات تشبيه لا يجوز، ومذهب النفي لا يجوز، فلا محيص في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه) [٣].

"مواليك": أي شيعتك.

١- لما ألقى المأمون القبض على قتلة الفضل بن سهل: (أمر بهم فقتلوا وبعث برؤوسهم إلى الحسن بن سهل إلى واسط وأعلمه ما دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل و أنه قد صيّره مكانه) تاريخ الطبري: ٧ / ١٤٨ – ١٤٩.

٢- تاريخ الطبري: ٧ / ١٥٠.

٣- تاريخ الطبري: ٧ / ١٥٠.

تشيع الحسن بن سهل أو اتصافه بـ "الرفض" على حد وصف بعض العباسيين له أمر شائع ومعروف؛ إذ كان رائجاً بين العباسيين وغيرهم أنّ مسألة استقدام الإمام الرضا من المدينة إلى خراسان وتقليده منصب ولاية العهد إنما كان بتخطيط آل سهل (الفضل والحسن)، لذلك لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي بعد وصوله إلى بغداد وعفا عنه، قال له إبراهيم معتذراً عن فعله:

(ووالله جل شأنه، وحق رسول الله وحق جدي العباس ما دخلت فيما دخلت فيه إلا لأبقي هذا الأمر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت الحسن ابن سهل قد حمله البطر والرفض على أن يخرج الخلافة عنك) [(١)].

الرفض: يعني أنّ الحسن بن سهل "رافضي"، وهو مصطلح يطلق على الشيعي في ذلك الوقت.

بعض من ترجم حياة الحسن بن سهل اعترف بذلك أيضاً:

- (فصل: وممن كان عالماً بالنجوم من المنسوبين إلى الشيعة الحسن بن سهل وقد ذكره جدي أبو جعفر الطوسي في "كتاب الرجال" من أصحاب الرضا عليه السلام) [(٢)].

- (الحسن بن سهل: أخو الفضل ذي الرياستين، ويعرف الحسن بذي القلمين، من أصحاب الرضا صلوات الله عليه كما عده الشيخ في رجاله) [(٣)].

وقد ثبت تشيّع أخيه الفضل بن سهل أيضاً، كما تقدم.

١- الفرج بعد الشدة، القاضي التنوخي: ٢ / ٢٥٥.

٢- فرج المهموم، ابن طاووس: ١٣٣.

٣- مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ٢ / ٤٠٢.

ولأن تشيّع الحسن بن سهل أمر معروف أبعده المعتصم العباسي عن الوزارة بمجرد استخلافه بعد موت المأمون، بل كان يبغضه وصادر بعض أملاكه [١]. علماً، أنّ بعض كبار أصحاب الإمام الرضا كانوا من رجال الحسن بن سهل كالريان بن الصلت [٢].

وبصرف النظر عن النصوص التاريخية والروائية التي تؤكد تشيع الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل، فإنّ الواقع وسير الأحداث يؤكدان ذلك أيضاً؛ باعتبار أنّ ابني سهل بالأساس تربّوا عند آل برمك (يحيى البرمكي وابنيه جعفر والفضل)، بل بحسب وصف بعض المؤرخين أنهما "صنيعة البرامكة"، ولما ثبت تشيع البرامكة للإمام الكاظم صلوات الله عليه كما عرفناه في أواخر بحث رسالته وشهادته في الجزء السابق من "يوم الحسين"، فمن الطبيعي جداً أن يعتقد صنيعتهم بعقيدتهم ويتولّيا من يتولّون!

(وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم (يدبّر بعض الشؤون) ليحيى بن خالد بن برمك وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معهما فضم جعفر [الفضل] ابن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فغلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل بخراسان فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزيه بأخيه ويعلمه أنه قد استوزره وأجراه مجراه فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد يخالف للحسن أمراً ولا يخرج له من طاعة إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا بالعهد فغضب بنو العباس وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي فحاربه الحسن بن سهل فضعف عنه فانحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ووجه من فم الصلح من حارب إبراهيم فضعف أمر إبراهيم واستتر وقد تقدم ذكر ذلك ثم دخل المأمون بغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين) [٣].

١- روى ابن طاووس: (علي بن محمد بن العباس قال: كان المعتصم منحرفاً عن الحسن بن سهل وأصحابه وقد كان حاز كثيراً من أملاكهم) فرج المهموم: ١٣٨.

٢- روى الصدوق: (قال علي بن إبراهيم: وحدثني الريان بن الصلت وكان من رجال الحسن بن سهل ...) عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٦٠.

٣- وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢ / ١٢١.

(الفضل بن سهل السرخسي كان وزير المأمون ومدبر أموره، كان مجوسيا فأسلم على يدي يحيى البرمكي وصحبه، وكان من صنايع آل برمك ولقب بذي الرياستين لأنه قلد الوزارة ورياسة الجند، وجمع بين السيف والقلم) [١].

وقد تقدم أنّ العباسيين أقدموا على اغتيال الفضل بن سهل في سنة ٢٠٢ هـ، وأما الحسن بن سهل فقد توفي في سنة ٢٣٦ هـ [٢]، رحمة الله عليهما.

ثم أقول: كما كان الفضل بن سهل مهندس إقناع المأمون لاستقدام الإمام الرضا وتعيينه ولياً للعهد كما عرفنا سابقاً، كان أخوه الحسن بن سهل مهندس عملية استقدام الإمام الجواد إلى بغداد بغرض حمايته ورعايته بعد شهادة أبيه كما سنعرفه الآن.

فصل الخطاب في استقدام الجواد (ع) إلى بغداد وتزويجه:

يقول السيد أحمد الحسن:

(الحسن بن سهل شيعي، وقد اهتم بالإمام الجواد صلوات الله عليه وحرص على حمايته. هو تولّى وزارة المأمون بعد الفضل، ولم تقرّ له عين حتى استقدم الجواد إلى بغداد.

المأمون بعد أن سمح للعباسيين باغتيال الإمام الرضا كان يحس بعظم المصيبة التي ألمّت به وأردته في هاوية لا نهاية لها، لهذا بعد اقتراح الحسن بن سهل استقدام الجواد فرح بالأمر؛ باعتبار أنه لعله يكفّر عن فعلته النكراء بسماحه للعباسيين بسم الإمام الرضا صلوات الله عليه.

١- الكنى والألقاب، عباس القمي: ٢ / ٢٥٤.

٢- انظر: مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٥ / ٢٢٦.

وحتى إنه لما استقدم الإمام الجواد إلى بغداد وقرّر بعد فترة تزويجه ابنته، ثارت ثائرة العباسيين واعترضوا عليه؛ خوفاً من أن يولّيه ولاية العهد كما فعل مع أبيه، ولكنه أصرَّ على الأمر وأتم الزواج.

وأيضاً: المأمون لم يعيّن ولياً للعهد بعد الإمام الرضا وبعد ثورة العباسيين على استقدام الجواد وتزويجه ابنته، المأمون إلى أن مات لم يعيّن حتى ابنه العباس ولياً للعهد، فاستغل أخوه المعتصم بن هارون الأمر واختاره العباسيون خليفة لهم!

عموماً، الحسن بن سهل مثل أخيه الفضل بن سهل؛ ربيب للبرامكة، وهم (أي البرامكة) من بثوا فيه حب آل محمد عليهم السلام.

البرامكة وآل سهل كلهم فرس، فكانوا قريبين من بعضهم بحكم عملهم والترجمة التي يُكلَّفون بها في بعض الأحيان، إضافة إلى كون الفضل والحسن ابني سهل تربّوا في كنف يحيى البرمكي) انتهى [1].

كلام السيد أحمد الحسن كشف النقاب عن حقيقة مغيّبة، لكنها في نفس الوقت وجدنا لها شواهد كثيرة وإن كان بعضها مركوناً في زوايا التاريخ ولم يسلّط عليه الضوء، وبصرف النظر عن الشواهد فإنّ ما ذكره – كما رأينا – لا يصطدم بواقع أو بمناقضة منطق سليم مثلما لاحظناه في الأسباب السابقة التي ذكرها بعض الباحثين!

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

الإمام الجواد (ع) فيما تبقى من عهد المأمون:

الزواج الفعلي:

بعض المؤرخين – كما تقدم – ذكروا أنّ زواج الإمام الفعلي كان في عام ٢١٥ هـ، وبعضهم ذكر أنّ الزواج تم قبل ذلك والإمام بعمر ١٥ عاماً أي في سنة ٢١١ هـ.

و أيّاً يكن الأمر، فبعد زواجه ببغداد دخل عليه ابن عمّه أبو هاشم الجعفري (من ذرية جعفر الطيار) من ضمن المهنئين وهنّأه بزواجه [١].

وبعد زواجه أقام الإمام فترة ببغداد، ثم رحل بزوجته إلى المدينة و أقام فيها فترة أيضاً، وشاء الله أن لا يكون للإمام ذرية من زوجته أم الفضل، فتزوج من إحدى إمائه فانزعجت أم الفضل وشكت الإمام إلى أبيها المأمون:

(أن أم الفضل بنت المأمون كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر عليه السلام وتقول: إنه يتسرّى عليّ ويغيرني، فكتب إليها المأمون: يا بنية، إنا لم نزوجك أبا جعفر لتحرّمي عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها) [٢].

زعم بعض المؤرخين أنّ أم الفضل بقي في قلبها غل وحقد على الإمام بسبب هذا الأمر حتى اغتالته بالسم، وهو أمر غير صحيح كما سنعرف.

١- (قال لأبي جعفر عليه السلام أبو هاشم الجعفري في يوم تزوج أم الفضل ابنة المأمون: يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم، فقال: يا أبا هاشم عظمت بركات الله علينا فيه، قلت: نعم يا مولاي فما أقول في اليوم، فقال: تقول فيه خيرا فإنه يصيبك، قلت: يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه، قال: إذا ترشد ولا ترى إلا خيرا) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٧٩.

٢- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٢٨٨.

اغتيال المأمون:

على خلاف سيرة خلفاء بني العباس، كان المأمون يخرج مع جيشه إلى الغزوات، و أثناء خروجه إلى الشام لغزو الروم، توقف في مدينة طرطوس (بلدة في الشام) و أقام فيها واشتهى رطباً، فقدم إليه رطب جاء به البريد من بغداد، فأكل منه وأخوه المعتصم وسعيد العلاف (رجل كان معهما)، فاعتلوا جميعاً، لكن المأمون ازدادت علته وساء وضعه إلى أن مات في رجب سنة ٢١٨ هـ بعمر ٤٨ عاماً ودفنه أخوه المعتصم و ابنه العباس في طرطوس.

يقول سعيد العلاف: (فأكل هو و أبو إسحاق (المعتصم) وأكلت معهما وشربنا جميعاً من ذلك الماء فما قام منا أحد إلا وهو محموم فكانت منية المأمون من تلك العلة) [١].

مسألة أن يكون الرطب القادم من بغداد (أي: من بني العباس) مسموماً واردة جداً؛ لا سيما وأنّ العباسيين لم يرق لهم سلوك المأمون مع آل محمد منذ توليه الحكم، فهم كانوا يتحيّنون أي فرصة للخلاص منه؛ طمعاً بديمومة الدنيا والملك الذي كان بقاؤه مهدداً طالما بقي المأمون على هرم الخلافة؛ خصوصاً بعد إصراره على مخالفتهم بإبقاء منصب ولاية العهد شاغراً ويمكن (بنظرهم) أن يملأه المأمون بتعيين الإمام الجواد (صهره الذي تعلّق به) بأي لحظة؛ لاسيما و أنه أجرى له راتباً يضاهي راتب "ولي العهد السابق"!

يقول السيد أحمد الحسن:

(... فبعد عملية قتل الإمام الرضا صلوات الله عليه والفضل بن سهل بأشهر قليلة ذهب المأمون إلى بغداد بعد أن مهّد له العباسيون هناك الأمر بانقلابهم على إبراهيم بن المهدي وعزلهم له، فدخلها و أتم حكمه دون أي مشكلة، وسبب عزل العباسيين لإبراهيم هو وجود الاتفاق بينهم وبين المأمون كما توضح الآن. وبالمناسبة، لم يفعل المأمون شيئاً

١- تاريخ الطبري: ٧/ ٢٠٧ – ٢٠٨.

لإبراهيم بن المهدي ولأخيه المعتصم مع أنه كان رأس الحربة في تقويم خلافة إبراهيم، والسبب أنّ هذا كان جزءاً من الاتفاق!

لكن نفس هؤلاء الذين اتفق معهم المأمون وسمح لهم باغتيال الإمام علي بن موسى الرضا بالسم اغتالوه بالسم أيضاً لاحقاً؛ لأنهم بقوا غير راضين عنه واختلفوا معه فيما بعد في أمور كثيرة؛ منها: استقدامه الإمام الجواد إلى بغداد وتزويجه ابنته، وترك منصب ولاية العهد شاغراً بعد شهادة الإمام الرضا) انتهى [١].

في وقت وفاة المأمون كان عمر الإمام الجواد عليه السلام بحدود ٢٣ عاماً وكان يقول: "الفرج بعد وفاة المأمون بثلاثين شهراً" [٢]، يعني سنتين ونصف، وكان كما قال، إذ كانت شهادة الإمام في ذي الحجة سنة ٢٢٠ هـ.

الإمام الجواد (ع) في عهد المعتصم العباسي:

بويع محمد المعتصم بن هارون بالخلافة بعد موت أخيه المأمون، وكان معروفاً عنه التبلّد والحماقة وعدم الأهلية للخلافة. نعم، ربما يحسن القتال وإذا غضب لم يفرق بين من قتل ولا ما فعل، كما قيل في وصفه [٣]. ولذا لم يكن أبوه ولّاه على شيء في حياته كما فعل مع بقية إخوته الأمين والمأمون والمؤتمن.

كان أمّياً لا يقرأ ولا يكتب، كثير اللهو مسرفاً على نفسه [٤]. أمه: "ماردة" من أصل تركي؛ وربما لأجل ذلك قرّب الأتراك إليه واعتنى بمجيئهم إلى بغداد وقلّدهم مناصب رفيعة في الدولة وقيادة الجيش [٥].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٦٤.

٣- انظر: تاريخ أبي الفدا: ٢ / ٣٥.

٤- انظر: نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري: ٢٢ / ٢٦٠؛ العبر في أخبار من غبر، الذهبي: ١ / ٤٠٠.

٥- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٩؛ تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٥ / ٣٣.

ثورة محمد بن القاسم العلوي:

أهم حدث ثوري للعلويين في عهد الإمام الجواد صلوات الله عليه كان في أواخر حياته في وقت خلافة المعتصم العباسي بالتحديد، وهي الثورة التي قام محمد بن القاسم بن علي بن عمر ابن الإمام زين العابدين صلوات الله عليه، فاجتمعت حوله الزيدية باعتبار أنه كان يرى رأيهم، وصاروا يدعون الناس إليه في العراق ثم في إيران لاحقاً، وحدثت بينه وبين والي المعتصم بخراسان معارك، ثم انتهى أمره وجيء به إلى المعتصم:

(ومحمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ... وكانت العامة تلقبه الصوفي، لأنه كان يد من لبس الثياب من الصوف الأبيض، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب. وكان يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد، ويرى رأى الزيدية الجارودية. خرج في أيام المعتصم بالطالقان، فأخذه عبد الله بن طاهر، ووجه به إلى المعتصم، بعد وقائع كانت بينه وبينه) [١].

(وقام على المعتصم: محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بالطالقان، ودعا إلى نفسه، واستجاب له جماعة، ثم أخذه عبد الله بن طاهر، وأرسله إلى المعتصم في سنة تسع عشر ومائتين مقيداً في محمل بلا وطاء، وعليه جبة من صوف، فحبسه المعتصم، فاحتال في الخلاص، وخلص من الحبس، وهرب) [٢].

أقول: لا شك أنّ الثورة لم تكن بإذن الإمام الجواد صلوات الله عليه، فهم (أعني الزيدية) لا يعتقدون بإمامته أصلاً فكيف نتوقع منهم الإقدام على التنسيق معه وأخذ الإذن منه!

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٨٢ – ٣٨٤.

٢- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٣ / ٣٤٥.

إشخاص الإمام الجواد إلى بغداد وإخباره بموته:

لما مات المأمون وولي المعتصم الخلافة انشغل في أول عهده بترتيب وضع ملكه وبعض الحروب، ثم عمد إلى إشخاص الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد أكثر من مرة، آخرها كان في أواخر محرم سنة ٢٢٠ هـ.

عانى الإمام الجواد في حياته كثيراً، حتى إنه كان يعتبر وفاته خلاصاً وفرجاً:

(عن ابن بزيع العطار قال: قال أبو جعفر عليه السلام الفرج بعد المأمون بثلاثين شهراً، قال: فنظرنا فمات عليه السلام بعد ثلاثين شهراً) [١].

وكان عليه السلام ينعى نفسه لأصحابه في أكثر من مناسبة:

- (عن محمد بن الفرج، قال: كتب إلي أبو جعفر عليه السلام: "احمل إليّ الخمس، فإني لست أخذ منكم سوى عامي هذا"، فقبض عليه السلام في تلك السنة) [٢].
- (عن أبي طالب يعني عبد الله بن الصلت قال: كتبت إلى أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام فأذن لي أن أرثي أبا الحسن عليه السلام أعني أباه قال: وكتب إلي: اندبني و اندب أبي) [٣].

وفي إشخاصه الأخير إلى بغداد أعلم بعض أصحابه بأنّ ابنه علي هو الإمام من بعده:

(عن إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الأمر بعدك؟ فكر بوجهه إلي ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة، فلما أخرج به الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداك أنت

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٦٤.

٢- الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٢٢.

٣- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٤ / ٥٩٨.

خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إلي فقال: عند هذه يخاف علي، الأمر من بعدي إلى ابني علي) [١].

و أيضاً ذكر لبعض مواليه في مرض موته: "إني ماضي والأمر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي" [٢].

(عن ابن مسافر، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام أنه قال - في العشية التي توفي في ليلتها -: إني ميت الليلة. ثم قال: نحن معشر إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه) [٣].

شهادة الإمام الجواد (ع):

تردد البعض في مسألة موت الإمام بالسم [٤]. بينما روي أنّ ابن أبي داود [٥] هو من أوشى بالإمام الجواد عليه السلام إلى المعتصم بسبب الحسد فقام بسمّه [٦].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٣.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٤.

٣- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٧٧٣.

٤- قال المفيد: (وقيل: إنه مضى مسموماً ولم يثبت بذلك عندي خبر فأشهد به) الإرشاد: ٢ / ٢٩٥.

٥- أحد الفقهاء المشهورين، عيّنه المعتصم قاضي قضاة بدلاً من يحيى بن أكثم.

٦- روى العياشي: (عن زرقان صاحب ابن أبي داود وصديقه بشدة قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أني قد مت منذ عشرين سنة، قال: قلت له ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود أبا جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين المعتصم قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟ قال: ان سارقاً أقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟ قال: فقلت من الكرسوع قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم: "فامسحوا بوجوهكم و أيديكم" و اتفق معي على ذلك قوم. وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: "و أيديكم إلى المرافق" في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام فقال ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني مما تكلموا به أي شئ عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه فقال: أما إذا أقسمت عليّ بالله اني أقول إنهم أخطئوا فيه السنة فان القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله عليه وآله السلام

وبعض الروايات و أقوال المؤرخين ذكرت أنّ المعتصم أغرى أم الفضل "زوجة الإمام" بالمال فدسّت له السم [١]!

وعموماً، دخالة أم الفضل بسم الإمام الجواد غير صحيحة، فأولاً: هي ابنة المأمون وليست بحاجة إلى مال أصلاً، وثانياً: وصفت بعض النصوص حالتها بعد شهادته وكانت بمنتهى الحزن عليه [٢]!

سألت السيد أحمد الحسن عن أم الفضل إن كان لها دور في سم الإمام الجواد كما يذكر البعض؟

السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: "وان المساجد لله" يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها "فلا تدعوا مع الله أحدا" وما كان لله لم يقطع قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتمنيت اني لم أك حياً.

قال زرقان: إنّ ابن أبي داود قال: صرت إلى المعتصم بعد ثالثة، فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين على واجبة و أنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار قال: وما هو؟ قلت: إذا جمع أمير المؤمنين من مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمرو اقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزرائه وكتابه، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته، ويدعون أنه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟ قال: فتغير لونه و انتبه لما نبهته له وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيرا، قال: فأمر يوم الرابع فلاناً من كتاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله فدعاه فأبى أن يجيبه، وقال: قد علمت أني لا أحضر مجالسكم، فقال: اني إنما أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك وقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقائك فصار إليه، فلما أطعم منها أحس السم فدعا بدابته فسأله رب المنزل أن يقيم، قال: خروجي من دارك خير لك، فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفه حتى قبض صلى الله عليه وآله) تفسير العياشي: ١ / ٣١٩ – ٣٢٠.

١- انظر: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١١٧ – ١١٨.

٢- (حكيمة بنت أبي الحسن القرشي وكانت من الصالحات قالت: لما قبض أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أتيت أم الفضل بنت المأمون أو قالت أم عيسى بنت المأمون فعزيتها فوجدتها شديدة الحزن والجزع تقتل بنفسها بالبكاء والعويل فخفت عليها تتصدع مرارتها ...) عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١١٣.

فقال: (أم الفضل ليس لها دوربسم الإمام الجواد صلوات الله عليه) انتهى [١].

استشهد الإمام الجواد في آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ في بغداد ودفن في مقابر قريش إلى جنب جده الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه، وخلف من الولد: الإمام علي الهادي، وموسى، ومن البنات: حكيمة، وخديجة، وأم كلثوم [٢].

رحل الإمام الجواد إلى ربه وهو في ريعان شبابه بعد أن أنجز رسالته الإلهية التي نذر لها جده الحسين صلوات الله عليه روحه وعياله وصحبه أضاحي لإعلاء ذكر الله ودينه وحاكميته، فتلقف ولده الحجة علي الهادي راية الحق "راية حاكمية الله" من بعده:

(عن هارون ابن الفضل قال: رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبو جعفر عليه السلام فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، مضى أبو جعفر عليه السلام، فقيل له: وكيف عرفت؟ قال: لأنه تداخلني ذلة لله لم أكن أعرفها) [٣].

١- من حوار خاص مع السيد أحمد الحسن.

٢- انظر: تاج المواليد، الطبرسي: ٥٤.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٨١.

(٣)

الإمام الهادي علم وحزم وصبر حسيني

المكان: المدينة المنورة، سامراء
العمر: ٤٢ عاماً (٢١٢ – ٢٥٤ هـ)
مدة الإمامة: ٣٤ عاماً

سابع الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام علي بن محمد بن علي الملقب بـ"الهادي"، "الناصح"، "النقي"، "ابن الرضا" كأشهر ألقابه. وله ألقاب غيرها.

ولد بالمدينة سنة ٢١٢ هـ [١]، وأمه أمة شريفة نجيبة.

كنيته التي كنّاه بها أبوه هي: "أبو الحسن"، وتمييزاً له عن جديه الكاظم والرضا صلوات الله عليهما اللذين لهما نفس الكنية يقال: "أبو الحسن الثالث".

تقلّد الإمامة بعمر ثمان سنين بعد شهادة أبيه الجواد سنة ٢٢٠ هـ، واستشهد في سنة ٣٥٤ هـ بعمر ٤٢ عاماً، فكانت مدة إمامته ٣٤ عاماً.

في السنتين الأخيرتين من عمر الإمام الجواد عليه السلام كان المعتصم العباسي يستقدم الإمام إلى بغداد، فكان يترك ولده علياً بالمدينة خوفاً عليه، وفي إحدى المرات سأله أبوه وهو بعمر ست سنين عن الشيء الذي يرغب أن يأتيه به من العراق:

(عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه أن أبا جعفر عليه السلام لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها أجلس أبا الحسن في حجره بعد النص عليه وقال له: ما الذي تحب أن أهدي إليك من طرائف العراق؟ فقال عليه السلام: سيفاً كأنه شعلة نار،

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٧.

ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له: ما تحب أنت؟ فقال: فرساً، فقال عليه السلام: أشبهني أبو الحسن، أشبه هذا أمه) [١].

النص على إمامة الهادي (ع) وما قيل فيه:

النص على إمامته:

النص على إمامة الإمام علي الهادي صلوات الله عليه تم بطريقين:

- الأول: وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفاته؛ إذ ورد فيها: "فإذا حضرته (أي الإمام الجواد) الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح" [٢].
- الثاني: نص أبيه الجواد عليه السلام عليه، وهذا بعض ما ورد عنه:

(عن إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الامر بعدك؟ فكر بوجهه إلي ضاحكاً وقال: ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة، فلما اخرج به الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداك أنت خارج فإلى من هذا الأمر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إلي فقال: عند هذه يخاف علي، الأمر من بعدي إلى ابني علي.

الحسين بن محمد، عن الخيراني، عن أبيه أنه قال: كان يلزم باب أبي جعفر عليه السلام للخدمة التي كان وكل بها وكان أحمد بن محمد بن عيسى يجيئ في السحر في كل ليلة ليعرف خبر علة أبي جعفر عليه السلام وكان الرسول الذي يختلف بين أبي جعفر عليه السلام وبين أبي إذا حضر قام أحمد وخلا به أبي، فخرجت ذات ليله وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول لأبي:

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠/ ١٢٣.

٢- الغيبة، الطوسي: ١٥١.

إن مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني ماضي والامر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لأبي ما الذي قد قال لك؟ قال: خيرا، قال: قد سمعت ما قال، فلم تكتمه؟ وأعاد ما سمع فقال له أبي: قد حرم الله عليك ما فعلت لان الله تعالى يقول: "ولا تجسسوا" فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوما ما و إياك أن تظهرها إلى وقتها.

فلما أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها، فلما مضى أبو جعفر عليه السلام ذكر أبي أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يديه نحو من أربعمائة إنسان واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الامر، فكتب محمد بن الفرج إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده و أنه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويسأله أن يأتيه، فركب أبي وصار إليه، فوجد القوم مجتمعين عنده، فقالوا لأبي: ما تقول في هذا الأمر؟ فقال أبي لمن عنده الرقاع: احضروا الرقاع فأحضروها، فقال لهم: هذا ما أمرت به، فقال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الامر شاهد آخر؟ فقال لهم: قد آتاكم الله عزوجل به هذا أبو جعفر الأشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة وسأله أن يشهد بما عنده، فأنكر أحمد أن يكون سمع من هذا شيئا فدعاه أبي إلى المباهلة، فقال: لما حقق عليه، قال: قد سمعت ذلك وهذا مكرمة كنت أحب أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم: فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعاً.

عن محمد بن الحسين الواسطي أنه سمع أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر يحكي أنه أشهده على هذه الوصية المنسوخة: "شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أشهده أنه أوصى إلى علي ابنه بنفسه وأخواته وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه وجعل عبد الله بن المساور قائماً على تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق وغير ذلك إلى أن يبلغ علي بن محمد.

صير عبد الله بن المساور ذلك اليوم إليه، يقوم بأمر نفسه وإخوانه ويصير أمر موسى إليه، يقوم لنفسه بعدهما على شرط أبيهما في صدقاته التي تصدق بها وذلك يوم الأحد لثلاث ليال خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين وكتب أحمد بن أبي خالد شهادته

بخطه وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو الجواني على مثل شهادة أحمد بن أبي خالد في صدر هذا الكتاب وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده") [١].

(الصقر ابن أبي دلف قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا عليهما السلام يقول: إنّ الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والامام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثم سكت. فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الامام بعد الحسن؟ فبكى بكاءً شديداً، ثم قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر. فقلت له: يا ابن رسول الله لم سمي القائم؟ قال: لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلت له: ولم سمي المنتظر؟ قال: لان له غيبة يكثر أيامها ويطول أمدها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلمون) [٢].

شيء من فضله وما قيل فيه:

بعض ما قيل فيه:

هذه بعض شهادات علماء المسلمين في فضل الإمام الهادي صلوات الله عليه:

١- محمد بن طلحة الشافعي: (وأما ألقابه: فالناصح، والمتوكل، والفتاح، والنقي، والمرتضى، وأشهرها المتوكل، وكان يخفي ذلك ويأمر أصحابه أن يعرضوا عن ذكره، ... وأما مناقبه: فمنها ما حل في الأذان محل حلاها بأشنافها، واكتنفته شغفا به اكتناف اللئالي الثمينة بأصدافها، وشهد لأبي الحسن أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وأنها نازلة من الدرجة النبوية في ذرى أشر افها، وشرفات أعر افها) [٣].

١- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٣ – ٣٢٥.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٧٨.

٣- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٧٢ – ٤٧٣.

٢- أبو الفداء: (علي الهادي وعلي التقي وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وهو علي الزكي بن محمد الجواد ...) [١].

٣- الذهبي: (وفيها أبو الحسن علي بن الجواد محمد بن الرضى علي بن الكاظم موسى بن الصادق جعفر العلوي الحسيني المعروف بالهادي توفي بسامرا وله أربعون سنة وكان فقيهاً إماماً متعبداً) [٢].

٤- اليافعي: (سنة أربع وخمسين ومائتين: فيها توفي العسكري أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بر موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني. عاش أربعين سنة، وكان متعبداً فقيهاً إماماً، ...) [٣].

٥- ابن الصباغ المالكي: (قال بعض أهل العلم: فضل أبي الحسن عليّ بن محمّد الهادي قد ضرب على المجرة قبابه، ومدّ على نجوم السماء أطنابه، فما تعدّ منقبة إلا وإليه نحيلها، ولا تذكر كريمة إلاّ وله فضيلتها، ولا تورد محمّدة إلا وله تفضيلها وجملتها، ولا تستعظم حالة سنية إلا وتظهر عليه أدلّتها، استحقّ ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرّد بخصائصه ومجد حكم فيه على طبعه الكريم بحفظه من الثوب حفظ الراعي لفصائله فكانت نفسه مهذّبة وأخلاقه مستعذبة وسيرته عادلة وخلاله فاضلة ومبارّة إلى العفاة واصلة وربوع المعروف بوجود وجوده عامرة آهلة، جرى من الوقار والسكون والطمأنينة والعفّة والنزاهة والخمول في النباهة على وتيرة نبوية وشنشنة علوية ونفس زكية وهمّة علية لا يُقاس بها أحد من الأنام ولا يدانيها، وطريقة حسنة لا يشاركه فيها خلق ولا يطمع فيها) [٤].

١- تاريخ أبي الفداء: ٢ / ١٢٤٤.

٢- العبر في خبر من غبر: ٢ / ١٢.

٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ٢ / ١١٩.

٤- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ١٠٧٣ – ١٠٧٤.

٦- ابن حجر الهيتمي: (ويقال إنه (أي الإمام الجواد) سم أيضاً عن ذكرين وبنتين أجلّهم علي العسكري سمي بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري وكان وارث أبيه علماً وسخاء) [١].

٧- ابن عنبة: (أما على الهادي فيلقب العسكري لمقامه بسر من رأى وكانت تسمى العسكر، وأمه أم ولد وكان في غاية الفضل ونهاية النبل) [٢].

٨- الزركلي: (علي الملقب بالهادي بن محمد الجواد ن علي الرضي بن موسى بن جعفر الحسيني الطالبي: عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء) [٣].

شيء من فضله:

كان واضحاً في سيرة الإمام الهادي عليه السلام استقامة هديه ونبوغه منذ صغره، وقصته مع المعلم الجنيدي معروفة:

(روي عن محمد بن جعفر قال: قدم المدينة عمر بن الفرج حاجاً بعد مضي أبي جعفر الجواد عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة من أهل الأدب والقرآن المخالفين والمعاندين لأهل البيت وقال لهم: اطلبوا رجلاً من أهل المدينة من أهل الأدب والقرآن والعلم لا يوالي أهل بيت رسول الله لأضم إليه هذا الصبي - عنى أبا الحسن عليه السلام - وأوكله بتعليمه وآمره بان يمنع الر افضة منه الذين يقصدونه ويعودونه، وكان عمره يومئذ ست سنين وخمسة أشهر، فذكروا له رجلاً من أهل الأدب يكنى أبا عبد الله ويعرف بالجنيدي، وكان مقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم ظاهر النصب والعداوة لأهل البيت. فأحضره عمر بن الفرج وعيّن له راتباً من بيت المال وتقدم إليه بما أراد وعرفه أنّ السلطان أمره باختيار مثله وتوكيله بهذا الصبي وتعليمه ومنع الر افضة من الدخول إليه، فقبل ذلك كله، وكان يلازم أبا الحسن عليه السلام في القصر نهاراً فإذا كان الليل

١- الصواعق المحرقة: ٢٠٦ – ٢٠٧.

٢- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٩٩.

٣- الأعلام: ٤ / ٣٢٣.

أغلق عليه الباب وأخذ المفاتيح، فمكث على ذلك مدة وانقطعت الشيعة عنه وعن الاستماع عنه والقراءة عليه.

قال محمد بن جعفر: ثم إني لقيته يوم الجمعة وقلت له: ما حال هذا الصبي الذي تؤدبه؟ فقال منكراً علي: أتقول هذا الصبي ولا تقول الشيخ! أنشدك بالله هل تعرف بالمدينة من هو أعرف مني في الأدب والعلم؟ قلت: لا، فقال: إني والله لأذكر الحرف في الأدب وأظن أني قد بالغت فيه، ثم إنه يملي عليّ فيه أبواباً أستفيده منه، فيظن الناس أني أعلمه وأنا والله أتعلم منه!

قال: فتجاوزت عن كلامه هذا كأني لم أسمعه، ثم لقيته بعد ذلك فسلّمت عليه وسألت عن خبره وحاله فقلت له: ما حال الصبي؟ فقال: دع عنك هذا القول، والله تعالى لهو خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى، وإنه لربما همَّ بدخول الحجرة فأقول له: حتى تقرأ عشراً، فيقول: أي سورة تريد أن أقرأها، فأذكر له السور الطوال ما لم يبلغ إليه فيسرع بقراءتها لم أسمع أصح منها، وصوت أطيب من مزامير داود التي يضرب به المثل، وإنه حافظ القرآن من أوله إلى آخره ويعلم تأويله وتنزيله.

ثم قال المعلم الجنيدي: هذا صبي صغير ونشأ بين الجدران السود فمن أين علم هذا العلم الكثير؟! يا سبحان الله ما أعجب هذا!

قال محمد بن جعفر: ثم لقيت المعلم الجنيدي وقد نزع عن النصب وتاب وعرف الحق وقال بإمامته عليه السلام) [1].

علم الإمام الهادي صلوات الله عليه وهيبته ووقاره وكرمه ومحاسن أخلاقه أمر ذاع صيته بين أهل المدينة وعموم المسلمين.

١- مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، المحلاتي: ٣ / ١٥٨ – ١٥٩.

كان معظّماً بين العلويين بما فيهم الشيوخ الطاعنين بالسن، فمثلاً: زيد ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام كان شيخاً كبيراً وإذا أراد الدخول على الإمام الهادي يستأذن ويجلس بين يديه.

(محمد بن الحسن الأشتر العلوي: كنت مع أبي على باب المتوكل في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي وجعفري فتحالفوا لا نترجل لهذا الغلام فما هو بأشرفنا ولا بأكبرنا - يعنون أبا الحسن عليه السلام - فما هو إلا أن أقبل وبصروا حتى ترجل له الناس كلهم فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟ فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا) [١].

لم يكن عند الإمام الهادي صلوات الله عليه أي ميل للدنيا وكان ملازماً للمسجد، ولما فتشوا داره لم يجدوا فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب علم [٢].

عُرف عنه أنه عليه السلام يعمل بيده في أرض له لتدبير شؤونه:

(عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه من العرق، فقلت: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: يا علي قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي، فقلت: ومن هو؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين) [٣].

أما كرمه فهو أمر مشهور ومعروف به:

(دخل أبو عمر عثمان بن سعيد وأحمد بن إسحاق الأشعري وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه فقال: يا أبا عمرو - وكان

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥١١.

٢- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٢٦٠.

٣- حلية الأبرار، هاشم البحراني: ٢ / ٢٥٣.

وكيله - ادفع إليه ثلاثين ألف دينار وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار. فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك وما سمعنا بمثل هذا العطاء) [1].

كان باباً للحوائج يتوجه به إلى الله، ليس عند المسلمين فحسب ولكن حتى عند غيرهم:

(هبة الله بن أبي منصور الموصلي قال: كان بديار ربيعة كاتب نصراني وكان من أهل كفرتوثا، يسمى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال: فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي: ما شأنك قدمت في هذا الوقت؟ قال: قد دعيت إلى حضرة المتوكل، ولا أدري ما يراد مني، إلا أني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار، وقد حملتها لعلي بن محمد بن الرضا معي. فقال له والدي: قد وفقت في هذا. قال: وخرج إلى حضرة المتوكل و انصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحا مستبشرا. فقال له والدي: حدثني حديثك. قال: صرت إلى سر من رأى وما دخلتها قط، فنزلت في دار وقلت: أحب أن أوصل المائة إلى ابن الرضا قبل مصيري إلى باب المتوكل، وقبل أن يعرف أحد قدومي. قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب، وأنه ملازم لداره فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا؟! لا آمن أن ينذر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره. قال: ففكرت ساعة في ذلك، فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج في البلد، فلا أمنعه من حيث يذهب، لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً. قال: فجعلت الدنانير في كاغدة، وجعلتها في كمي، وركبت فكان الحمار يخترق الشوارع والأسواق يمر حيث يشاء إلى أن صرت إلى باب دار، فوقف الحمار فجهدت أن يزول فلم يزل، فقلت للغلام: سل لمن هذه الدار؟ فقيل: هذه دار [علي بن محمد] ابن الرضا! فقلت: الله أكبر دلالة والله مقنعة. قال: وإذا خادم أسود قد خرج [من الدار] فقال: أنت يوسف بن يعقوب؟ قلت: نعم. قال: انزل. فنزلت فأقعدني في الدهليز ودخل، فقلت في نفسي: وهذه دلالة أخرى من أين عرف هذا الخادم اسمي [واسم أبي] وليس في هذا البلد من يعرفني، ولا دخلته قط؟! قال: فخرج الخادم فقال: المائة الدينار التي في كمك في الكاغدة هاتها! فناولته إياها، فقلت: وهذه ثالثة، ثم رجع إلي، فقال: ادخل. فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده فقال: يا يوسف أما آن لك أن تسلم؟ فقلت: يا

1- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥١١.

مولاي قد بان [لي من البرهان] ما فيه كفاية لمن اكتفى. فقال: هيهات أما إنك لا تسلم، ولكن سيسلم ولدك فلان، وهو من شعيتنا. [فقال:] يا يوسف إن أقواما يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالك، كذبوا والله إنها لتنفع أمثالك، امض فيما و افيت له، فإنك سترى ما تحب [وسيولد لك ولد مبارك]. قال: فمضيت إلى باب المتوكل فقلت كل ما أردت فانصرفت.

قال هبة الله: فلقيت ابنه بعد [موت أبيه] وهو مسلم حسن التشيع، فأخبرني أن أباه مات على النصرانية، و أنه أسلم بعد موت والده. وكان يقول: أنا بشارة مولاي عليه السلام) [١].

كان صلوات الله عليه مستجاب الدعاء، وهي إحدى علامات الإمامة [٢].

فمثلاً: أحمد بن الخصيب كان من الحاقدين على الإمام: (وألح عليه في الدار التي كان قد نزلها وطالبه بالانتقال منها وتسليمها إليه، فبعث إليه أبو الحسن عليه السلام: "لأقعدن بك من الله مقعداً لا يبقى لك معه باقية"، فأخذه الله في تلك الأيام) [٣].

ويؤثر عنه في مناجاته، أنه عليه السلام يقول: "إلهي مسيء قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيّب مسعاه، وارحمه واغفر له خطاه" [٤].

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٩٦ – ٣٩٨.

٢- يقول الإمام الصادق عليه السلام عن معرفة الإمام: (ودلالته في خصلتين: في العلم واستجابة الدعوة) الخصال، الصدوق: ٥٢٨.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٠٦.

٤- الدر النظيم، المشغري العاملي: ٧٢٩.

رسالة الإمام الهادي (ع):

بعض أوجه رسالته:

امتدت إمامة الإمام الهادي صلوات الله عليه ٣٤ عاماً (٢٢٠ – ٢٥٤ هـ)، أنجز خلالها رسالته الإلهية المكلّف بها على أتم وجه، وهذه بعض صور عطائه الديني:

بيان الدين الحق:

أولاً: على المستوى العقائدي:

١- أوضح الإمام الهادي العقيدة الحقة بالله سبحانه وأسمائه وصفاته، وبيّن ما يصح نسبته له مما لا يصح كالجسمية وإمكان الرؤية البصرية ونحو ذلك [١].

وصف ربّه فقال: (إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين، وتلاشت أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت في المكان الذي لا يتناهى ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة

١- الكليني: (عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب: لا تجوز الرؤية، ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء [لم] ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لان الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لان الأسباب لابد من اتصالها بالمسببات) الكافي: ١ / ٩٧.

الصدوق: (عن الصقر بن (أبي) دلف، قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام عن التوحيد، وقلت له: إني أقول بقول هشام ابن الحكم، فغضب عليه السلام ثم قال: ما لكم ولقول هشام، إنه ليس منا من زعم أن الله عزوجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا ابن (أبي) دلف إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه) التوحيد: ١٠٤.

الكليني: (عن حمزة بن محمد قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب: سبحان من ليس كمثله شئ لا جسم ولا صورة) الكافي: ١ / ١٠٤.

هيهات ثم هيهات، يا أولي، يا وحداني، يا فرداني شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر) [١].

(سُئل أبو الحسن عليه السلام عن التوحيد فقيل له: لم يزل الله وحده لا شئ معه ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة؟ فكتب: لم يزل الله موجودا ثم كون ما أراد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين، ...) [٢].

٢- أكد الإمام الهادي على ولاية الأئمة عليهم السلام، وبيّن ما ذكره آباؤه بهذا الصدد ابتداء من الرسول وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما [٣]. وكنموذج صدر منه للتعريف بقدر الإمامة والأئمة كانت له الزيارة المعروفة بـ"الزيارة الجامعة":

(عن موسى بن عبد الله النخعي أنه قال لعلي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام: علمني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم، فقال: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين و أنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امش قليلا وعليك السكينة

١- التوحيد، الصدوق: ٦٦.

٢- الاحتجاج، الطبرسي: ٢ / ٢٥٠.

٣- من أمثلة ما ذكره صلوات الله عليه: (عن أبي الحسن العسكري، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله إن الله جل اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك والمعادين لهم فيك فكافهم بما شئت، فأقول: يا رب الجنة، فابوؤهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به) بحار الأنوار، المجلسي: ٨ / ٣٩ – ٤٠.

(أبو موسى عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد العسكري، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن موسى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي صلوات الله عليهم قال: قال [لي] علي صلوات الله عليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سرّه أن يلقى الله عز وجل آمنا مطهراً لا يحزنه الفزع الأكبر فليتولك، وليتول بنيك الحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمداً وعلياً والحسن، ثم المهدي، وهو خاتمهم) الغيبة، الطوسي: ١٣٦.

والوقار، وقارب بين خطاك، ثم قف وكبر الله ثلاثين مرة، ثم ادن من القبر وكبر الله أربعين مرة تمام مائة مرة ثم قل: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة .....).

قال المجلسي: (إنّ هذه الزيارة من أصح الزيارات سنداً وأعمّها مورداً و أفصحها لفظاً و أبلغها معنى وأعلاها شأناً) [١].

و أيضاً: للإمام الهادي زيارة أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الغدير:

(عن أبي القاسم بن روح وعثمان بن سعيد العمري، عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري، عن أبيه صلوات الله عليهما، وذكر أنه عليه السلام زار بها في يوم الغدير في السنة التي أشخصه المعتصم. .....) والزيارة طويلة تعرض فيها الإمام لبيان مقام أمير المؤمنين ومنزلته وجهاده وتضحيته ... إلخ [٢].

٣- بيّن الإمام الهادي صلوات الله عليه بعض أحداث الرسالات الإلهية السابقة وما يخص بعض الأنبياء والمرسلين مثل: نوح وموسى وعيسى عليهم السلام.

٤- أوضح العقيدة الحقة في "الأمر بين الأمرين" في مسألة الجبر والتفويض التي راجت في ذلك الوقت؛ إذ قالت الأشاعرة بالجبر والمعتزلة بالتفويض، فسأله بعض شيعته في الأهواز عن المسألة وأجابهم الإمام برسالة طويلة تضمنت شرح كلام جده الصادق عليه السلام في نفي الجبر والتفويض، والرسالة طويلة ابتدأت بقوله: (من علي بن محمد سلام عليكم: .....) وختمت بقوله: (وفقنا الله و إياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى وجنبنا و إياكم معاصيه بمنه وفضله والحمد لله كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله الطيبين وحسبنا الله ونعم الوكيل) [٣].

١- بحار الأنوار: ١٠٢ / ١٤٤.

٢- انظر: المزار، المشهدي: ٢٦٣ – ٢٨٢.

٣- تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٥٨ – ٤٧٥.

ثانياً: على المستوى الفقهي:

أوضح الامام الهادي عليه السلام الشريعة الحقة وأجاب على أسئلة كثيرة وردته تخص جانب العبادات والمعاملات، ومن يراجع كتب الحديث يجد أجوبته في مسائل تتعلق بالطهارة والأطعمة وأحكام الأموات والصلاة والزكاة والخمس والصوم والكفارات والحج، وكذلك في جانب المعاملات كبيان أحكام التجارة والإجارة والوقف والقضاء والحدود وغيرها.

و أيضاً: ممّا أوضحه هو حكم العمل مع الظالمين [١]. وكان صلوات الله عليه يصحح أخطاء فقهاء السلطة متى ما سنحت له الفرصة [٢].

ثالثاً: واجه الإمام الهادي أفكار الملاحدة والمارقين والغلاة الذين كانوا ينشرون بدعهم وفكرهم المنحرف في وقته، ومنهم: علي بن حسكة القمي، والقاسم اليقطيني، والحسن بن محمد بن بابا القمي، ومحمد بن نصير الفهري، وفارس بن حاتم.

أعلن الإمام الهادي براءته من هؤلاء:

١- (عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام إن محمد بن علي بن عيسى كتب إليه يسأله عن العمل لبني العباس وأخذ ما يتمكن من أموالهم هل فيه رخصة؟ فقال: ما كان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل العذر، وما خلا ذلك فمكروه، ولا محالة قليله خير من كثيره وما يكفر به ما يلزمه فيه من يرزقه يسبب وعلى يديه ما يسرك فينا وفي موالينا، قال: فكتبت إليه في جواب ذلك أعلمه أن مذهبي في الدخول في أمرهم وجود السبيل إلى إدخال المكروه على عدوه، و انبساط اليد في التشفي منهم بشئ أن نقرب به إليهم، فأجاب: من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراما بل أجرا وثوابا) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٧ / ١٩٠.

٢- (عن جعفر بن رزق الله - أو رجل عن جعفر بن رزق الله قال : قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد فاسلم فقال: يحيى بن أكثم قد هدم إيمانه شركه وفعله وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام وسؤاله عن ذلك فلما قرء الكتاب كتب: يضرب حتى يموت فأنكر يحيى بن أكثم و أنكر فقهاء العسكر ذلك وقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنه شئ لم ينطق به كتاب ولم تجئ به سنة فكتب إليه أن فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا وقالوا: لم يجئ به سنة ولم ينطق به كتاب فبين لنا لم أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟ فكتب بسم الله الرحمن الرحيم "فلما أحسوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنا لك الكافرون" قال: فأمر به المتوكل فضرب حتى مات) الكافي، الكليني: ٧ / ٢٣٨.

(سهل بن زياد الادمي، قال: كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري عليه السلام: جعلت فداك يا سيدي ان علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك، و أنك أنت الأول القديم، و أنه بابك ونبيك أمرته أن يدعو إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعى من البابية والنبوة فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج، وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك، ومال الناس إليه كثيرا، فان رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة.

قال: فكتب عليه السلام: كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي ماله لعنه الله، فوالله ما بعث الله محمدا والأنبياء قبله الا بالحنيفية والصلاة والزكاة والصيام والحج والولاية، وما دعى محمد صلى الله عليه وآله الا إلى الله وحده لا شريك له. وكذلك نحن الأوصياء من ولده عبيد الله لا نشرك به شيئا، ان أطعناه رحمنا، وان عصيناه عذبنا، مالنا على الله من حجة، بل الحجة لله عزوجل علينا وعلى جميع خلقه أبرء إلى الله ممن يقول ذلك و انتفى إلى الله من هذا القول، فاهجروهم لعنهم الله والجؤوهم إلى ضيق الطريق فان وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالصخر) [١].

(أحمد بن محمد بن عيسى، كتب إليه في قوم يتكلمون ويقرئون أحاديث ينسبونها إليك والى آبائك فيها ما تشمئز فيها القلوب، ولا يجوز لنا ردها إذا كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام، ولا قبولها لما فيها، وينسبون الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك وهو رجل يقال له: علي بن حسكة، وآخر يقال له: القاسم اليقطيني. من أقاويلهم: انهم يقولون إن قول الله تعالى: "ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر" معناها رجل. لا سجود ولا ركوع، وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد درهم ولا اخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها وصيروها على هذا الحد الذي ذكرت. فان رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه السلامة لمواليك ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تخرجهم إلى الهلاك. فكتب عليه السلام: ليس هذا ديننا فاعتزله) [٢].

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٠٤.

٢- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٠٢ – ٨٠٣.

(عن محمد بن عيسى، قال: كتب إلي أبو الحسن العسكري عليه السلام ابتداء منه: لعن الله القاسم اليقطيني، والآخر علي بن حسكة القمي، إن شيطاناً يتراءى للقاسم فيوحي إليه زخرف القول غروراً) [١].

(قال سعد: حدثني العبيدي قال: كتب إلي العسكري عليه السلام ابتداء منه: أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فابرأ منهما فإني محذرك وجميع موالي و إني ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذيين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركسا. يزعم ابن بابا أني بعثته نبيا و أنه باب، ويله لعنه الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قبل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بحجر فافعل فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة) [٢].

(وكتب السبري بن سلامة إلى أبي الحسن عليه السلام سأله عن الغالية ومذاهبهم وما يدعون إليه وما يتخوف من معرتهم على ضعف إخوانه، ويسأله الدعاء له ولإخوانه في ذلك. فأجاب عليه السلام: عدل الله عنكم ما سلكوا فيه من الغلو، فحسبهم أن يبرأ الله جل وعز وأولياؤه منهم، وجعل الله ما أنتم عليه مستقراً ولا جعله مستودعاً، وثبتكم بالقول الثابت في الدنيا والآخرة، ولا أضلكم بعد إذ هداكم، وأحمد الله كثيراً وأشكره) [٣].

أيضاً: واجه الإمام الهادي الوقفة لعنهم الله وأجاز الدعاء عليهم بالقنوت:

(عن إبراهيم بن عقبة قال: كتبت إلى العسكري عليه السلام جعلت فداك قد عرفت هؤلاء الممطورة فأقنت عليهم في الصلاة: قال: نعم، اقنت عليهم في صلاتك) [٤].

كما دعا بعضهم للتوبة: (أبو الحسين سعيد بن سهل البصري - وكان يلقب بالملاح - قال: وكان يقول بالوقف: جعفر بن القاسم الهاشمي البصري، وكنت معه بسر من رأى،

١- مستدرك الوسائل، الطبرسي: ٤ / ١٤١.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٢٥ / ٣١٧ – ٣١٨.

٣- الدر النظيم، المشغري العاملي: ٧٣٢.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ٨٢ / ٢٠٢ – ٢-٣. الممطورة: أي الكلاب.

إذ رآه أبو الحسن عليه السلام في بعض الطرق، فقال له: إلى كم هذه النومة؟ أما آن لك أن تنتبه منها؟ فقال لي جعفر: سمعت ما قال لي علي بن محمد؟ قد والله قدح في قلبي شيئا. فلما كان بعد أيام حدث لبعض أولاد الخليفة وليمة فدعانا فيها، ودعا أبا الحسن معنا، فدخلنا، فلما رأوه انصتوا إجلالا له، وجعل شاب في المجلس لا يوقره، وجعل يلفظ ويضحك، فأقبل عليه فقال له: يا هذا أتضحك ملء فيك وتذهل عن ذكر الله و أنت بعد ثلاثة [أيام] من أهل القبور؟ قال: فقلنا هذا دليل حتى ننظر ما يكون. قال: فامسك الفتى وكف عما هو عليه، وطعمنا وخرجنا، فلما كان بعد يوم اعتل الفتى ومات في اليوم الثالث من أول النهار ودفن في آخره) [١].

(عن صالح بن الحكم بياع السابري قال: كنت و اقفياً فلما أخبرني حاجب المتوكل بذلك أقبلت أستهزئ به إذ خرج أبو الحسن فتبسم في وجهي من غير معرفة بيني وبينه قال: يا صالح ان الله تعالى قال في سليمان: "وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب" ونبيك وأوصياء نبيك أكرم على الله تعالى من سليمان، قال: وكأنما انسل من قلبي الضلالة فتركت الوقف) [٢].

تقويم الأمة المؤمنة:

على خطى آبائه الطاهرين، سار الإمام الهادي صلوات الله عليه بنفس النهج الرباني في تربية وتقويم من آمن به واعتقد بإمامته، فقبل انتقاله إلى سامراء كان يمارس دوره الديني والتبليغي (ضمن المتاح له) من خلال حضوره في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله أو في بيته لتعليم الناس وإجابة أسئلتهم وبيان الدين الحق لهم. وبعد انتقاله إلى سامراء استمر بمتابعة شيعته وكان غالباً من خلال الاعتماد على وكلائه وبعض أصحابه الذين علّمهم وربّاهم للتصدي ومباشرة المهام المناطة بهم؛ باعتبار تشديد المراقبة عليه بعد قربه من مركز الخلافة!

١- مدينة المعاجز، هاشم البحراني: ٧ / ٤٥٦ – ٤٥٧.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥١٠.

وهؤلاء بعض أصحابه ومن رووا عنه معالم دين الله:

١- إبراهيم بن عبدة [١].
٢- إبراهيم بن محمد الهمداني، تقدم ذكره.
٣- إبراهيم بن مهزيار الأهوازي [٢].
٤- أحمد بن إسحاق بن عبد الله الأشعري القمي، تقدم ذكره.
٥- أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري القمي [٣].
٦- أيوب بن نوح بن دراج [٤].
٧- جعفر بن عبد الله بن الحسين [٥].
٨- الحسن بن راشد (أبو علي) [٦].

١- كان وكيلاً للإمام الهادي عليه السلام لقبض الحقوق، قال: (وبعد: فقد نصبت لكم إبراهيم بن عبده، ليدفع إليه النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك فليتقوا الله جل جلاله ولير اقبوا وليؤدوا الحقوق، فليس لهم عذرفي ترك ذلك ولا تأخيره، لا أشقاكم الله بعصيان أوليائه، ورحمهم و إياك معهم برحمتي لهم، ان الله واسع كريم) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٩٧.

٢- النمازي: (من أصحاب الجواد والهادي والعسكري صلوات الله عليهم، ومن سفراء مولانا المهدي صلوات الله عليه بلا خلاف. له كتاب البشارات، وتشرفه بلقاء الإمام الهادي عليه السلام) مستدركات علم رجال الحديث: ١ / ٢١٧.

٣- من أصحاب الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، له كتب، شيخ القميين ورئيسهم وفقيههم، انظر: مستدركات علم رجال الحديث، النمازي: ١ / ٤٦٥.

٤- العلامة الحلي: (أيوب بن نوح بن دراج النخعي، أبو الحسين، ثقة، له كتب وروايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث عليه السلام، وكان وكيلا لأبي الحسن و أبي محمد عليهما السلام، عظيم المنزلة عندهما، مأموناً شديد الورع كثير العبادة، ثقة في رواياته، و أبوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة، وكان صحيح الاعتقاد، وأخوه جميل بن دراج) خلاصة الأقوال: ٥٩.

٥- النمازي: (عده الشيخ بهذا العنوان من أصحاب الهادي صلوات الله عليه وكان له مكاتبة إلى صاحب الأمر صلوات الله عليه) مستدركات علم رجال الحديث: ٢ / ١٦٨.

٦- من رؤساء الشيعة وفقهائهم، كان وكيلاً للإمام الهادي عليه السلام، وهذا بعض كتب الإمام بحقه:

(محمد بن عيسى اليقطيني قال: كتب عليه السلام إلى علي بن بلال في سنة اثنتين وثلاثين ومئتين. "بسم الله الرحمن الرحيم أحمد الله إليك وأشكر طوله وعوده، وأصلي على النبي محمد وآله صلوات الله ورحمته عليهم، ثم إني أقمت أبا علي مقام الحسين ابن عبد ربه و ائتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يتقدمه أحد، وقد أعلم أنك شيخ ناحيتك، فأحببت افرادك واكرامك بالكتاب بذلك. فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحق

يوم الحسين (ع) / الجزء الخامس ـــ

١- كان يخدم الإمام الهادي عليه السلام ويسعى في حوائجه.

٢- هو عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الامام الحسن عليه السلام. صحب الإمام الرضا والجواد والهادي عليهم السلام، وكان أحد ثقات الإمام الهادي الخاصين: (روى أبو تراب الروياني قال: سمعت أبا حماد الرازي يقول: دخلت على علي بن محمد عليهما السلام بسر من رأى، فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها، فلما ودعته قال لي: " يا حماد، إذا أشكل عليك شئ من امر دينك بناحيتك، فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسني، و اقرأه مني السلام") مستدرك الوسائل، النوري: ١٧ / ٣٢١.

(عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فلما بصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم، أنت ولينا حقاً. قال: فقلت له: يا بن رسول الله، إني أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً ثبت عليه حتى ألقى الله عزوجل. فقال: هات يا أبا القاسم. فقلت: إني أقول إن الله تعالى واحد ليس كمثله شئ، خارج من الحدين: حد الابطال، وحد التشبيه، و إنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسم الأجسام، ومصور الصور، وخالق الاعراض والجواهر، ورب كل شئ ومالكه وخالقه، وجاعله ومحدثه، وإن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، وأن شريعته خاتمة الشرائع، فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة، و أقول إن الامام والخليفة وولي الامر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنت يا مولاي. فقال علي عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده؟ قال: فقلت: وكيف ذاك، يا مولاي؟ قال: لأنه لا يرى شخصه، ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. قال: فقلت: أقررت. و أقول إن وليهم ولي الله، وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم

٩- داود بن القاسم الجعفري (أبو هاشم)، تقدم ذكره.

١٠- سهل بن يعقوب (أبو نواس) [١].

١١- عبد العظيم الحسني [٢].

١٢- عثمان بن سعيد العمري (أبو عمرو) [١].

١٣- علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، العالم والراوي المعروف.

١٤- علي بن هلال [٢].

١٥- علي بن جعفر الهماني [٣].

١٦- علي بن مهزيار الأهوازي، تقدم ذكره.

١٧- الفضل بن شاذان [٤].

١٨- محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب الزيات [٥].

معصية الله، و أقول إن المعراج حق، والمسألة في القبر حق، وإن الجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، وإن الله يبعث من في القبور، و أقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال علي بن محمد عليهما السلام، يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فأثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) الأمالي، الصدوق: ٤١٩ – ٤٢٠. هرب من ظلم العباسيين و أقام بالري، ثم مرض ومات بالري رحمه الله تعالى.

١- السفير الأول، الثقة الزكي، خدم الإمام الهادي وعمره ١١ سنة، له مكانة عظيمة عند الإمامين العسكريين:

(أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمتثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه. فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه) الغيبة، الطوسي: ٣٥٤ – ٣٥٥.

٢- تقدم ذكره مع الحسن بن راشد لما خاطبه الإمام الهادي بكتابه: " وقد اعلم أنك شيخ ناحيتك فأحببت افرادك واكرامك بالكتاب بذلك فعليك بالطاعة له والتسليم إليه".

٣- الطوسي: (ومنهم علي بن جعفر الهماني وكان فاضلاً مرضياً من وكلاء أبي الحسن و أبي محمد عليهما السلام) الغيبة: ٣٥٠.

٤- من علماء الشيعة المعروفين، صحب الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، وقع أحد كتبه بيد الإمام العسكري فتناوله ونظر فيه ثم قال: " أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٢٠.

(قال بورق: فخرجت إلى سر من رأي ومعي كتاب يوم وليلة، فدخلت على أبي محمد عليه السلام وأريته ذلك الكتاب، فقلت له: جعلت فداك ان رأيت أن تنظر فيه فلما نظر فيه وتصفحه ورقة ورقة قال: هذا صحيح ينبغي أن يعمل به) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨١٨، والكتاب من تأليف الفضل بن شاذان.

٥- النمازي: (من أصحاب الجواد والهادي والعسكري صلوات الله عليهم. واسم أبي الخطاب زيد. جليل من أصحابنا، عظيم القدر، كثير الرواية) مستدركات علم رجال الحديث: ٧ / ٤٧.

١٩- محمد بن الفرج الرخجي [١].

٢٠- يعقوب بن إسحاق الأهوازي (ابن السكيت) [٢].

هذه عيّنة من الأمة التي آمنت بإمامة الإمام الهادي صلوات الله عليه، رووا عنه معالم دين الله ونقلوها لباقي شيعته ومحبيه، وكان منهم وكلاء وفقهاء كبار وأصحاب كتب.

كان يبين لهم قيمة وقدر المؤمن عند الله:

(يا فتح، كما لا يوصف الجليل جل جلاله، والرسول، الخليل، وولد البتول فكذلك لا يوصف المؤمن المسلِّم لأمرنا) [٣].

أراد "فتح" أن يسأله، فقال له: (... فصحح نظرك، وتثبت في مسألتك واصغ إلى جوابها سمعك، ولا تسأل مسألة تعنيت واعتن بما تعتني به، فإنّ العالم والمتعلم شريكان في الرشد، مأموران بالنصيحة، منهيان عن الغش) [٤].

١- له رسائل مع الإمام الهادي عليه السلام: (عن علي بن محمد النوفلي قال: لي محمد بن الفرج: إن أبا الحسن كتب إليه يا محمد أجمع أمرك وخذ حذرك، قال: فأنا في جمع أمري [و] ليس أدري ما كتب إلي حتى ورد علي رسول حملني من مصر مقيدا وضرب على كل ما أملك وكنت في السجن ثمان سنين. ثم ورد علي منه في السجن كتاب فيه: يا محمد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي فقرأت الكتاب فقلت: يكتب إلي بهذا و أنا في السجن، إن هذا لعجب، فما مكثت أن خلي عني والحمد لله.

قال: وكتب إليه محمد بن الفرج يسأله عن ضياعه، فكتب إليه سوف ترد عليك وما يضرك أن لا ترد عليك، فلما شخص محمد بن الفرج إلى العسكر كتب إليه برد ضياعه ومات قبل ذلك، قال: وكتب أحمد بن الخضيب إلى محمد بن الفرج يسأله الخروج إلى العسكر، فكتب إلى أبي الحسن عليه السلام يشاوره، فكتب إليه: أخرج فإن فيه فرجك إن شاء الله تعالى، فخرج، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات) الكافي، الكليني: ١/ ٥٠٠.

٢- اللغوي المعروف، (من أجلاء أصحاب الرضا والجواد والهادي صلوات الله عليهم، ثقة جليل بالاتفاق. وله كتب ذكرها المامقاني في رجاله. قتله المتوكل في ٥ رجب سنة ٢٤٤ هـ، وعلة قتله أنه سأله المتوكل أيهما أحب إليك ابناي المعتز والمؤيد أو الحسن والحسين؟ فشرع في بيان فضائل الحسنين عليهما السلام. وفي رواية أخرى قال: قنبر غلام علي عليه السلام أفضل منك ومن ابنيك) مستدرك سفينة البحار، النمازي: ٥ / ٨٣.

٣- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ١٧٨.

٤- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ١٧٩.

وكجزء من تقويم أمته، كان يشيع بينهم حب العلم وتكريم أهله [١].

يقول: (لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عزوجل) [٢].

كان يثني على جهود أصحاب آبائه وما كتبوه لنصرة دين الله:

١- الطبرسي: (روي عن الحسن العسكري عليه السلام: أنه اتصل بأبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام: أن رجلا من فقهاء شيعته كلم بعض النصاب فافهمه بحجته حتى أبان عن فضيحته، فدخل إلى علي بن محمد عليه السلام وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب وهو قاعد خارج الدست، وبحضرته خلق من العلويين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست، و أقبل عليه فاشتد ذلك على أولئك الأشراف، فأما العلوية فأجلوه عن العتاب، وأما الهاشميون فقال له شيخهم: يا بن رسول الله هكذا تؤثر عاميا على سادات بني هاشم من الطالبيين والعباسيين؟! فقال عليه السلام إياكم وإن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون" أترضون بكتاب الله حكما؟ قالوا: بلى. قال: أليس الله يقول: "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم إلى قوله يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" فلم يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلا أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"؟ أو قال: "يرفع الذين أوتوا شرف النسب درجات"؟ أوليس قال الله: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله؟! إن كسر هذا "لفلان" الناصب بحجج الله التي علمه إياها، لأفضل له من كل شرف في النسب.

فقال العباسي: يا بن رسول الله قد أشرفت علينا هو ذا تقصير بنا عمن ليس له نسب كنسبنا، وما زال منذ أول الإسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه. فقال عليه السلام: سبحان الله أليس عباس بايع أبا بكر وهو "تيمي" والعباس "هاشمي"؟ أوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب وهو "هاشمي" أبو الخلفاء وعمر "عدوي"؟! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العباس؟ فإن كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرا فأنكروا على عباس بيعته لأبي بكر، وعلى عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز، فكأنما ألقم الهاشمي حجراً) الاحتجاج: ٢ / ٢٥٩ – ٢٦٠.

٢- الاحتجاج: ٢ / ٢٦٠.

(عن داود بن القاسم، أن أبا جعفر الجعفري قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألّفه يونس بن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله، ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله) [١].

وينصح المقربين منه من خاصة أصحابه بشكر نعم الله على أي حال:

(عن أبي هاشم الجعفري، قال: أصابتني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام، فأذن لي، فلما جلست قال: يا أبا هاشم، أي نعم الله عزوجل عليك تريد أن تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم: فوجمت، فلم أدر ما أقول له، فابتدأ عليه السلام فقال: رزقك الايمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل. يا أبا هاشم، إنما ابتدأتك بهذا، لأني ظننت أنك تريد أن تشكو إلي من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بمائة دينار، فخذها) [٢].

كما نصح شيعته وحثهم على مكارم الأخلاق ونهاهم عن مساوئها، وهذا مثال لنصحه لهم ولعموم الناس:

(عن الحسن بن علي قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: قال محمد بن علي عليهما السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصابرون؟ فيقوم عنق من الناس ثم ينادى (مناد): أين المتصبرون؟ فيقوم عنق من الناس، فقلت: جعلت فداك وما الصابرون؟ قال: الصابرون على أداء الفرائض والمتصبرون على ترك المعاصي) [٣].

(عن علي بن محمد عليهما السلام، قال: قيل لمحمد بن علي بن موسى صلوات الله عليهم: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزوجل لأحبوه ولعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا، ثم قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ما بال الصبي والمجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه والنافي للألم عنه؟

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٧٨٠.

٢- الأمالي، الصدوق: ٤٩٨.

٣- الزهد، حسين بن سعيد الكوفي: ٩٥.

قال: لجهلهم بنفع الدواء. قال: والذي بعث محمدا بالحق نبيا إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنهم لو عرفوا ما يؤدي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامات) [١].

(عن أحمد بن هلال قال: سألت أبا الحسن الأخير عليه السلام عن التوبة النصوح ما هي؟ فكتب عليه السلام: أن يكون الباطن كالظاهر و أفضل من ذلك) [٢].

في وقت الإمام الهادي، بحكم الظرف الخاص الذي مرَّ به، كان يصعب عليه اللقاء بشيعته في مجلس عام ومفتوح دائماً، لذلك كثرت في أيام إمامته (خصوصاً بعد استقدامه إلى سامراء) مسألة المراسلة عبر الكتب، وكمثال لها:

(قال سهل بن زياد: كتب إليه بعض أصحابنا يسأله أن يعلمه دعوة جامعة للدنيا والآخرة، فكتب إليه: أكثر من الاستغفار والحمد فإنك تدرك بذلك الخير كله.

وقال الحميري: كتبت إليه يختلف إلينا أخباركم فكيف العمل بها؟ قال: فكتب إلي: من لزم رأس العين لم يختلف عليه أمره، إنها تخرج من مخرجها وهي بيضاء صافية نقية فتخالطها الأكدار في طريقها. قال: فكتبت إليه: كيف لنا برأس العين وقد حيل بيننا وبينه؟ قال: فكتب إليّ هي مبذولة لمن طلبها إلا لمن أرادها بإلحاد) [٣].

"من لزم رأس العين": أي الإمام المعصوم فإنه لا يختلف عليه شيء، وأنّ طالب الحق يوصله الله إليه.

١- معاني الأخبار، الصدوق: ٢٩٠.

٢- معاني الأخبار، الصدوق: ١٧٤.

٣- الدر النظيم، المشغري العاملي: ٧٣٢.

حكم وإرشادات:

الأحاديث التي تضمنت حكمه وإرشاداته ونصائحه كثيرة، هذه نماذج منها [١]:

- "من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه".
- "الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك، والفقر شره النفس وشدة القنوط".
- "الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالأعمال".
- "المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان".
- "العقوق ثكل من لم يثكل".
- "الحسد ماحي الحسنات والدهر جالب المقت".
- "العجب صارف عن طلب العلم داع إلى الغمط".
- "الجهل والبخل أذم الأخلاق".
- "الطمع سجية سيئة".
- "الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال".
- "العقوق يعقب القلة وتؤدى إلى الذلة".
- "المقادير تريك ما لم يخطر ببالك".
- "راكب الحرون أسير نفسه، والجاهل أسير لسانه".
- "المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة الوثيقة، و أقل ما فيه أن يكون فيه المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة".
- "العتاب مفتاح الثقال، والعتاب خير من الحقد".
- "أذكر مصرعك بين يدي أهلك، ولا طبيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك".
- "أذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم".
- "الغضب على من تملك لؤم".
- "الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة".
- "خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه".

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٣٦٩ – ٣٧٠.

ومن حكمه أيضاً [١]:

- "من سأل فوق قدر الحق كان أولى بالحرمان".
- "صلاح من جهل الكرامة هو انه".
- "الحلم أن تملك نفسك، وتكظم غيظك مع القدرة".
- "شر الرزية سوء الخلق".
- "إن كثرة الملق يهجم على الفطنة فاذا حللت من أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية".
- "مخالطة الأشرار يدل على شر مخالطهم".
- "الكفر للنعم أمارة البطر وسبب للتغير"
- "اللجاجة مسلبة للسلامة ومؤذنة بالندامة".

و أيضاً [٢]:

- "من جمع لك ودّه ورأيه فأجمع له طاعتك".
- من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره".
- الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون".

١- انظر: الدر النظيم، المشغري العاملي: ٧٢٩.

٢- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٣٦٦.

الإمام الهادي وجده الحسين (ع):

ما ذكره الإمام الهادي عليه السلام بخصوص جدّه الحسين صلوات الله عليه يعتبر ذا قيمة كبيرة جداً؛ لأن فيه تحدي للخلافة الحاكمة بشكل صارخ، حيث إنّ المتوكل العباسي أمر بهدم قبر الحسين صلوات الله عليه وإعفاء أثره، و أيضاً: اتخذ إجراءات قاسية تجاه من يقوم بزيارته، كما سيتضح.

لكن الإمام الهادي سعى إلى إبطال مخطط المتوكل، فعلّم شيعته زيارة خاصة تُقال عند مشهد الحسين صلوات الله عليه:

(عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: تقول عند [رأس] الحسين عليه السلام: "السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا حجة الله في أرضه وشاهده على خلقه، السلام عليك يا ابن رسول الله، السلام عليك يا ابن علي المرتضى، السلام عليك يا ابن فاطمة الزهراء أشهد أنك قد أقمت الصلاة و آتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك حيا وميتا" ثم تضع خدك الأيمن على القبر وقل: "أشهد أنك على بينة من ربك جئت مقرا بالذنوب لتشفع لي عند ربك يا ابن رسول الله" ثم أذكر الأئمة بأسمائهم واحدا واحدا وقل: "أشهد أنكم حجة الله" ثم قل: "اكتب لي عندك ميثاقا وعهدا أني أتيتك أجدد الميثاق فاشهد لي عند ربك إنك أنت الشاهد") [1].

لا شك أنّ غرض الإمام الهادي من هذا هو التأكيد على لزوم زيارة الحسين صلوات الله عليه مهما بلغت الظروف:

(عن علي بن جعفر الهماني، قال: سمعت علي بن محمد العسكري عليهما السلام يقول: من خرج من بيته يريد زيارة الحسين عليه السلام فصار إلى الفرات فاغتسل منه كتب من المفلحين، فإذا سلّم على أبي عبد الله كتب من الفائزين، فإذا فرغ من صلاته أتاه

١- الكافي، الكليني: ٤ / ٥٧٧ – ٥٧٨.

ملك فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام ويقول لك: أما ذنوبك فقد غفرلك، استأنف العمل) [١].

ذات مرة، سُئل الإمام الهادي عن زيارة بعض المعصومين من ولد الحسين صلوات الله عليهم، فجعل زيارة الإمام الحسين هي المقدمة والأعظم أجراً:

(عن إبراهيم بن عقبة قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين وعن زيارة أبي الحسن و أبي جعفرعليهم السلام أجمعين، فكتب إلي: أبوعبد الله عليه السلام المقدم وهذا أجمع وأعظم أجراً) [٢].

"أبي الحسن و أبي جعفر": أي الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

"هذا أجمع وأعظم أجراً": باعتبارأنّ الأئمة المعصومين من ولد الحسين هم جزء منه ومن رسالته الكبرى، إذ تقدم أنّ كل إمام منهم يعكس جانباً من كمال الحسين، وبالتالي تكون زيارته زيارة لهم كلهم.

و أيضاً: أثناء إقامة الإمام الهادي في سامراء صادف أنه اعتل بمرض، فكلّف بعض أصحابه أن يبعثوا بعض خاصة شيعته ليزوروا الحسين ويدعون له في مشهده:

(عن أبي هاشم الجعفري، قال: بعث إلي أبوالحسن عليه السلام في مرضه وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة فأخبرني أنه ما زال يقول: ابعثوا إلى الحائر، فقلت لمحمد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحائر، ثم دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك أنا أذهب إلى الحائر، فقال: انظروا في ذلك، ثم قال: إنّ محمداً ليس له سرمن زيد بن علي و أنا أكره أن يسمع ذلك، قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائروهو الحائر!

فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي اجلس حين أردت القيام، فلما رأيته أنس بي ذكرت قول علي بن بلال فقال لي: ألا قلت له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٣٤٤ – ٣٤٥.

٢- الكافي، الكليني: ٤ / ٥٨٣ – ٥٨٤.

يطوف بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي صلى الله عليه وآله والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله ان يقف بعرفة، إنما هي مواطن يحب الله ان يذكر فيها، فأنا أحب ان يدعى لي حيث يحب الله أن يدعى فيها، والحائر من تلك المواضع) [1].

"انظروا في ذلك": أي تفكروا فيه بحيث ينجز الأمر بلا أن تعلم به السلطة؛ باعتبار أنّ زيارة الإمام الحسين في ذلك الوقت كانت صعبة بعد الإجراءات التي اتخذها المتوكل العباسي، ولذلك كره الإمام أن يسمع محمد بن حمزة بالأمر؛ لأنه لا يحفظ السر على ما يبدو.

"ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر": علي بن هلال يقصد أنه إمام معصوم والحسين إمام معصوم أيضاً، وهو حسين زمانه.

١- كامل الزيارات، ابن قولويه: ٤٥٨ – ٤٥٩؛ و انظر أيضاً: الكافي، الكليني: ٤ / ٥٦٧ – ٥٦٨.

الإمام الهادي (ع) وبنو العباس وثورات العلويين:

مع بني العباس:

عاصر الإمام الهادي صلوات الله عليه سبعة خلفاء عباسيين، هم:

١- المأمون: (١٩٨ – ٢١٨ هـ).
٢- المعتصم بن هارون: (٢١٨ – ٢٢٧ هـ).
٣- الواثق بن المعتصم: (٢٢٧ – ٢٣٢ هـ).
٤- المتوكل بن المعتصم: (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ).
٥- المنتصر بن المتوكل: (٢٤٧ – ٢٤٨ هـ).
٦- المستعين بن المعتصم: (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ).
٧- المعتز بن المتوكل: (٢٥٢ – ٢٥٥ هـ).

ملاحظات:

أولاً: لما كانت ولادة الإمام الهادي في عام ٢١٢ هـ فهذا يعني أنه عاصر السنوات الست الأخيرة من حياة المأمون، قضاها في ظل حياة أبيه الإمام الجواد صلوات الله عليه.

ثانياً: قضى الإمام الهادي سنتين من خلافة المعتصم في ظل حياة أبيه الذي استشهد سنة ٢٢٠ هـ، ثم سبع سنوات أخرى بعده. لم يحصل مع الإمام الهادي خلالها حدث بارز سوى أنّ المعتصم أوفد من طرفه عمر بن الفرج الرخجي للبحث عن معلم متميز للإمام الهادي الذي كان بعمر ثمان سنين تقريباً، فتم تعيين الجنيدي الذي تأثر بالإمام بمرور الوقت واهتدى على يديه كما عرفنا سابقاً.

لا شك أنّ اهتمام المعتصم بمسألة تعيين معلم خاص للإمام الهادي تعود في جذورها إلى "ولاية العهد" التي تقلّدها الإمام الرضا في عهد المأمون، فالمعروف عن الأئمة بعد الرضا صلوات الله عليه أنهم يُعرفون بـ"أبناء الرضا"، ومنصب ولاية العهد رفيع جداً في الخلافة العباسية وليس من السهل إغفال آثاره خصوصاً بالنسبة لعهد المعتصم الذي

تلا أخاه المأمون مباشرة. نعم، حادثة "ولاية العهد" لم تؤثر عملياً على المتعصبين منهم كالمتوكل المعروف بشدة عدائه ونصبه لآل محمد عليهم السلام.

و أيضاً: بعض الشيعة كانوا يراسلون الإمام الهادي في وقت المعتصم ويشكون إليه ما يلاقوه وكان يعلّمهم بعض الأدعية التي تنجيهم وتخلصهم من جور الظلمة [١].

ثالثاً: امتازت فترة خلافة "المعتصم" إلى "المعتز" بضعف حكم بني العباس قياساً بما تقدمها، فإضافة إلى عدم كفاءة الخلفاء أنفسهم و انشغالهم باللهو والملذات، شهدت عدة مناطق قيام ثورات وحركات تمرد واسعة بسبب الظلم والفقر والتمييز، و أيضاً: تولي الأتراك مناصب رفيعة في الدولة وتدخلهم في إدارة أمور الحكم حتى بلغ الحال ببعض الخلفاء (خصوصاً بعد المتوكل) أن صاروا كالأسراء بين أيديهم [٢]، كان له مردود سلبي؛ باعتبار ضعف إدارتهم مقارنة بقوة إدارة البرامكة وآل سهل وحنكتهم وسياستهم، فقد طغى الفساد المالي والإداري ونهب الأموال العامة وصارت المناصب والوظائف الحكومية تباع وتشترى و انتشرت الرشوة بشكل كبير، وأحياناً كان الخليفة يضطر إلى مصادرة بعض ممتلكات وأموال الكتّاب وأصحاب الدواوين وكبار الموظفين نتيجة الإثراء الفاحش من المال العام كما حصل في زمن الواثق سنة ٢٢٩ هـ [٣]!

١- (اليسع بن حمزة القمي قال: أخبرني عمرو بن مسعدة وزير المعتصم الخليفة أنه جاء علي بالمكروه الفظيع حتى تخوفته على إراقة دمي وفقر عقبي فكتبت إلى سيدي أبي الحسن العسكري عليه السلام أشكو إليه ما حل بي، فكتب إلي: لا روع إليك ولا بأس فادع الله بهذه الكلمات يخلصك الله وشيكاً به مما وقعت فيه ويجعل لك فرجاً فإن آل محمد يدعون بها عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وعند تخوف الفقر وضيق الصدر، قال اليسع بن حمزة: فدعوت الله بالكلمات التي كتب إلي سيدي بها في صدر النهار فو الله ما مضى شطره حتى جاءني رسول عمرو بن مسعدة فقال لي: أجب الوزير نهضت ودخلت عليه فلما بصر بي تبسم إلي وأمر بالحديد ففك عني وبالأغلال فحلت مني وأمرني بخلعة من فاخر ثيابه و أتحفني بطيب ثم أدناني وقربني وجعل يحدثني ويعتذر إلي ورد علي جميع ما كان استخرجه مني وأحسن رفدي وردني إلى الناحية التي كنت أتقلدها وأضاف إليها الكرة التي تليها قال: وكان الدعاء يا من تحل بأسمائه عقد المكاره .....) مهج الدعوات ومنهج العبادات، ابن طاووس: ٢٧١ – ٢٧٢.

٢- المؤرخ ابن طقطقا: (كان الأتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة في يدهم كالأسير إن شاءوا أبقوه، وإن شاءوا خلعوه، وإن شاءوا قتلوه) الفخري في الآداب السلطانية: ٢٤٣.

٣- انظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٨١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ١٠ / ٣٣٠.

الثورات التي حصلت خلال الفترة المذكورة كثيرة، لكن يهمنا بحسب بحثنا التعرض لأهم ثورات العلويين.

ثورات العلويين:

شهدت فترة إمامة الهادي صلوات الله عليه خروج كثير من العلويين بثورات وتحركات ضد الحكم العباسي، لم تكن ذات طابع سياسي بحت وإنما تضمنت شعارات دينية وبعضها رفع شعار "الرضا من آل محمد"؛ وكان أصحابها يدعون الناس إلى بيعتهم بوصفهم حكاماً شرعيين، وهذه أهم الأسماء:

١- محمد بن صالح الحسني:

محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى.

خرج في أيام المتوكل العباسي بالحجاز واجتمع الناس حوله، فخاف عمّه موسى بن عبد الله (أبو الساج) وتدخل للتوسط له عند المتوكل فألقى سلاحه وساربه إلى سامراء، فحبسه المتوكل ثلاث سنين ثم أطلق سراحه و أقام بها إلى أن مات [١].

٢- يحيى بن عمر الحسيني:

يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد.

خرج سنة ٢٣٥ هـ في بعض نواحي خراسان، فقاتله عبد الله بن طاهر (عامل بني العباس فيها)، ثم أمر المتوكل بتسليمه إلى عمر بن الفرج الرخجي، و أتى به إلى بغداد و أقام فيها. ثم خرج ثانية في سنة ٢٥٠ هـ بعد أن زار قبر الحسين صلوات الله عليه ودعا الناس والزوار إلى نفسه ورفع شعار الرضا من آل محمد، فدخل الكوفة واجتمع حوله الزيدية وبايعوه مع بعض أهل الكوفة، وقام بطرد عمال العباسيين منها. فأرسل المتوكل له جيشاً

١- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٩٧.

كبيراً لحربه فحدثت معارك بين الطرفين انتهت بمقتله وبعث رأسه إلى سامراء فنصبه المستعين فيها ثم في بغداد [١].

٣- الحسين بن محمد الحسيني:

الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسن ابن الإمام زين العابدين.

يعرف بـ "الحرون". خرج بالكوفة سنة ٢٥١ هـ بعد يحيى بن عمر، وطرد عمال بني العباس، فأرسل "المستعين" إليه مزاحم بن خاقان بجيش كبير فانهزم جيشه ودخل مزاحم الكوفة فأكثر فيها القتل ونهب أموال جميع من خرجوا مع "الحرون" الذي استطاع أن ينجو بنفسه [٢].

٤- محمد بن جعفر الحسني:

محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنى.

كان خليفة "الحرون"، خرج بالكوفة فكتب إليه عبد الله بن طاهر (العامل العباسي في بغداد) أن يوليه الكوفة، وكان ذلك منه خديعة، ثم ألقى عليه القبض وحمله إلى سامراء وحبس بها إلى أن مات [٣].

٥- الحسن ومحمد ابنا زيد الحسنيان:

الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد ابن الإمام الحسن السبط.

ثار الحسن في الري سنة ٢٥٠ هـ في أيام المستعين عند اندلاع الفتنة بين والي خراسان ووالي طبرستان، فكتب إليه أهل طبرستان يبايعونه، فجاءهم وبايعوه وكثر جمعه، ثم وجه

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤٠٦ – ٤٠٩؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤١٩ – ٤٢٤.

٢- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤١٠؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٣١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٨٠.

٣- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٣٢.

جيشاً إلى الري فملكها وتغلب على كل من قاتله من العمال العباسيين، واستطاع أن يؤسس دولته في طبرستان بين عامي (٢٥٠ – ٢٧٠ هـ)، وبعد موته خلفه أخوه محمد بن زيد. علماً، أنّ الاثنين كانا يرفعان شعار الرضا من آل محمد [١].

٦- محمد بن جعفر الحسيني:

محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن أحمد بن عيسى بن الحسين ابن الإمام زين العابدين.

خرج في الري سنة ٢٥٠ هـ، وكان يدعو الناس إلى الحسن بن زيد صاحب طبرستان، فحاربه عبد الله بن طاهر (العامل العباسي) وأسره في سنة ٢٥١ هـ وحبسه في نيسابور إلى أن مات في الحبس [٢].

٧- إدريس بن موسى الحسني:

إدريس بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى.

خرج في الري سنة ٢٥٠ – ٢٥١ هـ مع محمد بن جعفر الحسيني [٣].

٨- أحمد بن عيسى الحسيني:

أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين ابن الإمام السجاد. خرج بالري سنة ٢٥١ هـ بعد محمد بن جعفر، ودعا إلى الرضا من آل محمد، ودعا الناس إلى الحسن بن زيد (صاحب طبرستان)، فحاربه عامل العباسيين (محمد بن علي بن طاهر) فهزمه ودخل أحمد واستولى على الري [٤].

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤١٠، ٤٢٦، ٤٣١؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٥٨، ٢٠٤، ٢٢٧، ٢٣٣.

٢- انظر: مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٠٦.

٣- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤٢٩؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٨٠.

٤- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤١٠؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٠٦.

٩- الحسين بن أحمد الحسيني:

الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد الأرقط بن عبد الله ابن الإمام زين العابدين. المعروف بـ "الكوكبي". خرج بعد أحمد بن عيسى في قزوين وزنجان سنة ٢٥١ هـ وطرد عامل العباسيين ودعا الناس إلى نفسه، وبقي أميراً فيهما إلى سنة ٢٥٣ هـ حيث حاربه موسى بن بغا ودخل قزوين، فهرب منه الكوكبي وصار إلى الحسن بن زيد بطبرستان [١].

١٠- إسماعيل ومحمد ابنا يوسف الحسنيان:

إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى.

خرج في مكة والمدينة سنة ٢٥١ – ٢٥٢ هـ واستولى عليهما، ونال منه أهل المدينة والحجاز عموماً جهداً وبلاءً شديداً إلى أن مات بالطاعون ثم خلفه أخوه محمد بن يوسف، وحاربه أبو الساج الحسني، فانهزم منه وسار إلى اليمامة والبحرين وأسس فيها دولة بني الأخيضر التي بقيت إلى أن أسقطها القرامطة سنة ٣٠٥ هـ [٢].

وخرج بعدهما بالمدينة أحد أولاد موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن المثنى، ولم ينتج خروجه شيئاً، وكذلك: خرج علي بن عبد الله الطالبي المعروف بالمرعشي في آمل سنة ٢٥١ هـ، وخرج علوي آخر في نينوى من أرض العراق سنة ٢٥١ هـ فحاربهم عمال بني العباس ولم يثمر خروجهم شيئاً يذكر [٣]، تماماً كما ذكر آل محمد (الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليهم).

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤١٠؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٠٦؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٨٠، ١٩٢.

٢- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤٢٩؛ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤٥٠؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٨٠ – ١٨١.

٣- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤٢٩؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٧٩ – ١٨٠.

ملاحظة:

هذه الثورات لم تكن بإذن الإمام الهادي صلوات الله عليه ولا رضاه؛ بل كان ضررها أكبر عليه؛ لأنها – من جهة – تدفع السلطة الظالمة لصب غضبها على عميد العلويين (الإمام المعصوم)، ومن جهة أخرى: كانت تستقطب أغلب الشيعة إلى صفوفها بحجة الثورة ومقاومة الظلم وما شابه من شعارات، ومن جهة ثالثة: إنّ أغلب أصحابها على المنهج الزيدي الذي لا يعتقد أصحابه بإمامة الأئمة من ولد الحسين أصلاً، ولهذا وجدنا الزيدية بالكوفة وأماكن أخرى يلتحقون بهذه الثورات مباشرة، وكان قادة الثورات بعضهم يوصي للبعض الآخر، وكانوا يدعون الناس إلى أنفسهم أو يدعونهم لشخصيات ثائرة أخرى كدعوة بعضهم الناس لبيعة الحسن بن زيد صاحب طبرستان.

الإمام الهادي (ع) في عهد المتوكل العباسي:

الفترة التي قضاها الإمام الهادي صلوات الله عليه في عهد المتوكل العباسي الذي حكم بين عامي (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ) كانت من أشد أيامه ألماً وقسوة؛ بعد أن كان المعروف عنه نصبه وعدائه لآل محمد عليهم السلام:

- الذهبي: (كان المتوكل فيه نصب و انحراف) [١].
- السيوطي: (كان المتوكل معروفاً بالتعصب) [٢].

ابن الأثير: (وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البدين خليفة المسلمين يحكي بذلك علياً عليه السلام والمتوكل يشرب ويضحك ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه فقال المتوكل: ما حالك فقام وأخبره فقال المنتصر: يا أمير

١- سير أعلام النبلاء: ١٢ / ٣٥.

٢- تاريخ الخلفاء: ٣٧٤.

المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثال منه فقال المتوكل للمغنين غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل.

وقيل: إن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء: المأمون والمعتصم والواثق في محبة علي وأهل بيته وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي منهم علي بن الجهم الشاعر الشامي وعمرو بن فرج الرخجي [١] وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أمية وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة. وكانوا يخوفونه من العلويين ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم والإساءة إليهم ثم حسنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان فغطت هذه السيئة جميع حسناته) [٢].

وأيضاً: قتل المتوكل العالم اللغوي المعروف يعقوب بن إسحاق الأهوازي "ابن السكيت"، وسبب قتله أنه لم يقر له بأفضلية ابنيه على الحسن والحسين صلوات الله عليهما:

١- ناصبي خبيث، دعا عليه الإمام الجواد ولعنه الإمام الهادي: (عن محمد بن سنان، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال: يا محمد! حدث بآل فرج حدث؟ فقلت: مات عمر. فقال: الحمد لله! حتى أحصيت له أربعاً وعشرين مرة. فقلت: يا سيدي! لو علمت أنّ هذا يسرّك لجئت حافياً أعدو إليك. قال: يا محمد! أو لا تدري ما قال لعنه الله لمحمد بن علي، أبي؟ قال: قلت: لا! قال: خاطبه في شئ فقال: أظنك سكران! فقال أبي عليه السلام: "اللهم! إن كنت تعلم أني أمسيت لك صائماً فأذقه طعم الحرب، وذل الأسر". فوالله! إن ذهبت الأيام حتى حرب ماله وما كان له، ثم اخذ أسيراً وهو ذا قد مات لا رحمه الله وقد أدال الله عز وجل منه وما زال يديل أولياءه من أعدائه) الكافي، الكليني: ١ / ٤٩٦ – ٤٩٧.

٢- الكامل في التاريخ: ٧ / ٥٥ – ٥٦.

(قيل: جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوما مع المتوكل، وكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد ولدا المتوكل فقال له: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك، فمات في ليلة الإثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين) [١].

المتوكل يهدم قبر الحسين (ع):

أوضح فعل أعلن به المتوكل نصبه وعداءه لآل محمد عليهم السلام هو إقدامه على هدم قبر الحسين صلوات الله عليه.

الطبري: (وفيها (أي: في سنة ٢٣٦ هـ) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدوروأن يحرث ويبذرويسقى موضع قبره وان يمنع الناس من اتيانه فذكر ان عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه) [٢].

أبو الفرج الأصفهاني: (وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتماً بأمورهم شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، و اتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسئ الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى أثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة.

فحدثني أحمد بن الجعد الوشاء، وقد شاهد ذلك، قال: كان السبب في كرب قبر الحسين أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، وبلغها خبره،

١- حياة الحيوان الكبرى، الدميري: ٢ / ٣٢٨. و انظر أيضاً: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٢٠ / ٥٠ – ٥١.

٢- تاريخ الطبري: ٧ / ٣٦٥.

فأسرعت الرجوع، وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين فاستطير غضباً، وأمر بمولاتها فحبست، واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له: الديزج، وكان يهودياً فأسلم، إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراب كل ما حوله، فمضى ذلك وخرب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه) [1].

الطوسي: (علي بن عبد المنعم بن هارون الخديجي الكبير من شاطي النيل، قال: حدثني جدي القاسم ابن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي، وكان له علم بالسيرة و أيام الناس، قال: بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائدا من قواده، وضم إليه كتفا من الجند كثيرا ليشعب قبر الحسين عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره. فخرج القائد إلى الطف، وعمل بما أمر، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد به واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهرا أن مسيره إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصر. فمضى الامر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكل أيضا مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، و أنه قد كثر جمعهم كذلك، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائدا في جمع كثير من الجند، وأمر مناديا ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين، ونبش القبر وحرث أرضه، و انقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبع آل أبي طالب عليهم السلام والشيعة رضي الله عنهم، فقتل ولم يتم له ما قدر) [2].

١- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٣٩٥ – ٣٩٦.

٢- الأمالي، الطوسي: ٣٢٨ – ٣٢٩.

ومنذ حادثة المتوكل تركزت مسألة تسمية قبر الحسين وما حوله بـ"الحائر الحسيني":

- المجلسي: (وذكر الشهيدان في هذا الموضع حار الماء لما أمر المتوكل بإطلاقه على قبر الحسين عليه السلام ليعفيه فكان لا يبلغه) [١].
- الزركلي: (الحائر: هو قبر الحسين الشهيد، سمي الحائر، لأنه لما خربه المتوكل وأرسل عليه الماء، حار عنه الماء ولم يعل عليه، فسمي الحائر من ذلك الحين - المشرف) [٢].
- (الحائر: اسم لقبر الحسين عليه السلام. سمي بذلك لحور الماء حول القبر الشريف عند ما أراد المتوكل أن يعفيه وأجرى فرعا من نهر الفرات عليه) [٣].

استقدام الإمام الهادي (ع) من المدينة إلى سامراء:

كان الإمام الهادي صلوات الله عليه مقيماً في المدينة منذ ولادته سنة ٢١٢ هـ، وجل وقته متوجه لبيان دين الله بحسب ما يتاح له، لكن المتوكل العباسي لم يرق له ذلك وقرّر في أول خلافته أن يُشخص الإمام ويستقدمه من المدينة إلى سامراء، وكان سبب ذلك: وشاية عمال المتوكل بالمدينة وعلى رأسهم: عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي "ابن أترجة" الذي كان يتولى الحرب والصلاة في المسجد النبوي، حيث كتب لأميره يحرّضه على الإمام بحجة أنه يدعو الناس إلى نفسه وكثر أتباعه ... إلخ [٤].

(إنما أشخصه المتوكل إلى بغداد؛ لأن المتوكل كان يبغض علياً عليه السلام وذريته، فبلغه مقام علي عليه السلام بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة و انظر في حاله وأشخصه إلينا.

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٨٦ / ٨٩. والشهيدان يقصد بهما: محمد بن مكي العاملي، وزين الدين بن علي العاملي.

٢- الأعلام، الزركلي: ٨ / هامش ص٣٠.

٣- المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي: ٩٣٢.

٤- انظر: الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٠٩.

قال يحي: فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي وقامت الدنيا على ساق؛ لانه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحي: فجعلت أسكنهم واحلف لهم أني لم اؤمر فيه بمكروه و أنه لا بأس عليه، ثم فتّشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته. فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الظاهري وكان والياً على بغداد فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم فإن حرضته عليه قتله وكان رسول الله خصمك يوم القيامة، فقلت له: والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل، ثم صرت به إلى سر من رأى فبدأت بيوسف التركي فأخبرته بوصوله فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، قال: فعجبت كيف و افق قوله قول إسحاق، فلما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته و إني فتّشت داره فلم اجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وأن أهل المدينة خافوا عليه فأكرمه المتوكل وأحسن جائزته وأجزل برّه و أنزله معه سر من رأى) [١].

وها هنا ملاحظات:

١- بحسب نصوص بعض المؤرخين، كان استقدام الإمام الهادي إلى سامراء في أو ائل سني خلافته، وذكر بعضهم أنه كان في سنة ٢٣٣ هـ [٢]؛ ولهذا اعتبر كثيرين أنّ مدة إقامة الإمام في سامراء تزيد على ٢٠ عاماً [٣]؛ باعتبار أنه استشهد سنة ٢٥٤ هـ.

١- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٣٥٩ – ٣٦٠.

٢- انظر: تاريخ الطبري: ٧ / ٣٤٨.

٣- انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢ / ٥٦؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ١٥.

٢- من يطالع كتاب الاستدعاء الذي بعثه المتوكل بيد يحيى بن هرثمة للإمام يجد أنه كان مكتوباً بلغة دبلوماسية (كما يقال) وليس فيه تهديد علني [١]، وهذا ما دفع بالبعض إلى إثارة مسألة: هل كان الإمام مخيّراً في الذهاب إلى سامراء أم مجبراً؟

أقول: لابد أن يكون الكتاب بالصيغة التي صدرت به؛ لأن المتوكل قبل غيره يعرف مع من يتحدث، فهو إن كان لا يعترف بإمامة الإمام الهادي لكنه يعرف جيداً أنه يخاطب "ابن الرضا" الذي يقر الجميع بفضله وعظم منزلته و أنه تقلّد ولاية عهد المأمون يوماً ما، إضافة إلى عظيم قدر ومنزلة الإمام الهادي نفسه، فصيغة الكتاب لابد أن تكون لهذه الاعتبارات ولا علاقة لها بمسألة تخيير الإمام أو إجباره على الانتقال إلى سامراء.

أما معرفة هل كان الإمام الهادي مجبوراً على الانتقال، فأكيد أنه مجبور من ناحيتين؛ الأولى: الناحية الأخلاقية؛ باعتبار أنّ خليفة عباسي يرسل إليه كتاباً يظهر فيه أنه متشوق لرؤيته ويريده أن يقدم عليه بإكرام وتبجيل ليجدد به عهداً على حد زعمه، وبالتالي فرفض طلب الخليفة يضع الإمام في موقف محرج وربما يؤكد الوشايات التي حصلت بحقه، ومن ثمَّ قد يستعجل عو اقب سيئة للإمام قبل وقتها؛ لا سيما وأنّ عمر

١- هذا نص كتاب الاستقدام: (عن بعض أصحابنا قال: أخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين وهذه نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقر ابتك، موجب لحقك ، يقدر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما أصلح الله به حالك وحالهم وثبت به عزك وعزهم وأدخل اليمن والامن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضاء ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك وعندما قرفك به (اتهمك) ونسبك إليه من الامر الذي قد علم أمير المؤمنين براء تك منه وصدق نيتك في ترك محاولته و أنك لم تؤهل نفسك له وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل وأمره بإكرامك وتبجيلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما رأيت شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك، يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك والامر في ذلك إليك حتى توافي أمير المؤمنين فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ولا أحمد له اثرة ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبر وإليهم أسكن منه إليك إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وكتب إبراهيم بن العباس وصلى الله على محمد وآله وسلم) الكافي، الكليني: ١ / ٥٠١ – ٥٠٢.

ولده الإمام الحسن العسكري لم يبلغ عاماً واحداً؛ باعتبار أنّ ولادته كانت سنة ٢٣٢ هـ، وقد عرفنا مراراً أنّ مسألة حفظ حياة الوصي وإعداده أهم تكليف يقع على عاتق الإمام المعصوم.

الثانية: إنّ الإمام مجبور من الناحية الأمنية، وهذا يمكننا إدراكه بعد معرفتنا بسيرة المتوكل العباسي؛ إذ تقدم أنه رجل ناصبي يبغض أمير المؤمنين علياً وولده عليهم السلام، ولهذا فهو لم يرسل وفداً عادياً ليحاوروا الإمام في أمر الاستقدام و إنما بعث يحيى بقوة عسكرية قوامها يزيد على الثلاثمائة شخص [1]، وفور وصولهم قاموا باقتحام دار الإمام وتفتيشها من البداية، ولهذا خاف أهل المدينة على حياة الإمام، و أكيد أنّ الإمام فهم مغزى هذه الرسائل، فو افق على المسير بعياله.

٣- تأثر كثير من شخصيات البلاط العباسي بالإمام الهادي وميلهم له:

هذا المسألة واضحة طيلة أيام الخلافة العباسية، فمنذ أيام المنصور والبلاط العباسي لم يخلُ من وجود أشخاص يميلون لآل محمد عليهم السلام أو يتأثرون بهم، وقد لاحظنا في النص التاريخي السابق (الذي نقله سبط ابن الجوزي) كيف نصح إسحاق الظاهري (والي المتوكل على بغداد) يحيى بن هرثمة بالإمام الهادي و أنه رجل أولده رسول الله وحذّره من أن يذكره بسوء أمام المتوكل؛ لئلا يكون الرسول خصمه يوم القيامة! و أيضاً: لاحظنا تحذير وصيف التركي ليحيى لما وصل بقافلة الإمام إلى سامراء وقوله له: "والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك"!

والأمر لم يقف عند هؤلاء بل تعداه إلى بعض الوزراء مثل: الفتح بن خاقان، بل إلى أم المتوكل العباسي نفسه!

(إبراهيم بن محمد الطاهري انه مرض المتوكل من خراج خرج به فأشرف منه على الموت فلم يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن بأموال نفيسة، وقال الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل فسألته ربما كان عنده شئ

١- انظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٩٣؛ الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٥١.

فسأل عن الإمام عليه السلام فقال: خذوا كسب الغنم فديفوه بماء ورد وضعوه على الخراج، وفعل ذلك فنعش المتوكل وخرج منه ما كان فيه فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت ختمها. ثم إنه سعى إليه أنّ عنده أموالاً وسلاحاً فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجد عنده، فصعد سعيد سقف داره ولم يهتد أن ينزل فنادى أبو الحسن: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة فلما دخل الدار قال: دونك والبيوت فما وجد إلا كيساً مختوماً وبدرة مختومة وسيفاً تحت مصلاه، فأتى به المتوكل فلما رأى ختم أمه سألها عنها فحكت نذرها فجعل وضاعف بذلك ورد إليه، فقال الحاجب: أعزز عليّ بدخولي دارك بغير إذنك ولكنني مأمور، فقال: يا سعيد وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) [١].

٤- عند وصول الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء تعمّد المتوكل العباسي أن يحتجب عنه يوماً، وأمر بإنزاله في خان متواضع يسمّى "خان الصعاليك":

(عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت له: جعلت فداك في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك؟ فقال: ههنا أنت يا ابن سعيد؟ ثم أومأ بيده وقال: انظر فنظرت، فإذا أنا بروضات آنقات وروضات باسرات، فيهن خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون وأطيار وظباء وأنهار تفور، فحار بصري وحسرت عيني، فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك) [٢].

١- انظر: الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٣٩٣؛ الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٥١.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥١٧ – ٥١٨.

الإمام الهادي (ع) في سامراء:

أقام الإمام الهادي صلوات الله عليه في سامراء، وسكن داره التي بقي فيها حتى شهادته ودفن فيها.

كان المتوكل يرجع إليه في بعض المسائل ويقدم قوله على باقي فتاوى الفقهاء. فعلى سبيل المثال: كان لدى المتوكل كاتب نصراني يكنّيه "أبا نوح"، فأنكر عليه جماعة ذلك بحجة عدم جواز تكنية الكافر واستفتى الفقهاء فاختلفوا، فكتب إلى الإمام الهادي يسأله، فكتب في جوابه بعد البسملة قول الله: "تبت يدا أبي لهب وتب"، فأخذ المتوكل بقول الإمام.

جمع المتوكل العلماء والفقهاء والمتكلمين في قصره وطلب من ابن السكيت (قبل أن يقتله) أن يوجّه سؤالاً للإمام الهادي بحضور الجميع بغية إحراجه:

(فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا؟ وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؟ وبعث محمداً بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم و أثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمداً بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وقهر سيفهم و أثبت الحجة عليهم.

فقال ابن السكيت: فما الحجة الآن؟ قال: العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته و إنما هو صاحب نحو وشعر ولغة. ورفع قرطاساً فيه مسائل فأملى علي بن محمد عليه السلام على ابن السكيت جوابها وأمره أن يكتب: ...)، وكانت أسئلة يحيى بن أكثم كثيرة تخص تفسير بعض الآيات المتشابهة وبعضها يخص أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وكلها أجابها الإمام بجواب واضح وبيّن، ولما

قرأ يحيى بن أكثم أجوبتها قال للمتوكل: (ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شئ بعد مسائلي هذه و أنه لا يرد عليه شئ بعدها إلا دونها، وفي ظهور علمه تقوية للر افضة) [١].

في سامراء كان يصعب على شيعة الإمام الهادي عليه السلام رؤيته واللقاء به [٢]. وبعض من كان يتردد عليه أو يواليه أمر المتوكل بقطع أرز اقهم:

(أبو الحسن محمد بن أحمد، قال: حدثني عم أبي، قال: قصدت الإمام عليه السلام يوما فقلت: يا سيدي، إنّ هذا الرجل قد اطرحني وقطع رزقي وملني، وما أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك، فإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك، فينبغي أن تتفضل عليّ بمسألته. فقال: تُكفى إن شاء الله. فلما كان في الليل طرقني رسل المتوكل، رسول يتلو رسولا، فجئت والفتح على الباب قائم فقال: يا رجل، ما تأوي في منزلك بالليل؟ كد هذا الرجل مما يطلبك، فدخلت وإذا المتوكل جالس في فراشه، فقال: يا أبا موسى نشغل عنك وتنسينا نفسك، أي شئ لك عندي؟ فقلت: الصلة الفلانية، والرزق الفلاني، وذكرت أشياء، فامر لي بها وبضعفها، فقلت للفتح: وافى علي بن محمد إلى هاهنا؟ فقال: لا. فقلت: كتب رقعة؟ فقال: لا. فوليت منصرفا فتبعني، فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاء لك، فالتمس لي منه دعاء، فلما دخلت إليه عليه السلام قال لي: يا أبا موسى، هذا وجه الرضا. فقلت: ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إنك ما مضيت إليه ولا سألته. فقال: إنّ الله تعالى علم منا أنا لا نلجأ في المهمات إلا إليه، ولا نتوكل في الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألنا الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا.

١- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥٠٧ – ٥٠٩.

٢- الراوندي: (عن أبي القاسم بن القاسم، عن خادم علي بن محمد عليهما السلام قال: كان المتوكل يمنع الناس من الدخول إلى علي بن محمد، فخرجت يوماً وهو في دار المتوكل، فإذا جماعة من الشيعة جلوس بقرب الباب فقلت: ما شأنكم جلستم ههنا؟ قالوا: ننتظر انصراف مولانا لننظر إليه ونسلم عليه وننصرف. قلت لهم: وإذا رأيتموه تعرفونه؟ قالوا: كلنا نعرفه. فلما وافى قاموا إليه فسلموا عليه، ونزل فدخل داره، ...) الخرائج والجرائح: ١/ ٤٠٣.

قلت: إنّ الفتح قال لي كيت وكيت. قال: إنه يوالينا بظاهره، ويجانبنا بباطنه، الدعاء لمن يدعو به إذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت، وسألت الله تبارك وتعالى شيئا لم يحرمك.

قلت: يا سيدي فتعلمني دعاء اختص به من الأدعية. قال: هذا الدعاء كثيرا ما أدعو الله به، وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي، وهو: "يا عدتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم، وتفعل بي كيت وكيت") [١].

و أيضاً: أمر بحبس وكيل الإمام ببغداد علي بن جعفر الهماني مدة طويلة، وحينما سعى وزير المتوكل (عبيد الله بن خاقان) للإفراج عنه قال له: "يا عبيد الله لو شككت فيك لقلت إنك رافضي، هذا وكيل فلان (يقصد الهادي) و أنا عازم على قتله"، ولما بلغ علي بن جعفر الخبر كتب إلى الإمام: "يا سيدي، الله الله فيَّ فقد والله خفت أن أرتاب"، فكتب له الإمام: "أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك"! فأصبح المتوكل محموماً في اليوم التالي وزاد مرضه، فأمر بتخلية كل محبوس عرض عليه اسمه، والتفت إلى عبيد الله بن خاقان قائلاً: "لِمَ لم تعرض عليّ أمره"؟ يقصد علي بن جعفر، فقال: لا أعود إلى ذكره أبداً، فقال المتوكل: "خلِّ سبيله الساعة وسله أن يجعلني في حل"، فخلى سبيله [٢].

وفي ذات يوم، أمر المتوكل باستعراض عسكري في سامراء اشترك فيه عشرات ألوف الجنود، ثم صعد على مكان مرتفع وأصعد معه الإمام الهادي عليه السلام ليريه قوة جيشه، وكان همه أن لا يخرج عليه الإمام بحسب الوشايات التي تصل إليه من حاشيته

١- الأمالي، الطوسي: ٢٨٥ – ٢٨٦.

٢- انظر: اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٦٦.

النواصب، فأراه الإمام بإذن الله آية ثم قال له: "نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخرة، فلا عليك شئ مما تظن" [١]!

أوذي الإمام الهادي في سامراء من قبل المتوكل ورجاله الحاقدين أذىً كثيراً، فمثلاً: داره التي كان يسكنها اشتراها الإمام من يعقوب النصراني [٢]، لكن أحمد بن أبي الخصيب (أحد رجال المتوكل الحاقدين) كان يلح على الإمام أن ينتقل منها ويسلمها له، فبعث إليه الإمام: "لأقعدن بك من الله مقعداً لا يبقى لك معه باقية"، فأخذه الله في تلك الأيام [٣].

المتوكل يكبس بيت الإمام في سامراء ثم يأمر بسجنه ويحاول قتله:

أمر المتوكل بكبس بيت الإمام الهادي عليه السلام وتفتيشها أكثر من مرة بسبب الوشاة، ومنها: كبس داره ليلاً بسبب وشاية محمد بن القاسم البطحاوي، إذ أرسل المتوكل حاجبه سعيد ومعه قوة لاقتحام دار الإمام وكان معهم سلّم للصعود على سطح الدار، فتسلق وصعد وقد اشتد الظلام، ولما أحس الإمام بهم نادى عليه: "يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة"! وفعلاً، فتش سعيد ومن معه الدار فلم يجدوا غير كتب الإمام ومصحفه وسيفه تحت مصلاه، وأيضاً وجدوا الكيس الذي بعثت به أم المتوكل للوفاء بنذرها كما تقدمت الرواية.

١- (حديث تل المخالي: وذلك أنّ الخليفة أمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد مخلاة فرسه من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك، ففعلوا. فلما صار مثل جبل عظيم صعد فوقه، واستدعى أبا الحسن عليه السلام واستصعده وقال: استحضرك لنظارة خيولي، وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجافيف ويحملوا الأسلحة وقد عرضوا بأحسن زينة، وأتم عدة، وأعظم هيبة، وكان غرضه أن يكسر قلب كل من يخرج عليه، وكان خوفه من أبي الحسن عليه السلام أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج على الخليفة. فقال له أبو الحسن عليه السلام: وهل [تريد أن] أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم. فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدججون فغشي على الخليفة، فلما أفاق قال أبو الحسن عليه السلام: نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخرة، فلا عليك شئ مما تظن) الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤١٤ – ٤١٥..

٢- انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢ / ٥٧.

٣- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٠٦.

وأيضاً: سُعي بالإمام الهادي إلى المتوكل مرة أخرى، فأرسل قوة لاقتحام داره ليلاً وإحضاره:

(كان قد سعي به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه فوجه إليه عدة من الأتراك فهجموا منزله على غفلة فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى فأُخذ على الصورة التي وجد عليها في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل في مجلس شرابه وبيده كأس فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه فناوله الكأس، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني منه فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية منه، فقال: لابد فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحللُ
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طال دهراً ما أكلوا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فأشفق من حضر على علي وخافوا أن بادرة تبدر إليه فبكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حضره ثم أمر برفع الشراب وقال: يا أبا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمر بدفعها إليه ورده إلى منزله مكرماً) [1].

الرواية تظهر مدى الألم والضيق الذي عانى منه الإمام الهادي صلوات الله عليه بسامراء، ليس فقط من الجانب الأمني وتهديد حياته، ولكن أيضاً من الجانب المعيشي

١- الوافي بالوفيات، الصفدي: ٢٢ / ٤٨ – ٤٩.

والاقتصادي بسبب عدم إمكانه من التواصل مع شيعته في أغلب الأحيان واستلام الحقوق المفروضة عليهم لتدبير شؤون رسالته وأمته.

(عن الصقر بن أبي دلف الكرخي قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام جئت أسأل عن خبره قال: فنظر إلي الرازقي وكان حاجبا للمتوكل فامر أن ادخل إليه فأدخلت إليه فقال: يا صقر ما شأنك؟ فقلت: خير أيها الأستاذ، فقال: اقعد فأخذني ما تقدم وما تأخر وقلت: أخطأت في المجئ قال: فوحى الناس عنه ثم قال لي: ما شأنك، وفيم جئت؟ قلت: لخير ما فقال: لعلك تسأل عن خبر مولاك؟ فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين فقال: أسكت مولاك هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبك، فقلت: الحمد لله قال: أتحب أن تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده قال: فجلست فلما خرج، قال لغلام له: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وخل بينه وبينه قال: فأدخلني إلى الحجرة فأومأ إلى بيت فدخلت فإذا عليه السلام جالس على صدر حصير وبحذاه قبر محفور، قال: فسلمت فرد، ثم أمرني بالجلوس، ثم قال لي: يا صقر ما أتى بك؟ قلت: يا سيدي جئت أتعرف خبرك؟ قال: ثم نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إلي فقال: يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء الآن، فقلت: الحمد لله، ثم قلت: يا سيدي حديث يروي عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ فقلت: قوله: "لا تعادوا الأيام فتعاديكم" ما معناه؟ فقال: نعم الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله، والاحد كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين الحسن والحسين والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي و أنا، والخميس ابني الحسن بن علي، والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحق وهو الذي يملاها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة، ثم قال عليه السلام: ودع واخرج فلا آمن عليك) [1].

بالغ المتوكل في أذى الإمام الهادي في أواخر أيامه، وبلغ الحال بالإمام أن رفع يديه بالدعاء عليه: "... اللهم، إني وفلان بن فلان – يعني المتوكل – عبدان من عبيدك نواصينا

١- الخصال، الصدوق: ٣٩٥ – ٣٩٦.

بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا ... " إلى آخر الدعاء المعروف بدعاء السيف ودعاء اليماني [١].

فاستجاب الله سبحانه دعاء وليّه ولم يمهل المتوكل بعد هذا الدعاء سوى ثلاثة أيام:

(عن زرافة قال: أراد المتوكل أن يُمشي علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام يوم، فقال له وزيره: إن في هذا شناعة عليك وسوء مقالة فلا تفعل. قال: لابد من هذا. قال: فإن لم يكن بد من هذا فتقدم بأن يمشي القواد والاشراف كلهم، حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون غيره. ففعل ومشى عليه السلام وكان الصيف، فوافى الدهليزوقد عرق. قال: فلقيته فأجلسته في الدهليزومسحت وجهه بمنديل وقلت: إن ابن عمك لم يقصدك بهذا دون غيرك، فلا تجد عليه في قلبك. فقال: إيهاً عنك "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب".

قال زرافة: وكان عندي معلم يتشيع وكنت كثيرا أمازحه بالرافضي فانصرفت إلى منزلي وقت العشاء وقلت: تعال يا رافضي حتى أحدثك بشئ سمعته اليوم من إمامكم، قال: وما سمعت؟ فأخبرته بما قال. فقال: يا حاجب أنت سمعت هذا من علي بن محمد عليهما السلام؟ قلت: نعم. قال: فحقك عليّ واجب بحق خدمتي لك فاقبل نصيحتي. قلت: هاتها. قال: إن كان علي بن محمد قد قال ما قلت فاحترزوأخزن كل ما تملكه، فإن المتوكل يموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام. فغضبت عليه وشتمته وطردته من بين يدي، فخرج.

فلما خلوت بنفسي، تفكرت وقلت: ما يضرني أن آخذ بالحزم، فإن كان من هذا شئ كنت قد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرني ذلك، قال: فركبت إلى دار المتوكل فأخرجت كل ما كان لي فيها، وفرقت كل ما كان في داري إلى عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلا حصيرا أقعد عليه. فلما كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت أنا ومالي، فتشيعت عند ذلك وصرت إليه، ولزمت خدمته، وسألته أن يدعو لي وتوليته حق الولاية) [٢].

١- انظر: المصباح، الكفعمي: ٢٠٩ فما بعد.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٠١ – ٤٠٣.

وتزامن في هذه الفترة أنّ المتوكل أمر بكبس بيت الإمام أيضاً:

(عن الحسن بن محمد بن جمهور العمي، قال: سمعت من سعيد الصغير الحاجب قال: دخلت على سعيد بن صالح الحاجب فقلت: يا أبا عثمان قد صرت من أصحابك، وكان سعيد يتشيع. فقال: هيهات، قلت: بلى والله. فقال: وكيف ذلك؟ قلت: بعثني المتوكل وأمرني أن أكبس على علي بن محمد بن الرضا فأنظر ما فعل، ففعلت ذلك فوجدته يصلي، فبقيت قائماً حتى فرغ، فلما انفتل من صلاته أقبل علي وقال: "يا سعيد لا يكف عني جعفر - أي المتوكل الملعون - حتى يقطع إربا إربا! اذهب واعزب" وأشار بيده الشريفة، فخرجت مرعوباً، ودخلني من هيبته ما لا أحسن أن أصفه، فلما رجعت إلى المتوكل سمعت الصيحة والواعية، فسألت عنه فقيل: قتل المتوكل، فرجعنا وقلت بها) [١].

و أيضاً: كانت لدى المتوكل محاولة لقتل الإمام قبل يومين من مقتله:

(ابن أورمة [قال:] خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى فدخلت على سعيد الحاجب ودفع المتوكل أبا الحسن إليه ليقتله، فلما دخلت عليه، قال: تحب أن تنظر إلى إلهك؟ قلت: سبحان الله إلهي لا تدركه الابصار. قال: هذا الذي تزعمون أنه إمامكم! قلت: ما أكره ذلك. قال: قد أمرت بقتله، و أنا فاعله غدا - وعنده صاحب البريد - فإذا خرج فادخل إليه. فلم ألبث أن خرج قال: ادخل. فدخلت الدار التي كان فيها محبوسا فإذا هو ذا بحياله قبر يحفر، فدخلت وسلمت وبكيت بكاء شديداً، قال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى. قال: لا تبك لذلك [فإنه] لا يتم لهم ذلك. فسكن ما كان بي. فقال: إنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته. قال: فوالله ما مضى غير يومين حتى قتل [وقتل صاحبه]) [٢].

(عن أبي العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب، قال: كنا مع المعتز، وكان أبي كاتبه، فدخلنا الدار والمتوكل على سريره قاعد، فسلم المعتز ووقف ووقف خلفه، وكان عهدي به إذا دخل عليه رحب به وأمره بالقعود ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة،

١- الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٣٩.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤١٢.

ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي يقول فيه ما يقول. ويرد عليه القول، والفتح مقبل عليه يسكنه ويقول: مكذوب عليه يا أمير المؤمنين. وهو يتلظى ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق، وهو الذي يدعي الكذب، ويطعن في دولتي. ثم قال: جئني بأربعة من الخزر وأجلاف لا يفقهون. فجئ بهم، ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن، وأن يقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه ويقتلوه، وهو يقول: والله لأحرقنه بعد القتل. .....)، وشاء الله أن يدخل الإمام ويلقي هيبته على قلوب هؤلاء الأربعة ويرموا سيوفهم بعد ان اخذتهم الرهبة. وكذلك سقط المتوكل من سريره، ونجى الله وليه من القتل [١]!

مقتل المتوكل وأحداث ما قبل شهادة الإمام:

قُتل المتوكل في مطلع شعبان سنة ٢٤٧ هـ. وكان قد بايع بولاية العهد لابنه "المنتصر" ثم "المعتز" ثم "المؤيد"، لكنه كان يكره المنتصر ويهينه ويشتمه دائماً وأراد أن يقدم عليه المعتز، فعزم المنتصر على قتل والده بالاتفاق مع بعض القادة الترك (كوصيف التركي الذي كان يميل إلى الامام الهادي)، وبعض المؤرخين – كما تقدم – أضاف أنّ أحد أسباب إقدام المنتصر على قتل والده هو نصبه وبغضه لأمير المؤمنين علي صلوات الله عليه واستهزائه به بمحضر العامة!

بحسب بعض المؤرخين: كان المتوكل قد أكثر من الشراب في تلك الليلة فدخل عليه جماعة وهو منشغل بلهوه ومجونه فقتلوه مع وزيره الفتح بن خاقان [٢].

أعدَّ المنتصر كتاباً، قُرئ على العامة بعد بيعته بالخلافة، مفاده: أنّ الفتح بن خاقان هو القاتل لأبيه، ومن جهة التعامل مع العلويين بشكل عام كانت سيرته بالضد من سيرة أبيه تماماً، فقام برد فدك على العلويين ورفع الحجر عن أوقافهم وأرجعها لهم، وقام بعزل والي المدينة "صالح بن علي" واستعمل عليها علي بن الحسن وأوصاه بالبر بالعلويين، و أيضاً: سمح للناس بزيارة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بعد أن كانت

١- الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٥٦.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٣٦.

ممنوعة بأمر من المتوكل، ورفع الحجر عن زيارة الحسين صلوات الله عليه التي منعها المتوكل وفرض على من يزوره أقسى العقوبات كما عرفنا [١].

(كان المنتصر يظهر الميل إلى أهل هذا البيت ويخالف أباه في أفعاله، فلم يجرِ منه على أحد منهم قتل أو حبس ولا مكروه) [٢].

لكن أيام المنتصر لم تدم غير سنة واحدة، إذ مات في ربيع الأول سنة ٢٤٨ هـ، قيل: لمرض ألّم به، وقيل: مات مسموماً [٣].

وكان قبل موته خلع أخويه: المعتز والمؤيد عن ولاية العهد وأودع أخاه المعتز السجن بتدبير من بعض الأتراك (بغا الكبير، وبغير الصغير، و أتامش)؛ خوفاً من القتل إذا ما تولى أحدهما الخلافة، ولذلك تقلّد الخلافة بعد المنتصر عمّه المستعين بن المعتصم، وكان مجرد آلة بيد الأتراك يحركونه حيث شاءوا.

وفي سنة ٢٥١ هـ صادف أن قُتل باغر التركي (أحد الرجال الترك في الدولة) فاتهمه بعض الأتراك المتنفذين بدمه، فهرب من سامراء إلى بغداد برفقة وصيف التركي وبغا الصغير، وعاث الترك في سامراء فساداً وأخرجوا المعتز من سجنه وبايعوه بالخلافة وساروا إلى بغداد وحدثت بينهم وبين المستعين وجماعته معارك انتهت بتنازل المستعين عن الخلافة و انفراد المعتز بن المتوكل بها في سنة ٢٥٢ هـ، فأمر بحبس عمّه المستعين في واسط ابتداءً ثم لاحقاً أمر بقتله فذبح وحمل إليه رأسه [٤]!

في عهد المعتز عادت مأساة وجرائم أبيه المتوكل من جديد بحق العلويين والإمام الهادي صلوات الله عليه بالتحديد، ولم يمهل الإمام كثيراً حتى قتله بالسم.

١- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٤٩.

٢- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني: ٤١٩.

٣- انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٤٨.

٤- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤١٧؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٦ / ١٨٥.

شهادة الإمام الهادي (ع):

لم يمضِ على حكم المعتز ثلاث سنين، إلا وقرر قتل الإمام بالسم، وقد صرّح بقتل الإمام مسموماً جملة من المؤرخين والمحدثين، وبعضهم ذكر المعتز بالاسم [١]، وبعض آخر ذكر المعتمد [٢]، وهو إما أنه اشتبه بالاسم أو أنّ المعتمد سمَّ الإمام بأمر من أخيه المعتز.

كان عمر ولده الإمام الحسن العسكري ٢٢ عاماً، واكتظ الناس في تشييع الإمام بعد أن صلّى عليه ابنه العسكري عليه السلام [٣]، وفي بعض الروايات أنه خرج خلف جنازة أبيه مشيّعاً وقد شقَّ قميصه لعظم مصيبته بأبيه، ولما سُئل عن ذلك، قال عليه السلام: "قد شق موسى على هارون" [٤].

(وقد كان أبو محمّد عليه السلام صلّى عليه قبل أن يخرج إلى الناس، وصلّى عليه لمّا أخرج المعتمد، ثمّ دفن في دار من دوره، واشتدّ الحرّ على أبي محمّد عليه السلام وضغطه الناس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه. فصار في طريقه إلى دكّان بقّال رآه مرشوشاً، فسلّم، واستأذنه في الجلوس، فأذن له وجلس، ووقف الناس حوله.

فبينا نحن كذلك، إذ أتاه شابّ حسن الوجه، نظيف الكسوة، على بغلة شهباء، على سرج ببرذون أبيض قد نزل عنه، فسأله أن يركبه، فركب حتّى أتى الدار ونزل، وخرج في تلك

١- انظر على سبيل المثال: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ٤٢٣؛ تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي: ٣٦٢؛ نور الأبصار، الشبلنجي: ٣٣٧؛ الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ٢ / ١٠٧٦؛ وبعضهم صرّح باسم المعتز، مثل: الكفعمي في المصباح، عنه: بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ١١٧.

٢- نقله ابن شهراشوب عن ابن بابويه، انظر: مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٥٠٦. علماً أنّ المعتمد بن المتوكل بويع بالخلافة في سنة ٢٥٦ هـ بعد موت المهتدي بن الواثق الذي بويع له بالخلافة إثر خلع المعتز نفسه في سنة ٢٥٥ هـ.

٣- انظر: الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٦.

٤- روى الحر العاملي بسنده: (عن أبي هاشم الجعفري قال: خرج أبو محمد عليه السلام في جنازة أبي الحسن عليه السلام وقميصه مشقوق، فكتب إليه ابن عون: من رأيت أو بلغك من الأئمة شق قميصه في مثل هذا؟! فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: يا أحمق، وما يدريك ما هذا؟! قد شق موسى على هارون. .....

عن الفضل بن الحارث قال: كنت بسر من رأى بعد خروج سيدي أبي الحسن عليه السلام، فرأينا أبا محمد عليه السلام ماشياً وقد شق ثوبه) وسائل الشيعة (آل البيت): ٣ / ٢٧٤ – ٢٧٥.

العشيّة إلى الناس ما يخرم عن أبي الحسن عليه السلام (أي كان مثله تماماً) حتّى كأنهم لم يفقدوا منه إلا الشخص) [١].

وكان الإمام الهادي عليه السلام قبل وفاته دفع مواريث الإمامة إلى ولده الحسن وأوصى إليه بمحضر الشهود الثقات:

(واعتل أبو الحسن علّته التي توفي فيها في سنة أربع وخمسين ومائتين واحضر ابنه أبا محمد الحسن عليه السلام وأعطاه النور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح ونص عليه وأوصى إليه بمشهد ثقات من أصحابه ومضى عليه السلام وله أربعون سنة ودفن بسر من رأى وصارت الإمامة للمولى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وهو الحسن الأخير بالنص عليه من أبيه عليه السلام وقام بأمر الله عزوجل) [٢].

ختم الإمام الهادي صلوات الله عليه حياته بالشهادة في سبيل الله بعمر ٤٢ عاماً بعد أن أنجز رسالته الإلهية على أتم وجه، وكانت حياته الشريفة مليئة بالألم وشدة المعاناة التي لاقاها من طغاة عصره، فسلامٌ على روحه الطاهرة وصبره العظيم يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

١- إثبات الوصية، المسعودي: ٢٤٣.

٢- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١٣٣ – ١٢٣.

(٤)

الإمام العسكري؛ إعداد إلهي ليوم الغيبة

المكان: المدينة المنورة، سامراء
العمر: ٢٨ عاماً (٢٣٢ – ٢٦٠ هـ)
مدة الإمامة: ٦ أعوام

ثامن الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه هو الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام. ولد بالمدينة سنة ٢٣٢ هـ، وكان عليه السلام يقول: "كان مولدي في ربيع الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بالمدينة" [١].

ليس للإمام العسكري ولد غير ابنه محمد المهدي صلوات الله عليه، وبه يكنّى.

ألقابه كثيرة؛ أشهرها: "العسكري"؛ نسبة للعسكر (اسم يطلق على سامراء)، و"الفاضل"، و"الزكي"، وله ألقاب أخرى كثيرة وردت في الروايات.

النص على إمامته وحياته في ظل أبيه وما قيل فيه:

النص على إمامته:

ورد النص على إمامته بطريقين:

- الأول: وصية رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة وفاته؛ إذ تضمنت ذكر اسمه: "... فإذا حضرته (أي الإمام الهادي) الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل" [٢].

١- انظر: الإرشاد، المفيد: ١ / ٣٢٦.

٢- الغيبة، الطوسي: ١٥١.

- الثاني: النص عليه من آبائه، ومنهم أبيه صلوات الله عليهم، وهي نصوص كثيرة، منها ما جاء في كتاب "الكافي":

(باب: الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام:

١- ... عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.

٢- ... عن علي بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمر بنا محمد ابنه (سبع الدجيل) فقلت له: جعلت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسن.

٣- ... عن عبد الله بن محمد الأصفهاني قال: قال أبو الحسن عليه السلام: صاحبكم بعدي الذي يصلي عليّ، قال: ولم نعرف أبا محمد قبل ذلك، قال: فخرج أبو محمد فصلى عليه.

٤- ... عن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً أبا الحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً.

٥- ... عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنباري قال: كنت حاضرا عند [مضي] أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسي فجلس عليه، وحوله أهل بيته، و أبو محمد قائم في ناحية، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد عليه السلام فقال: يا بني أحدث لله تبارك وتعالى شكراً فقد أحدث فيك أمراً.

٦- ... عن علي بن مهزيار قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن كان كون - وأعوذ بالله - فإلى من؟ قال: عهدي إلى الأكبر من ولدي.

٧- ... عن علي بن عمرو العطار قال: دخلت على أبي الحسن العسكري عليه السلام و أبو جعفر ابنه في الاحياء و أنا أظن أنه هو، فقلت له: جعلت فداك من أخص من ولدك؟

فقال: لا تخصوا أحداً حتى يخرج إليكم أمري قال: فكتبت إليه بعد: فيمن يكون هذا الأمر؟ قال: فكتب إلي في الكبير من ولدي، قال: وكان أبو محمد أكبر من أبي جعفر.

٨- ... عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن ابن الحسن الأفطس أنهم حضروا - يوم توفي محمد بن علي بن محمد - باب أبي الحسن يعزونه وقد بسط له في صحن داره والنساء جلوس حوله، فقالوا: قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلا سوى مواليه وسائر الناس إذ نظر إلى الحسن بن علي قد جاء مشقوق الجيب، حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه، فنظر إليه أبو الحسن عليه السلام بعد ساعة فقال: يا بني أحدث لله عز وجل شكراً، فقد أحدث فيك أمراً، فبكى الفتى وحمد الله واسترجع، وقال: الحمد لله رب العالمين و أنا أسأل الله تمام نعمه لنا فيك و إنا لله و إنا إليه راجعون، فسألنا عنه، فقيل: هذا الحسن ابنه، وقدرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة أو أرجح، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالإمامة و أقامه مقامه.

٩- ... عن محمد بن يحيى بن درياب قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بعد مضي أبي جعفر فعزيته عنه و أبو محمد عليه السلام جالس فبكى أبو محمد عليه السلام، فأقبل عليه أبو الحسن عليه السلام فقال [له]: إن الله تبارك وتعالى قد جعل فيك خلفاً منه فاحمد الله.

١٠- عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد ما مضى ابنه أبو جعفر و إني لأفكر في نفسي أريد أن أقول: كأنهما أعني أبا جعفر و أبا محمد في هذا الوقت كأبي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر ابن محمد عليهم السلام وإن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد المرجى بعد أبي جعفر عليه السلام فأقبل علي أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون، و أبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج إليه ومعه آلة الإمامة.

١١- ... عن أبي بكر الفهفكي قال: كتب إلي أبو الحسن عليه السلام: أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه ينتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه، فعنده ما يحتاج إليه.

١٢- ... عن شاهويه بن عبد الله الجلاب قال: كتب إلي أبو الحسن في كتاب: أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك فلا تغتم فإن الله عزوجل "لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون" وصاحبك بعدي أبو محمد ابني وعنده ما تحتاجون إليه، يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء الله" ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها" قد كتبت بما فيه بيان وقناع لذي عقل يقظان.

١٣- ... عن داود بن القاسم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟ فقلت: ولم جعلني الله فداك؟ فقال: إنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد عليهم السلام) [1].

ما معنى "أحدث الله فيك أمراً"؟

النص على إمامة الإمام الحسن العسكري صلوات الله عليه أمر واضح ومؤكد ليس من قبل أبيه الهادي صلوات الله عليه ومن سبقه من آبائه وحسب، وإنما منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله، ولهذا ورد ذكره بالاسم في وصيته المقدسة ليلة وفاته.

أما قول أبيه الهادي عليه السلام له: "أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً" في الحديث رقم (٤، ٥، ٨)، وقوله لأبي هاشم الجعفري: "بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر" وشبّه حاله بحال الإمام موسى الكاظم بعد موت أخيه إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام في الحديث رقم (١٠) فهو يشير إلى "البداء" الذي يعتقد به الأئمة المعصومون

١- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٥ – ٣٢٨.

وشيعتهم، وقد أوضحنا حقيقته وبيّنا معنى "بدا لله في إسماعيل" في بحث رسالة الإمام الصادق صلوات الله عليه في الجزء السابق من "يوم الحسين".

وباختصار أقول: وفق العقيدة الحقة التي نطق بها القرآن الكريم فيما يتعلق بعلم الله سبحانه، يوجد ما أسماه القرآن الكريم "اللوح المحفوظ" أو "أم الكتاب"، ويوجد أيضاً "لوح المحو والإثبات" أو "المتشابهات". أما على مستوى اللوح المحفوظ (وهو علم الله الذي تتصف به ذاته المقدسة) فهو علم ثابت والأمور فيه محددة ومشخصة بالدقة بلا أي تغير أو تبدل. نعم، التبدل والتغير ووجود عدة خيارات واحتمالات إنما يكون على مستوى "لوح المحو والإثبات" بحكم المتغيرات التي تحصل في عالم الخلق ومنها أفعال العباد أنفسهم وسعيهم في عالم الامتحان، فمثلاً: يوجد عدة احتمالات لموت زيد أحدها: أنه يموت بعمر ٤٠ سنة، لكن إذا دعا الله وتصدّق يضاف لعمره ١٠ سنوات أخرى فيموت بعمر ٥٠ سنة وهو الاحتمال الآخر لعمره، وهكذا يوجد ربما احتمالات أخرى مرهونة بشروط معينة، أو مثلاً: مقدّر له أن يمرض أو يسجن من قبل الظالم في يوم "كذا" لكنه إذا دعا الله وعمل عملاً صالحاً يُدفع عنه المرض والسجن، وهكذا. فواضح أنّ التغيير والتبدل إنما هو في العلم المتعلق بساحة وعالم الخلق وليس العلم الخاص بذات الله (العلم الذي تتصف به ذاته المقدسة). وهذه حقيقة بديهية وفطرية ويتعامل بها (عملياً) جميع المؤمنين بالله بمختلف مذاهبهم وقد نطق بها القرآن، قال تعالى: "يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ" الرعد: ٣٩، وإلا فأين يمحو الله ويثبت إن لم يكن في عالم الخلق! و أيضاً: الروايات المتواترة تؤكد هذه الحقيقة، بل وتؤكدها سيرة المؤمنين بالله ورسله عموماً كما قلت، وإلا لماذا يسعى المهموم أو المريض أو الناس الذي يمرون بظروف سيئة عموما في الدنيا إلى تبدل حالهم ووضعهم إذا كانت الأمور بعالم الخلق مرهونة سلفاً بخيار واحد لا تبديل فيه ولا تغيير!

إذا اتضحت حقيقة البداء، فمسألة إمامة الإمام الحسن العسكري أو موسى الكاظم صلوات الله عليهما أمر واضح ومنصوص عليه ومعلوم ومكتوب عند الله في "أم الكتاب" أي: لا تغيير فيه ولا تبديل وقد كشفت نصوص المعصومين ذلك، لكن في عالم الخلق ظهر للناس (أي هم ظنوا ذلك) أنّ الإمام بعد الصادق هو ابنه إسماعيل وأنّ الإمام بعد الهادي هو ابنه محمد "أبو جعفر"؛ وسبب ظنهم هو شدة صلاحهما واستقامتهما، وكما قلت: هذا

ما ظنه الناس وما استظهروه هم، وإلا فلم يصدر من قبل المعصومين (من الرسول وصولاً إلى الإمام الهادي) أي نص يشير إلى إمامة السيد إسماعيل بن جعفر الصادق أو السيد محمد بن علي الهادي، وإنما النص قائم على إمامة الكاظم والعسكري صلوات الله عيلهما كما عرفنا.

أما: لماذا شاء الله وظهر صلاح "أبي جعفر" ابن الإمام الهادي بهذا المستوى، وهو نفسه السؤال الذي سبق ذكره: لماذا ظهر صلاح إسماعيل ابن الإمام الصادق بهذا المستوى العالي في عالم الدنيا بحيث استدعى أن يتوهم الناس بإمامتهما؟

الجواب واحد في الإثنين؛ إذ ذكرنا هناك وجود حكم وغايات وعلى رأسها الحفاظ على حياة الإمام المعصوم، فشاء الله أن يستره بصلاح أخيه بحيث تتوجه أنظار الطغاة إلى "الأخ الصالح" وتترك التعرض للإمام المعصوم! ففي زمن الطاغية المنصور العباسي ظهر إسماعيل بهذا المستوى من الصلاح ليكون سبباً في حفظ أخيه موسى الكاظم من القتل، وهو نفسه السبب في ظهور صلاح السيد محمد "أبو جعفر" بين الناس، إذ كانت مشيئة الله وحكمته تقتضي الحفاظ على حياة الإمام العسكري من القتل على يد الطاغية المتوكل العباسي ومن تلاه من طغاة بني العباس.

ومع هذا، فقد شاء الله – لشدة رحمته بعباده وحرصه على هدايتهم ونجاتهم – أن يكون موت إسماعيل في أواخر حياة أبيه الصادق ليزيل توهم بعض المؤمنين بإمامته بعد أبيه، وكذلك شاء أن يموت محمد في أواخر حياة أبيه الهادي ليزيل توهم بعض المؤمنين بإمامته بعد أبيه، بعد أن تحقق الغرض من ظهور صلاحهما واستقامتهما بمستوى عالٍ وكان كل منهما فداء مباركاً لأخيه المعصوم!

وبهذا نعرف أن قول الإمام الهادي لولده العسكري: "أحدث لله شكراً ..." أي: أشكر الله سبحانه؛ لأنه أظهر للناس إمامتك وأزال عنهم شكوكهم وظنونهم بأنّ أخاك "أبا جعفر" هو الإمام بعدي! ومع كل هذا التأكيد ودقة التخطيط الربّاني وحكمه المبهرة، بقي بعض الشيعة يعتقدون بإمامة "أبي جعفر" بعد وفاة الإمام الهادي وشكّوا بإمامة الإمام الحسن العسكري كما سيتضح.

الإمام العسكري (ع) في حياة أبيه:

بقي الإمام العسكري ملازماً لأبيه ٢٢ عاماً، لكن حكمة الإمام الهادي صلوات الله عليه اقتضت التستر على ولده الحسن، حتى إنّ بعض الشيعة لم يكن قد رأوه إلا عند وفاة أخيه محمد ومجيئهم لتعزية الإمام الهادي: "... إذ نظر (إي الإمام الهادي) إلى الحسن بن علي قد جاء مشقوق الجيب، حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه" كما تقدم في رواية "الكافي"، والسبب في ذلك هو حفظه من أعين الطغاة والأعداء، فصار أخوه محمد عليه السلام بالوجه ومحط النظر، لذلك ظن بعض الشيعة بإمامته بعد أبيه!

وعموماً، أهم حدثين مهمين حصلا للإمام العسكري أثناء حياة أبيه، هما:

الأول: وفاة أخيه السيد محمد "أبو جعفر" في سنة ٢٥٢ هـ، أي قبل وفاة الإمام الهادي صلوات الله عليه بسنتين. وكانت تربطه به علاقة قوية جداً، إذ كانا لا يفترقان منذ صغرهما:

(عن أحمد بن عيسى العلوي من ولد علي بن جعفر قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام بصريا (قرية بالمدينة) فسلّمنا عليه، فإذا نحن بأبي جعفر و أبي محمد قد دخلا، فقمنا إلى أبي جعفر لنسلّم عليه، فقال أبو الحسن عليه السلام: ليس هذا صاحبكم، عليكم بصاحبكم، وأشار إلى أبي محمد عليه السلام) [١].

(علان الكلابي قال: صحبت أبا جعفر محمد بن علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام، وهو حديث السن، فما رأيت أوقر ولا أزكى ولا أجل منه، وكان خلفه أبو الحسن العسكري عليه السلام بالحجاز طفلاً وقدم عليه مشتداً، فكان مع أخيه الإمام أبي محمد عليه السلام لا يفارقه وكان أبو محمد يأنس به وينقبض مع أخيه جعفر) [٢].

١- الغيبة، الطوسي: ١٩٩.

٢- المجدي في أنساب الطالبيين، العلوي العمري: ١٣١ – ١٣٢.

ولهذا، كان وقع فقد أخيه "محمد" مؤلم جداً على قلبه الشريف، وقد بينت إحدى روايات "الكافي" المتقدمة أنه شقَّ عليه جيبه كما شقَّ موسى الكليم جيبه على فقد هارون!

الثاني: زواجه بالسيدة نرجس عليها السلام:

السيدة الطاهرة "نرجس" أو "مليكة" أو "صقيل" بحسب ورود ذكرها في الروايات هو اسم الجارية التي اشتراها الإمام الهادي عليه السلام في حياته وزوّجها من ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وكان ثمرة الزواج المبارك ولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه في سنة ٢٥٥ هـ، ولم يلد للإمام العسكري ولد غيره لا ذكر ولا أنثى.

وقصة مجيء السيدة نرجس من أرض الروم إلى بغداد ثم وصولها إلى بيت الإمام الهادي في سامراء وزواجها بالإمام الحسن العسكري مشهورة [١].

١- روى الشيخ الصدوق بسنده عن: (أبي الحسين محمد بن بحر الشيباني قال: وردت كربلاء سنة ست وثمانين ومائتين، قال: وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم انكفأت إلى مدينة السلام متوجها إلى مقابر قريش في وقت قد تضرمت الهواجر وتوقدت السمائم، فلما وصلت منها إلى مشهد الكاظم عليه السلام واستنشقت نسيم تربته المغمورة من الرحمة، المحفوفة بحدائق الغفران أكببت عليها بعبرات متقاطرة، وزفرات متتابعة وقد حجب الدمع طرفي عن النظر فلما رقأت العبرة وانقطع النحيب فتحت بصري فإذا أنا بشيخ قد انحنى صلبه، وتقوس منكباه، وثفنت جبهته وراحتاه، وهو يقول لآخر معه عند القبر: يا ابن أخي لقد نال عمك شرفا بما حمله السيدان من غوامض الغيوب وشرائف العلوم التي لم يحمل مثلها إلا سلمان، وقد أشرف عمك على استكمال المدة وانقضاء العمر، وليس يجد في أهل الولاية رجلا يفضي إليه بسره، قلت: يا نفس لا يزال العناء والمشقة ينالان منك بإتعابي الخف والحافر في طلب العلم، وقد قرع سمعي من هذا الشيخ لفظ يدل على علم جسيم وأثر عظيم، فقلت: أيها الشيخ ومن السيدان؟ قال: النجمان المغيبان في الثرى بسر من رأى، فقلت: إني أقسم بالموالاة وشرف محل هذين السيدين من الإمامة والوراثة إني خاطب علمهما، وطالب آثارهما، وباذل من نفسي الايمان المؤكدة على حفظ أسرارهما، قال: إن كنت صادقا فيما تقول فأحضر ما صحبك من الآثار عن نقلة أخبارهم، فلما فتش الكتب وتصفح الروايات منها قال: صدقت أنا بشر بن سليمان النخاس من ولد أبي أيوب الأنصاري أحد موالي أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام وجارهما بسر من رأى، قلت: فأكرم أخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما قال: كان مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليهما السلام فقهني في أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلا بإذنه، فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه فأحسنت الفرق [فيما] بين الحلال والحرام. فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسر من رآى وقد مضى هوي من الليل إذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعا فإذا أنا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام يدعوني إليه فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيته يحدث ابنه

أبا محمد وأخته حكيمة من وراء الستر، فلما جلست قال: يا بشر إنك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، فأنتم ثقاتنا أهل البيت و إني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها شأو الشيعة في الموالاة بها: بسر أطلعك عليه و أنفذك في ابتياع أمة فكتب كتابا ملصقا بخط رومي ولغة رومية، وطبع عليه بخاتمه، وأخرج شستقة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارا فقال: خذها وتوجه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وبرزن الجواري منها فستحدق بهم طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس وشراذم من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرتين صفيقتين، تمتنع من السفور ولمس المعترض، والانقياد لمن يحاول لمسها ويشغل نظره، بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية، فاعلم أنها تقول: وا هتك ستراه، فيقول بعض المبتاعين علي بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول بالعربية: لو برزت في زي سليمان وعلى مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة فأشفق على مالك، فيقول النخاس: فما الحيلة ولا بد من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن قلبي [إليه و] إلى أمانته وديانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس وقل له: إن معي كتابا ملصقا لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية وخط رومي، ووصف فيه كرمه ووفاه ونبله وسخاءه فناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته، فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان النخاس: فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديداً، وقالت لعمر بن يزيد النخاس: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة المغلظة إنه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فما زلت أشاحه في ثمنها حتى استقر الامر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير في الشستقة الصفراء، فاستوفاه مني وتسلمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة، و انصرفت بها إلى حجرتي التي كنت آوي إليها ببغداد فما أخذها القرار حتى أخرجت كتاب مولاها عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها، فقلت: تعجبا منها أتلثمين كتابا ولا تعرفين صاحبه؟ قالت: أيها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء أعرني سمعك وفرغ لي قلبك أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمي من ولدا الحواريين تنسب إلى وصي المسيح شمعون، أنبئك العجب العجيب إن جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه و أنا من بنات ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل الحواريين ومن القسيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوي الاخطار سبعمائة رجل وجمع من أمراء الأجناد وقواد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، و أبرز من بهو ملكه عرشا مسوغا من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة فلما صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكفا ونشرت أسفار الإنجيل تسافلت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض، وتقوضت الأعمدة فانهارت إلى القرار، وخر الصاعد من العرش مغشيا عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي: أيها الملك أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني، فتطير جدي من ذلك تطيرا شديدا، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصلبان، واحضروا أخا هذا المدبر العاثر المنكوس جده لأزوج منه هذه الصبية فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الأول، وتفرق الناس وقام جدي قيصر مغتما ودخل قصره وأرخيت الستور فأريت في تلك الليلة كأن المسيح والشمعون وعدة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ونصبوا فيه منبراً يباري السماء علوا وارتفاعا في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمدا صلى الله عليه وآله مع فتية وعدة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتنقه

فيقول: يا روح الله إني جئتك خاطبا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمد صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر وخطب محمد صلى الله عليه وآله وزوجني وشهد المسيح عليه السلام وشهد بنوا محمد صلى الله عليه وآله والحواريون، فلما استيقظت من نومي أشفقت أن أقص هذه الرؤيا على أبي وجدي مخافة القتل، فكنت أسرها في نفسي ولا أبديها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمد حتى امتنعت من الطعام والشراب وضعفت نفسي ودق شخصي ومرضت مرضا شديدا فما بقي من مدائن الروم طبيب إلا أحضره جدي وسأله عن دوائي فلما برح به اليأس قال: يا قرة عيني فهل تخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدي أرى أبواب الفرج علي مغلقة فلو كشفت العذاب عمن في سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدقت عليهم ومننتهم بالخلاص لرجوت أن يهب المسيح وأمه لي عافية وشفاء، فلما فعل ذلك جدي تجلدت في إظهار الصحة في بدني وتناولت يسيرا من الطعام فسر بذلك جدي و أقبل على إكرام الأسارى إعزازهم، فرأيت أيضا بعد أربع ليال كأن سيدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف وصيفة من وصائف الجنان فتقول لي مريم: هذه سيدة النساء أم زوجك أبي محمد عليه السلام، فأتعلق بها و أبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمد من زيارتي، فقالت لي سيدة النساء عليها السلام: إن ابني أبا محمد لا يزورك و أنت مشركة بالله وعلى مذهب النصارى وهذه أختي مريم تبرأ إلى تعالى من دينك فإن ملت إلى رضا الله عز وجل ورضا المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمد أياك فتقولي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن - أبي - محمدا رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء إلى صدرها فطيبت لي نفسي، وقالت: الان توقعي زيارة أبي محمد إياك فإني منفذه إليك، فانتبهت و أنا أقول: وا شوقاه إلى لقاء أبي محمد، فلما كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمد عليه السلام في منامي فرأيته كأني أقول له: جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبك؟ قال: ما كان تأخيري عنك إلا لشركك وإذ قد أسلمت فإني زائرك في كل ليلة إلى أن يجمع الله شملنا في العيان، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسر فقالت: أخبرني أبو محمد ليلة من الليالي أن جدك سيسرب جيوشا إلى قتال المسلمين يوم كذا، ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوقعت علينا طلائع المسلمين حتى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد [بي] بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطلاعي إياك عليه، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري، فقلت: العجب إنك رومية ولسانك عربي؟ قالت: بلغ من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمان له في الاختلاف إلي، فكانت تقصدني صباحا ومساء وتفيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام.

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى دخلت على مولانا أبي الحسن العسكري عليه السلام فقال لها: كيف أراك الله عز الاسلام وذل النصرانية، وشرف أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله؟ قالت: كيف أصف لك يا ابن رسول الله ما أنت أعلم به مني؟ قال: فإني أريد أن أكرمك فأيما أحب إليك عشرة آلاف درهم؟ أم بشرى لك فيها شرف الأبد؟ قالت: بل البشرى، قال عليه السلام: فأبشري بولد يملك الدنيا شرقا وغربا ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، قالت: ممن؟ قال عليه السلام: ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالرومية، قالت: من المسيح ووصيه؟ قال: فممن زوجك المسيح ووصيه، قالت: من ابنك

وأما ولادة ولده الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ليلة النصف من شعبان فرو اياته متو اترة، وهذا مثال ترويه السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام:

(محمد بن عبد الله الطهوي قال: قصدت حكيمة بنت محمد عليه السلام بعد مضي أبو محمد عليه السلام أسألها عن الحجة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها فقالت لي: اجلس فجلست، ثم قالت: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لا يخلي الأرض من حجة ناطقة أو صامتة، ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما إلا أن الله تبارك وتعالى خص ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن عليهما السلام كما خص ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجة على هارون، والفضل لولده إلى يوم القيامة، ولا بد للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقون، كيلا يكون للخلق على الله حجة، وإن الحيرة لا بد و اقعة بعد مضي أبي محمد الحسن عليه السلام، فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد؟ فتبسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجة من بعده! وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، فقلت: يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام قالت: نعم كانت لي جارية يقال لها: نرجس فزارني ابن أخي فأقبل يحدق النظر إليها، فقلت له: يا سيدي لعلك هويتها فأرسلها إليك؟ فقال لها: لا يا عمة ولكني أتعجب منها فقلت: وما أعجبك [منها]؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزوجل الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي عليه السلام قالت: فلبست ثيابي و أتيت منزل أبي الحسن عليه السلام: فسلمت وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني أبي محمد قالت: فقلت: يا سيدي على هذا قصدتك على أن أستأذنك في ذلك، فقال لي: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أن يشركك الاجر ويجعل لك في الخير نصيبا، قالت حكيمة: فلم ألبث

أبي محمد؟ قال: فهل تعرفينه؟ قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إياي منذ الليلة التي أسلمت فيها على يد سيدة النساء أمه.

فقال أبو الحسن عليه السلام: يا كافور ادع لي أختي حكيمة، فلما دخلت عليه قال عليه السلام لها: ها هي فاعتنقتها طويلاً وسرّت بها كثيراً، فقال لها مولانا: يا بنت رسول الله أخرجيها إلى منزلك وعلميها الفر ائض والسنن فإنها زوجة أبي محمد وأم القائم عليه السلام) كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٧ – ٤٢٣.

أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام وجمعت بينه وبينها في منزلي فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده عليهما السلام ووجهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمد عليه السلام مكان والده وكنت أزوره كما كنت أزور والده فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفي، فقالت: يا مولاتي ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي والله لا أدفع إليك خفي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أنا أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمة خيراً، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف فقال عليه السلام: لا يا عمتا بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزوجل الذي يحيى الله عزوجل به الأرض بعد موتها، فقلت: ممن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أرَ بها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت فتبسّم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلها مثل أم موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي ما أرى بي شيئا من هذا، قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنبا إلى جنب حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة فضممتها إلى صدري وسميت عليها فصاح [إلي] أبو محمد عليه السلام وقال: اقرئي عليها "إنا أنزلناه في ليلة القدر" فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر [بي] الامر الذي أخبرك به مولاي فأقبلت أقرأ كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلم علي.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمد عليه السلام لا تعجبي من أمر الله عزوجل إن الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغارا، ويجعلنا حجة في أرضه كبارا فلم يستتم الكلام حتى غيبت عني نرجس فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو أبي محمد عليه السلام و أنا صارخة، فقال لي: ارجعي يا عمة فإنك ستجديها في مكانها. قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها و عليها من أثر النور ما غشى بصري وإذا أنا بالصبي عليه السلام ساجدا لوجهه، جاثيا على ركبتيه،

ر افعاً سبابتيه، وهو يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له] وأن جدي محمداً رسول الله وأن أبي أمير المؤمنين، ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه. ثم قال: اللهم انجز لي ما وعدتني و أتمم لي أمري وثبت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلا وقسطا ".

فصاح بي أبو محمد عليه السلام فقال: يا عمة تناوليه وهاتيه، فتناولته و أتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني [والطير ترفرف على رأسه] وناوله لسانه فشرب منه، ثم قال: امضي به إلى أمه لترضعه ورديه إلي قالت: فتناولته أمه فأرضعته، فرددته إلى أبي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له: أحمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوما، فتناوله الطير وطار به في جو السماء و أتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: "أستودعك الله الذي أودعته أم موسى موسى" فبكت نرجس فقال لها: اسكتي فإن الرضاع محرم عليه إلا من ثديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه وذلك قول الله عز وجل: "فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن".

قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم.

قالت حكيمة: فلما كان بعد أربعين يوما رد الغلام ووجه إلى ابن أخي عليه السلام فدعاني، فدخلت عليه فإذا أنا بالصبي متحرك يمشي بين يديه، فقلت: يا سيدي هذا ابن سنتين؟ فتبسم عليه السلام، ثم قال: إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وإن الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة، وإن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه عز وجل، [و] عند الرضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساء.

قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبي في كل أربعين يوما إلى أن ر أيته رجلا قبل مضي أبي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه، فقلت لابن أخي عليه السلام من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال لي: هذا ابن نرجس وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل، و افترق الناس كما ترى ووالله إني لأراه صباحاً ومساء و إنه لينبئني عما تسألون عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به و إنه ليرد عليّ الامر فيخرج إليّ منه جو ابه من ساعته من غير مسألتي. وقد أخبرني البارحة بمجيئك إلي وأمرني أن أخبرك بالحق.

قال محمد بن عبد الله: فوالله لقد أخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها أحد إلا الله عزوجل، فعلمت أنّ ذلك صدق وعدل من الله عزوجل، لأن الله عزوجل قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه) [١].

"فصاح بطير منها فقال له: أحمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً":

الطير يعني ملائكة، وهذا يؤكد أنّ الإمام المهدي صلوات الله عليه مرفوع، وأنّ رفعه كان بعد ولادته، علماً أنّ الرفع لا ينافي التكليف وأداء المهام، كما حصل من نبي الله عيسى عليه السلام مع الحواريين بعد حادثة رفعه كما هو معروف، وقد أوضح السيد أحمد الحسن معنى "الرفع" وما يتعلق به من تفاصيل في كتبه [٢].

بعض الشهادات فيه:

الشهادات بحق الإمام الحسن العسكري عليه السلام كثيرة، ابتدأها بوصف أبيه الهادي صلوات الله عليه له حيث قال: " أبو محمد ابني أنصح آل محمد غريزة وأوثقهم حجة وهو الأكبر من ولدي وهو الخلف وإليه ينتهي عرى الإمامة وأحكامها" [٣]!

ولأن أكبر الفضل ما شهدت به الخصوم، سأبدأ بذكر ما وصفه به الخليفة العباسي:

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٥٤ – ٤٥٨.

٢- انظر: كتاب "مع العبد الصالح": ١ / معنى الرفع؛ وهم الإلحاد: الفصل الثالث - معنى رفع تراب الأرض إلى السماء الأولى.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٣٢٨.

١- المعتمد العباسي: كان يدخل على الإمام ويتضرّع إليه ويسأله أن يدعو له بالبقاء بالملك عشرين سنة [1].

ولما سأله جعفر ابن الإمام الهادي أن يجعل له مرتبة كمرتبة أخيه العسكري عليه السلام، قال له: (اعلم أنّ منزلة أخيك لم تكن بنا إنما كانت بالله عزوجل ونحن كنا نجتهد في حط منزلته والوضع منه، وكان الله عزوجل يأبى إلا أن يزيده كل يوم رفعة لما كان فيه من الصيانة وحسن السمت والعلم والعبادة، فان كنت عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجة بك إلينا، وإن لم تكن عندهم بمنزلته ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئاً) [2].

٢- إجلال الوزير عبيد الله بن خاقان للإمام:

(الحسين بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما قالوا: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوما ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن ابن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر وكذلك القواد والوزراء وعامة الناس، فإني كنت يوما قائما على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلا على أبي بحضرته ولم يكن عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن له جلالة وهيبة فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خطا ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلا عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه و أنا متعجب مما أرى منه إذ دخل [عليه] الحاجب فقال: الموفق قد جاء وكان الموفق إذا دخل على أبي، تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٣٠٩.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٧٩.

أن يدخل ويخرج فلم يزل أبي مقبلا على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة قال حينئذ إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا - يعني الموفق -، فقام وقام أبي وعانقه ومضى، فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل، فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا ...) [١].

٣- الطبيب النصراني بختيشوع "طبيب المتوكل":

روى تلميذه: (قال: كنت تلميذ بختيشوع طبيب المتوكل، وكان يصطفيني فبعث إليه الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام أن يبعث إليه بأخص أصحابه عنده ليفصده فاختارني وقال: قد طلب مني ابن الرضا من يفصده فصُر إليه، وهو أعلم في يومنا هذا بمن تحت السماء، فاحذر أن تعترض عليه فيما يأمرك به. ...) [٢].

٤- أنوش النصراني، أحد أهم وجهاء النصارى في ذلك الوقت:

(عن أبي جعفر أحمد القصير البصري قال: حضرنا عند سيدنا أبي محمد - عليه السلام - بالعسكر، فدخل عليه خادم من دار السلطان جليل القدر، فقال له: أمير المؤمنين يقرا عليك السلام ويقول لك: كاتبنا أنوش النصراني يريد أن يطهر ابنين له، وقد سألنا مسألتك أن تركب إلى داره وتدعو لابنيه بالسلامة والبقاء، فأحب أن تركب وأن تفعل ذلك، فانا لم نجشمك هذا العناء إلا لأنه قال: نحن نتبرك بدعاء بقايا النبوة والرسالة. فقال مولانا - عليه السلام -: "الحمد لله الذي جعل النصراني أعرف بحقنا من المسلمين"، ...) [٣].

٥- أبو عمرو الجاحظ، وكان معاصراً للإمام: (ومن الذي يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبيون عشرة في نسق، كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٠٣ – ٥٠٤.

٢- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٢٢. الفصد: شق العرق وإخراج الدم؛ نوع من العلاج في ذلك الوقت.

٣- مدينة المعاجز، البحراني: ٧ / ٦٧٠.

زاك، فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون: ابن ابن ابن ابن، هكذا إلى عشرة، وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم) [١].

٦- محمد بن طلحة الشافعي: (وأما مناقبه: فاعلم أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصه الله عزوجل بها، وقلده فريدها، ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يبلى الدهر جديدها، ولا تنسى الألسن تلاوتها وترديدها، أن المهدي محمد نسله، المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، وبضعته المنفصلة عنه ...) [٢].

٧- الكنجي الشافعي: (وخلّف (الإمام الهادي) من الولد أبا محمّد الحسن العسكريّ ابنه عليهما السلام، وهو الإمام بعده) [٣].

٨- ابن الصباغ المالكي: (مناقب سيّدنا أبي محمّد الحسن العسكري دالّة على أنّه السري (صاحب الشرف) ابن السري، فلا يشكّ في إمامته أحد ولا يمتري، واعلم إن بيعت مكرمة فسواه بايعها وهو المشتري، واحد زمانه من غير مدافع، ويسبح وحده من غير منازع، وسيّد أهل عصره، وإمام أهل دهره، أقواله سديدة، و أفعاله حميدة، وإذا كانت أفاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكانه الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا تجارى، ومبين غوامضها فلا يحاوَل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدّث في سرّه بالأُمور الخفيّات، الكريم الأصل والنفس والذات، تغمّده الله برحمته وأسكنه فسيح جنانه بمحمّد صلى الله عليه وآله آمين) [٤].

٩- القندوزي: (ومن أئمة أهل البيت الطيبين أبو محمد الحسن العسكري، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين يوم الجمعة السادس من ربيع الأول، ودفن بجنب أبيه، وكانت مدة

١- آثار الجاحظ، عنه: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ٢٦٨.

٢- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤٧٦.

٣- كفاية الطالب: ٤٥٨، عنه: موسوعة الإمام العسكري، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي عصر: ١ / ٢٤.

٤- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ١٠٩٣ – ١٠٩٤.

بقاء الحسن العسكري بعد أبيه رضي الله عنهما ست سنين، ولم يخلف ولدا غير أبي القاسم محمد المنتظر، المسمى بالقائم، والحجة، والمهدي، وصاحب الزمان، وخاتم الأئمة الاثني عشر الامامية) [١].

رسالة الإمام العسكري (ع):

عصر الإمام ومحنته أول إمامته:

وصف الإمام العسكري صلوات الله عليه العصر الذي عاش فيه بدعائه، فقال:

(اللهم! وقد شملنا زيغ الفتن واستولت علينا عشوة الحيرة وقارعنا الذل والصغار وحكم علينا غير المأمونين في دينك و ابتز أمورنا معادن الأبن ممن عطل حكمك وسعي في إتلاف عبادك و إفساد بلادك، اللهم! وقد عاد فيئنا دولة بعد القسمة وإمارتنا غلبة بعد المشورة وعدنا مير اثا بعد الاختيار للأمة واشتريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة، ورعى في مال الله من لا يرعى له حرمة، وحكم في أبشار المؤمنين أهل الذمة وولي القيام بأمورهم فاسق كل قبيلة، فلا ذائد يذودهم عن هلكة، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا ذو شفقة يشبع الكبد الحري من مسغبة، فهم أولو ضرع بدار مضيعة وأسراء مسكنة وخلفاء كآبة وذلة. اللهم! وقد استحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستحكم عموده واستجمع طريده، وخذرف وليده وبسق بطوله وضرب بجر انه.اللهم! فأتح له من الحق يدا حاصدة تصرع قائمه وتهشم سوقه وتجذ سنامه وتجدع مراغمه ليستخفي الباطل بقبح حليته ويظهر الحق بحسن صورته. .....) [٢].

١- ينابيع المودة: ٣ / ٣٠٤.

٢- مصباح المتهجد، الطوسي: ١٥٧ – ١٥٨.

أول عقبة واجهها الإمام العسكري عليه السلام، بعد طغاة بني العباس، هي الشك والتردد في إمامته من قبل شيعة أبيه، فقد كانوا يكاتبونه – وقسم منهم يأتونه – لأجل اختباره:

(عن هارون بن مسلم، قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام بعد مضي أبي الحسن عليه السلام، أنا وجماعة نسأله عن وصيّ أبيه؟ فكتب عليه السلام: قد فهمت ما ذكرتم، وإن كنتم إلى هذا الوقت في شكّ، فإنّها المصيبة العظمى، أنا وصيّه وصاحبكم بعده عليه السلام بمشافهة من الماضي، أشهد الله تعالى وملائكته وأولياءه على ذلك، فإن شككتم بعد ما رأيتم خطّي، وسمعتم مخاطبتي فقد أخطأتم حظّ أنفسكم، وغلطتم الطريق) [1].

بل كان البعض يختبره وهو يسير بالطريق:

(يحيى بن المرزبان: التقيت مع رجل من أهل السيب (ناحية بالكوفة) سيماه الخير وأخبرني أنه كان له ابن عم ينازعه في الإمامة، والقول في أبي محمد عليه السلام وغيره، قلت: لا أقول [به] أو أرى منه علامة. فوردت العسكر في حاجة، فأقبل أبو محمد عليه السلام - فقلت في نفسي متعنتا -: إن مد يده إلى رأسه فكشفه، ثم نظر إليّ فرده، قلت به. فلما حاذاني مد يده إلى رأسه فكشفه، ثم برق عينيه في ثم ردهما، ثم قال: يا يحيى ما فعل ابن عمك الذي تنازعه في الإمامة؟ فقلت: خلفته صالحا. قال: لا تنازعه. ثم مضى) [2].

(وقد روى هذا الحديث جماعة من الصميريّين من ولد إسماعيل بن صالح: أنّ الحسن بن إسماعيل بن صالح كان في أوّل خروجه إلى سرّ من رأى للقاء أبي محمّد عليه السلام، ومعه رجلان من الشيعة و افق قدومهم ركوب أبي محمّد عليه السلام. قال الحسن بن إسماعيل: فتفرّقنا في ثلاث طرق، وقلنا: إن رجع في أحدها رآه رجل منّا، فانتظرناه، فعاد عليه السلام في الطريق الذي قعد فيه الحسن بن إسماعيل، فلمّا طلع وحاذاه قال: قلت في نفسي: اللّهمّ! إن كان حجّتك حقّاً وإمامنا، فليمسّ قلنسوته، فلم أستتمّ ذلك حتّى مسّها، وحرّكها على رأسه، فقلت: يا ربّ! إن كان حجّتك فليمسّها ثانياً،

1- موسوعة مكاتيب الأئمة، الصالحي النجف آبادي: ٢ / ٢٤٢.

2- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٤٠ – ٤٤١.

فضرب بيده فأخذها عن رأسه، ثمّ ردّها، وكثر عليه الناس بالسلام عليه، والوقوف على بعضهم، فتقدّمه إلى درب آخر فلقيت صاحبي وعرّفتهما ما سألت الله في نفسي وما فعل. فقالا: فتسأل ونسأل الثالثة، فطلع عليه السلام وقربنا منه فنظر إلينا ووقف علينا، ثمّ مدّ يده إلى قلنسوته فرفعها عن رأسه وأمسكها بيده وأمرّ يده الأُخرى على رأسه، وتبسّم في وجوهنا، وقال: كم هذا الشكّ؟ قال الحسن: فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، و أنّك حجّة الله وخيرته. قال: ثمّ لقيناه بعد ذلك في داره، وأوصلنا إليه ما معنا من الكتب وغيرها) [١].

آلمت الإمام العسكري صلوات الله عليه مسألة الشك بإمامته وكثرة أسئلة شيعة أبيه، لهذا كان يقول: "ما مني أحد من آبائي عليهم السلام بما منيت به من شك هذه العصابة فيَّ، فإن كان هذا الأمر أمراً اعتقدتموه ودنتم به إلى وقت ثم ينقطع فللشك موضع، وإن كان متصلاً ما اتصلت أمور الله عزوجل فما معنى هذا الشك؟!" [٢].

لا نقاش في أنّ الشك مرض ولا يحتاج إلى تبرير أكثر من ضعف الإيمان والاعتقاد في نفس الشاك، لكننا إذا ما أردنا استجلاء الو اقع بشكل منطقي وموضوعي نقول: لعل أحداً يُرجع مبررات الشك إلى أحد أمور:

الأول: اعتقاد البعض بإمامة السيد محمد ابن الإمام الهادي، وهو بالرغم من موته في حياة أبيه إلا أنّ الاعتقاد الباطل بإمامته بعد أبيه بقي مستمراً، وربما ساهم في حالة الإرباك والتردد لدى بعض أو كثير من الشيعة في قبول إمامة الإمام العسكري.

الثاني: الو اقع الأمني كان بالغ الصعوبة والخطورة بحيث اضطر معه الإمام الهادي صلوات الله عليه إلى عدم إعلان النص على إمامة ووصاية ولده العسكري للجميع، و إنما أوضحه لبعض خواص شيعته!

الثالث: كثرة ثورات العلويين التي قام بها الزيدية والطامحون بالزعامة من العلويين، فهو سبب ساهم بجذب كثير من الشيعة لتلك الثورات، وربما ساهم أيضاً في تردد آخرين

١- موسوعة الإمام العسكري، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي عصر: ١ / ٢٩٢ – ٢٩٣.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٢٢.

في قبول إمامة العسكري عليه السلام؛ لأنها ثورات قام بها علويين كان كثير منهم يرفع شعار الرضا من آل محمد ورفض الظلم ومقاومة الباطل ونحو ذلك!

أقول: لا شك أنّ هذه الأمور (وغيرها ربما) كان لها دور في حصول النتيجة في نهاية الأمر، أعني الشك والتردد في قبول إمامة الامام المعصوم (الإمام العسكري)، لكن يبقى الشك أمر "باطل" وأحد جنود الجهل، والباطل يبقى باطلاً سوى كان بنفسه أو بتحفيز من غيره! فمثلاً: الاعتقاد بإمامة السيد محمد أو إمامة علوي زيدي أمر باطل ولا أساس ديني صحيح له سوى أوهام شيطانية وتمنيات فارغة، ومن يعتذر لشكّه بأوهام باطلة فهو يخدع نفسه لا أكثر!

أما مسألة عدم إعلان الإمام الهادي للنص على ولده الحسن العسكري، فالحق أنّ الإمام لم ينفرد بهذا السلوك، و إنما هو حالة تكررت مع جميع الأئمة بعد شهادة الحسين صلوات الله عليه، فقد كانوا يوضحون الأمر لخواص شيعتهم بطريقة حكيمة وعلى قدر الحاجة فقط بحيث تقام بها الحجة من جهة وتحفظ حياة أوصيائهم من جهة أخرى، بل كانوا أحياناً يذكرون في وصاياهم الظاهرة أكثر من اسم تمويهاً على الطغاة كما عرفنا سابقاً. نعم، انتشار الشك في عهد الإمام العسكري يؤشر إلى أنّ بعض "الخواص" الذين كانوا يعلمون بإمامته ربما لم يقوموا بالدور المطلوب منهم كما ينبغي، أعني الشهادة بإمامته لبقية الشيعة المنتشرين في بلدان مختلفة.

الشك مرض ولا يحتاج إلى تبرير كما قلت، بل هو في الحقيقة يُنبئ عن أنّ الأمة بدأ مستواها الديني يتراجع من ناحية الاستعداد لتقبل رسالة الإمام المعصوم وتواجده بينهم، ولهذا لم يبقَ الإمام العسكري بينهم غير ست سنين فقط، ثم شاء الله لوليّه ووصيه من بعده (الإمام المهدي صلوات الله عليه) أن يغيب عنهم ولا يحضر بينهم. و أيضاً: ما يؤكد التراجع الذي نتحدث عنه هو أنه بمجرد وفاة الإمام العسكري انقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة أوصلها البعض إلى عشرين فرقة [1]!

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ١١٢.

ثم: لا ريب في أنّ قصر فترة تواجد الإمام المعصوم بين الناس أو غيبته عنهم يرجع إلى تقصير كبير متفشي بين أفراد الأمة المؤمنة في قبول رسالته ومشروعه الإلهي:

(عن مروان الأنباري قال: خرج من أبي جعفر عليه السلام: إنّ الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم) [١].

طبيعة رسالة الإمام العسكري:

لم تثنِ حالة التردد التي مني بها بعض الشيعة في قبول إمامة الإمام العسكري عليه السلام عن سعيه الجاد في إنجاز رسالته المكلف بها من الله سبحانه، بل الحق أنه أنجز المراد منه بأتم وجه ممكن وعلى رأس المهام كان إعداد الخليفة الإلهي من بعده المتمثل بولده الوحيد الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه، واتخاذ الخطوات الكفيلة بتسهيل مهمته من خلال توثيق وكيله وسفيره الأول: "الثقة الأمين أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري" وولده "محمد بن عثمان" لعموم الشيعة، وإرجاعهم بما فيهم بقية وكلاء الإمام العسكري في المناطق المختلفة إلى السفير الأول كما سيتضح.

وعموماً، هذه بعض أوجه العطاء الرسالي الذي قام بها الإمام:

بيان الدين الحق:

١- على المستوى العقائدي: أوضح الإمام العسكري عليه السلام العقيدة الحقة المرضية لله في مواضيع كثيرة، فمثلاً أوضح:

- التوحيد الحق [٢].

١- علل الشرائع، الصدوق: ١ / ٢٤٤.

٢- روى الكليني بسنده عن: (سهل، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم ومنهم من يقول: هو صورة فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولا على عبدك، فوقع بخطه عليه السلام: سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله واحد، أحد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك

- استحالة رؤيته بالعين الباصرة [1].
- مراتب الشرك [2].

و أيضاً: أوضح قدر الإمامة وأنها في آل محمد عليهم السلام بالخصوص [3].

وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم ويصور ما يشاء وليس بصورة جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا غيره، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) الكافي: ١ / ١٠٣.

١- روى الكليني بسنده: (عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يرى، قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب) الكافي: ١ / ٩٥.

٢- روى الطوسي بسنده: (عن أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا محمد عليه السلام يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا، فقلت في نفسي إن هذا لهو الدقيق، ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شئ، فأقبل علي أبو محمد عليه السلام فقال: يا أبا هاشم صدقت فألزم ما حدثت به نفسك فإن الاشراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن دبيب الذر على المسح الأسود) الغيبة: ٢٠٧.

٣- عن أبي هاشم الجعفري: (قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فسألته عن قول الله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله" فقال عليه السلام: "كلهم من آل محمد عليهم السلام، الظالم لنفسه الذي لا يقر بالامام، والمقتصد العارف بالامام، والسابق بالخيرات بإذن الله الامام". قال: فدمعت عيناي وجعلت أفكر في نفسي عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إلي وقال: "الامر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد عليهم السلام، فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعي كل أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير") الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٦٦.

(قال أبو هاشم: قلت في نفسي وقد كتب الامام يا اسمع السامعين إلى آخره: اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرتك، فأقبل علي أبو محمد فقال: أنت في حزبه وفي زمرته إذ كنت بالله مؤمنا ولرسوله مصدقا ولأوليائه عارفا ولهم تابعاً فأبشر ثم ابشر) مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥٨٣.

(عن محمد بن الحسن بن شمون قال: كتبت إليه عليه السلام أشكو الفقر، ثم قلت في نفسي: أليس قال أبو عبد الله عليه السلام: "الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خير من الحياة مع غيرنا!". فرجع الجواب: "إن الله يمحص أولياءنا إذا تكاثفت ذنوبهم بالفقر، وقد يعفو عن كثير، وهو مما حدثتك نفسك: الفقر معنا خير من الغنى مع غيرنا ونحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استضاء بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا من أحبنا كان معنا في السنام الاعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار. وقال أبو عبد الله عليه السلام: "تشهدون على عدوكم بالنار، ولا تشهدون لوليكم بالجنة ما يمنعكم من ذلك إلا الضعف") الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٧٣٩ – ٧٤٠.

٢- كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام اهتمام واضح بتفسير الكثير من آيات القرآن الكريم، وبصرف النظر الآن عن التحقيق في مسألة الكتاب الموجود بين أيدينا المسمى بـ"تفسير الإمام العسكري" وهل هو التفسير الصادر منه فعلاً أو أنّ الصادر نسخة أخرى لم تصلنا، وهو أمر موضع خلاف بينهم كما هو معلوم [١]، لكن المؤكد أنّ الإمام صلوات الله عليه كان له اهتمام واضح بتفسير كتاب الله.

٣- على المستوى الفقهي: أجاب الإمام العسكري عليه السلام الأسئلة الفقهية التي وردت إليه في الطهارة وأحكام الأموات والصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج والزواج والطلاق والقضاء والشهادات والوصايا والوقف والإرث وغيرها من أبواب الفقه المعروفة في العبادات والمعاملات، وقد تضمنت كتب الحديث ذكرها.

٤- تأييد الكتب الفقهية والأصول المكتوبة:

أيد الإمام العسكري عليه السلام بعض الكتب والأصول الموجودة في وقته وشكر لأصحابها مساعيهم، مثل: تأييد ما كتبه الفضل بن شاذان ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم [٢].

١- إذ انقسموا على ثلاثة آراء: قسم أيد أنّ الكتاب فعلاً تضمن تفسير الإمام عليه السلام، وقسم أنكر ذلك، وقسم توقف في المسألة.

٢- ابن شهراشوب: (دخل الفضل على أبي محمد عليه السلام فلما أراد أن يخرج سقط منه كتاب من تصنيفه فتناوله أبو محمد عليه السلام ونظر فيه وترحم عليه وذكر أنه قال: أغبط أهل خراسان مكان الفضل بن شاذان وكونه بين أظهرهم) معالم العلماء: ١٢٥.

المجلسي: (قال بورق: فخرجت إلى سر من رأى ومعي كتاب يوم وليلة فدخلت على أبي محمد عليه السلام وأريته ذلك الكتاب فقلت له: جعلت فداك إن رأيت أن تنظر فيه فنظر فيه وتصفحه ورقة ورقة، وقال: هذا صحيح ينبغي أن يعمل به) بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٠٠.

الحر العاملي: (عن أبي هاشم الجعفري، قال: عرضت على أبي محمد العسكري عليه السلام كتاب يوم وليلة ليونس فقال لي: تصنيف من هذا؟ قلت: تصنيف يونس مولى آل يقطين، فقال: أعطاه الله بكل حرف نورا يوم القيامة) وسائل الشيعة (آل البيت): ٢٧ / ١٠٢.

الوقوف بوجه الانحراف والضلال:

رفض الإمام الحسن العسكري عليه السلام كل صور الانحراف والضلال وحذّر منها، وهذه بعض مو اقفه:

موقفه من الو اقفة:

(عن أحمد بن محمد بن مطهر [قال:] كتب بعض أصحابنا إلى أبي محمد عليه السلام - من أهل الجبل - يسأله عمن وقف على أبي الحسن موسى عليه السلام أتولاهم أم أتبرأ منهم؟ فكتب إليه: لا تترحم على عمك، لا رحم الله عمك، وتبرأ منه، أنا إلى الله منهم برئ فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنائزهم، ولا تصل على أحد منهم مات أبداً.

سواء من جحد إماماً من الله، أو زاد إماما ليست إمامته من الله، أو جحد، أو قال: ثالث ثلاثة. إن جاحد أمر آخرنا جاحد أمر أولنا، والز ائد فينا كالناقص الجاحد أمرنا.

فكان هذا - أي السائل - لم يعلم أنّ عمّه كان منهم، فأعلمه ذلك) [١].

(عن إبراهيم بن عقبة قال: كتبت إلى العسكري عليه السلام جعلت فداك قد عرفت هؤلاء الممطورة فأقنت عليهم في صلو اتي؟ قال: نعم اقنت عليهم في صلو اتك) [٢].

موقفه من الثنوية:

الثنوية: هم الذين يزعمون أزلية النوروالظلمة معاً.

(وكتب آخر يسأل الدعاء لوالديه وكانت الأم مؤمنة والأب ثنوياً، فوقّع (الإمام العسكري): رحم الله والدتك - والتاء منقوطة بنقطتين من فوق -) [٣].

١- الخر ائج والجر ائح، الراوندي: ١ / ٤٥٢ – ٤٥٣.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٤٨ / ٢٦٨.

٣- كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٣ / ٢٢١.

(محمد بن الربيع الشائي قال: ناظرت رجلا من الثنوية بالأهواز، ثم قدمت سر من رأى وقد علق بقلبي شئ من مقالته فإني لجالس على باب أحمد بن الخضيب إذ أقبل أبو محمد عليه السلام من دار العامة يوم الموكب فنظر إلي وأشار بسباحته أحد أحد فرد، فسقطت مغشياً علي) [1].

موقفه من المفوضة:

المفوضة: هم القائلون بأنّ الله فوض لبعض خلقه التدبير بالاستقلال:

(أبو نعيم، قال: وجهت المفوضة كامل بن إبراهيم المزني إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام يباحثون أمره. قال كامل بن إبراهيم: فقلت في نفسي: أسأله عن قوله لا يدخل الجنة إلا من عرف معرفتي وقال بمقالتي. فلما دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام نظرت إلى ثياب بيضاء ناعمة عليه، فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وينهانا عن لبس مثله! فقال عليه السلام مبتسماً: يا كامل بن إبراهيم! وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: يا كامل، هذا لله عز وجل، وهذا لكم. فخجلت وجلست إلى باب مرخى عليه ستر، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنه قمر، من أبناء أربع، أو مثلها، فقال: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك، وألهمت أن قلت: لبيك يا سيدي، فقال: جئت إلى ولي الله وحجة زمانه، تسأله: هل يدخل الجنة إلا من عرف معرفتك، وقال بمقالتك؟ فقلت: إي والله. قال: إذن - والله - يقل داخلها، والله إنه ليدخلها قوم يقال لهم: الحقية. قلت: يا سيدي ومن هم؟ قال: هم قوم من حبهم لعلي يحلفون بحقه ولا يدرون ما حقه وفضله.

ثم سكت ساعة عني، ثم قال: وجئت تسأله عن مقالة المفوضة، كذبوا عليهم لعنة الله، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء الله شئنا، والله عز وجل يقول: "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" ثم رجع والله الستر إلى حالته، فلم أستطع كشفه.

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥١١.

ثم نظر إلي أبو محمد عليه السلام مبتسما وهو يقول: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك حجتي من بعدي؟! فانقبضت وخرجت، ولم أعاينه بعد ذلك) [١].

موقفه مع الفيلسوف الكندي:

(أبو القاسم الكوفي في كتاب التبديل: ان إسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله وان بعض تلامذته دخل يوما على الإمام الحسن العسكري فقال له أبو محمد عليه السلام: أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عما اخذ فيه من تشاغله القرآن، فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أوفى غيره، فقال له أبو محمد: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الانسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها انك ذهبت إليها؟ فإنه سيقول لك انه: من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعا لغير معانيه. فصار الرجل إلى الكندي وتلطف إلى أن القى عليه هذه المسألة فقال له: أعد علي، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسائغا في النظر فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: انه شئ عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد، فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه) [٢].

دفع الشبهة عن دين الله مع راهب مسيحي:

(قال أبو هاشم: ثمّ لم تطل مدّة أبي محمّد الحسن في الحبس إلا أن قحط الناس بسرّ من رأى قحطاً شديداً، فأمر الخليفة المعتمد على الله ابن المتوكّل بخروج الناس إلى

١- دلائل الإمامة، الطبري: ٥٠٥ – ٥٠٦.

٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥٢٥ – ٥٢٦.

الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فلم يُسقوا، فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلّما مدّ يده إلى السماء ورفعها هطلت بالمطر. ثمّ خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أوّل يوم فهطلت السماء بالمطر وسُقوا سقياً شديداً حتّى استعفوا، فعجب الناس من ذلك وداخلهم الشكّ وصفا بعضهم إلى دين النصرانية، فشقّ ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن وصيف أن أخرج أبا محمّد الحسن بن عليّ من السجن وائتني به.

فلمّا حضر أبو محمّد الحسن عليه السلام عند الخليفة قال له: أدرك أُمّة جدّك محمّد صلى الله عليه وآله فيما لحق بعضهم في هذه النازلة، فقال أبو محمّد: دعهم يخرجون غداً اليوم الثالث، قال: قد استعفى الناس من المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم؟ قال: لأُزيل الشكّ عن الناس وما وقعوا فيه من هذه الورطة التي أفسدوا فيها عقولاً ضعيفة. فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضاً في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرجوا الناس، فخرج النصارى وخرج لهم أبو محمّد الحسن ومعه خلق كثير فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون إلا أنّ ذلك الراهب مدّ يديه رافعاً لهما إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم على جاري عادتهم فغيّمت السماء في الوقت ونزل المطر. فأمر أبو محمّد الحسن القبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه أبو محمّد الحسن ولفّه في خرقة وقال: استسق، فانكشف السحاب وانقشع الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك وقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمّد؟ فقال: عظم نبيّ من أنبياء الله عزّوجلّ ظفر به هؤلاء من بعض قبور الأنبياء، وما كشف نبيّ عن عظم تحت السماء إلا هطلت بالمطر. واستحسنوا ذلك فامتحنوه فوجدوه كما قال. فرجع أبو محمّد الحسن إلى داره بسرّ من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وقد سرّ الخليفة والمسلمون ذلك، وكلّم أبو محمّد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأخرجهم وأطلقهم له، وأقام أبو محمّد الحسن بسرّ من رأى بمنزله بها معظّماً مكرّماً مبجّلاً، وصارت صِلات الخليفة وأنعامه تصل إليه في منزله إلى أن قضي تغمّده الله برحمته) [1].

١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي: ١ / ١٠٨٥ – ١٠٨٧.

التحذير من العلماء غير العاملين:

(عن محمد بن عبد الجبار، عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أنه قال لأبي هاشم الجعفري: "يا أبا هاشم، سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم مظلمة متكدرة، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، المؤمن بينهم محقر، والفاسق بينهم موقر، أمراؤهم جاهلون جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة [سائرون]، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء، وكل جاهل عندهم خبير، وكل محيل عندهم فقير، لا يميزون بين المخلص والمرتاب، لا يعرفون الضأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنهم يميلون إلى الفلسفة والتصوف، و أيم الله إنهم من أهل العدول والتحرف، يبالغون في حب مخالفينا، ويضلون شيعتنا وموالينا، إن نالوا منصبا لم يشبعوا عن الرشاء، وإن خذوا عبدوا الله على الرياء، ألا إنهم قطاع طريق المؤمنين، والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه و إيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدثني أبي، عن آبائه جعفر بن محمد عليهم السلام، وهو من أسرارنا، فاكتمه إلا عن أهله") [١].

تقويم الأمة المؤمنة:

اهتم الإمام العسكري عليه السلام بهداية شيعة أبيه وبناء الأمة المؤمنة وتقويم أفرادها وإرشادهم للحق والهدى، وهذا واضح من خلال:

- سعيه إلى حفظهم [٢].

١- مستدرك الوسائل، النوري: ١١ / ٣٨٠.

٢- كمثال لاهتمامه بحفظ شيعته: (عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن جعفر قال: كتب أبو محمد عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري قبل موت المعتز بنحو عشرين يوما: الزم بيتك حتى يحدث الحادث، فلما قتل بريحة كتب إليه قد حدث الحادث فما تأمرني؟ فكتب: ليس هذا الحادث [هو] الحادث الآخر فكان من أمر المعتز ما كان) الكافي، الكليني: ١ / ٥٠٦.

(حدث أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري قال: كنت في الحبس المعروف بحبس حسيس في الجوسق الأحمر انا والحسن بن محمد العقيقي ومحمد ابن إبراهيم العمري وفلان وفلان إذ دخل علينا أبو محمد الحسن وأخوه جعفر فخففنا له وكان المتولي لحبسه صالح بن وصيف وكان معنا في الحبس رجل جمحي يقول إنه علوي قال

- تحذيرهم من الفتن [١].
- الحرص على تعليمهم وبيان فضلهم [٢].
- حثهم على مكارم الأخلاق [٣].

فالتفت أبو محمد فقال لولا أن فيكم من ليس منكم لأعلمتكم متى يفرج عنكم وأومأ إلى الجمجي ان يخرج فخرج فقال أبو محمد هذا ليس منكم فاحذروه فان في ثيابه قصة قد كتبها إلى السلطان يخبره فيها بما تقولون فيه فقام بعضهم ففتش ثيابه فوجد القصة يذكرنا فيها بكل عظيمة ...) كشف الغمة، الأربلي: ٣ / ٢٢٩.

(عن علي بن جعفر الحلبي [قال]: اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي محمد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: "ألا لا يسلمن عليّ أحد، ولا يشير إليّ بيده، ولا يومئ أحدكم، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم". قال: وإلى جانبي شاب، قلت: من [أين] أنت؟ قال: من المدينة. قلت: ما تصنع ههنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي محمد عليه السلام فجئت لأراه وأسمع منه، أو أرى منه دلالته، ليسكن قلبي، و إني من ولد أبي ذر الغفاري، فبينا نحن كذلك إذ خرج أبو محمد عليه السلام مع خادم له، فلما حاذانا، نظر إلى الشاب الذي بجنبي. فقال: غفاري أنت؟ قال: نعم. قال: ما فعلت أمك حمدويه؟ فقال: صالحة. ومر، فقلت للشاب: أكنت رأيته قط، وعرفته بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا. قلت فيقنعك هذا؟ قال: ومن دون هذا) الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٣٩ – ٣٣٠.

قال لأحد أصحابه: (أما إنّك لو أذعت لهلكت، وقال: إنّما هو الكتمان أو القتل، فأبقوا على أنفسكم) إثبات الوصية، المسعودي: ٢٥١.

١- (قال علي بن محمد الصيمري: كتب إلي أبو محمد عليه السلام: "فتنة تظلكم فكونوا على أهبة منها " فلما كان بعد ثلاثة أيام وقع بين بني هاشم ما وقع، فكتبت إليه: "هي" قال: "لا، ولكن غيرهذه، فاحترزوا" فلما كان بعد ثلاثة أيام كان من أمر المعتز ما كان) دلائل الإمامة، الطبري: ٤٢٨.

٢- (من كتاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني بإسناده إلى أبي هاشم قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام يعني العسكري فسأله محمد بن صالح الأرمني عن قول الله عزوجل: "وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا" فقال أبو محمد عليه السلام: ثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه) مختصر بصائر الدرجات، الحلي: ١٦١.

(عن عيسى بن مهدي الجوهري قال: خرجت انا والحسن بن مسعود والحسين بن إبراهيم وعتاب وطالب ابنا حاتم ومحمد بن سعيد، وأحمد بن الخصيب، وأحمد بن جنان من جنبلا إلى سامراء ... فلما دخلنا على سيدنا أبي محمد الحسن عليه السلام بدأنا بالبكاء بل التهنئة فجهرنا بالبكاء بين يديه ونحن ما ينيف عن سبعين رجلا من أهل السواد فقال: ان البكاء من السرور بنعم الله مثل الشكر لها فطيبوا نفسا وقروا عينا فوالله انكم على دين الله الذي جاءت به ملائكته وكتبه ورسله .....) الهداية الكبرى، الخصيبي: ٣٤٤ – ٣٤٥.

٣- (عن أبي هاشم الجعفري، قال: سمعته يقول: "ان في الجنة بابا يقال له: المعروف، لا يدخله الا أهل المعروف" فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس، فنظر إلي وقال: "نعم، فدم على ما أنت عليه، فان أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك") وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي: ١٢ / ٣٤٣.

- حثهم على التقوى والورع والتسليم [١].
- تفقدهم بالصلة والعطاء [٢].

استعمل الإمام العسكري عليه السلام مع شيعته غالباً طريق المراسلات والمكاتبات والتو اقيع على الرسائل (أي: التعليق عليها) بسبب الأوضاع الأمنية التي كانت تحيط به وبهم، وهذه نماذج من كتبه ورسائله إلى شيعته:

- رسالته لعلي الحسين بن بابويه القمي [٣].

(تفسير العسكري عليه السلام: قال: أعرف الناس بحقوق إخو انه وأشدهم قضاء لها، أعظمهم عند الله شأنا، ومن تواضع في الدنيا لإخو انه، فهو عند الله من الصديقين، شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام) مستدرك الوسائل، النوري: ١١ / ٢٩٥.

١- (قال عليه السلام لشيعته: أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله صلوا في عشائرهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زينا ولا تكونوا شينا، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك ...) تحف العقول، ابن شعبة الحر اني: ٤٨٧ – ٤٨٨.

(كتب عليه السلام إلى رجل سأله دليلا: من سأل آية أو برهانا فاعطي ما سأل، ثم رجع عمن طلب منه الآية عذب ضعف العذاب. ومن صبر أعطي التأييد من الله. والناس مجبولون على حيلة إيثار الكتب المنشرة. نسأل الله السداد، فإنما هو التسليم أو العطب ولله عاقبة الأمور) المصدر السابق: ٤٨٦.

٢- (أبو هاشم الجعفري قال: شكوت إلى أبي محمد ضيق الحبس وكتل القيد فكتب إليّ أنت تصلي اليوم الظهر في منزلك فأخرجت في وقت الظهر فصليت في منزلي كما قال عليه السلام وكنت مضيقا فأردت أن أطلب منه دنانير في الكتاب فاستحييت، فلما صرت إلى منزلي وجه إلي بمائة دينار وكتب إليّ إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم واطلبها فإنك ترى ما تحب إن شاء الله) الكافي، الكليني: ١ / ٥٠٨.

٣- جاء في رسالته إليه: (اما بعد: أوصيك يا شيخي ومعتمدي، وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي - وفقك الله لمرضاته، وجعل من صلبك أولادا صالحين برحمته – بتقوى الله و إقام الصلاة، و ايتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، ومواساة الاخوان، والسعي في حو ائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: "لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس" واجتناب الفواحش كلها، وعليك بصلاة الليل فان النبي أوصى عليا عليه السلام فقال يا علي عليك بصلاة الليل ثلاث مرات ومن استخف بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي وامر شيعتي حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر و انتظار الفرج، فان النبي قال: أفضل اعمال أمتي انتظار الفرج ولا يزال شيعتنا في حزن حتى

- رسالته لإسحاق بن إسماعيل النيسابوري [١].

يظهر ولدي الذي بشر به النبي انه يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا، فاصبر يا شيخي وامر جميع شيعتي بالصبر "فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وحسبنا الله نعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير) علل الشرائع: ١ / ٤ – ٥، مقدمة الكتاب.

١- جاء فيها: (سترنا الله و إياك بستره وتولاك في جميع أمورك بصنعه، فهمت كتابك يرحمك الله ونحن بحمد الله ونعمته أهل بيت نرق على أوليائنا ونسر بتتابع إحسان الله إليهم وفضله لديهم. ونعتد بكل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم، فأتم الله عليك يا إسحاق وعلى من كان مثلك - ممن قد رحمه الله وبصره بصيرتك - نعمته. وقدر تمام نعمته دخول الجنة. وليس من نعمة وإن جل أمرها وعظم خطرها إلا و "الحمد لله" تقدست أسماؤه عليها مؤد شكرها، و أنا أقول الحمد لله أفضل ما حمده حامده إلى أبد الأبد بما من الله عليك من رحمته ونجاك من الهلكة وسهل سبيلك على العقبة. و أيم الله إنها لعقبة كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، قديم في الزبر الأولى ذكرها. ولقد كانت منكم في أيام الماضي عليه السلام إلى أن مضى لسبيله وفي أيامي هذه أمور كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي ولا مسددي التوفيق. فاعلم يقينا يا إسحاق أنه من خرج من هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، يا إسحاق ليس تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وذلك قول الله في محكم كتابه حكاية عن الظالم إذ يقول: "رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى". وأي آية أعظم من حجة الله على خلقه وأمينه في بلاده وشهيده على عباده من بعد من سلف من آبائه الأولين النبيين و آبائه الآخرين الوصيين عليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته. فأين يتاه بكم و أين تذهبون كالأنعام على وجوهكم، عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون وبنعمة الله تكفرون أو تكونون ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم ومن غيركم إلا خزي في الحياة الدنيا وطول عذاب في الآخرة الباقية. وذلك والله الخزي العظيم.

إن الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمة منه - لا إله إلا هو - عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم، لتسابقوا إلى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة والصوم والولاية وجعل لكم بابا تستفتحون به أبواب الفرائض ومفتاحا إلى سبيله، لولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده لكنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرائض وهل تدخل مدينة إلا من بابها، فلما من عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم، قال الله في كتابه: "اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" ففرض عليكم لأوليائه حقوقا أمركم بأدائها ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومآكلكم ومشاربكم، قال الله: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" واعلموا أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني و أنتم الفقراء، لا إله إلا هو. ولقد طالت المخاطبة فيما هو لكم وعليكم. ولولا ما يحب الله من تمام النعمة من الله عليكم لما رأيتم لي خطا ولا سمعتم مني حرفا من بعد مضي الماضي عليه السلام و أنتم في غفلة مما إليه معادكم. ومن بعد إقامتي لكم إبراهيم بن عبدة وكتابي الذي حمله إليكم محمد بن موسى النيسابوري والله المستعان على كل حال. و إياكم أن تفرطوا في جنب الله فتكونوا من الخاسرين. فبعدا وسحقا لمن رغب عن طاعة الله ولم يقبل مواعظ أوليائه. فقد أمركم الله بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الامر، رحم الله ضعفكم وغفلتكم وصبركم على أمركم فما أغر الانسان بربه الكريم ولو فهمت الصم الصلاب بعض ما هو في هذا الكتاب لتصدعت قلقا وخوفا من خشية الله

- كتابه لأهل قم [١].

وبعضهم كان يدقق بخط الإمام؛ لئلا يشتبه عليه إذا ما ورده بتوقيع أو كتاب [٢].

تهيئة الأرضية لتقبّل واقع الغيبة:

المخطط الإلهي لرسالة الأئمة من ولد الحسين صلوات الله عليه وعليهم كان يقتضي غيبة الإمام التاسع من ولد الحسين (الإمام محمد بن الحسن المهدي)، ولا شك أنه واقع جديد لم يكون معهوداً في الزمن السابق على إمامته، ولهذا منح الإمامين العسكريين عليهما السلام قسطاً من تعاليم رسالتهما لمسألة التمهيد والتهيئة لهذا الواقع الجديد.

بدأت القضية باحتجاب الإمام الهادي عن كثير من الشيعة، وازداد الأمر شيوعاً في وقت الإمام العسكري؛ ولم يكن حالهما كحال سائر آبائهما عليهم السلام من هذه الجهة، وصحيح أنّ الظرف الأمني استوجب ذلك لكن جزء السبب يعود إلى مسألة التمهيد

ورجوعا إلى طاعة الله، اعملوا ما شئتم "فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٨٤ – ٤٨٦.

١- جاء فيه: (كتب أبو محمد عليه السلام إلى أهل قم وآبة (بلدة): إن الله تعالى بجوده ورأفته قد من على عباده بنبيه محمد بشيرا ونذيرا، ووفقكم لقبول دينه وأكرمكم بهدايته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين رحمة الله عليهم وأصلابكم الباقين تولى كفايتهم وعمرهم طويلا في طاعته، حب العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب ومنهاج الصدق وسبيل الرشاد. فوردوا موارد الفائزين، اجتنوا ثمرات ما قدموا، ووجدوا غب ما أسلفوا.

ومنها: فلم يزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة والقرابة الواشجة بيننا وبينكم قوية. وصية أوصي بها أسلافنا وأسلافكم، وعهد عهد إلى شبابنا ومشايخكم، فلم يزل على جملة كاملة من الاعتقاد، لما جعلنا الله عليه من الحال القريبة، والرحم الماسة، يقول العالم سلام الله عليه إذ يقول "المؤمن أخو المؤمن لامه وأبيه") بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٣١٧.

٢- روى الكليني بسنده: (عن أحمد بن إسحاق قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام فسألته أن يكتب لأنظر إلى خطه فأعرفه إذا ورد، فقال: نعم، ثم قال: يا أحمد إن الخط سيختلف عليك من بين القلم الغليظ إلى القلم الدقيق فلا تشكن، ثم دعا بالدواة فكتب وجعل يستمد إلى مجرى الدواة فقلت في نفسي وهو يكتب: أستوهبه القلم الذي كتب به، فلما فرغ من الكتابة أقبل يحدثني وهو يمسح القلم بمنديل الدواة ساعة، ثم قال: هاك يا أحمد فناولنيه، ...) الكافي: ١ / ٥١٣ – ٥١٤.

وتطبيع الشيعة على قبول التواقيع المكتوبة والمراسلات عبر الوكلاء وعدم اشتراط مقابلة الإمام أو مشافهته كشرط في الأخذ عنه!

(وروى الشيخ المسعودي في "اثبات الوصية" والحسين بن حمدان في "الهداية": أنّ أبا الحسن صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة إلّا عن عدد يسير من خواصه، فلمّا أفضى الأمر إلى أبي محمد عليه السلام كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلّا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان. وأن ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار) [١].

مسألة استفادة الأئمة عليهم السلام من منهج توسيط الوكلاء بينهم وبين شيعتهم أمر ملحوظ في رسالات الأئمة السابقين على الإمامين العسكريين، لكن في زمنهما (وتحديداً في زمن الإمام الحسن العسكري) زاد الأمر وضوحاً وشيوعاً وترسيخاً.

قام الإمام العسكري عليه السلام بتعيين وكلاء عنه في مختلف البلدان بعد أن وثّقهم وأمر الشيعة بالرجوع إليهم والأخذ منهم، بل وجعل أحدهم وكيلاً مطلقاً يرجع إليه بقية الوكلاء كما سنرى الآن.

من وكلائه:

١- الثقة الأمين: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، و ابنه: محمد بن عثمان (وهما السفيران الأول والثاني للإمام المهدي صلوات الله عليه):

(قال أبو نصر: كان أسديا فنسب إلى جده فقيل العمري، وقد قال قوم من الشيعة: إن أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام قال: "لا يجمع على امرئ بين عثمان و أبو عمرو" وأمر بكسر كنيته، فقيل العمري، ويقال له: العسكري أيضا، لأنه كان من عسكر سر من رأى، ويقال له: السمان، لأنه كان يتجر في السمن تغطية على الامر. وكان الشيعة إذا

١- النجم الثاقب، الميرزا النوري: ١ / ١٦١.

حملوا إلى أبي محمد عليه السلام ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو، فيجعله في جراب السمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقية وخوفا. ...

أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول من نقبل؟ وأمر من نمتثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه.

فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدى إليكم فعني يؤديه) [١].

(محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن في حديث طويل يسوقانه إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري فما لبثنا إلا يسيرا حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: امض يا عثمان، فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، و اقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال. ثم ساق الحديث إلى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا! والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك، و أنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، قال: نعم واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم) [٢].

ومما جاء في رسالة الإمام العسكري لإسحاق بن إسماعيل:

١- الغيبة، الطوسي: ٣٥٤ – ٣٥٥.

٢- الغيبة، الطوسي: ٣٥٥ – ٣٥٦.

(فلا تخرجن من البلدة حتى تلقي العمري رضي الله عنه برضاي عنه، وتسلم عليه وتعرفه ويعرفك فإنه الطاهر الأمين العفيف القريب منا والينا، فكل ما يحمل إلينا من شئ من النواحي فإليه المسير آخر عمره، ليوصل ذلك إلينا) [١].

٢- إبراهيم بن عبدة النيسابوري [٢].
٣- أيوب بن نوح بن دراج، وعلي بن جعفر الهماني [٣].
٤- القاسم بن العلاء [٤].

ويوجد وكلاء آخرين غيرهم، مثل: أحمد بن إسحاق الرازي، ومحمد بن أحمد بن جعفر، ومحمد بن صالح بن محمد الهمداني، وجعفر بن سهيل.

١- اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٤٨.

٢- (حكى بعض الثقات، أن أبا محمد صلوات الله عليه كتب إلى إبراهيم بن عبده: وكتابي الذي ورد على إبراهيم بن عبده بتوكيلي إياه لقبض حقوقي من موالينا هناك: نعم هو كتابي بخطي إليه أعني إبراهيم بن عبده لهم ببلدهم حقا غير باطل، فليتقوا الله حق تقاته وليخرجوا من حقوقي وليدفعوها إليه، فقد جوزت له ما يعمل به فيها، وفقه الله ومن عليه بالسلامة من التقصير برحمته.

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي: وبعد، فقد نصبت لكم إبراهيم بن عبده ليدفع النواحي وأهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك، فليتقوا الله ولير اقبوا وليؤدوا الحقوق، فليس لهم عذر في ترك ذلك ولا تأخيره، ولا أشقاهم الله بعصيان أوليائه، ورحمهم الله و إياك معهم برحمتي لهم، ان الله واسع كريم) اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨٤٨.

٣- (ذكر عمرو بن سعيد المدائني - وكان فطحيا - قال: كنت عند أبي الحسن العسكري عليه السلام بصريا إذ دخل أيوب بن نوح ووقف قدامه فأمره بشئ، ثم انصرف، والتفت إلي أبو الحسن عليه السلام وقال: يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا. ومنهم: علي بن جعفر الهماني وكان فاضلا مرضيا من وكلاء أبي الحسن و أبي محمد عليهما السلام) الغيبة، الطوسي: ٣٤٩ – ٣٥٠.

٤- ابن طاووس: (روينا ذلك بإسنادنا إلى جدي أبي جعفر الطوسي فقال عند ذكر شعبان: اليوم الثالث منه فيه ولد الحسين بن علي عليهما السلام، خرج إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام ان مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصم وادع فيه بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك بحق هذا المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته ...) إقبال الأعمال: ٣ / ٣٠٣.

ومن الوكلاء أيضاً: عروة بن يحيى الدهقان، وكيله ببغداد، الذي ساء وضعه بعد وفاة الإمام العسكري وخرج التوقيع بلعنه من قبل الإمام المهدي صلوات الله عليه [١].

بعض قصار حكمه ووصاياه:

هذه جملة منها [٢]:

- "ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة و إنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله".
- "بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده وإن ابتلي خذله".
- "الغضب مفتاح كل شر".
- "أقل الناس راحة الحقود".
- "أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام على الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشد الناس اجتهادا من ترك الذنوب".
- "إنكم في آجال منقوصة و أيام معدودة والموت يأتي بغتة، من يزرع خيرا يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع. لا يسبق بطيء بحظه. ولا يدرك حريص ما لم يقدرله. من أعطي خيرا فالله أعطاه. ومن وقي شرا فالله وقاه.
- "المؤمن بركة على المؤمن وحجة على الكافر".
- "قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه".
- "لا يشغلك رزق مضمون عن عمل مفروض".

١- إذ خرج منه: "وقد علمتم ما كان من أمر الدهقان عليه لعنة الله وخدمته وطول صحبته، فأبدله الله بالإيمان كفراً حين فعل ما فعل، فعاجله الله بالنقمة ولا يمهله" اختيار معرفة الرجال، الطوسي: ٢ / ٨١٦ – ٨١٧.

وهذا ما فعله الدهقان لعنه الله: (عن علي بن سليمان بن رشيد العطار البغدادي قال: كان عروة ابن يحيى يلعنه أبو محمد عليه السلام وذلك أنه كانت لأبي محمد عليه السلام خزانة وكان يليها أبو علي بن راشد رضي الله عنه فسلمت إلى عروة فأخذها لنفسه، ثم أحرق باقي ما فيها يغايظ بذلك أبا محمد عليه السلام فلعنه وبرئ منه، ودعا عليه، فما أمهل يومه ذلك وليلته، حتى قبضه الله إلى النار.

فقال عليه السلام: جلست لربي في ليلتي هذه كذا وكذا جلسة فما انفجر عمود الصبح ولا انطفئ ذلك النار حتى قتل الله عروة لعنه الله) بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٣٠١.

٢- انظر: تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ٤٨٨ – ٤٨٩.

- "ما ترك الحق عزيزإلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز".
- "صديق الجاهل تعب".
- "خصلتان ليس فوقهما شئ: الايمان بالله، ونفع الاخوان".
- "جرأة الولد على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره".
- "ليس من الأدب إظهار الفرح عند المحزون".
- "خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت الحياة وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت".
- "التواضع نعمة لا يحسد عليها".
- "لا تكرم الرجل بما يشق عليه".
- "من وعظ أخاه سراً فقد زانه. ومن وعظه علانية فقد شانه".
- "ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها".
- "ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله".

وقال أيضاً [١]:

- "إنّ للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف، وللحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو جبن، وللاقتصاد مقدارا فإن زاد عليه فهو بخل، وللشجاعة مقدارا فإن زاد عليه فهو تهور".
- "كفاك أدباً تجنّبك ما تكره من غيرك".
- "احذر كل ذكي ساكن الطرف".
- "لو عقل أهل الدنيا خربت".
- "خير إخوانك من نسي ذنبك إليه".
- "أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته".
- "حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن".
- "من أنس بالله استوحش من الناس".
- "من لم يتق وجوه الناس لم يتق الله".

١- انظر: بحار الأنوار، المجلسي: ٧٥ / ٣٧٧.

- "جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب".
- "إذا نشطت القلوب فأودعوها وإذا نفرت فودعوها".
- "اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شره".

الإمام العسكري وجده الحسين (ع):

عند الإمام العسكري عليه السلام، زيارة الإمام الحسين صلوات الله عليه هي إحدى علامات المؤمن:

(روي عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس: صلاة الخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم) [١].

بعض شيعته الذين كاتبوه من السجون التي كانوا يقبعون فيها بسبب إيمانهم به، نصحهم بأن يكتبوا رقاعاً ويبعثوا بها إلى مشهد الحسين:

(عن عبد الله بن جعفر الحميري قال: كنت عند مولاي أبي محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه إذ وردت إليه رقعة من الحبس من بعض مواليه يذكر فيها ثقل الحديد وسوء الحال وتحامل السلطان وكتب إليه، يا عبد الله إن الله عز وجل يمتحن عباده ليختبر صبرهم، فيثيبهم على ذلك ثواب الصالحين فعليك بالصبر، واكتب إلى الله عز وجل رقعة وأنفذها إلى مشهد الحسين بن علي صلوات الله عليه وارفعها عنده إلى الله عز وجل، وادفعها حيث لا يراك أحد واكتب في الرقعة: إلى الله الملك الديان، المتحنن المنان، ذي الجلال والاكرام، وذي المنن العظام، والايادي الجسام، وعالم الخفيات، ومجيب الدعوات ، وراحم العبرات .....) [٢].

١- تهذيب الأحكام، الطوسي: ٦ / ٥٢.

٢- بحار الأنوار، المجلسي: ٩٩ / ٢٣٨.

الإمام العسكري (ع) والعباسيين:

الحكام المعاصرون للإمام:

عاصر الإمام العسكري صلوات الله عليه ست خلفاء عباسيين، هم:

١- المتوكل: (٢٣٢ – ٢٤٧ هـ).
٢- المنتصر: (٢٤٧ – ٢٤٨ هـ).
٣- المستعين: (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ).
٤- المعتز: (٢٥٢ – ٢٥٥ هـ).
٥- المهتدي: (٢٥٥ – ٢٥٦ هـ).
٦- المعتمد: (٢٥٦ – ٢٧٩ هـ).

تزامنت ولادة الإمام مع استخلاف المتوكل العباسي سنة ٢٣٢ هـ، ومات وعمر الإمام ١٥ عاماً، ثم عاصر البقية وكانت شهادته سنة ٢٦٠ هـ في أيام خلافة المعتمد العباسي.

لو استثنينا عصر المتوكل بحدود معينة، نجد أنّ حكم باقي الخلفاء شهد ضعفاً واضحاً بدت فيه سيطرة واضحة للأتراك على كافة مقاليد الحكم، ولذا رأينا فترات أربعة منهم قليلة جداً، إذ كان الأتراك ينصّبون الخليفة ثم إذا بدا لهم أمر خلعوه ونصّبوا آخر! كما أنّ انشغال الخلفاء العباسيين بالملاهي ساهم هو الآخر بضعف دولتهم بشكل كبير[١]!

و أيضاً: شهدت هذه الفترة قيام الكثير من الثورات التي قادها علويون وغيرهم نتيجة الو اقع المزري والظلم المتفشي، وقد استعرضنا بعض ثورات العلويين في أيام إمامة الإمام الهادي صلوات الله عليه التي كان قادتها ينتهجون المذهب الزيدي كعقيدة جرّوا إليها

١- فمثلاً: قال ابن كثير في أحداث سنة ٢٤٩ هـ: (قد ضعف جانب الخلافة واشتغلوا بالقيان والملاهي فعند ذلك غضبت العوام من ذلك) البداية والنهاية: ١١ / ٣.

الكثير من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهي ثورات – كما قلنا – لم تكن تحصل بإذن الإمام المعصوم ولا بالتنسيق معه.

ثورات العلويين وصاحب الزنج:

كثير من العلويين كانوا في سجون الخلافة العباسية، وأهم ثوراتهم التي حصلت في عهد الإمام العسكري صلوات الله عليه هي ما قام به علي بن زيد الحسيني وعيسى بن جعفر الحسيني وأحمد بن محمد بن عبد الله الحسني:

(وفي رجب منها (أي: سنة ٢٥٥ هـ) ظهر عيسى بن جعفر وعلي بن زيد الحسينيان بالكوفة وقتلا بها عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى واستفحل أمرهما بها) [١].

(وفيها (أي: سنة ٢٥٥ هـ) ظهر بمصر إنسان علوي ذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن طباطبا وكان ظهوره بين برقة والإسكندرية وسار إلى الصعيد وكثر أتباعه وادعى الخلافة فسير إليه أحمد بن طولون جيشا فقاتلوه وانهزم أصحابه عنه وثبت هو فقتل وحمل رأسه إلى مصر) [٢].

و أيضاً: من الأحداث التي حصلت في عام ٢٥٠ هـ في عهد المهتدي العباسي واستمرت حتى عام ٢٧٠ هـ هي الحركة المتطرفة التي قادها "صاحب الزنج" و ابتدأ بها من منطقة تقع بالقرب من البصرة.

غيّر صاحب الزنج نسبه أكثر من مرة، وفي بعضها كان يلحق نفسه بالعلويين، ومرة ألحق نفسه بابن عباس، وهكذا، في محاولة يسعى من خلالها إلى كسب التأييد وزيادة الاتباع كما يبدو [٣].

١- البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ١٦.

٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٧ / ٢١٧.

٣- ذكر البعض: أنه كان ينسب نفسه مرة لابن عباس، وأخرى ليحيى بن عمر الحسيني المقتول بالكوفة، وثالثة: لعيسى بن زيد، ورابعة ليحيى بن زيد، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ١٨، ١٩، ٢٩.

كان صاحب الزنج يرى رأي الخوارج لعنهم الله [١]، ولهذا أكثر من قتل النساء والأطفال وغيرهم من أهل البصرة ونهب أموالهم وعاث في دورهم ومدينتهم خراباً ودماراً.

حدثت بينه وبين الجيش العباسي معارك طاحنة دامت ١٤ سنة راح ضحيتها الألوف إلى أن قضى عليه الموفق العباسي في سنة ٢٧٠ هـ [٢].

ما يهمنا الآن هو أن نعرف أنّ موقف الإمام الحسن العسكري عليه السلام من حركة صاحب الزنج هو الرفض بالتأكيد:

(محمد بن صالح الخثعمي قال: عزمت أن أسأل في كتابي إلى أبي محمد عليه السلام عن أكل البطيخ على الريق وعلى صاحب الزنج فأنسيت، فورد عليّ جوابه: لا يؤكل البطيخ على الريق فإنه يورث الفالج، وصاحب الزنج ليس منا أهل البيت) [٣].

معاناة الإمام العسكري من العباسيين:

مراقبة وإقامة جبرية:

السنوات الست التي قضاها الإمام العسكري عليه السلام كفترة لإمامته (٢٥٤ – ٢٦٠ هـ)، لاقى فيها أذى كبيراً، وأحد مظاهر الأذى تمثل بوضعه تحت المراقبة الشديدة وإلزامه بالحضور لدار الخلافة كل يوم إثنين وخميس [٤]!

ركوب الإمام إلى السلطان لم يكن برضاه، لكنه كان مجبراً:

١- انظر: مروج الذهب، المسعودي: ٤ / ١٠٨.

٢- انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ١١ / ٤٤.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥٢٩.

٤- قال عبد الله بن محمد عن الإمام العسكري عليه السلام: (كان أستاذي صالحا من بين العلويين لم أرقط مثله، وكان يركب بسرج صفته بزيون مسكي وأزرق قال: وكان يركب إلى دار الخلافة بسر من رأى في كل اثنين وخميس قال: وكان يوم النوبة يحضر من الناس شئ عظيم، ويغص الشارع بالدواب والبغال والحمير والضجة، فلا يكون لاحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم) الغيبة، الطوسي: ٢١٥ – ٢١٦.

(أبو الحسن الموسوي: حدثنا أبي أنه كان يغشى أبا محمد العسكري عليه السلام بسر من رأى كثيراً. و أنه أتاه يوماً، فوجده وقد قدمت إليه دابته ليركب إلى دار السلطان، وهو متغير اللون من الغضب. وكان بجنبه رجل من العامة، فإذا ركب دعا له، وجاء بأشياء يشنع بها عليه، فكان عليه السلام يكره ذلك) [1].

الإمام العسكري بين السجن والتضييق والتهديد بالقتل:

تعرّض الإمام العسكري صلوات الله عليه إلى السجن في عهد المعتز والمهتدي والمعتمد، وكانوا يوكلون مهمة مراقبته في السجن لأناس قساة ويطلبون منهم التضييق على الإمام في سجنه!

(وكان المتوكلون به لا يفارقون باب الموضع الذي حبس فيه عليه السلام بالليل والنهار وكان يعزل في كل خمسة أيام الموكلين ويولى آخرين بعد أن يجدد عليهم الوصية بحفظه والتوفر على ملازمة بابه) [2].

ففي عهد المعتز العباسي أودع الإمام في سجن صالح بن وصيف:

(عن علي بن عبد الغفار قال: دخل العباسيون على صالح بن وصيف ودخل صالح ابن علي وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمد عليه السلام، فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكلت به رجلين من أشر من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت: لهما ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلما سمعوا ذلك انصرفوا خائبين) [3].

وسجن أيضاً عند علي بن أوتامش، فتأثر به واهتدى على يديه:

١- الخرائج والجرائح، الراوندي: ٢ / ٧٨٣.

٢- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ١٢٦.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٥١٢.

(عن محمد بن إسماعيل العلوي قال: حبس أبو محمد عليه السلام عند علي بن اوتامش - وكان شديد العداوة لآل محمد عليه وعليهم السلام غليظا على آل أبي طالب - وقيل له: أفعل به و افعل. قال: فما أقام إلا يوما حتى وضع خديه له، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً له وإعظاماً، وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة وأحسنهم قولاً فيه) [١].

وسجن كذلك عند نحرير:

(عن بعض أصحابنا قال: سلم أبو محمد عليه السلام إلى نحرير فكان يضيق عليه ويؤذيه قال: فقالت له امر أته: ويلك اتق الله، لا تدري من في منزلك وعرفته صلاحه وقالت: إني أخاف عليك منه، فقال لأرمينه بين السباع، ثم فعل ذلك به فرئي عليه السلام قائماً يصلي وهي حوله) [٢].

عزم "المعتز" على قتل الإمام أثناء نقله من سامراء إلى الكوفة، لكن شاء الله أن يهلكه قبل تنفيذ مراده، وكان الإمام بشّر بعض شيعته بهلاك المجرم:

(قال محمد بن بلبل: تقدم المعتز إلى سعيد الحاجب أن أخرج أبا محمد إلى الكوفة ثم اضرب عنقه في الطريق، فجاء توقيعه عليه السلام الينا: الذي سمعتموه تكفونه فخلع المعتز بعد ثلاث وقتل) [٣].

(عن محمد بن عبد الله قال: لما أمر سعيد بحمل أبي محمد عليه السلام إلى الكوفة، كتب أبو الهيثم إليه: بلغنا خبر أقلقنا. فكتب بعد ثلاث يأتيكم الفرج. فقتل المعتز يوم الثالث) [٤].

(علي بن محمد الصيمري، قال: دخلت على أبي عبد الله بن عبد الله وبين يديه رقعة فقال: هذه الرقعة كتبها إلي أبو محمد عليه السلام فيها: "إني نازلت الله تعالى (أي: راجعته)

١- الإرشاد، المفيد: ٢ / ٣٢٩ – ٣٣٠.

٢- الكافي، الكليني: ١ / ٥١٣.

٣- مناقب آل أبي طالب، ابن شهراشوب: ٣ / ٥٣١.

٤- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٥١.

في هذا الطاغية يعني الزبير بن جعفر (أي المعتز بن المتوكل) وهو آخذه بعد ثلاث". فلما كان اليوم الثالث فعل به ما فعل) [١].

وفعلاً، خلع المعتز نفسه عن الخلافة بعد أن شهد على نفسه بالعجز عنها ثم قُتل بعد ذلك، وبويع المهتدي (محمد بن الواثق) للخلافة سنة ٢٥٥ هـ، وحاله لا يختلف عن سواه من العباسيين وإن حاول بعض المؤرخين تلميع صورته [٢]!

وقد بشّر الإمام العسكري عليه السلام ببتر عمره نتيجة طغيانه:

(أحمد بن محمد قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالي: يا سيدي الحمد لله الذي شغله عنا، فقد بلغني أنه يتهددك ويقول والله لأجلينهم عن جديد الأرض، فوقع أبو محمد عليه السلام بخطه: "ذاك أقصر لعمره، عد من يومك هذا خمسة أيام ويقتل في اليوم السادس بعد هوان واستخفاف يمر به". فكان كما قال عليه السلام) [٣].

وكان الإمام دعا عليه، فاستذله الأتراك فخلعوا أصابع يديه ورجليه من كعبيه ومثلّوا به إلى أن مات.

(قال أبو هاشم الجعفري: كنت محبوساً مع أبي محمد عليه السلام في حبس المهتدي ابن الواثق فقال لي: إن هذا الطاغي أراد أن يتعبث بالله في هذه الليلة، وقد بتر الله عمره، وساء رزقه. فلما أصبحنا شغب الأتراك على المهتدي، فقتلوه، وولي المعتمد مكانه، وسلمنا الله) [٤].

١- الثاقب في المناقب، ابن حمزة: ٥٧٦.

٢- انظر على سبيل المثال: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٧ / ٢٣٣.

٣- الكافي، الكليني: ١ / ٥١٠.

٤- الخرائج والجرائح، الراوندي: ١ / ٤٣١.

بعد قتل المهتدي، بويع المعتمد (أحمد بن المتوكل) بالخلافة سنة ٢٥٦ هـ، وكان منذ توليه يسعى إلى قتل الإمام!

(عن محمد بن أبي الزعفران، عن أم أبي محمد عليهما السلام قال: قال لي يوما من الأيام تصيبني في سنة ستين ومائتين حزازة أخاف أن أنكب منها نكبة، قالت: وأظهرت الجزع وأخذني البكاء، فقال: لا بد من وقوع أمر الله، لا تجزعي. فلما كان في صفر سنة ستين أخذها المقيم والمقعد، وجعلت تخرج في الأحايين إلى خارج المدينة، وتجسس الاخبار حتى ورد عليها الخبر، حين حبسه المعتمد في يدي علي بن جرين وحبس جعفرا أخاه معه وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل وقت فيخبره أنه يصوم النهار، ويصلي الليل. فسأله يوماً من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك، فقال له: امض الساعة إليه و اقرئه مني السلام، وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً قال علي بن جرين فجئت إلى باب الحبس فوجدت حماراً مسرجاً فدخلت عليه فوجدته جالساً وقد لبس خفه وطيلسانه وشاشته، فلما رآني نهض فأديت إليه الرسالة فركب، فلما استوى على الحمار وقف فقلت له: ما وقوفك يا سيدي؟ فقال لي: حتى يجئ جعفر، فقلت: إنما أمرني بإطلاقك دونه، فقال لي: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً فإذا رجعت وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك، فمضى وعاد فقال له: يقول لك: قد أطلقت جعفراً لك لأني حبسته بجنايته على نفسه وعليك، وما يتكلم به، وخلى سبيله فصار معه إلى داره) [1].

جعفر: هو أخو الإمام العسكري، وبالرغم من أنه كان يؤذي الإمام، لكن الإمام لم يقبل أن يفرج عنه وحده!

١- بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠/ ٣١٣ – ٣١٤.

الإمام العسكري يتجهز للرحيل ويقيم الحجة:

إقامة الحجة على شيعته:

لاحظنا سابقاً كيف كان الإمام الحسن العسكري صلوات الله عليه يهيّئ الأمة المؤمنة به لتقبّل و اقع الغيبة التي سيمتحن بها الشيعة بعد شهادته، وبالرغم من أنه كان قد أحاط مسألة ولادة ابنه الإمام محمد بن الحسن المهدي بالكتمان طيلة فترة خمس سنين مضت (٢٥٥ – ٢٦٠ هـ)، وكان قد بشّر به خاصة الخواص ونهاه عن النشر[1]، إلا أنه عند دنو أجله أخرج ولده لخاصة شيعته وأعلمهم بأنه صاحبهم من بعده:

(عن جماعة من الشيعة منهم علي بن بلال وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم والحسن بن أيوب بن نوح في خبر طويل مشهور قالوا جميعا: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام نسأله عن الحجة من بعده، وفي مجلسه عليه السلام أربعون رجلا، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني. فقال له: إجلس يا عثمان، فقام مغضبا ليخرج فقال: لا يخرجن أحد فلم يخرج منا أحد إلى أن كان بعد ساعة، فصاح عليه السلام بعثمان، فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله قال: جئتم تسألوني

١- الصدوق: (أحمد بن الحسن بن إسحاق القمي قال: لما ولد الخلف الصالح عليه السلام ورد عن مولانا أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام إلى جدي أحمد بن - إسحاق كتاب فإذا فيه مكتوب بخط يده عليه السلام الذي كان ترد به التوقيعات عليه، وفيه: "ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا وعن جميع الناس مكتوما، فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والولي لولايته أحببنا إعلامك ليسرك الله به، مثل ما سرنا به، والسلام) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٣٣ – ٤٣٤.

(عن أحمد بن إسحاق بن سعد قال: سمعت أبا محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي، أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا وخلقا، ويحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته، ثم يظهره فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما) المصدر السابق: ٤٠٩.

(عن أبي غانم الخادم قال: ولد لأبي محمد عليه السلام ولد فسماه محمدا، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جورا وظلما خرج فملأها قسطا وعدلا) المصدر السابق: ٤٣١.

عن الحجة من بعدي؟ قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطع قمر أشبه الناس بأبي محمد عليه السلام فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا و إنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، و انتهوا إلى أمره، و اقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والامر إليه في حديث طويل) [١].

(معاوية بن حكيم، ومحمد ابن أيوب بن نوح: ومحمد بن عثمان العمري رضي الله عنه قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام ونحن في منزله وكنا أربعين رجلا فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي في أديانكم فتهلكوا، أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا، قالوا: فخرجنا من عنده فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضي أبو محمد عليه السلام) [٢].

و أيضاً: ممن أخبرهم الإمام العسكري هو أحمد بن إسحاق:

(عن أحمد ابن إسحاق بن سعد الأشعري قال: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام و أنا أريد أن أسأله عن الخلف [من] بعده، فقال لي مبتدئا: يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عليه السلام ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه يخرج بركات الأرض. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فمن الامام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعا فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كان وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على الله عزوجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت جوراً وظلماً) [٣].

١- الغيبة، الطوسي: ٣٥٧.

٢- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٣٥.

٣- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٨٤.

ومع كل هذا التنصيص والإشهاد، لكن الإمام أخبر بأنهم سيفترقون بعده:

(موسى بن جعفر بن وهب البغدادي قال: سمعت أبا محمد الحسن ابن علي عليهما السلام يقول: كأني بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إن المقر بالأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنكر لولدي كمن أقر بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنكر لرسول الله صلى الله عليه وآله كمن أنكر جميع أنبياء الله لان طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا. أما إن لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله عزوجل) [١].

الإمام العسكري (ع) ينعى نفسه ويوصي إلى أمه:

كتب الامام العسكري عليه السلام وصيته قبل شهادته وأوصى فيها إلى أمه "السيدة حديث" ولم يرد فيها ذكر لولده الإمام المهدي صلوات الله عليه؛ حفظاً له من الأعداء [٢].

(أحمد بن إبراهيم قال: دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن العسكري عليهم السلام في سنة اثنين وثمانين بالمدينة فكلّمتها من وراء الحجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتم به، ثم قالت: فلان بن الحسن عليه السلام فسمته، فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟ فقالت: خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٤٠٩.

٢- الطوسي: (فإن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن علي عليه السلام ولد مع إسناده وصيته في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته المسماة بحديث، المكناة بأم الحسن بوقوفه وصدقاته، وأسند النظر إليها في ذلك، ولو كان له ولد لذكره في الوصية.

قيل: إنما فعل ذلك قصدا إلى تمام ما كان غرضه في إخفاء ولادته، وستر حاله عن سلطان الوقت، ولو ذكر ولده أن أسند وصيته إليه لناقض غرضه خاصة وهو احتاج إلى الاشهاد عليها وجوه الدولة، وأسباب السلطان، وشهود القضاة ليتحرس بذلك وقوفه، ويتحفظ صدقاته، ويتم به الستر على ولده بإهمال ذكره وحراسة مهجته بترك التنبيه على وجوده، ومن ظن أن ذلك دليل على بطلان دعوى الامامية في وجود ولد للحسن عليه السلام، كان بعيدا من معرفة العادات. وقد فعل نظير ذلك الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام حين أسند وصيته إلى خمسة نفر أولهم المنصور إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسى عليه السلام بها إبقاء عليه، وأشهد معه الربيع وقاضي الوقت وجاريته أم ولده حميدة البربرية وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر عليهما السلام لستر أمره وحراسة نفسه ...) الغيبة: ١٠٧ – ١٠٨.

به إلى أمه، فقلت لها: فأين المولود؟ فقالت: مستور، فقلت: فإلى من تفزع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام فقلت لها: أقتدي بمن وصيته إلى المرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام إن الحسين بن علي عليهما السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن - الحسين من علم ينسب إلي زينب بنت على تستراً على علي بن الحسين، ثم قالت: إنكم قوم أصحاب أخبار، وأما رويتم أن التاسع من ولد الحسين عليه السلام يقسم ميراثه وهو في حياة) [١].

شهادة الإمام العسكري (ع):

في مرضه الأخير الذي توفي فيه، وضع المعتمد العباسي العيون والجواسيس على دار الإمام؛ لمعرفة من بعده، و أيضاً: تحسباً للوضع وردود الأفعال:

(سعد بن عبد الله الأشعري قال: سمعت أحمد بن عبيد الله بن خاقان - وهو عامل السلطان بقم - في حديث طويل اختصرناه قال: لما اعتل أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام بعث إلي أبي أن ابن الرضا قد اعتل، فركب مبادراً إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين من ثقاته وخاصته، منهم نحرير، فأمرهم بلزوم دار أبي محمد وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعهده صباحاً ومساء. فلما كان بعد يومين أخبر أنه قد ضعف، فركب حتى نظر إليه ثم أمر المتطببين بلزومه، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه، وأمره أن يختار من أصحابه عشرة، فبعث بهم إلى دار أبي محمد وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً. فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام لأيام مضت من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، فصارت سر من رأى ضجة واحدة "مات ابن الرضا". ...) [٢].

ثم دوهمت دار الإمام بعد وفاته بغرض التفتيش وإلقاء القبض على ولده:

١- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٥٠١، ٥٠٧.

٢- الغيبة، الطوسي: ٢١٨ – ٢١٩.

أحمد بن عبيد الله بن اقان "وزير المعتمد العباسي"، قال: (... وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد و أبي وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه فلما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده فجاء جعفر بعد ذلك إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبه أخي وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه وقال له: يا أحمق السلطان جرد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك، فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك أو أخيك إماما فلا حاجة بك إلى السلطان [أن] يرتبك مراتبهما ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، واستقله أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات أبي وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي) [1].

وروي: حضور ولده الإمام المهدي صلوات الله عليه عنده في ساعة الاحتضار:

١- الكافي، الكليني: ١ / ٥٠٥ – ٥٠٦.

(قال إسماعيل بن علي: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في المرضة التي مات فيها و أنا عنده، إذ قال لخادمه عقيد - وكان الخادم أسود نوبياً قد خدم من قبله علي بن محمد وهو ربى الحسن عليه السلام - فقال [له] يا عقيد إغل لي ماء بمصطكي، فأغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية أم الخلف عليه السلام. فلما صار القدح في يديه وهمَّ بشربه فجعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن عليه السلام، فتركه من يده، وقال لعقيد: أدخل البيت فإنك ترى صبياً ساجداً فأتني به. قال أبو سهل: قال عقيد: فدخلت أتحرى فإذا أنا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء، فسلمت عليه فأوجز في صلاته فقلت: إن سيدي يأمرك بالخروج إليه، إذا جاءت أمه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام.

قال أبو سهل: فلما مثل الصبي بين يديه سلم وإذا هو دري اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن عليه السلام بكى وقال: يا سيد أهل بيته اسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي، وأخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكي بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه فلما شربه قال: هيئوني للصلاة، فطرح في حجره منديل فوضأه الصبي واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه. فقال له أبو محمد عليه السلام: إبشر يا بني فأنت صاحب الزمان، و أنت المهدي، و أنت حجة الله على أرضه، و أنت ولدي ووصيي و أنا ولدتك و أنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. ولدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و أنت خاتم [الأوصياء] الأئمة الطاهرين، وبشر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسمّاك وكنّاك، بذلك عهد إلي أبي عن آبائك الطاهرين صلى الله على أهل البيت، ربنا إنه حميد مجيد، ومات الحسن بن علي من وقته صلوات الله عليهم أجمعين) [١].

والحقيقة، إنّ الإمام العسكري قتل مسموماً ومضى إلى ربه شهيداً مظلوماً [٢].

١- الغيبة، الطوسي: ٢٧٢ – ٢٧٣.

٢- جملة من العلماء يعتقدون بذلك، منهم:

- الصدوق: (والحسن بن علي العسكري قتله المعتمد بالسم) الاعتقادات في دين الإمامية: ٩٩.

- الكفعمي: (سمّه المعتمد) عنه: بحار الأنوار، المجلسي: ٥٠ / ٣٣٥.

الإمام المهدي وجده الحسين:

ضمن مباحث "يوم الحسين" التي تقدمت أشرنا إلى مدى الارتباط الوثيق بين الثورتين الإلهيتين الإصلاحيتين: ثورة الإمام الحسين وثورة الإمام المهدي، بل بحسب ما أوضحناه فإنّ الثورة المهدوية هي الثمرة الحقيقية للثورة الحسينية المباركة [١].

ولهذا: كانت هناك معاني ضخمة وآلام جمّة وحزن عميق بثّه الإمام المهدي في زيارته لأبيه الحسين صلوات الله عليه في ذكرى عاشوراء في الزيارة المعروفة بـ "زيارة الناحية المقدسة"، وقد ختمنا بها الجزء الثاني من "يوم الحسين".

ومما جاء فيها: "السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقرّب إلى الله بمحبتك، البريء من أعدائك، سلام من قلبه بمصابك مقروح، ودمعه عند ذكرك مسفوح، سلام المفجوع المحزون، الواله المستكين. سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حدَّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف [٢]، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء. فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكين عليك بدل الدموع دماً، حسرة عليك وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً، حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتياب"!

الإمام المهدي صلوات الله عليه يقول ذلك على نحو الحقيقة لا المبالغة!

وأيضاً: ذكرنا في أوائل مباحث الجزء الرابع من "يوم الحسين" أنّ أحد أهداف رسالات الأئمة عليهم السلام هو وصل يوم الحسين بيوم القائم من ولده، وما ذاك إلا للارتباط الوثيق بين اليومين الإلهيين، وقد أشار الأئمة عليهم السلام لهذه الحقيقة في

١- انظر: يوم الحسين: ٢ / ١٢١ – ١٢٦، وأيضاً: ٤ / ٣٥ – ٣٨.

٢- الحشاشة: بقية الروح. والحتوف: الموت.

روايات كثيرة، فمن أوجه الترابط – مثلاً – أنّ القائم عليه السلام هو الآخذ بثأر الحسين صلوات الله عليه:

(عن محمد بن حمران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، ضجّت الملائكة إلى الله بالبكاء وقالت: يفعل هذا بالحسين صفيّك وابن نبيك؟ قال: فأقام الله لهم ظل القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا) [١].

توضيح: لم تكن الجهة التي قتلت الحسين صلوات الله عليه هي مجرد أفراد تواجدوا في زمنه ليكون القصاص منهم أخذاً لثأر الحسين وينتهي الأمر، ما قتل الحسين حقيقة هو منهج شيطاني مستمر، وطالما له وجود على الأرض فالحسين عليه السلام يُقتل كل يوم، وما سيفعله القائم من ولده أنه يطهّر الأرض من هذا المنهج الشيطاني ويرفع لواء حاكمية الله، وبذلك يكون قد أخذ بثأر الحسين عليه السلام.

العلاقة بين الثورتين كالعلاقة بين "المقدمة" و"النتيجة" تماماً؛ باعتبار أنّ الإمام الحسين ثار واستشهد من أجل حاكمية الله؛ وحاكمية الله بصورتها المثلى تتحقق في دولة العدل الإلهي على يد القائم من ولد الحسين عليه السلام، فيظهر دين الله على الدين كله.

يقول السيد أحمد الحسن: (..... فالدين الإسلامي المحمدي الأصيل يظهر على الأرض بالإمام المهدي عليه السلام، والإمام المهدي من ولد الحسين عليه السلام، وثورة الإمام المهدي عليه السلام أساسها ومرتكزها الحقيقي هو ثورة الحسين عليه السلام، فبالإمام المهدي تتحقق هذه الآية: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ"، ويعرف أهل الأرض محمداً صلى الله عليه وآله وعظيم شأنه ومقامه الرفيع، والإمام المهدي عليه السلام ثمرة من ثمرات الحسين عليه السلام، وثورة الإمام المهدي الإصلاحية العالمية ما هي إلا الثمرة الحقيقية التي أنتجتها ثورة الحسين عليه السلام) انتهى [٢].

١- الكافي، الكليني: ١ / ٤٦٥.

٢- المتشابهات، السيد أحمد الحسن: جواب سؤال: ١١٥.

ختامُ القصيدةِ بالمطلعِ:

الحسين: أنشودة الدهر الخالدة، وقافية الزمن الغابر والآتي، الحسين: ترنيمة الأجيال (جيلاً بعد جيل)، والذبيح المنتظر منذ الزمن السحيق!

لم يمر بتاريخ الرسالات الإلهية منذ فجرها وحتى غروبها في يومها الأخير يوم كيومه!

"يوم الحسين" لم يكن يوماً عادياً كسائر الأيام، لم ينتهِ يومه بمغيب شمس عاشوراء من محرم الحرام سنة ٦١ هـ، بل شاء الله أن يكون يوماً خالداً عابراً للزمن كله!

لاحظنا لماذا شاء الله أن يجعل الإمامة في نسل الحسين؟ والسبب هو يومه!

بسبب يومه أيضاً: كانت رسالات الأئمة التسع من ولد الحسين الذين عرضنا ذكر رسالات ثمانٍ منهم إجمالاً، وكان كل واحد منهم يجسد شيئاً من حقيقة الحسين ويعكس جانباً من كمالاته!

لم نستعرض رسالة تاسع الأئمة من ولد الحسين أعني الإمام المهدي صلوات الله عليه؛ لأن رسالته ضخمة جداً بما شهدته من أحداث ووقائع بحجم الألم والمعاناة التي فاقت الألف عام، وبطبيعة الحال هذا يستدعي بيان حقائق ربما لا يروق سماعها للكثيرين في يومنا هذا أو يصعب فهمها عليهم، لهذا (وهذا ما عرفته من السيد أحمد الحسن) فنحن مضطرون لتأجيل بيان رسالته لوقت آخر إن بقي في العمر بقية، وإلا فبالتأكيد سيقيّض الله من يتمّوا "يوم الحسين" بما يستحق ويليق بهذا اليوم الإلهي العظيم!

"يوم الحسين" كان الأصل والأساس في ربط حلقات "سلسلة الذهب" الإلهية، التي شاء الله أن تتوسطها "الفترة" التي فصلت بين أوصياء محمد صلى الله عليه وآله وجعلتهم عدتين؛ العدة الأولى من آل محمد وهم الأئمة الاثنا عشر، والعدة الثانية من آل محمد وهم المهديون الاثنا عشر كما نصّت عليه وصية رسول الله المقدسة، وكان فارس وصل الحلقتين هو الإمام محمد بن الحسن المهدي صلوات الله عليه، فالمهديون الاثنا عشر هم ولده كما كان الأئمة التسع بعد الحسين هم ولده، والكل (أعني: الأئمة التسع والمهديين

الاثني عشر) هم ولد "الحسين"؛ إمام بعد إمام، أب فابن وهكذا حتى المهدي الأخير الذي ورد أنه لا عقب له، وعليه تقام الرجعة كعالم امتحان آخر وجديد بعد هذا العالم الذي نحن فيه، وشاء الله أن يكون "الحسين" أول الراجعين فيه!

ولهذا قلت سابقاً إنّ "يوم الحسين" بما تضمنه من عطاء وتضحيات وعظات ودروس لا يكاد يستوعبه عالمنا الذي نحن فيه!

ختاماً أقول:

ها نحن في يوم شهادة الرسول محمد صلى الله عليه وآله ٢٨ صفر ١٤٤٧ هـ وذكرى رحيله إلى جوار ربه، أرفع إليه ما في "يوم الحسين" من حق، مستشفعاً إليه بحسينه المظلوم وهو بضعته وروحه ومهجة فؤاده، وكلي أمل بحبيب الله المصطفى أن يتقبّله رغم التقصير والسوء الذي أنا فيه.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك و أناخت برحلك وسارت بنهجك ولحقت بك، أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار.

والحمد لله وحده.

المصادر

القرآن الكريم

١- الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي، مكتبة الشريف الرضي – قم.
٢- إثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي، منشورات الرضي – قم.
٣- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
٤- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الكتاب العربي – بيروت.
٥- الاختصاص، أبو عبد الله محمد بن النعمان، تحقيق: على أكبر الغفاري، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٦- أخبار الدول و آثار الأُول، أحمد بن يوسف بن أحمد القرماني، طبعة حجرية.
٧- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علي بن يوسف ابن القفطي، طبع ليبزج، ١٣٢٠ هـ.
٨- اختيار معرفة الرجال، محمد بن الحسن الطوسي، تصحيح وتعليق: مير داماد الاسترابادي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم، ١٤٠٤ هـ.
٩- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، دار المفيد - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
١٠- الإسلام في نظمه وحضارته، أنور الرفاعي، دار الفكر– بيروت، ١٩٧٣ م.
١١- الاعتقادات في دين الامامية، الصدوق، تحقيق: عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
١٢- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م.
١٣- إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ١٤١٧ هـ.
١٤- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، نشر دار التعارف للمطبوعات - بيروت.
١٥- إقبال الأعمال، السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
١٦- الأمالي، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧.
١٧- الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

١٨- الأمالي، محمد بن النعمان "المفيد"، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط٢، ١٩٩٣ م.

١٩- الإمام علي الرضا ورسالته في الطب النبوي، د. محمد علي البار

٢٠- الأمالي، المرتضى، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، منشورات المرعشي النجفي، الطبعة الأولى، ١٩٠٧ م.

٢١- الإنباء في تاريخ الخلفاء، محمد بن علي بن محمد "العمراني"، تحقيق: د. قاسم السامرائي، ط ليدن، ١٩٧٣.

٢٢- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣ م.

٢٣- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م.

٢٤- بشارة المصطفى، محمد بن أبي القاسم الطبري، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.

٢٥- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تحقيق: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي - طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.

٢٦- بيت الحكمة في عصر العباسيين، خضر أحمد عطا الله، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٧- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو فيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، ١٩٩٤ م.

٢٨- تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم، العلامة الطبرسي، مكتب المرعشي النجفي - قم، ١٤٠٦ هـ.

٢٩- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، المعروف: ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٠- تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.

٣١- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

٣٢- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، منشورات الشرف الرضي – قم، ١٤١١ هـ.

٣٣- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، قوبلت على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن سنة ١٨٧٩ م.

٣٤- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، عبد الحليم منتصر، دار المعارف – مصر، الطبعة الرابعة، ١٩٧١.

٣٥- تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقي النجفي، تحقيق: ماجد أحمد العطية، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.

٣٦- تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، دار الميسرة – بيروت.

٣٧- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، دار صادر- بيروت، مؤسسة نشر فرهنك أهل بيت - قم.

٣٨- تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي، تحقيق: د. أبو القاسم امامي، دار سروش للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ م.

٣٩- تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة الحراني، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٤٠- تذكرة الخواص، يوسف بن فرغلي بن عبد الله "سبط ابن الجوزي"، إصدار مكتبة نينوى الحديثة – طهران.

٤١- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

٤٢- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٤٣- تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م.

٤٤- التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الصدوق، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم.

٤٥- الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة انصاريان - قم، ط١، ١٤١١ هـ.

٤٦- الجبر والمقابلة، محمد بن موسى الخوارزمي، دار الكتاب العربي – القاهرة، ١٩٦٨ م.

٤٧- حلية الأبرار، هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

٤٨- حياة الإمام علي بن موسى الرضا دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، منشورات سعيد بن جبير - قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٢.

٤٩- حياة الإمام محمد بن علي الجواد، الشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق: مهدي باقر القرشي، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة.

٥٠- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

٥١- الحياة السياسية للإمام الجواد، جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي للدراسات، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠١١ م.

٥٢- خاتمة المستدرك، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٣- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، إشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، الطبعة الأولى، ذي الحجة ١٤٠٩.

٥٤- الخصال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.

٥٥- خلاصة الأقوال، العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٥٦- الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي، محمد عاطف البرقوقي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

٥٧- دائرة المعارف، فريد وجدي، دار الفكر– بيروت.

٥٨- الدر النظيم، يوسف بن حاتم بن فوزبن مهند الشامي المشغري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٩- دلائل الإمامة، محمد بن جرير بن رستم الطبري، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

٦٠- ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود بن هبة الله بن محاسن، المعروف: ابن النجار البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادريحيى، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

٦١- رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحلي، تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢ م.

٦٢- الزهد، الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي، تحقيق: غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية – قم، ١٣٩٩ هـ.

٦٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين الأسد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٣ م.

٦٤- شرح إحقاق الحق وإزهاق الباطل، نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق: شهاب الدين النجفي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي - قم.

٦٥- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، النعمان بن محمد المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٦٦- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تحقيق: أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.

٦٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٥٩ م.

٦٨- الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، دار الكتب العلمية – بيروت.

٦٩- ضحى الإسلام، أحمد أمين، دار المعارف بمصر– القاهرة، ١٩٣٠ م.

٧٠- عبد الله بن المقفع، محمد غفراني خراساني، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠ م.

٧١- العبر في أخبار من غبر، الحافظ الذهبي، تحقيق: فؤاد سيد، الكويت، ١٩٦١ م.

٧٢- عصر المأمون، أحمد فريد الرفاعي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٨ م.

٧٣- عقائد الإسلام، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام.

٧٤- علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.

٧٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني "ابن عنبة"، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦١ م.

٧٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين "الصدوق"، تعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ١٩٨٤ م.

٧٧- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.

٧٨- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

٧٩- الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.

٨٠- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، نشر وفهرسة: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، ١٩٥٦ م.

٨١- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطا "ابن الطقطقا"، دار صادر – بيروت.

٨٢- الفرج بعد الشدة، القاضي الحسن بن أبي القاسم التنوخي، منشورات الشريف الرضي – قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٤ هـ. ش.

٨٣- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم، علي بن موسى بن جعفر بن محمد ابن طاووس، منشورات الرضي – قم، ١٣٦٣.

٨٤- فرق الشيعة، حسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء – بيوت، الطبعة الثانية.

٨٥- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، مطبعة العدل – النجف.

٨٦- فلاسفة الشيعة حياتهم آراؤهم، عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧

٨٧- فهرست ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب إسحاق النديم، تحقيق: رضا – تجدد.

٨٨- فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أبو العباس أحمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٦ هـ.

٨٩- قاموس الرجال، محمد تقي التستري، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٩٠- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم.

٩١- قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، طبع الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية.

٩٢- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران.

٩٣- كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، نشر الفقاهة، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.

٩٤- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، دار صادر- بيروت، ١٩٦٥ م.

٩٥- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

٩٦- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.

٩٧- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر- طهران.

٩٨- كنز العمال، علاء الدين علي المتقي الهندي، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٩ م.

٩٩- الكيمياء حتى عصر دالتون، هوليارد، باريس، ١٩٢٨ م.

١٠٠- مآثر الكبراء في تاريخ سامراء، ذبيح الله المحلاتي، انتشارات المكتبة الحيدرية.

١٠١- مبادئ الثقافة الإسلامية، د. محمد فاروق النبهان، دار البحوث، الكويت، ١٩٧٣ م.

١٠٢- المتشابهات، السيد أحمد الحسن، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠٣- المجدي في أنساب الطالبيين، السيد أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلوي العمري، تحقيق: الشيخ أحمد المهدوي الدامغاني، نشر مكتبة المرعشي النجفي - قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.

١٠٤- مجلة الباحث، بيروت – لبنان، مقال بعنوان: المأمون ومكانته في السياسة والفكر والعلم.

١٠٥- مختصر بصائر الدرجات، حسن بن سليمان الحلي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الأولى، ١٩٥٠ م.

١٠٦- المختصر في تاريخ البشر "تاريخ أبي الفدا"، إسماعيل أبي الفدا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

١٠٧- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، تحقيق عزة الله الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

١٠٨- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ م.

١٠٩- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، المجلسي

١١٠- مروج الذهب ومعادن الجواهر، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، منشورات دار الهجرة - قم، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ م.

١١١- المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

١١٢- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، المطبعة: شفق - طهران، الناشر: ابن المؤلف، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

١١٣- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي، تحقيق: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين بقم، ١٤١٨ هـ.

١١٤- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٩٨٧ م.

يوم الحسين (ع) / الجزء الخامس ـــ

-١١٥- مستطرفات السرائر، محمد بن أحمد ابن إدريس الحلي، تحقيق: السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان، نشر العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

-١١٦- مسند الإمام الرضا، تحقيق: الشيخ عزيز الله العطاردي، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس رضوي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.

-١١٧- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٩٨٧ م.

-١١٨- مصباح المتهجد، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة فقه الشيعة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

-١١٩- المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهي.

-١٢٠- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق: ما جد بن أحمد العطية.

-١٢١- معالم العلماء، ابن شهرآشوب، تقديم: محمد صادق آل بحر العلوم.

-١٢٢- معاني الأخبار، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٧٩ هـ.

-١٢٣- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠ هـ.

-١٢٤- معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، طبعة منقحة ومزيدة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٢.

-١٢٥- مع العبد الصالح، إعداد علاء السالم، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع.

-١٢٦- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، تقديم: كاظم المظفر، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف، ١٩٦٥.

-١٢٧- مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، أحمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري، نشر مكتبة الطباطبائي – قم.

-١٢٨- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة مصطفى محمد – القاهرة.

-١٢٩- المكتبات في الإسلام، د. محمد ماهر حمادة، مطبعة الرسالة – بيروت، لبنان، ١٩٧٣ م.

-١٣٠- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.

-١٣١- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي ابن شهراشوب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٩٥٦ م.

-١٣٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.

-١٣٣- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، نشر جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م.

١٣٤- مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى ابن طاووس الحسني، نشر: كتابخانه سنائى.
١٣٥- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقريزي، بولاق – القاهرة، ١٢٧٠ هـ.
١٣٦- المواقف؛ الأيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
١٣٧- موسوعة الإمام العسكري، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي عصر، تحقيق: السيد محمد الحسيني القزويني وأخرين، إيران - قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ.
١٣٨- موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري، نشر الهادي – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
١٣٩- موسوعة مكاتيب الأئمة، الشيخ عبد الله الصالحي النجف آبادي، الطبعة الأولى.
١٤٠- النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب، الميرزا حسين الطبرسي النوري، تحقيق: السيد ياسين الموسوي، المطبعة مهر – قم، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٤١- نهاية الإرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
١٤٢- نور الأبصار، مؤمن بن حسن الشبلنجي، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٤٣- الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتووزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٩١ م.
١٤٤- الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت.
١٤٥- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المقدسة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
١٤٦- وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة – لبنان.
١٤٧- وهم الإلحاد، السيد أحمد الحسن، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد.
١٤٨- ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
١٤٩- ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، نشر دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
١٥٠- يوم الحسين، د. علاء السالم، إصدارات أنصار الإمام المهدي عليه السلام، شركة نجمة الصباح للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٥ م.

الفهرست التفصيلي

كلمة البدء.. ..... ٥

(١) الإمام الرضا رضيّ حسيني تام بمراد الله ٩

إمامة الرضا وألقابه وبعض خصاله: ١٠

النص على إمامته: ١٠

ألقابه: ١٣

شهادة المسلمين ببعض خصاله: ١٤

محنة الإمام الرضا بعد شهادة أبيه: ٢٠

فتنة الواقفة: ٢٠

الإمام الكاظم(ع) يحذر من فتنة الواقفة: ٢٠

من هم الواقفة، ولماذا انحرفوا؟ ٢٢

مواجهة الإمام الرضا(ع) للواقفة: ٢٥

الإمام الرضا (ع) يبدأ بهداية الأمة وبنائها من جديد: ٣١

رضا آل محمد ويوسف آل يعقوب؛ يشربان من نفس الألم: ٤٢

الاحتكام إلى القافة لإلحاق ابنه محمد الجواد به! ٥٤

رسالة الإمام الرضا (ع): ٥٨

حزن الرضا (ع) العميق على جده الحسين (ع): ٥٨

طبيعة رسالة الإمام الرضا (ع): ٦٣

متى شرع الإمام الرضا برسالته؟ ٦٣

بيان الدين الحق: ٦٨

إعادة بناء الأمة المؤمنة: ٧٦

الاحتجاجات والمناظرات: ٨٣

سعة علوم الإمام الرضا (ع): ٩٤

الإمام الرضا و"مصر" المُحبة لآل محمد: ٩٧

الإمام الرضا وبنو العباس وثورات العلويين: ١٠٣

الإمام الرضا (ع) وهارون العباسي: ١٠٣

ما بعد هارون العباسي: ١٠٧
ثورة محمد بن جعفر: ١٠٨
ثورة أبي السرايا: ١١١
قيادة الثورة وأحداثها: ١١١
العلويون المشتركون بالثورة: ١١٥
الإمام الرضا (ع) وولاية العهد: ١٢٢
المأمون وقرار ولاية العهد: ١٢٢
اعتقاد المأمون: ١٢٢
نصوص تؤكد تشيع المأمون أو ميله: ١٢٨
الامام الرضا (ع) ولياً للعهد: ١٢٩
الطرح التقليدي لولاية العهد وما تلاه: ١٢٩
فهم آخر لقضية ولاية العهد: ١٣١
استقدام الإمام الرضا إلى خراسان: ١٤٨
الإمام الرضا يبطل اعتقاد التمثل بالرسول في الرؤيا! ١٥٢
حديث سلسلة الذهب: ١٥٤
إجراءات التنصيب وشروط القبول بولاية العهد: ١٥٥
بين رضا آل محمد ويوسف آل يعقوب! ١٦٥
وثيقة ولاية العهد وإجراءات البيعة: ١٦٦
شيء من سيرته بعد ولاية العهد: ١٧٠
موقف العباسيين ومخطط اغتيال الإمام الرضا: ١٧٦
العباسيون ببغداد يخلعون المأمون: ١٧٦
البيت العباسي ببغداد ينصّب إبراهيم بن المهدي خليفة: ١٧٧
عزم المأمون على السفر إلى بغداد والمفاوضات غير المعلنة! ١٧٩
محاولتان لاغتيال الإمام الرضا (ع): ١٨٥
الإمام الرضا (ع) يخبر بمصيره: ١٨٥
محاولة الاغتيال الأولى: ١٨٨
المحاولة الثانية: ١٩٠

شهادة الإمام الرضا (ع): ١٩٢
هل قتل المأمون الإمام الرضا (ع)؟ ١٩٢
من قتل الإمام الرضا وما دور المأمون في قتله؟ ١٩٣
الإمام الرضا الشهيد المسموم! ١٩٨
بيت الحكمة: ٢٠٠
بيت الحكمة؛ النشأة والتطور: ٢٠٠
البدايات باختصار: ٢٠٠
بيت الحكمة في عهد المأمون: ٢٠٢
بيت الحكمة والعصر الذهبي وفقدان البريق: ٢٠٥
مَن وراء تطور "بيت الحكمة"؟ ٢٠٧
أسئلة منطقية: ٢٠٧
بدايات بيت الحكمة ليست عباسية: ٢٠٨
حال خزانة الكتب بعد موت المنصور: ٢١٢
قفزات غير منطقية تعترض الطرح التقليدي: ٢١٣
لماذا في عهد المأمون بالذات حصل التطور؟ ٢١٤
الإمام الرضا يطوّر بيت الحكمة بنهضته العلمية: ٢١٦
(٢) الإمام الجواد سخاء حسيني خاطف في دنيا الظلام ٢٢١
النص على إمامة الجواد (ع) وما قيل فيه: ٢٢٣
النص على إمامته: ٢٢٣
ما قيل في الجواد (ع): ٢٢٥
الإمام الجواد (ع) ومحنة صغر السن: ٢٢٧
تأخر ولادة الجواد (ع): ٢٢٧
الجواد (ع) في ظل أبيه: ٢٢٨
النهوض بأعباء الإمامة بعد أبيه: ٢٣٠
الجواد (ع) يرفع التردد عن بعض الشيعة: ٢٣٠
ارتداد طائفتين وأذى الواقفة والزيدية للإمام: ٢٣٤
موقف علي بن جعفر والحسين بن موسى بن جعفر: ٢٣٦

رسالة الإمام الجواد (ع): ٢٣٩
بعض صور العطاء الرسالي: ٢٣٩
بيان دين الله: ٢٣٩
تقويم الأمة المؤمنة ورعايتها: ٢٤٠
حكم وإرشادات: ٢٤٥
الإمام الجواد وجده الحسين (ع): ٢٤٧
الإمام الجواد (ع) وعهد المأمون: ٢٤٨
استقدام المأمون للإمام الجواد وتزويجه ابنته: ٢٤٨
لماذا استقدم المأمون الإمام الجواد إلى بغداد؟ ٢٤٩
تزويج المأمون ابنته للإمام الجواد (ع): ٢٥١
خوف العباسيين وفشل مخططهم: ٢٥٣
حقيقة دو افع المأمون: ٢٥٩
رو اية غير صحيحة: ٢٥٩
المأمون يصرح بدو افعه ويجزل إكرام الإمام الجواد: ٢٦١
حوار بين المأمون وعمّته: ٢٦٥
المأمون وحالة تأنيب الضمير! ٢٦٧
الحسن بن سهل وزير المأمون: ٢٧٠
فصل الخطاب في استقدام الجواد (ع) إلى بغداد وتزويجه: ٢٧٣
الإمام الجواد (ع) فيما تبقى من عهد المأمون: ٢٧٥
الزواج الفعلي: ٢٧٥
اغتيال المأمون: ٢٧٦
الإمام الجواد (ع) في عهد المعتصم العباسي: ٢٧٧
ثورة محمد بن القاسم العلوي: ٢٧٨
إشخاص الإمام الجواد إلى بغداد وإخباره بموته: ٢٧٩
شهادة الإمام الجواد (ع): ٢٨٠

(٣) الإمام الهادي علم وحزم وصبر حسيني ٢٨٣

النص على إمامة الهادي (ع) وما قيل فيه: ٢٨٤

النص على إمامته: ٢٨٤
شيء من فضله وما قيل فيه: ٢٨٦
بعض ما قيل فيه: ٢٨٦
شيء من فضله: ٢٨٨
رسالة الإمام الهادي (ع): ٢٩٣
بعض أوجه رسالته: ٢٩٣
بيان الدين الحق: ٢٩٣
تقويم الأمة المؤمنة: ٢٩٩
حكم وإرشادات: ٣٠٧
الإمام الهادي وجده الحسين (ع): ٣٠٩
الإمام الهادي (ع) وبنو العباس وثورات العلويين: ٣١٢
مع بني العباس: ٣١٢
ثورات العلويين: ٣١٤
الإمام الهادي (ع) في عهد المتوكل العباسي: ٣١٨
المتوكل يهدم قبر الحسين (ع): ٣٢٠
استقدام الإمام الهادي (ع) من المدينة إلى سامراء: ٣٢٢
الإمام الهادي (ع) في سامراء: ٣٢٧
المتوكل يكبس بيت الإمام في سامراء ثم يأمر بسجنه ويحاول قتله: ٣٣٠
مقتل المتوكل وأحداث ما قبل شهادة الإمام: ٣٣٥
شهادة الإمام الهادي (ع): ٣٣٧
(٤) الإمام العسكري؛ إعداد إلهي ليوم الغيبة ٣٣٩
النص على إمامته وحياته في ظل أبيه وما قيل فيه: ٣٣٩
النص على إمامته: ٣٣٩
ما معنى "أحدث الله فيك أمراً"؟ ٣٤٢
الإمام العسكري (ع) في حياة أبيه: ٣٤٥
بعض الشهادات فيه: ٣٥٢
رسالة الإمام العسكري (ع): ٣٥٦

عصر الإمام ومحنته أول إمامته: ٣٥٦
طبيعة رسالة الإمام العسكري: ٣٦٠
بيان الدين الحق: ٣٦٠
الوقوف بوجه الانحراف والضلال: ٣٦٣
تقويم الأمة المؤمنة: ٣٦٧
تهيئة الأرضية لتقبّل و اقع الغيبة: ٣٧١
بعض قصار حكمه ووصاياه: ٣٧٥
الإمام العسكري وجده الحسين (ع): ٣٧٧
الإمام العسكري (ع) والعباسيين: ٣٧٨
الحكام المعاصرون للإمام: ٣٧٨
ثورات العلويين وصاحب الزنج: ٣٧٩
معاناة الإمام العسكري من العباسيين: ٣٨٠
مر اقبة و إقامة جبرية: ٣٨٠
الإمام العسكري بين السجن والتضييق والتهديد بالقتل: ٣٨١
الإمام العسكري يتجهز للرحيل ويقيم الحجة: ٣٨٥
إقامة الحجة على شيعته: ٣٨٥
الإمام العسكري (ع) ينعى نفسه ويوصي إلى أمه: ٣٨٧
شهادة الإمام العسكري (ع): ٣٨٨
الإمام المهدي وجده الحسين: ٣٩١
ختامُ القصيدةِ بالمطلع: ٣٩٣
المصادر ٣٩٥
الفهرست التفصيلي ٤٠٣